التلمود

وجذور الإرهاب الصهيوني

(رؤية استراتيجية في الفكر الصهيوني التلمودي)

الشيخ شبّر الفقيه

دكتوراه في العلوم السياسية والفلسفية والأدب العربي



دار الهادي

التلمود
وجذور الإرهاب الصهيوني

(رؤية استراتيجية في الفكر الصهيوني التلمودي)

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
ISBN 978-9953-503-90-5



هاتف: 03/896329-01/550487- فاكس: 541199- ص.ب: 25/286 غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329-01/550487-Fax:541199-P.O.Box:286/25 Ghobeiry-Beirut-Lebanon
E-Mail: daralhadi @ daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

التلمود

وجذور الإرهاب الصهيوني

(رؤية استراتيجية في الفكر الصهيوني التلمودي)

الشيخ شبّر الفقيه

دكتوراه في العلوم السياسية والفلسفية والأدب العربي



للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفصل الأول: الشعب اليهودي من بداية القرن الثاني إلى أيامنا

الفصل الثاني: الصهيونية والدين اليهودي وعداء المسيحية «نشأة الصهيونية»

الفصل الثالث: محتوى التعاليم الدينية اليهودية

الفصل الرابع: الغدر والخيانة والإنحلال الخلقي الصهيوني

الفصل الخامس: الصهيونية وتوظيف الدين اليهودي

الإهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة

إلى كل من يبحث عن الخلاص

إلى كل من يتساءل عن ألغاز العالم فلا يجد لها جواباً!

فلعله يجد لها في هذا البحث جواباً، وإن كان الجواب ليس مفرحاً

ولكن... قل الحق وإن كان مراً

وإلى الغالية (هبة) وعائلتها الكريمة تقديراً واحتراماً

التمهيد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨-١٩] لم يرتض ديناً غيره، ولن يقبل ديناً سواه، ولا يفلح إلا أهله، فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبد الله ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين، القائل: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» [أخرجه البخاري] اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فإنَّ من سنة الله تعالى في خلقه أنْ يتصارع الحق والباطل أبداً ما بقي، فقد قام أهل الباطل بجولات وجولات يبغون من ورائها إطفاء نور الله، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] وكان من بين أولئك المبطلين، أمتا الضلال والبغي (اليهود والنصارى) اللذان أنكرا رسالة الإسلام ونبوة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، وزاد اليهود إنكار عيسى عليه السلام ورسالته، ولم يكتفوا بهذا حتى اتهموه وأمه - عياذاً بك اللهم.

وقد تناول القرآن الكريم باستفاضة واسهاب نفسية أهل الكتاب وقبيح

صفاتهم، وتآمرهم ضد الحق، وإنْ كان لليهود الجانب الأوفى في هذا، ولذلك ارتبط تأريخهم بالمنظمات والدسائس والكيد والحقد والسرية والتخطيط والخيانة والتحريف والتخريف والتزييف.

والمُسلم لا بد له من معرفة العدو من الصديق، وإدراك الحق من الباطل، وتوقي كيد الكافرين، واستبانة سبيل المجرمين، وقد قال رب العالمين ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] ولقد شهد التأريخ عداء وصراعا بين اليهود والنصارى منذ أنْ أرسل الله عيسى عليه السلام وآمنت به طائفة، وإلى هذا العصر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] ولقد تأثر المسلمون قديماً وحديثاً بنار العداوة والكيد والدسائس التي قام بها أهل الكتاب - اليهود والنصارى - منفردين ومجتمعين.

ولقد شهد العصر الحديث - خاصة القرن العشرين - أمراً خطيراً تمثل في التحالف بين اليهود والنصارى بعد طول عداء بينهما، وقد حذر الله عز وجل المؤمنين من هذا الولاء، وقرر أنَّ تحالفاً وتلاقياً سيكون بين الفريقين، فقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وليس هذا تناقضاً في كتاب الله تعالى - كما هو الظاهر - ومعاذ الله أنْ يتناقض كتابه، فآية المائدة هذه تتحدث عن فترة آتية بعد نزول الآيات، فهي لا تصف واقعاً في حين نزولها، وإنما تحمل إشارة مستقبلية للعلاقة بين اليهود والنصارى ببعض، وعلاقات المسلمين بهما، وقد توافق التاريخ مع كتاب الله تعالى.

وسنجد في طيات هذا البحث صورة واضحة وتفسيراً حياً للآيتين من خلال الوقائع والأحداث التي ارتبطت بهذا البحث: «المنظمات اليهودية ودورها في إيذاء عيسى عليه السلام».

📖 أسباب اختيار هذا البحث:

لا أزعم أنني اخترت هذا البحث لإثراء المكتبة العربية فقط لكنه صادف هوى في قلبي ووقع مني موقع القبول والرضا - فهو بحث ثري بمادته ومراجعه، ويخدم الدعوة، ويتناسب مع الواقع، ولا ينأى بي بعيداً عن الأحداث، وفيه تعريف بأساليب العدو، وواقع اليهود، سلباً وإيجاباً، وبيان معرفة العدو من الصديق وهذا البحث صيحة نذير، ولغة تحذير لأمة الإسلام - على وجه الخصوص - وللعالم كله - على وجه العموم - من الخطر الذي يحدق بهم من كل جانب من شر خلق الله على الإطلاق، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا «اليهود». إنه دعوة للنهوض في وجه العدو، والوقوف أمام مخططاته، والحد من مؤامراته، ومنع مواصلة مسيرته.



📖 المصاعب التي واجهتني أثناء البحث:

أولاً: إنَّ الموضوع غني بمادته ومراجعه العديدة المتنوعة، القديمة والحديثة، والإسلامية وغير الإسلامية،والعربية وغير العربية، فهو موضوع يحتاج إلى البحث والتدقيق.

ثانياً: لقد توافق كتابة هذا البحث، وأنا في لبنان وهو دولة عربية، وإسلامية، فمكتباته فقيرة بحاجة إلى دراسة منهجية بعيدة عن التسيس والذي بالضرورة سوف يضر بقيمة البحث، ولم يسعفني في كتابة هذا البحث إلا ما استطعت حمله في حقيبتي من مراجع من مكتبتي الخاصة أثناء سفري، وما قام أخي وحبيبي الدكتور «محمد الفقيه»، بتصويره لي، وقد سعدت بحصوله على درجة الأستاذية، لأنه أحق بها وأهلها، وهذا شكر واجب وتهنئة لازمة.

والمشكلة في هذا إذاً قلة المراجع الأصلية التي رجعت إليها، ولذلك أكثرت النقول عنها من غيرها مشيراً بقولي: نقلاً عن..

منهجي في هذا البحث:

١ - بعد قراءة موسعة في هذه القضية، استخلصت منها ما يؤيد موضوع البحث، وقمت بكتابته مع الاختصار.

٢ - ألفت بين ما جمعت من معلومات وأحداث ووثائق تأريخية بأسلوب علمي منسق. بحيث تسلم كل نقطة في البحث إلى التي تليها لتكتمل القضية تأصيلا وتفسيراً وتحليلاً.

٣ - ألتزمت الحيدة والموضوعية في طرح القضايا وعرضها، فلم أذكر شيئاً إلا وعضدته بالأدلة والشواهد والتصريحات التي ترقى إلى الاستدلال بها، غالباً، وذلك مراعاة للاختصار.

٤ - ألتزمت الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، ذاكراً في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة،ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتأريخها إنْ وجد ذلك. وإنْ كان النقل فيه تصرف أشرت إلى ذلك،وإنْ كانت الفكرة دون النص قلت: راجع بتوسع، وإنْ كان هناك اختصار قلت باختصار، وهكذا.

٥ - ذكرت بيانات المصدر كاملة في أول مرة واكتفيت بعد ذلك بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، تلافياً للتكرار والاعادة.

٦ - دللت على القضايا من الكتاب والسنة متى وجد هناك دليل، وذكرت عند الاستدلال من القرآن الكريم اسم السورة، ورقم الآية، وعند الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة اسم المصدر ومؤلفه، ودرجة الحديث، وكذا الاستدلال بالكتاب المقدس، وبيان الاصحاح ورقم الفقرة.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

معالم على طريق البحث

تستهدف هذه الدراسة عبر تركيزها على التعليم الديني اليهودي، ليس فقط الكشف عن محتوى هذا التعليم وأثره في بناء الشخصية اليهودية السلبية، بل وأيضاً، الكشف عن دور الصهيونية العالمية في توظيف هذا التعليم واستحضاره وإعادة تشكيله بما يتفق وأهدافها التوسعية والنفعية، وفرض روح الإحساس بالعزلة الشاملة والحصار الدائم على اليهودي في كل البلدان، وخلق جيل يهودي متعّصب، منغلق دينياً ونفسياً ومؤيد للفيتو الدولي الكبير «إسرائيل».

يحتلّ التلمود مكانةً هامة داخل الديانة اليهودية، ويعتبر الركن الأساسي فيها، وما يعرف باليهودية الربانية ليس سوى تلك اليهودية التلمودية التي تدين إلى الرباني يهوذا بن سيميون بن جامليل ١٣٥ - ٢١٧م.

والتلمود هو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات تتناقلها الألسن، فوصلت شفاهاً وسماعاً إلى الناس، وقبلت إلى جانب الشرائع المدوّنة في أسفار موسى الخمسة. وخوفاً من النسيان والضياع، وحفظاً للأقوال والنصوص ولكثرة الشروحات والاجتهادات، فقد دوّنها الحاخاميون وشكّلت ما يسمى بالتلمود.

ومن المفيد الإشارة إلى أنَّ هذه الشريعة الشفوية لم تصبح بمنزلة الشريعة المكتوبة إلا بعد خراب الهيكل الثاني، أي منذ عام ٧٠م وحتى مطلع القرن السادس، وذلك بيد المعلمين المعروفين بـ «التنائيم».

توجد نسختان من التلمود: التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي، وقد كتبتا

في أوقات متباعدة، واختلفتا في المضمون وأسلوب العرض واللغة، أما التلمود الفلسطيني فيرجع تأريخه إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، وكتب على يد الرباي يوحنان بن نبحة مؤسس أكاديمية طبرية، وهو يكتفي بالشرح أو التحاليل لنص المشنا مع سرد مناقشة غير مطوّلة بين الأحبار، ويعتبر المرجع الفصل في كلِّ نظرية فقهية ومعاملة تشريعية. وهو يتميز بالاقتضاب.

أما التلمود البابلي فإنه يفتح باب النقاش واسعاً، فلا تنتهي إلى قول مرجّح، وهو نتاج الأكاديميات اليهودية في العراق، وتبلغ حجم مادته ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني، ما جعله يحتل منزلةً رفيعةً ويغدو مرجعاً هاماً لا غنى عنه.

مسارات حديثة

ظهرت هذه النزعة في القرن الثامن عشر، وكانت ذات أثر في تطور حياة اليهود وعلاقتهم بالآخرين، وربما كانت راجعة إلى حركة الاضطهاد التي كانت قد سادت معظم أو كل الشعوب الأوروبية ضد اليهود قبل ذلك، كما نشأ عنها انعزالهم وتقوقعهم على أنفسهم بعيداً عن مجتمعاتهم، وقد تكون هذه الحركة الصوفية راجعة إلى طبيعة الشخص الذي بدأها، والصفات النفسية التي تميز بها.

تأسست هذه الحركة على يد شخص يدعى: «إسرائيل بعل شم» وهو عابد متصوف عاش بين سنتي ١٧٠٠م ١٧٦٠م، وكان يعيش في مقاطعة كارباثيان Cerpahtian، في شمال البلقان. عاش حياة صوفية زاهدة قريبة إلى الرهبنة، قوامها العبادة والتأمل، وقد اجتذب إليه عدداً من المعجبين كتلاميذ وحواريين، ثم تكاثر أتباعه ونسبت إليه معجزات وخوارق تناقلها الناس، وزادوا عليها أو زينوها، ما أشاع الطريقة ودعا إليها الكثيرين.

وبعد موته سنة ١٧٦٠م، قام بالدعوة الرباي باير Baer، فوسع دائرتها، وأكسبها إيجابية أكثر، فنظم إرساليات بدأت في أوكرانيا، وانتشر نشاطها في أجزاء كثيرة في أنحاء أوروبا الشرقية.

واعتبرت هذه الحركة امتداداً لحركة العباد Hassidims التي ظهرت في العصر الهلليني، والتي قاومت تيار الهلليستينية، وانبثقت منها فرقة الفريسيين، وسُمي القائمون بها باسم العُبَّاد أو الأتقياء، وهم الذين أضفوا على أسفار التوراة الأولى - أسفار موسى - صفة القداسة والبهاء.

ولا يبدو أنَّ هذه الحركة كانت امتداداً لحركة العباد، ولكنها كانت منفعلة بها، وهي منفعلة أكثر بحركة أخرى سبقتها تتّصف بالصوفية والعبادة، وهي حركة أو جماعة القبالة The Kabbaleh. وكلتا الحركتين ذات صبغة فلسفية وصوفية، ولكن الحركة الحديثة لم تخل من الفكر اليوناني ومن عناصر أخرى ربما كانت هندية أو فيثاغورية.

ومن أبرز تعاليمهم - أو هو أبرزها - أنها تفترض وجود وسيط بين الله وبين المخلوقات، وسموه القديس أو الصديق Zaddik، وقالوا إنه شخص يتصف بالتقوى والورع، وإنَّ حياته روحانية أكثر منها مادية، ويحصل المريدون من خلاله على الرحمة الإلهية، وفضل الله، وهو ذو قدرة على الاتحاد بالإله، ويستطيع ذوو الاستعداد الروحي أنْ ينمّوا صفاتهم ومقدرتهم الروحية بواسطته.

ولهؤلاء العبّاد نزعة أخرى، إذ يقررون أنَّ الإشعاع الإلهي إنما ينشأ وينمو من خلال التفكير في الذات الإلهية، كما أنَّ هذا ينتقل من الأستاذ إلى مريده، وقد جعل هؤلاء الأستاذ الصوفي مصدر تشريع كما هو مصدر إشعاع، وأحلّوه محل التوراة ومحل الربانيين المفسرين، وهذا ما أثار غضب المحافظين اليهود عليهم، وهو أهم أسباب الإثارة، فأعلنوا سخطهم وإنكارهم لهذه الطريقة، وأثاروا كراهية واضطهادات عنيفة وواسعة ضدهم.

الخروج من العزلة

في هذا القرن، تغير فجأة موقف اليهود، فبرزوا من عزلتهم، وبدأ الناس في أوروبا وأمريكا يقبلونهم مواطنين، وقد كان للثورتين الكبيرتين؛ الثورة

الفرنسية وثورة تحرير العبيد في أمريكا، أكبر الأثر في هذا التغير، فعلى إثرهما شاع بين الناس شيء من التسامح، وزال الفرق الواسع بين الطبقات، ما سّهل ظهور اليهود واندماجهم بالشعوب التي يعيشون بينها.

ومع تقدم الحركة الصناعية والثقافية الحديثة عامةً ظهرت لليهود مواهب في مجالات كثيرة في الجامعات والمصانع وغيرهما من القطاعات، وأضحى التأثير متبادلاً بينهم وبين البيئات التي عاشوا فيها، غير أنّ اليهود رغم تغلغلهم في كلٍّ جوانب الحياة، ظلّت لقاءاتهم مغلقة باستمرار، وظلوا يعملون على تحقيق مملكتهم المنشودة، وظل تعصبهم فيما بينهم يزداد ويقوى، فكل يهودي يؤثر التعامل مع أخيه اليهودي ويعمل على نفعه وصالحه حتى لو كان مما يضرّ بالآخرين.

ومما تميز به اليهود أنهم كانوا قد شكّلوا طبقة برجوازية تكتنز المال، فكثرت أعداد هؤلاء في البلاد الأوروبية، وامتلكوا المتاجر والمحال الكبرى والمصانع، فوظفوا بها كثيرين من غير اليهود، ما أشعر بالحاجة إليهم وأنشأ ألفة بينهم وبين الناس.

كما ظهر منهم علماء في الاجتماع والفلسفة والطب وغير ذلك ساهم إلى حد كبير في سيطرة هؤلاء على أهم مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والعلمية وغير ذلك في أوروبا.

وفي سنة ١٩٦٥م، حصلوا من البابا لويس السادس على قرار ببراءة اليهود المعاصرين من دم المسيح، فكان ذلك عاملاً كبيراً في إزالة الجفوة بينهم وبين الأوروبيين.

فالتلمود كلمة عبرية معناها التعاليم وهو كتاب مقدس عند اليهود يعادل في قيمته الروحية والعلمية التوراة، بل يفوقها بمراحل في كثير من الجوانب التطبيقية، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحاً وتفسيراً واستنباطا من أصولها، وهو يتألف من قسمين: المشناه وهي النص والجمارا

وهي التفسير أو الشرح.. والمشناه عبارة عن مجموع التقاليد اليهودية المختلفة في شتى نواحي الحياة مع بعض الآيات من التوراة، ويزعم اليهود أن هذه التعاليم شفوية ألقاها موسى عليه السلام على شعبه حين كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، بعدها انتقلت من الأنبياء إلى أعضاء المجمع الأعلى وخلفائهم في القرن الثاني الميلادي حينما جمعها الحاخام (يهوذا) ودونها.. أما الجمارا فهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي دونت في المدارس العالية بعد الفراغ من المشناه.. وهناك تلمودان يجب التمييز بينهما، أولهما التلمود الفلسطيني ويسميه اليهود الأورشليمي (المقدسي) وقد كتب بين القرنين الثالث والخامس للميلاد ويعرف الثاني بالتلمود البابلي وقد أُنتهي من كتابته وصيغته النهائية في بابل في القرن الخامس للميلاد.. ولكل من التلمودين طابعه الخاص وهو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغتا التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين آراميتين: التلمود الفلسطيني بالآرامية الغربية والتلمود البابلي كتب بالآرامية الشرقية، وقد احتوى على مصطلحات يونانية ولاتينية..

لقد أحدث التلمود أثراً كبيراً في حياة اليهود ولعب دوراً مهما في تكوينهم، حتى أنَّ اليهودية، في معتقداتها وإيمانها، في شعائرها وطقوسها الدينية، لا بل في كل ما يتصل بحياة اليهود وتفكيرهم وأفعالهم، هذه اليهودية باتت مقترنة بالطابع ألتلمودي والرباني.. ومنذ نهاية القرن السابع للميلاد أو مطلع القرن الثامن فصاعداً يصبح الحديث لازماً عن (اليهودية التلمودية) أو (الربانية) كما يصح اعتبار التلمود بمثابة نقطة التحول الأبرز في تأريخ اليهود، فقد أخذت هذه اليهودية التلمودية تعمل جادة على ترسيخ دعائمها وتوطيد تعاليمها، ولم يطل الوقت كثيراً حتى أضحت تعاليم التلمود هي المعايير السائدة والمقبولة في كل ما يتعلق بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطهم الفكري.. وليس من قبيل المغالاة أو التعميم المتسرع أنْ نجد كبار المؤرخين المحدثين، المؤرخون اليهود منهم قبل الأجانب، يعتبرون التلمود بمثابة العامل الجوهري في التاريخ اليهودي.. فهو يؤلف في نظرالمؤرخ (هاينريخ غريتس) نقطة التحول في التاريخ

اليهودي لا بل هو مربي اليهود ومعلمهم الأكبر. . وليس أدل على منزلة التلمود بلسان أحباره من تلك التشبيهات التي نجدها في أماكن عديدة من أسفار التلمود. . فقد جاء في سفر الكتبة: (أن التوراة أشبه بالماء والمشنا أشبه بالنبيذ والجمارا أشبه بالنبيذ المعطر، فلا يمكن الاستغناء عن هذه الكتب والأصناف معاً. . إن الشريعة هي كالملح والمشنا كالفلفل والجمارا أشبه بالتوابل، فلا يمكن الاستغناء عن هذه الأصناف أيضاً). .

وقد اضطر اليهود إلى اعتماد هذه الرموز في تفسير المعاني الحقيقية لبعض نصوص التلمود خوفاً من اطلاع الآخرين، ولا سيما المسيحيين، على التعاليم السرية في التلمود وخاصة تلك التعاليم التي تتضمن أوصافاً وعبارات مشينة بحق المسيح عليه السلام والمسيحيين، كما أشرنا قبل قليل.

ولذلك يتناقل اليهود تعاليم التلمود سراً من جيل إلى جيل على أنَّ «النسخة المطهرة» من التلمود، التي اعتمدت في طباعة معظم النسخ الجديدة للتلمود، لا تحتوي على التعاليم السرية التي كانت قد ظهرت في طبعة البندقية عام ١٥٢٠م، والتي أمر بابا روما بإحراقها بسبب ما ورد فيها من تعاليم هدامة معادية للمسيحيين. وقد ظهرت الطبعات «المطهرة» للتلمود في مدينة «بازل» بسويسرا بين سنتي ١٥٧٨ و١٥٨١م. وجاء فيها «إن بإمكان المسيحيين أن يقرأوها دون أية إشكالات».

ومن الجدير بالملاحظة في نسخ التلمود المطبوعة، خلال المائة سنة الأخيرة، وجود فراغات بيضاء أو رسوم دوائر وهي ترمز إلى وجود كلمات في النسخة الأصلية حذفت من هذه النسخ وهذه الكلمات المحذوفة هي ألفاظ نابية في حق المسيح عليه السلام ومريم العذراء ورسل المسيحية.

ومع ذلك فقد بقيت في التلمود عبارات تشهد على التعاليم السرية التي حذفها علماء اليهود من نسخ التلمود، وهي تؤكد عنصرية اليهود واحتقارهم لمن عداهم من الشعوب. فمن تعاليم التلمود: «إن اليهودي وحده يحترم كرجل، كل

ما في العالم له، وجميع الأشياء يجب أن تكون في خدمته، خصوصاً الحيوانات التي لها أشكال آدمية». ويبيح التلمود لليهودي أنْ يتظاهر بالمسيحية للاحتيال على غير اليهود. كما يستطيع اليهودي، بموجب تعاليم التلمود، أنْ يحلف يميناً كاذبة بضمير صاف. وجاء فيه أنَّ الرابي «آكيبها» أقسم بشفتيه لكنه في قلبه نسخ القسم.

وجاء في مؤلف الرابي «آشير» : «إذا أرغم قاضي المدينة يهودا على القسم بأنهم لن يفروا من المدينة حاملين أي شيء منها فباستطاعتهم القسم على ذلك زيفا قائلين لأنفسهم إنهم لن يفروا اليوم، ولن يحملوا معهم أي شيء من المدينة، اليوم فقط».

وبذلك يجوز لليهودي أن يحلف يميناً كاذبة على أن يؤولها في سره إلى معنى آخر، وشرط ألا يكتشف الآخرون غشه وكذبه، ولا تعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يميناً حقيقية لأنه أقسم لحيوان والقسم لا يعتبر يميناً، ولذلك يجوز لليهودي أن يحلف زوراً أمام غير اليهود.

ولا ينبغي لليهودي، بحسب التلمود، أن يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم، أي غير اليهود. ومن الواجب الديني على اليهود «أن يسعوا في إعلاء شأن الديانة اليهودية بواسطة إصلاح الظواهر ولو كانوا أشرارا في الباطن». ومن أقوال رابي «كرونر» في هذا الشأن: إن التلمود يصرح لليهودي بأن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكن عليه أن يفعل ذلك سراً لئلا يلحق الضرر بالديانة.

وحسب تعاليم التلمود فإنَّ من الجائز لليهودي إذا قابل أجنبياً أنْ يوجه له السلام ويقول له: «الله يساعدك أو يباركك» على شرط أن يستهزئ به سراً.

ويبيح التلمود لليهود أن يسرقوا أموال الخارجين عن دين اليهود ما لم يكتشف الآخرون السرقة. فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عندهم بل استرداد لأموال اليهود.

فلسفة التلمود

تقوم فلسفة التلمود على العنف والقتل والحرب.. وقد ركز اليهود على تعاليم التلمود الفلسفية فاتبعوها أكثر مما اتبعوا ماجاء في التوراة، التي بين أيدينا، وذلك لأنَّ علماء اليهود وحاخاماتهم اعتبروا التلمود كتابهم المقدس الأول وجعلوا التوراة في المقام الثاني، وقد جاءت نصوصه أشد عدوانية من نصوص التوراة..

والتلمود كنص تعليمي مقدس تعتبر محتوياته في الإجمال تعاليم إلزامية وثابتة غير متغيرة وهي تحمل كل معاني الاستعلاء والعنصرية والعداء للشعوب.. ومن بعض نصوصه القاسية أنَّ الخارج عن الدين اليهودي حيوان على العموم فسمّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان، وخلق الله الاغيار (غير اليهود) على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم.. وفي باب آخر نص يصدر بشكل أمر مقدس): اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين) و(جميع المسيحيين حتى أفضلهم يجب قتلهم).. و(حتى أفضل الاغيار يجب قتلهم) وجاء في سفر الكتبة أيضاً (اقتلوا الأفضل من بين الأمم)..

ومن بين الصفات التي نسبها أحبار اليهود إلى الله سبحانه وتعالى - وتنزه عن ذلك - (أن الله غير معصوم عن الخطأ والطيش وانه اعترف بأخطائه تجاه اليهود، ويندم على تركه اليهود في حالة بؤس حتى انه يبكي ويلطم كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته وترتجف الأرض فتحدث الزلازل)..

كما لاننسى مسالة استنزاف الدم المسيحي المنسوبة إلى اليهود والجرائم التي قاموا بها في هذا الصدد، حيث أن لليهود أعيادا لا تتم طقوسها إلا بتناول الفطير الممزوج بالدم البشري، ولكن أمر هذا الدم وأمر استباحته سراً موقوف

على الحاخامات، وقد أيد هذا الكلام الحاخام (يعقوب العنتابي).. هذه المواقف النابضة بالعنصرية والحقد تعكس موقفاً تجاه الاغيار يتسم بإنكار إنسانيتهم والحط من كرامتهم، فالأرواح غير اليهودية شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات وان الأرواح عندما تخرج تدخل جسداً آخر، ومثال على ذلك يقول التلمود: (إن روح اشعيا دخلت يسوع) واشعيا كما يقول التلمود كان (قاتلاً وزانياً)..

أما عن المسيح المنتظر عند اليهود وبسط سلطانهم على جميع الأمم بعد مجيئه فيقول التلمود: (عندما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف وقمحا حبه اكبر بقدر كلى الثيران الكبيرة، في ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود تخدم مسيح اليهود وتخضع له) ويحدد التلمود أن المسيح لا يأتي إلا بعد انقضاء حكم الأشرار!! الخارجين عن دين بني إسرائيل، ويجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استهلال باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم، ويلزم أن تقوم الحروب بضراوة ويهلك ثلث العالم..

وفيما يتعلق بالقتل، تعتبر الديانة اليهودية التلمودية قتل اليهودي جريمة كبرى، أما قتل اليهودي الذي يتسبب بموت يهودي آخر بطريقة غير مباشرة فإنه مذنب حسب (الهالاخاه).. والهالاخاه معناها اللغوي قانون أو أسلوب أو تقليد وهي المبادئ الهادية لأحكام الشرع الديني وتعني أيضاً ما تجمع من تقاليد الشريعة اليهودية دون نصها.. أما التسبب بموت غير اليهودي بطريقة غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبداً.. وإذا وقع القاتل غير اليهودي تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية فيجب إعدامه فوراً..

ويجري الترويج العلني لهذه الأفكار منذ العام ١٩٧٢ لتوجيه الجنود الإسرائيليين المتدينين، وقد جاء في كراس نشرته قيادة المنطقى الوسطى في الجيش الإسرائيلي على لسان الحاخام المسؤول: (في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو خلال مطاردة حامية أو غارة، وإذا لم يتوفر دليل على عدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم)..

وفي رسالة من جندي إسرائيلي شاب إلى حاخامه يقول: (جرت في وحدتي مناقشة لفكرة طهارة السلاح وما إذا كان من الجائز قتل العربي الأعزل من السلاح أو النساء أو الأطفال؟ أو حتى ما إذا كان علينا الانتقام من العرب؟ولم استطع التوصل إلى إجابة حاسمة) أجابه الحاخام (شمعون وايزر): (أن قتلهم في زمن الحرب يعتبر واجباً دينياً وينبغي الافتراض بان غير اليهودي يأتي لقتلك في زمن الحرب، هذه قاعدة طهارة السلاح حسب الهالاخاه وليس حسب المفهوم الأجنبي الذي تسبب بوقوع العديد من الخسائر)..

خلاصة القول إن فلسفة التلمود تقوم على العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية من على وجه الأرض لتحل محلها الفلسفة الحاقدة على البشرية وليقوم على أنقاضها ملك إسرائيل.. ولقد كان التلمود هو (دستور) العمل للسيطرة على البشرية واحتواء الأديان والأمم، عن طريق إقامة تشريع يمنح اليهود ذلك الامتياز الذي يجعل من حقهم استلاب الثروات والأمم والبلاد جميعاً وحرق وقتل أهلها واستعباد شعوبها.

وقد ظهر هذا الاتجاه في الفكر اليهودي أبان الترحيل البابلي حيث أعيدت كتابة التوراة بشكل محرف وبوشر بإعداد التلمود الذي أصبح في تقدير الحاخامات أعلى درجة من التوراة، ومنذ أن اخرج اليهود من الأندلس (مع العرب) عام ١٤٩٢ ميلادية بدأ الإعداد لهذا المخطط، ويبدو ذلك في أمر تلك الجماعة اليهودية التي أقامت في سالونيك وهي من مهاجري الأندلس وقضية دخولهم في الإسلام وما يحيط بها من شبهات وشكوك يوحي بأنها كانت خطة دقيقة محكمة الكتمان تستهدف إقامة دعامة في قلب بلاد الخلافة الإسلامية لإحداث أمر ما فيما بعد.. ولا ريب أن يهود الدونمة في سالونيك كانوا جزءاً من المخطط الذي نفذته اليهودية بعد سقوط مملكة الخزر التي أصبحت من بعد جزءاً من الإمبراطورية الروسية التي اقتلع اليهود جذورها.. والواقع أن مخطط اليهود في الإمبراطورية الروسية لإسقاطها ونشأة الدعوتين الصهيونية والماركسية

في قلبها سنوات وسنوات كان انتقاماً من إسقاط دولتهم (الخزر) التي حجبوها عن دوائر المعارف الغربية حتى لا يكشفوا خطتهم في إسقاط الدولة الروسية وقد ثبت أن اليهود صنعوا في هذه الفترة كلتا الدعوتين ووزعوا أنفسهم عليها حتى يقسموا العالم إلى معسكرين كما ظهر لاحقاً على مسرح السياسة العالمية.. ثم هم من الناحية الأخرى في سالونيك اخذوا يعملون بصمت واستمرار لأمد طويل حتى استطاعوا إسقاط الدولة العثمانية أيضاً وأحدثوا خلافات بين العرب والأتراك لإضعاف هذه الدولة وإسقاطها كي ينفتح الطريق لهم فيما بعد إلى فلسطين وإقامة وطن قومي يهودي لهم على حساب سكانها الأصليين..

لقد أقام اليهود مشروعهم ألتلمودي كله على أساس الاغتصاب والغدر والخيانة وساروا فيه ضد تيار التاريخ وضد طبيعة الأمم وضد نواميس المجتمعات والحضارات وقد خططت حركاتهم الحديثة: الماسونية والصهيونية والمادية على قاعدة هدم الدين والأخلاق بهدف تقويض الحضارة ومحو العقائد وإسقاط الدول والإمبراطوريات والقضاء على الأمم.. وابرز ما تحمله تعليمات اليهود: نصوص تفيض وحشية وعنصرية وحقدا على العالم كله، وقد غذيت العقول بهذه الأحقاد على مدى الأجيال فأصبحت قوام النفسية اليهودية وعقدة التركيب الاجتماعي، وقد استطاعت الصهيونية التلمودية المسيطرة على الحضارة الغربية طبع الفكر الغربي بطابع الجشع والطمع والحقد وإنشاء منهج التلمود الجشع الذي يستهدف إقامة إمبراطورية الربا.. وفي هذا يقول الدكتور(أيدر) رئيس اللجنة الصهيونية: (إن هدف الصهيونية هو إبادة العرب جميعاً) ويقول (موشيه دايان) وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق:(لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يثرب والى بابل) أما المفكر اليهودي (نورمان بيوش) فيقول: (في وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من البحر الأبيض حتى الفرات)..



التلمود والصهيونية

إنَّ المطلع على مضمون التلمود يمكنه العثور على الكثير من المسائل والعقائد التي تمتد جذورها الصهيونية إلى هذا الكتاب، ومن ذلك فكرة الاستعلاء أو التفوق والسيادة والعنصرية والقتل واستخدام العنف كوسيلة شرعية لتحقيق الأهداف اليهودية ومد سلطان اليهودية إلى جميع أنحاء العالم وإخضاع شعوبه بأي وسيلة كانت.. إلى غيرها من المبادئ والأفكار التي اعتمدتها الحركة الصهيونية لاحقاً في تنفيذ سياستها العدوانية والعنصرية.. وإزاء الإجماع اليهودي على الإقرار بمنزلة التلمود ودوره الأساسي في تكوينهم والحفاظ على خصوصيتهم ونظرتهم الضيقة إلى الغير، لايسعنا إلا القبول بما يقوله اليهود عن أنفسهم دون تجاهل الخصائص العنصرية التي يحاولون العزوف عنها أو حتى مجرد التلميح إليها.. وهنا نشير إلى هذه الرؤى والمبادئ التي اعترف بوجودها المؤرخ اليهودي (غريتس)، دون التعليق عليها، وقام بتصنيفها تحت الفئات الأربع التالية:

١ - يحتوي التلمود على الكثير من التفاهات والضلالات التي يعالجها الربانيون بقدر كبير من الجدية والسرية والخطورة..

٢ - يعكس التلمود شتى الممارسات والآراء الخرافية التي كانت سائدة في مكان ولادته، وهي تؤمن بفعالية العلاجات العجائبية والعقاقير الشيطانية والسحر والرقيات والتعاويذ، إلى جانب تفسير الأحلام.. وهذه كلها من الأمور التي تتنافى مع روح الديانة اليهودية على حد تعبير المؤرخ غريتس.

٣ - يتضمن التلمود أيضاً أمثلة متفرقة ومنعزلة على الأحكام والمراسيم القاسية ضد أبناء الأمم والديانات الأخرى..

٤ - ويحبذ التلمود، أخيراً، شرحاً وتفسيراً مغلوطاً للكتاب المقدس، فيقبل التفسيرات الخاطئة التي ينفر منها الذوق السليم ويأباها..

ومما ورد في النصوص السابقة وتحليلنا لها يتضح أن في التلمود تأكيداً

وتأصيلاً لنزعة العنف والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض باعتبار أنهم الشعب المختار وأنَّ الله اصطفاهم دون سواهم من الشعوب، لذلك كانوا حريصين على أنْ لا يطلع على التلمود غيرهم إلا من يأمنون جانبه خوفاً من ثورة الاغيار ضدهم، حسب تعبير حاخاماتهم..

وجدير بالذكر أنَّ هؤلاء الحاخامات اخفوا التلمود ١٤ قرناً منذ أنْ وضعه حاخاماتهم الأوائل، لكن ما إن تسرب حتى تسبب بردود فعل متتالية وكبيرة، ففي سنة ١٢٤٢ ميلادية أمرت الحكومة الفرنسية بإحراق التلمود علناً وتكرر هذا الأمر عشرات المرات في اغلب العواصم الأوربية وفي أزمنة مختلفة منذ الحين، وفي العراق فإنَّ الباحث يشير إلى انه كان هناك تلمودا واحداً في جامعة بغداد وقد اطلع عليه شخصياً فبل احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وقام بترجمة بعض نصوصه عن اللغتين العبرية والآرامية وبعد احتلال العراق وصلته أخبار عن فقدان هذا التلمود..

والنتيجة التي يمكن استخلاصها مما تقدم هي أن التلمود كتاب سياسي يؤكد على القومية اليهودية القائمة على العرق والعنصر والاصطفاء وحرمان الشعوب الأخرى من الوجود لأنهم، كما يذكر التلمود، ليسوا مخلوقات أو كائنات إلهية، وإذا تأملنا محتويات هذا الكتاب وتعاليمه وشرائعه التي هي مجرد تفاسير وشروح وتعليقات لا تنتهي، أدركنا أن ما جاء فيه يعتمد على ماجاء في التوراة - التي بين أيدينا - أي الشريعة المكتوبة التي يدعي الأحبار والحاخامون بأنهم الموكلون والمؤهلون لتفسير الشريعة الشفهية التي تلقاها موسى عليه السلام وتدوينها، الشريعة الشفهية التي تُركت للأحبار والربانيين الذين سيعملون، يوماً ما، على توضيحها على نحو اجتهاد يتحمل التعليق والشرح، وعلى الرغم من أن بعض المجتهدين في نطاق تأويل ما جاء في التوراة رفضوا ما جاء في كتاب التلمود واعتبروه تلفيقاً وتحريضاً وتزويرا للتوراة، لكن الغالبية العظمى من اليهود يأخذون به على نحو يجعلونه متساويا مع التوراة ومنسجما مع الشريعة المكتوبة..

ويرى بعض الباحثين المتخصصين أن التوراة والتلمود كتاباً واحداً ينقسم

إلى مجلدين يتميز كل منهما بخلفيتين: في الخلفية الأولى، يتحدث الكتاب عن الشعب الإسرائيلي الذي سيصبح في وقت لاحق الشعب اليهودي الذي اصطفاه إلههم (يهوه) ليكون شعبه الخاص وجعله الممثل الوحيد له في العالم الأرضي، وفي الخلفية الثانية يتحدث الكتاب عن الخطة أو الطريقة التي تساعد على احتفاظ هذا الشعب اليهودي بخصوصيته التي تميز بها نتيجة لاصطفاء الهه (يهوه) له وبقائه تحت رعايته في كل الأزمنة والظروف..

على هذا الأساس يعتبر الكتابان أطروحة طقسية - سياسية، وفي هذا المنظور تؤسس الحركة الصهيونية قاعدتها وتركز منهجيتها أولاً بالاعتماد على دولة عظمى كانت بريطانيا سابقاً والآن الولايات المتحدة، من اجل أقامة دولة إسرائيل الكبرى ومن ثم ارض إسرائيل العظمى حسب الأساطير التوراتية والتلمودية واستباحة دماء الاغيار والتضحية بهم لبناء مملكة العدالة والحرية (أورشليم الجديدة) وتوظيف التاريخ لخدمة هذه الأهداف السياسية، فالتاريخ بالنسبة للحركة الصهيونية هو التوراة والتلمود وبروتوكولات (حكماء) صهيون، من هنا استمدت الصهيونية جانباً من فلسفتها من التراث اليهودي الذي يقوم على أساس عزل اليهودي عن غير اليهودي، وقد تم هذا العزل من خلال مجموعة من المفاهيم الدينية، والتلمودية بشكل خاص، والتي فسرت تفسيراً عنصرياً قومياً ومن أهم هذه المفاهيم خصوصية الإله وخصوصية العهد والاختيار الإلهي وخصوصية الخلاص الإلهي.

وقد أدت الترجمة العنصرية للمفاهيم الدينية إلى تحويل اليهودية إلى ديانة قومية خاصة والى تكوين صورة سلبية للآخر غير اليهودي تصل في قمتها إلى التعبير عن الرغبة في دماره وإبادته لأنَّ الخلاص الخاص الذي يحققه الرب لجماعته الخاصة يقابله دمار شامل لأعداء الرب ويمثل هؤلاء الأعداء بقية البشرية، وبمرور الزمن انتقل هذا الفكر الديني التلمودي (القومي) وفلسفته إلى الصهيونية الحديثة وأصبح دعامة أساسية من دعائم الإستراتيجية الإسرائيلية بجوانبها العسكرية والسياسية والثقافية، ومع أن الصهيونية الحديثة قامت غالباً

على أكتاف اليهود العلمانيين وان هذه الصهيونية كانت تمثل مرجعيتهم الأولى، فقد تم توظيف الرافد التراثي الديني التلمودي لخدمة المصالح القومية للصهيونية وبخاصة الجناح السياسي وأداته العسكرية والذي لم يؤمن بالمعطيات التراثية الدينية لكنه وظفها لخدمة المشروع الصهيوني وأهدافه القومية.. والشيء الأخر الذي نشير إليه هو أن الصهيونية استخدمت النظريات العرقية الغربية لتبرير نقل اليهود المنبوذين من أوربا وتبرير إبادة السكان الأصليين، وهكذا اخذ الفكر الديني ألتلمودي بهذه النظرية العنصرية وطبقها حرفياً في طرح برامج التعامل مع العرب وبرر غزو فلسطين وطرد سكانها الأصليين منها أو أبادتهم بنفس النظرية التبريرية الاستعمارية وتكونت الرؤية اليهودية (ببعديها الصهيوني والإسرائيلي) للعربي الفلسطيني وللعربي عموماً من عنصرين: الأول: يعتبر العربي عضواً في الشعوب الشرقية الملونة المتخلفة..

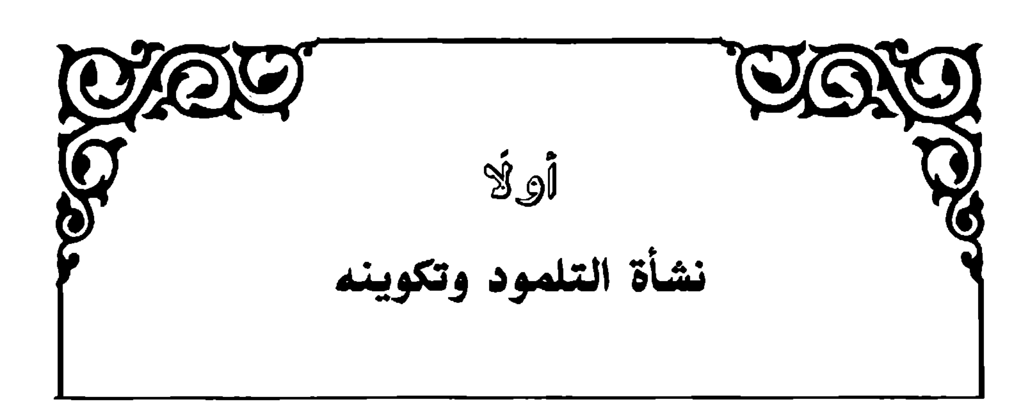
الثاني: يرى في العربي ممثلاً للاغيار، ووفق هذه الرؤية، فان العربي شخصية متخلفة يجب نقلها إلى المدنية والحضارة على يد الحركة الصهيونية التلمودية التي ترى اليهودي عضواً في الحضارة الغربية منتميا إلى الجنس الأبيض وموضع القداسة، وقد عبرت الكتابات الأدبية العبرية العديدة عن هذه النظرية الصهيونية ورؤيتها للعربي المتخلف كمقابل لليهودي الأبيض، وقد وردت تعبيرات كثيرة لهذا التصور في كتابات مفكري وفلاسفة اليهود أمثال (موسى هيز) و(تيودور هرتزل) و(حاييم وازمان) و(جابوتنسكي) و(دافيد بن غوريون) وغيرهم..

وإسرائيل، حسب النظرية الصهيونية التلمودية، مضطرة إلى الاختيار بين الاستعمار الاستيطاني كهوية وتصبح دولة عنصرية رسمية يقوم نظامها على التميز العنصري أو التخلص من الآلية والروح الاستعمارية والاستيطانية، ويشير التوجه الإسرائيلي الحالي إلى تأكيد وضع الدولة العنصرية بشكل رسمي من خلال سيطرة اليمين اليهودي المتطرف، الذي تبني الأيديولوجية التلمودية الموجهة ضد الفلسطينيين والعرب وينمي العقيدة العنصرية النظامية من خلال تطوير نظرية لا سامية العرب وإسقاط اللاسامية الأوربية على العرب..



الفصل التمهيدي

منابع التلمود وروافده



أولاً
نشأة التلمود وتكوينه

اشترك في كتابة التلمود أقلام كثيرة، وتعددت مراحل كتابته، فاختلفت في كل مرحلة أساليب جمعه وتصنيفه وتبويبه وتدوينه.

المرحلة الأولى تبدأ بمجيء عزرا الكاتب من بابل، وتمتد حتى عصر المكابين ٤٥٠ - ١٠٠ق. م.

خلال هذه الفترة، جرى جمع القسم الأكبر من الكتابات وتمّ إضافتها إلى التوراة لتغطية الأوضاع والنواحي الجديدة وتكييف بعض الشرائع التوراتية وفقاً لمتطلبات الحياة، ويطلق على هذه المرحلة مرحلة الكتبة الذين انحصر نشاطهم الرئيسي في حقل نشر التعليم الديني إلى جانب بعض التشريعات والمراسيم التي كان لها أثر في ترتيب التوراة وإثبات نصّها المعياري.

المرحلة الثانية تبدأ فيما بين «المكابي والهيرودي»، وخلال هذه الفترة ظهر ما يعرف بالمعلمين الكبار الذين أطلقت عليهم تسمية «الأزواج» «زوجوت»، وقد غطّى هؤلاء خمسة أجيال، ويمثّل كل زوج منهم المنصبين التاليين: رئيس السنهدرين أو الأمير ولقبه النّاسي، ونائب الرئيس أو رئيس بيت الدين، وهم حسب التسلسل:

- جوزية بن يوعزر جوزية بن يوحنان
- يشوع بن فراحيا نطّاي الأربيلي
- يهوذا بن طباي سمعان بن شطاح
- شماعيا أتباليون

- هيلّل شمّاي

وبالرغم من الخلافات التي حصلت بين هؤلاء حول ممارسة بعض الفرائض الدينية، فإنهم لعبوا دوراً هاماً في تطوير الشريعة الشفوية. وهناك العديد من الروايات والأقوال الهجادية والأحكام الشرعية والقوانين التي تنسب إليهم، خاصة الزوج «هيلّل وشمّاي» اللذان تنسب إليهما الكثير من الأحكام الشرعية التي تحمل اسميهما، وكان هناك خلاف دائم بينهما استمرّ حتى مع الأجيال اللاحقة. وفي القرنين الأولين للميلاد، يظهر التنائيم، أي المعلّمون والثقاة، ومعظمهم يحملون لقب «رابي» بمعنى سيدي، وكان أشهر هؤلاء الرابي «مائير» الذي تابع العلم التنظيمي للتقاليد الشفهية بعد معلّمه قليبا، وتنسب إليه المصادر اليهودية أنه وضع الأساس لجمع المشنا.

ومن اشتهر منهم أيضاً النّاسي، وكان رئيس السنهدرين، وينسب إليه جمع المشنا وتصنيفه وتبويبه، وتقسيم المادة المجموعة إلى ستة أجزاء عرفت بالسّدريمات الستة، ويحتوي كل سدر على عدد من المقالات أو الأسفار. وكل مقالة تقسم إلى عدد من المفاصل، ويتألف كل مفصل من فقرات عديدة تعرف بـ «حلقوت»، وهي الأحكام الشرعية، ويبلغ عدد هذه المقالات ٦٣/ ثلاث وستون مقالة. وقد اعتبرت مجموعة الرابي يهوذا النّاسي بمثابة المشنا الأوحد.

وفي وقت لاحق وبالتحديد في مطلع القرن السادس، بلغت الشروحات والتفاسير مداها الأقصى، وكانت تدعى «الصابورائيم»، أي التأمليون والشرّاح في أقوال السلف وأصحاب الرأي، وأشهرهم الرابي «جوزية» والرابي «آحاي». والراب «جيزا» والراب سمعونا، وقد انحصر نشاط هؤلاء الصابورائيم بالتعليق على التلمود بواسطة إضافات وهوامش تفسيرية وشرحية، إلى جانب بعض المجالات التي أضيفت إلى التلمود دون ذكر أسماء المشتركين فيها وبأسلوب غريب، كما أدخلوا على التلمود بعض القراءات النهائية حول اختلاف الآراء لدى أسلافهم.

ثانياً

معنى التلمود ومباحثه وأقسامه

١ - معنى التلمود: إنَّ كلمة التلمود (Talmud) مستخرجة من كلمة «لامود» (Talmud) التي تعني «تعاليم»، وهي تعبّر عن الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية. وحسب التفسير اليهودي يعتبر التلمود بمثابة تفسيرات وشروح للكتاب المقدس - العهد القديم - الذي يدعوه اليهود باسم «التوراة». وتعرف هذه التفسيرات عندهم باسم «القانون الشفهي»، ويقولون إن موسى عليه السلام تلقى من ربه هذه الشروح والتفسيرات إضافة إلى الألواح التي تسلمها من ربه على جبل سيناء.

وعليه فالتلمود תלמוד هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية، الأخلاق، الأعراف، وقصص موثقة من التراث اليهودي، وهو أيضاً المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات في الدعاوى القانونية، التلمود مركب من عنصرين، الميشناه משנה Mishnah هي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي كانت تتناقل شفوياً، الجمارا גמרא Gemara وهذا القسم من التلمود يتناول الميشناه بالبحث والدراسة (أحياناً يستعمل أحد المصطلحين تلمود أو جيمارا للدلالة على المصطلح الآخر). لكن بينما يصنف الجيمارا كتعليقات على الميشناه وككتابات للحاخامات الحكماء، نراه أيضاً يخوض في مواضيع أخرى في التناخ תנ"ך Tanakh ويتناولها بالشرح الواسع.

الجيمارا إذا هو المبادئ الأساسية لجميع قوانين شريعة الحاخامات وهو علاوة على ذلك اقتباسات من مؤلفات ادبية لحاخامات اخرين. والتلمود ومن

ضمنه الجيمارا يقترن بشكل تقليدي بوصفه شاس (اختصار عبري لعبارة شيشة سيداريم أي الدرجات الست للميشناه).

تعتقد اليهودية الأرثوذوكسية بأن كتب التناخ نقلت بشكل متطابق من التقليد الشفوي المتواتر. وهكذا فإن التوراة - القوانين أو الوصايا - هي الشريعة المكتوبة أما الشريعة الشفوية فوظيفتها التعامل مع تطبيقات وتطويرات معاني المكتوبة. التلمود إذا وبشكل نهائي يؤلف الإنشاء المكتوب والموثوق لهذا التقليد وبهذا يكون التلمود العامل والمؤثر الرئيسي في الإيمان والمعتقد اليهودي. وعلاوة على ذلك بالرغم من انه ليس شريعة قانونية رسمية. فهو القاعدة الاساسية لجميع التشريعات القانونية اليهودية اللاحقة.

وهكذا نراه يتابع بذل الجهد كمؤثر رئيسي في الهالاخا הלכה Halakha والممارسات الدينية اليهودية. فالتلمود هو تنظيم محتوى الحكمة بين الوصية والتطبيق.



الميشناه والجمارا

الشريعة اليهودية الشفوية دونت بواسطة الرابي يهوذا هاناسي/يهوذا الأمير وعرفت باسم الميشناه عام ٢٠٠ م، وقد دونت التقاليد الشفوية لكي تحفظ من الضياع بعدما بات وجود اليهود وتعاليمهم موضع تهديد في فلسطين.

حاخامات الميشناه عرفوا باسم تانايم Tannaim مفردها تانا תנא Tanna وهناك تعاليم عديدة في الميشناه تنسب إلى اسم تانا معين.

في القرون الثلاثة اللاحقة خضعت الميشناه للتحليل والدراسة في كل من فلسطين وبابل (أكثر أماكن تواجد اليهود في العالم في ذلك الزمان) ذلك التحليل والدرس عرف باسم الجمارا גמרא Gemara وحاخامت الجيمارا عرفوا باسم أمورايم Amoraim مفردها أمورا אמורא Amora تحليلات الأمورايم بشكل عام تركز على إيضاح مواقف وكلمات ورؤى التانايم.

الميشناه والجمارا كما ذكر سابقاً يشكلان سوية التلمود، وبهذا الشكل يكون التلمود اتحاد جوهر النص الميشناه (أو التدوين من الفعل شاناه שנה shanah يعيد وينقح) والتحليل والتفسير التالي له وهو الجمارا (أو الإكمال من الفعل كامار גמר gamar بالعبرية وبالآرامية الدراس).

٢ - مباحث التلمود

يتألف التلمود من ستة مباحث (سداريم، مفردها سِدِر أي سِلك)، وكل واحد من هذه المباحث يتألف من ٧ إلى ١٢ مقالة تُدعى مسيخوت (مفردها مسيخت):

١- سِدِر زِراعيم (البذور) ١١ مسيخت: وهو يبحث في الصلوات والعبادة، ثم الأعشار والتشريعات الزراعيّة.

٢- سدر مُوعيد (الفصول) ١٢ مسيخت: يختص بالأعياد عند اليهود وأحكام يوم شبّات والتقاليد الخاصة به.

٣- سدر نشيم (النساء) ٧ مسخيت: يختص بقوانين الزواج والطلاق وحلف اليمين والنذور والوصايا.

٤- سدر نزيقين (العقوبات) ١٠ مسخيت: يشتمل على التشريع المدني والجزائي، وطريقة عمل المحاكم وتحليف الأيمان.

٥- سدر قداشيم (المقدسات) ١١ مسيخت: يبحث شعائر التضحية والهيكل وأحكام الصوم.

٦- سدر طهروت (الطهارة) ١٢ مسيخت: يختص بأحكام الطهارة الشعائرية [١].

٣ - تنقيحات وإضافات مستمرة:

استمر المعلمون والربانيون ينقّحون مواد التلمود ويضيفون إليها، وظل هذا النشاط دائباً في كلتا المدرستين: الفلسطينية - والبابلية، وظهر في هذا الميدان ربانيون ومعلمون نالوا شهرة عالية، وأضافوا إلى المقدسات اليهودية آثاراً قيمة

من الشروح. في بابل بلغ النشاط المكثف قمته على يد المعلم أباي (٢٨٣ - ٣٣٨م) والمعلم رابا (٢٩٩ - ٣٥٢)، وهذا الأخير تميز ببلاغته، ما جعل المعلمين من بعده يتبعونه في منهجه وطريقته، ولم يلبث أن كثرت أعداد الشراح مقتدين بأباي ورابا، حتى تراكمت الشروح، واحتاجت إلى تنقيح جديد وتصفية، فظهر معلمون جدد لا يشرحون النصوص القديمة، بل ينقحون الشروح ويفاضلون بينها ويختارون، وبرز في هذا الميدان المعلم راب آشي Rab Ashi ت ٤٢٧، وقد رأس أكاديمية سوراً Sura أكثر من خمسين عاماً، وإليه ينسب معظم التلمود البابلي، وتلاه خلفاء أشهرهم رابينا الثاني - ٥٠٠م - وهو آخر المعلمين وآخر من علّم التوراة معتمداً على الروايات الشفوية، وبشرحه وصل التلمود إلى نهايته تقريباً، ولكن بقيت الشروح والتعليقات مستمرة.

أ: كارثة اليهود في بابل

تعرّض يهود بابل، كما تعرض يهود فلسطين خلال القرنين الخامس والسادس ق. م إلى محن أليمة، فبعد موت الربانى آشي Ashi (٥٠٠م)، فتر النشاط اليهودي، وزاد خطر المزدكية في بلاد فارس، والذي كان قد بدأ في حياة آشي ولكنه اشتد بعده، حيث انقاد كسرى يزدجرد الثاني (٤٣٨ - ٤٥٧م) إلى تحريض المجوس على محاربة الأديان الأخرى عدا المجوسية ونال اليهود من اضطهاده ما لم ينله أتباع الأديان الأخرى، لشدّة إصرارهم على دينهم وعلى عنصريتهم، ولما خلفه ابنه فيروز (٤٥٩ - ٤٨٦م) بلغ اضطهاد اليهود ذروته، فأغلقت مدارسهم وشدّد من حصاره على أكاديمية صورا.

وفي أول القرن السادس ٥٠١م وعقب موت آشي مباشرة، طغى مذهب مزدك الذي جعل الممتلكات والنساء حظاً مشاعاً بين الناس، ففرح به الأوباش والرعاع، والتفوا حول دعاته طمعاً في الكسب الرخيص، ولحق باليهود اضطهاد عنيف، ولكن مدة مزدك لم تطل، فقد مات سنة ٥٢٨م، فتنفس اليهود الصعداء

من جديد، وظهر بينهم معلمون جدد كانوا يسمون ساباريم Sabaraim، وهي كلمة عبرية تعني المفكرين أو المتأملين، لأنهم كانوا يطيلون التأمل والتفكير في أقوال المعلمين السابقين في التلمود، ويضيفون إليها بناءً على تأملاتهم شروحاً جديدة، وبهذا صار اليهود يعيشون على الماضي وحده، وشاعت بينهم في هذا الوقت رذائل ربما يعود سببها إلى ضعف الدعاة، وإلى ما مارسته المزدكية عليهم من ضغوط.

ودخل الإسلام فيما بعد بلاد بابل والعراق، وتحول معظم السكان إليه، لكن الحكام المسلمين تركوا اليهود على ديانتهم. فبقيت لليهود معابدهم، وأعادوا ما كان قد هدم على عهد يزدجرد وفيروز، لكن مراكز اليهود الروحية في بابل وفي فلسطين كانت قد فقدت تأثيرها وفاعليتها، ولم يعد اليهود في المناطق النائية يتوقون إليها ويستقون منها عظاتهم وتوجيهاتهم كما كانوا يفعلون من قبل، وكانت هذه المراكز تعمل على الاتصال بهم وإقامة الروابط بينهم، فكان التلمود وحده هو الذي يؤدي هذه المهمة، وظلت تعاليمه هي الإطار الذي يجمعهم. وقد يعجب المرء لشدة تمسكهم بمبادئ التلمود، ولكن يجب أن لا يغرب عن البال، أن مقولة الشعب المختار قد ارتكزت في أذهانهم، وبقيت تغذي نزعتهم العصبية التي بها كانوا يترابطون، ويعيشون معاً في أحياء خاصة.

ب: حركة القرائين

انبعثت هذه الحركة حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي في العراق، وكانت استجابةً لصيحة حبر يهودي يدعى عنان بن داود Anan ben Dawid. وكان من عمله أنه أنكر التفسيرات الشفوية ودعا إلى نبذ التلمود وكل الفروع الشفوية الأخرى. ويبدو أنه كان متأثراً بآراء الصدوقيين ومذهبهم، فدعا إليه، ولاقت دعوته أنصاراً كثيرين باتت الديانة اليهودية من أجلهم مهدّدة بالانقسام، واتهم هو بالردة والرغبة في التخريب، ولكن وقوف أخيه الأصغر إلى جانبه

والدعوة إلى المذهب العناني كانا قد أبعدا عنه المخاطر، كما إنّه شكّل حركةً استقطابيةً كبيرة، فكثر به أتباع هذا المذهب.

وأنصار هذا المذهب سموا القرائين Karaits، تمييزاً لهم عن المذاهب الأخرى. وكانت لهم تعاليم صارمة عنيفة أخذوا فيها بحرفية النص التوراتي، فأضحى التلمود معهم أثراً غير ذي قيمة، ومن أهم تعاليمهم اعتزال العمل نهائياً يوم السبت.

ج: مذهب القرائين فيما وراء النهرين

ومما أعطى حركة القرائين دفعاً وقوةً وسعة انتشار، انضمام ذوي الثقافة العالية إليها، فكثر أتباعها في الأراضي البابلية أولاً، ثم جاوزتها إلى خارج أرض بابل، وبالتحديد إلى بلاد فارس لقربها من بابل، وفي القرن التاسع الميلادي، انبعثت حركة نشيطة على يد بنيامين النهاوندي - تلميذ عنان - فعمل بقوة على تثبيت المذهب، ولكنه هذّبه بعض التهذيب، فمع عدائه - تبعاً لأستاذه - للتفسيرات التلمودية، لم يتشدد في التمسك بحرفية النص مثله. والميزة التي امتاز بها أنه كان ذا نزعة فلسفته، فأدخل فلسفته على تعاليم التوراة، وكساها ثوباً جديداً، ولم يقصر تغييراته على الطقوس والعبادات، بل تعداها إلى جوانب عقدية كانت مثار جدل من قبله، وظلت أيضاً من بعده. وكان عمله مجرد تحوير في المذهب، لأنه بتفسيره التوراة بآراء فلسفية وقع في ما عابه عنان على الربانيين، إذ فسروها بآراء ونقول شفوية.

ومن تفسيراته الفلسفية أنَّ الله تعالى أسمى من أنْ يتصل بالمادة أو بهذا العالم الدنيوي، ولذا هو لم يخلق العالم، وإنما خلقه ملك أمره الله بخلقه، وقد حملته هذه الفكرة على أن يعتبر نصوص التوراة من الرموز والمجازات، فابتعد بذلك بالمذهب عن أصله، وحملته فلسفته ثانياً أن ينكر حياة الروح منفصلة عن الجسد، وبوجه عام كان عمل النهاوندي تحويراً واسعاً لمذهب القرائين وبعداً به عن أصله.

وعاصر النهاوندي متفلسف آخر هو دانيال الخوميسي، وكان صاحب نزعة مخالفة لصاحبيه معاً، سواء في العقيدة أو الشريعة، فقد أنكر النزعة التأملية التي دعا عنان إليها، وكذلك أنكر النزعة الرمزية التي نادى بها النهاوندي.

ومن اتجاهاته الهامة، أنه أنكر الحساب الفلكي الذي ابتكر من قبل لإثبات بدايات الشهور العبرية ونهاياتها، وجعل الاعتماد على الرؤية وحدها، لأنه لا يعتمد شيئاً من أعمال الربانيين اليهود، وخالف النهاوندي في نقطة أهم، وهي أنه أنكر وجود الملائكة نهائياً، ولكنه جعل الخلق والإفناء من مظاهر الكون راجعة إلى قوى الطبيعة، والله هو الذي يسير هذه القوى، وحيث إن التوراة تذكر الملائكة، فقد أوّلها هو بأنها هي الطبيعة، وبذا لوى نصوص التوراة التي يدعو إلى التمسك بها.

هؤلاء الثلاثة الكبار أبرز علماء المذهب القرائي خلال القرن التاسع، وكان لكل واحد منهم مدرسته وأتباعه، وبهم تشقق المذهب وصار مذاهب مختلفة متضاربة.

٣ - ما هو التلمود؟

يدعي اليهود أن موسى عليه السلام ألقى التلمود على بني إسرائيل فوق طور سيناء، وحفظه عند هارون، ثم تلقاه من هارون (يوشع)، ثم (إليعازر) وهلم جراً.. حتى وصل الحاخام يهوذا حيث وضع التلمود بصورته الحالية في القرن الثاني قبل الميلاد وذلك على ما يزعمون، والحقيقة أن التلمود هو موسوعة تضم كل شيء عن هواجس وخرافات بني إسرائيل. ويعطي اليهود - عليهم لعنة الله - التلمود أهمية كبرى لدرجة أنهم يعتبرونه الكتاب الثاني، والمصدر الثاني للتشريع، حتى أنهم يقولون «أنه من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة فليس له إله» والمشناة والجمارة هما جزءاً التلمود. وكلمة التلمود كلمة عبرية تعني الشريعة الشفوية والتعاليم، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية لكل ما فيها من رموز وشطحات وسفاهات وأحقاد على العالم.

بعض مما جاء في التلمود من سفاهات جاء في تلمود أولاد الشياطين: «إن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحله من يمينه، وقد سمع أحد الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحلني من اليمين التي أقسم بها؟ ولما عَلمَ باقي الحاخامات أنه لم يحله منها اعتبره حماراً (أي الإسرائيلي) لأنه لم يحل الله من اليمين، ولذلك نصبوا مَلكاً بين السماء والأرض اسمه (مى)، لتحل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم» تقدس الله عن ذلك سبحانه جل جلاله.

وجاء كذلك افتراءً وبهتاناً من اليهود الكاذبين الشياطين في تلمودهم اللعين: «يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه (وحاشا لله) يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان، فتحصل الزلازل».

«وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي [اللهم تباً لهم عليهم اللعنة!] لإني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي.. !!».

«إن النهار اثنتا عشرة ساعة.. في الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك».

إن لله وإنا إليه راجعون، وأستغفر الله، تعاليت يا ربى عن ذلك علواً كبيراً فأنت الله الكبير المتعال.. وانظر للتناقض، والمجنون العقلي، والشذوذ والسفالة اليهودية.. فهذا أحد مجرميهم مناحر يقول:

«إنه لا شغل لله في الليل غير تعليمه التلمود مع الملائكة، ومع اسموديه ملك الشياطين في مدرسة السماء.». إلى هذه الدرجة من الأجرام والجرأة وصل حل اليهود.. هؤلاء اليهود ألَا يستوجب الأمر القضاء عليهم، واستئصال شأفتهم من الأرض؟!! اللهم عجل بنايتهم.

ويقول التلمود عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام «يسوع الناصرى ابن غير شرعي حملته أمه وهى حائض سفاحاً من العسكري (بانذار) وهو كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني ومخبول». [وحاشا لله أن يكون عبده ورسوله عيسى ابن مريم كماى يفترون].

ويقول التلمود: «مات يسوع كبهيمة ودفن في كومة قمامة.».. ولذلك نجد أن الله تعالى سيسلط على ملكهم المنتظر الذي يكدون ويشقون ويضحون من أجل (ويؤمن البعض بأن هذا الملك المنتظر هو المسيخ الدجال!) تتويجه ملكاً على بني صهيون، سيسلط الله عليه عيسى عليه السلام، فيقتله شر قتلة عند باب لد، ويضع هو والمسلمون السيف في اليهود حتى يقضوا عليهم بإذن الله والأمر قد قرب!!

وجاء في التلمود أيضاً: «يحل اغتصاب الطفلة غير اليهودية متى بلغت من العمر ثلاث سنوات.. وهب الله [وحاشا الله] اليهود حق السيطرة والتصرف بدماء جميع الشعوب وما ملكت».

«ومن يسفك دم غير يهودي فإنما يقدم قرباناً للرب». اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أما الشعوب الأخرى فهي عبارة عن حيوانات. «وبيوت غير اليهود حظائر بهائم نجسة، بأنهم جميعاً كلاب وخنازير». فهذا هو الشعب المبارك، شعب الله المختار على زعمهم قربانهم لله سفك الدماء، واغتصاب الأطفال، وغيرهم كلاب وخنازير، ومنازلهم حظائر قذرة.. مع أن الحقيقة المرئية أن بيوت اليهود على ما رأيت أنا شخصياً في بلاد شتى أقذر المنازل وأنتنها، والظاهرة العالمية أنهم يسكنون الحارات الدنية الضيقة (الغوتا) ولحكمة كما يزعمون..!!.

ومن السخافات الفاجرة الوقحة والكفر الصراح الوارد في التلمود أنهم يقولون: «إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء»!

ويقولون أيضاً: «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله». وفي لتلمود يزعمون: أن إلههم يهوه يغفر لهم في عيد الغفران (الكيبور) كل سيئاتهم نحو الآخرين الأمميين ومقدم مغفور العام القادم، بل هو عمل مبرر إلا أن يكون الإجرام في حق يهودي..

ولذا من يقتل يهودياً كمن قتل الناس جميعاً ويقول لتلمود «إن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء».. والعياذ بالله ما أكفركم من خلق.. هؤلاء اليهود.

ويقول التلمود: «اليهودي من جوهر الله كما أن الولد من جوهر أبيه».

وجاء أيضاً: «والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة.. لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يختتنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم يبقون هناك!!».



ثالثاً

قراءة في السلوكية التلمودية

السلوكية اليهودية «الفكرية - الحركية» نمت وترعرعت في جو مشبع بالأفكار الدينية السلفية التي كانت ولاتزال المحور الرئيسي الذي تدور من حوله كل شؤون الحياة اليهودية، نظراً للعزلة التي عاشوها عبر التاريخ في أكثر بلدان العالم القديم والحديث والمعاصر، والتي تعتبر ركناً هاماً من أركان الديانة اليهودية. فقد ظلّت العزلة اختيارية في أوروبا حتى الفترة التي أصدر فيها البابا «بولس الرابع» نشرة بابوية تقضي بعزلة اليهود إجبارياً سنة ١٥٥٥ ميلادي، على الرغم من أنّ هذا الأمر لم يكن مهماً، نظراً لأنّ اليهود أنفسهم لم يكونوا ليرغبوا في الاختلاط لأسباب دينية وطقسية. وقد استمّر هذا حتى الثورة الفرنسية ١٨٤٨ - ١٨٥٠ التي منحت اليهود حقوق المواطنة، وخضعوا للقوانين الفرنسية.

التعاليم الدينية اليهودية كانت دوماً وراء هذه العزلة، لأنّها تحضُّ على الاستعلاء والتوجّس من الأغيار، وعدم الاختلاط بالشعوب وضرورة التقّيد بالقوانين والأنظمة الدينية الصارمة، وقد لعب الحاخامون والأثرياء اليهود دوراً هاماً في تكريس هذه العزلة وتعميق الشعور بالانتماء إلى عرق متضامن متفوق، فأنشأوا في أحيائهم المغلقة كلّ أسباب التعلّق بهذه التعاليم والالتزام بها، كالمعبد والمقابر الخاصة والطقوس والذبائح والأزياء الخاصّة[1].

المعبد هو المركز الدّيني والثقافي والتعليمي والاجتماعي. وقوانين «الشولحان عاروخ» تنّظم اللوائح الأخلاقية للحياة الخاصّة، ومدارسهم التعليمية تبدأ بـ «الحيدر» وهو المدرسة الابتدائية حيث يتعّرف الطفل خلالها وهو في سن

الرابعة على هويته وأسلافه ويدرّب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم وتزرع في عقله الباطن فكرة التفوق والاختيار والقداسة، ويتعّلم الأبجدية العبرّية وقصص أسلافه وأعمالهم المجيدة وفتوحاتهم وما أصابهم من النفي والتشريد على أيدي الكفرة، فينشأ الطفل حاقداً مؤمناً بعدالة قضيته وصحة انحداره من أعرق الأصول. وفي سن المراهقة يستّمر نظام التعليم اليهودي مع «تلمود توراة» وتتوّج بـ «اليشيفا»، الأكاديمية التلمودية التي تماثل الدراسات العليا، فيتشبّع اليهودي بالأفكار الدينية التعصبية، وتتبلور شخصيته الانعزالية المتوجسة، والمؤهلة لتقبّل العدوان(٢).

من خلال هذا التعليم الديني المشبع بالغيبية والعنصرية، يقف اليهودي من الدولة التي يقيم فيها موقف اليهودي المتفّوق المقدّس المعارض للقومية الحقيقية بقوميته الوهمية التي صوّرها له حاخاموه على أنهّا حقيقة ثابتة، ويشعر أنّ من حّقه الانفصال عن سائر البشر. في هذه الأحياء اليهوديّة المنعزلة بالطقوس والتعاليم الدينية الغيبية والعنصرية، حصدتْ الحركة الصهيونية ثمارها بعد أن لمستْ تأثير هذه التربية الدينية على عقلية النشء اليهودي. وعلى الرغم من أنّ حركة التنوير اليهودية «الهسكالاه» التي ظهرت في العصر الحديث قد دعتْ إلى التحرّر من الأفكار الغيبية التي تنتظر الخلاص الذي سيأتي على يد المسيح، وطالبت أن تكون الدراسات في مدارس التلمود مقصورة على الحاخاميين وحدهم، وأن يرسل أولاد اليهود إلى مدارس الأغيار حتى يتّقنوا كلّ فنون العلمانية، فإنّها أي «الهسكالاه» لم تكن لتريد التخّلي عن التعاليم الدينية، بل كانت تسعى لتحقيق الخلاص بالاعتماد على الذات دون انتظار المسيح، ونقل الأفكار الدينية إلى حيّز الواقع(٣).

لقد أرادت هذه الحركة أن تدفع اليهودي للتحرّر من الأفكار الغيبية ويتطلع إلى رؤية روابطه مع الماضي اليهودي متداخلة مع ميوله نحو قيم الثقافة العلمانية، فهي لم تطالبه أن يتخّلى عن إرثه الثقيل ويرفض تبعيته لهذا الإرث. إنّما أرادت أن يحافظ على ذاتيته بطريقة جديدة، وهذا ما تلقّفته الحركة الصهيونية وعلى أساسه

رفعت شعارها «لنكن شعباً مثل سائر الشعوب» وذلك عن طريق خلق «جيتو» دولي كبير، فبدلاً من الاندماج بالشعوب يجب على اليهود أن يتحوّلوا إلى شعب يماثل الانكليز أو غيرهم بإنشاء وطن قومي له يغدو فيه سيداً(٤).

لقد ساهمت حركة التنوير اليهودية بشكل أو بآخر في الإعداد الفكري للصهيونية، حيث أحيتْ اللغة العبرية وأذكتْ نيران الحبّ لصهيون وفلسطين، ومجدّت الأسلاف والبطولات العبرية القديمة أمثال «شمشون وشاؤل ويشوع وداود». وسعتْ لتحويل الشخصية اليهودية إلى شخصية منتجة ممتلئة بالحيوية، متشرّبة بالثقافة اليهودية والولاء الكامل لتعاليمها الدينية، ومشبعة بالأفكار السياسية الاجتماعية الغربية(٥).

هذه الحركة لم تلق نجاحاً بشكل عام، خاصة في شرق أوروبا، فقد تعّرضت لمقاومة شديدة من المتشدّدين اليهود ومن الرأسماليين والحاخامات في غرب أوروبا أصحاب المصلحة في البقاء على الوضع الرّاهن. فأخذتْ الحركة الصهيونية على عاتقها مهمة التوفيق بين المتشددين والمستنيرين كحلّ بديل لما يسّمى «المسألة اليهودية». فرفضت الاندماج بالشعوب رغم موافقتها على الخروج من قوقعة الغيتو، ورفضت فكرة «الغيتو الدولي الكبير» ولهذا وظفت الدين اليهودي لمواجهة تيار الاندماج الناشط في أوساط يهود أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، فتشكّلتْ عدّة حركات وأحزاب دينية تحت إشرافها على رأسها «حركة مزراحي» عام ١٩٠٢، التي قامتْ بنشاط «ثقافي - ديني» في أوساط اليهود. وأدخلت مفهوم وحدة اليهود في أعماقهم وأقنعتْ الجماهير اليهودية المتديّنة أنّ العمل الفعلي لعودة اليهود إلى أرض الوطن لا يرتبط بالاعتقاد اليهودي التقليدي حول عودة المسيح، وأنّ العودة إلى صهيون واجب ديني(٦).

كان من مهّمات هذه الحركة والحركات الصهيونية الأخرى، العمل من خلال التعليم الديني على فرض روح الإحساس بالعزلة، وتلقين اليهود أنّ الاندماج بالشعوب مخالف لقوانين وتعاليم الديانة اليهودية، بالإضافة إلى غزو الحركات الدينية المعارضة، والتسّلل إلى صفوفها لتطويعها لصالحها، حيث

كانت هناك تيارات دينية ترى أنّ العودة إلى صهيون، إنّما هي عودة روحية تتّم بإرادة إلهية مع عودة المسيح قبل نهاية الزّمان، وأنّ أي عمل سياسي أو تحرك لتنفيذ هذه العودة عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين هو ضرب من الهرطقة، ولا يجمعه شيء مع الدين اليهودي، بل هو مخالف لتعاليمه ومضرٌّ باليهود وبمصالحهم. وقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تؤثّر في كثير من هذه الحركات وتحوّلها من حركات مناوئة للصهيونية إلى حركات توراتية متزمتة مؤيدة للصهيونية ومنسجمة مع أهدافها وتطلعاتها(٧).

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ اليهود في البلاد العربية والإسلامية وعلى الرغم من عزلتهم داخل أحياء خاصّة، كانوا يعاملون معاملة تختلف تماماً عن يهود أوروبا من حيث المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت كلّ الظروف متاحة لهم للذوبان في مجتمعاتهم هذه، نظراً لتسامح العرب والإسلام تجاه الأديان السماوية(٨).

ففي اليمن ازدهرت حياتهم وتطورت تجارتهم وثقافتهم وتوسعت ممتلكاتهم وانتشرت معتقداتهم حتى الدرجة التي اعتنق فيها ملك اليمن «أبو كريبه أسد طوبان» وابنه ذو نواس، ديانتهم حوالي القرن الخامس بعد الميلاد. وقد استمّر وجود هذه الطائفة في اليمن حتى العصر الحاضر الذي تدخلّت فيه الحركة الصهيونية واقتلعتهم من أماكنهم(٩).

وفي الإسكندرية بمصر كانت الجالية اليهودية تتمّتع بكامل حقوقها المدنية والدينية، وكان تعدادها يفوق تعداد كل الجاليات اليهودية في العالم، وقد أدارت ظهرها لصهيون، واستمرت في حياتها الهادئة المستقّرة تمارس شعائرها الدينية في معابدها الخاصّة. وخلال النصف الأوّل من القرن العشرين أطلقت أيديهم في الصحافة المصرية فضلاً عن الصحافة اليهودية فكان لهم أساتذة في المعاهد المصرية، ولعبوا دوراً هاماً في مجال المال والاقتصاد، فأثرى عدد كبير منهم، كما كان لهم مقاعد في مجلس النواب المصري، وفي عام ١٩٢٤ عيّن وزير يهودي للمالية في الحكومة المصرية هو: «يوسف قطّاوي باشا»(١٠).

كما تغلغلوا في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق، وقد ازدهرت حياتهم في العصر العباسي وارتقوا مراكز ذات تأثير، ومنذ الأيام الأولى للتاريخ الإسلامي عمد الخلفاء إلى إعطاء اليهود امتيازات مهمّة، فكان لهم في العراق مدرستان متخصّصتان بالدراسات اليهودية والتلمودية في مدينتي صورة وبمبديثة، حققتا ازدهاراً تحت الحكم العباسي جعلهما القبلة التي يقصدها اليهود من طالبي العلم من جميع أنحاء الشتات العالمي. وكان الرئيس الأعلى لهاتين المؤسّستين يدعى «ألفون» ويعتبر المصدر الأعلى للفتاوى اليهودية لجميع العالم، وكان مسؤولاً عن الاستئناف وتعيين القضاة اليهود في عموم العالم الإسلامي. وقد عرفت القرون الخمسة للتاريخ اليهودي تحت الحكم الإسلامي «بالعصر الفوني» ومن أشهر من ارتقى هذا المنصب «سعديا بن يوسف الفيّومي» من الفيوم بمصر، وأصبح رئيساً لأكاديمية صورا لغزارة علمه، ومن أعماله ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربية، فأصبح الحاخامون يتلون النسخة العربية في صلواتهم في الكنس، ومع اللغة العربية أصبح اليهود يسّمون أنفسهم أيضاً أسماء عربية صرفة(١١).

أمّا الشؤون الدنيوية فقد تركت بيد رئيس الشتات الذي احتّل مركزاً مرموقاً في حياة المجتمع، ومن أشهر من شغل هذا المنصب «صموئيل بن علي» المعروف بأبي الدستور. وقد تحدّث عنه الرّحالة اليهود ممّن عاصروه، فقالوا إنّه كان يملك ستّين عبداً ويعيش في قصر فخم مغطّى بنفائس السّجاد، ويرتدي ملابس فاخرة موشاة بالذهب، ومن هؤلاء الرّحالة «بنيامين» الذي زار بغداد في حدود سنة ٥٦٦ هـ ١١٧٠م ووصف استقبال الخليفة له فقال إنّه كان يركب إلى القصر لابساً الحرير الموشّى وعلى رأسه عمامة بيضاء مطرّزة بالجواهر، وتتبعه ثّلة من الفرسان، وكان المنادي يسير في مقدمة الموكب وهو يهتف بالنّاس: افتحوا الطريق، افتحوا الطريق لمولانا ابن داود. وعندما كان الرئيس يدخل البلاط، كان الخليفة ينهض من مكانه ويحّييه ويجلسه على كرسّي مقابل له، بينما يقف جميع الأمراء لتحيّته(١٢).

فاليهود في العراق كانوا أقلية غنيّة نالت من التعليم والثروة والمناصب. وممّا يذكر أن «مناحيم دانيال» الوجيه اليهودي الكبير وأحد الإقطاعيين في بابل، وجّه رسالة إلى المنظّمة الصهيونية في أيلول ١٩٢٢ انتقد فيها النشاط الصهيوني في العراق، وتغلغله بين الطبقات الفقيرة. وفي تشرين الثاني ١٩٢٨ نشر المحامي يوسف الكبير وهو محامي يهودي شهير، نشر رسالة في جريدة الأوقاف العراقية فنّد فيها الادعاءات الصّهيونية وهاجم المقترحات الرامية إلى خلق وطن قومي يهودي في فلسطين(١٣).

وعندما نشبت حرب ١٩٤٨ مع الكيان الصهيوني كانت العاصمة بغداد تغصّ بالنشاط الإعماري اليهودي الذي شمل تأسيس مدينة بكاملها «مدينة بغداد الجديدة». ونقرأ أنّ الحكومات في بغداد كان لها الدور البارز في الضغط على اليهود ليرحلوا إلى فلسطين وذلك بالتعاون مع الصهيونية العالمية. ويشير إلى هذا الأمر «إسحق بارموشيه» في قصصه وذكرياته عن الخروج من العراق قائلاً: «كلّ هذا بالطبع لم يكن ليحملنا أفراداً أو جماعات على الظّن بأنّ هجرة جماعية إلى البلاد المقدّسة هي من الأمور التي يتعّين علينا انتظارها». إلّا أنّ الحكومات السعيدية التي تصرّفت بغباوة مطلقة وكان همّها قبل كل شيء إنقاذ نفسها من كراهية الشعب، قدّمت للحركة الصهيونية أكبر خدمة عندما تبّنت خطّة نازية لمضايقة اليهود، ثم لاقتلاعهم من جذورهم(١٤).

ورغم صدور القانون الخاّص بحرية تخّلي اليهود عن الجنسية العراقية والهجرة إلى الكيان، فإنّ عدداً قليلاً من اليهود بادروا إلى ذلك. واضطرت الأجهزة الصهيونية إلى القيام بسلسلة من التفجيرات الإرهابية في المناطق التي اعتاد اليهود ارتيادها لإشاعة الذعر في نفوسهم، على أساس أنّ الجمهور يبّيت لهم مذابح رهيبة. فكان الزّحام على مكاتب إسقاط الجنسية، وقد أصيب عدد من اليهود في هذه الحوادث، وأقام أحدهم وهو «خضوري سليم» دعوى على الحكومة الصهيونية يطالب فيها بتعويض عن فقد إحدى عينيه في الانفجار الذي أحدثته المنظمة الصهيونية في الكنيس ببغداد. وأدّت الدعوى إلى قيام ضجّة

عارمة في الأوساط الصهيونية تتساءل عن حقيقة ما جرى، وأوردت مجلة «هاعولام هازيه» تفاصيل العمليات الصهيونية لإشاعة الرّعب في صفوف المواطنين اليهود في العراق. وقدّر للسلطات العراقية أن تعثر على المسؤولين الصهاينة عن العمليات الإرهابية، وتلقي القبض عليهم مع كميات من المتفجرات والأسلحة. وبعد إحالتهم إلى محاكمة علنية تحت أنظار المراقبين الدّوليين حكم على اثنين منهم «جوزيف بصري وأبراهام صالح» بالإعدام، وسجن الآخرون[١٥].

وفي الأندلس رحّب بهم الخلفاء ومنحوهم حقوقاً متساوية وحرّية كاملة وذلك عندما هاجروا من بغداد إثر الغزو المغولي لها. وحمل علماء المدرستين العراقيتين كتبهم وآثارهم وتلامذتهم معهم إلى الأندلس. وهناك وصل كثير منهم إلى مناصب عالية في الدّولة مثل «جسداي بن شبروط» الذي دخل في خدمة الخليفة عبد الرحمن الثالث طبيباً ومستشاراً، وعمل كسفير للخليفة كونه يجيد العربية واللّاتينية والعبرّية. وأيضاً «صموئيل بن تغدلة» الذي لعب دوراً مشابهاً في غرناطة التي كانت تسّمى «مدينة اليهود» لكثرة عدد اليهود فيها والتي ما زالت أحياؤهم قائمة فيها[١٦].

وقد برز علماء وفلاسفة يهود في هذه الحقبة شاركوا العرب المسلمين في التدوين والترجمة للكتب اليونانية مثل: «إبراهيم بن داود» من طليطلة. ثم بزغ نجم الفيلسوف «موسى بن ميمون» وقد صاحب المفكر العربي الأندلسي ابن رشد، وسكنا في بيت واحد وأظهرا الاتجاهات الإنسانية نفسها. وعندما استقرّ في الفسطاط بمصر اتخذه صلاح الدين الأيوبي طبيباً له[١٧].

عندما تقدّمت الجيوش المسيحية في أسبانيا نحو الجنوب ٧٩٤هـ ١٣٩١م، جرت حملة دامية لإخراج اليهود من شبه الجزيرة الأسبانية، فلجأ الكثيرون منهم إلى الجزائر، فأسرع السكان العرب الجزائريون إلى بناء بيوت خشبية مرتجلة لإيواء مجموع اللاجئين وإغاثتهم. وبعد سنوات قليلة أصبح هؤلاء اللاجئون أغنى تجاّر المنطقة ينقلون البضائع بين غربي أفريقيا وسواحل البحر الأبيض المتوسط حتّى سمّي طريق تلمسان التجاري عبر الصحراء «طريق اليهود»[١٨].

وحظي اليهود بنفس المكانة والمعاملة في البلاد العربية الأخرى فكان منهم الوزراء مثل الدكتور بنزاكين في المغرب وأندريه بسيس وأندريه باروخ في تونس، ونقرأ أنّ ملك المغرب محمد الخامس وقف إلى جانب اليهود ضدّ حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة لألمانيا الهتلرية عندما حاولت أن تضطهد يهود المغرب، حيث دافع عنهم مؤكداً أنّهم مواطنون عرب مغربيون(١٩).

الصهيونية دمرت علاقات التعايش السّلمي التي كان اليهود يتمتعون بها في الدول العربية واقتلعتهم من مناطقهم عن طريق إثارة الخوف من الاضطهاد فسحبت حوالي (٦٥٠٠٠٠) يهودي من العراق واليمن وسورية ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من الدول العربية الأخرى، فقد كان يسكن في العراق وحدها حوالي مئة ألف يهودي عند قيام الكيان الصهيوني(٢٠).

لقد وظّفت الصهيونية الدين اليهودي توظيفاً سلبياً لتحقيق أهدافها العدوانية فنقلته من نظرية روحانية إلى واقع مادي، واتبعت أساليب الترهيب والترغيب للضغط على اليهود واقتلاعهم من مناطقهم وتهجيرهم إلى فلسطين العربية. وهي تسعى دوماً ومن خلال مراكزها الدعائية المنتشرة بكثرة في أكثر دول العالم إلى التأكيد على أنّ خطر اللّاسامية لا يزال قائماً وعلى يهود العالم أن يتضامنوا مع الكيان ويرتبطوا بعجلة المصير الواحد والولاء الواحد لهذا الكيان. وقد أنشأت وتنشئ مئات المعسكرات التثقيفية لتلقين اليهود اللغة العبريّة والمبادئ الصهيونية وضرورة العمل على دعم الكيان الصهيوني، وتقوم مراكزها الدعائية بترويج الأفكار الدينية واستحضار التراث الغيبي لخلق جيل يهودي متعصّب مؤمن بأبدية العداء للسّامية وحقّ اليهود بالعودة، ووحدة ونقاء الشعب اليهودي.

إنّ البحث في هذا الموضوع ليس جديداً، فقد تعّرض له كثير من الكتاب والباحثين وقدّمت الموسوعة الفلسطينية مزيداً من التفصيلات حول الصهيونية وأهدافها وألقت الضوء على التعاليم الدينية اليهودية، ومع هذا فإن دراستي هذه تطمح أن تضيف معلومات جديدة، وأن تضيء بقعة نحتاجها في تاريخنا المعاصر

خاصّة في هذه المرحلة التي تسعى فيها الصهيونية للسيطرة على الشارع العربي والعقل والثروات العربية سياسياً بعد أن فشلت عسكرياً.

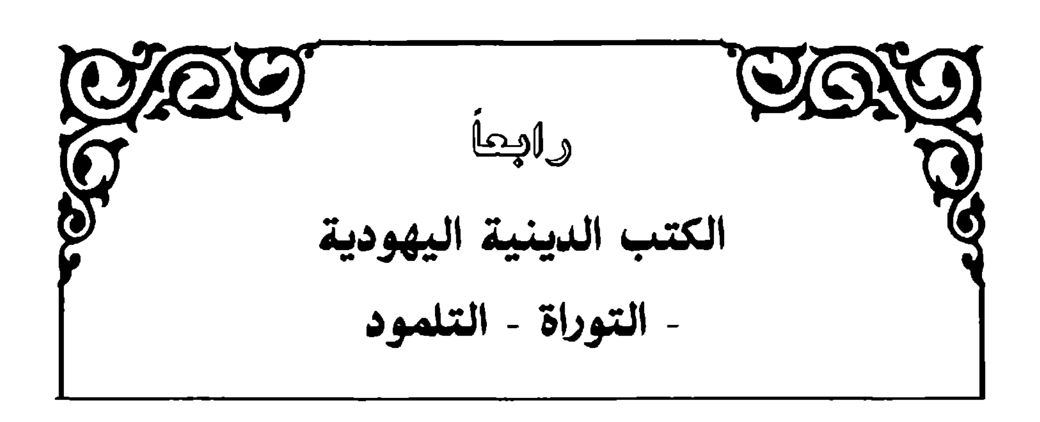
فالتركيز على التعاليم الدينية اليهودية التي لا تزال المحور الرئيسي الذي تدور من حوله كل شؤون الحياة اليهودية، وفضح ما تخفيه من نزعات مشبعة بالعدوان والعنصرية والتسّلط، يساهم في فهم الشعارات المزيّفة التي ترفعها الصهيونية وعلى رأسها شعار «السلام». فهي تريد استسلام العرب وليس السلام مع العرب، لأن السلام الحقيقي العادل والشامل، سلام الشجعان لا تريده، إنّها تريد ما قاله إشعّيا أحد أنبياء اليهود:

«بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك»[٢١]

«بنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك، تنفتح أبوابك دائماً ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم»[٢٢].

«يقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حرّاثيكم وكرّاميكم أما أنتم فتدعون كهنة الرّب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون»[٢٣].





رابعاً

الكتب الدينية اليهودية

- التوراة - التلمود

تمّ تحرير وتدوين التعاليم والقوانين الدينية والمدنية اليهودية خلال مراحل مختلفة كما ذكرت وبأقلام متعددة، وحفظت في كتابين اعتبرا المصدر الرئيسي للديانة اليهودية ولكل شؤون الحياة اليهودية وهما التوراة والتلمود.

📖 أولًا: التوراة

ويسّمى أيضاً «العهد القديم» ويعني بالعبّرية الشريعة والقانون والتعليم وتقسم إلى ثلاثة أقسام «توراة، أنبياء، مكتوبات» وكل كلمة من هذه الكلمات تقسم بدورها إلى أقسام «أسفار».

١ - توراة: تنقسم إلى خمسة أسفار:

- **سفر التكوين**: ويتضّمن خبر خلق العالم وحياة الإنسان في بدء الخليقة وقصة آدم وحواء ونوح والطوفان وحياة إبراهيم الخليل وولديه إسماعيل وإسحق وتاريخ يعقوب وأبنائه الإثني عشر الذين كوّنوا فيما بعد أسباط بني إسرائيل. وينتهي هذا السفر بالحديث عن يوسف بن يعقوب وأوضاعه في مصر وتعّرفه على أخوته أثناء زيارتهم إلى مصر لشراء الطعام، وذهاب أبيه يعقوب لرؤيته في مصر بعد أن أرسل يوسف بطلبه ومن ثمَّ إقامة يعقوب وأولاده وأحفاده في مصر حتى ظهور موسى.

- **سفر الخروج**: ويحتوي على نشأة موسى في مصر ودعوة الإله له لإخراج أقربائه الإسرائيليين المضطهدين من مصر إلى أرض كنعان «فلسطين» الأرض الموعودة ليستقرّوا هناك نظراً لأنّ الإله يهوه هو الذي منحهم أرض كنعان لتكون ملكاً أبديّاً لهم. ثم يتحدّث السفر عن كيفية الخروج، والمعجزات الخارقة التي قام بها موسى، وكانت هذه المعجزات من صنع إله موسى «يهوه» وعن إنزال الوصايا العشر على موسى، والتيه في الصحراء، وذكر لطائفة من الشرائع الدينية والمدنية التي تلقّاها موسى، ووفاته قبل دخوله أرض كنعان. وفيه نقرأ عن تذّمر بني إسرائيل المتكرّر ومخالفاتهم الدائمة للوصايا والقوانين الموسوية والعقوبات التي استحقوها من أجل ذلك.

- **سفر اللّاويّين**: اللّاويون هم الكهنة وسدنة الهيكل المسؤولون عن تنفيذ الشرائع والطقوس المتنوعة «الذبح، القرابين، الصلوات». فهذا السفر يبحث في العادات والشرائع الخاصّة باللّاويين، والعبادة والقرابين، وفيه تفصيلات عن الحلال والحرام والأعياد والصلوات والطهارة والنجاسة والأحكام الدينية اليهودية.

- **سفر العدد**: ويحتوي على تاريخ بني إسرائيل أثناء التيه في صحراء سيناء حتى وصولهم إلى أرض موآب، وقد استمّر هذا التيه أربعين سنة وفيه ذكر لحوادث كثيرة تعرّض لها التائهون بسبب سلوكهم غير السّوي وعصيانهم للأوامر اليهويّة.

- **سفر التثنية**: ويتضّمن تكراراً لبعض ما ورد من وصايا وشرائع خاصّة بالعبادات والصلوات والوصايا، وفيه خطب موسى وهو يعظ بني إسرائيل في الصحراء قبيل وفاته.

٢ - **أنبياء**: وهو قسمان: الأنبياء الأوّلون والأنبياء الأخيرون. أمّا الأوّلون فيقسم إلى أربعة أسفار:

- **سفر يشوع**: ويحتوي على تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى وقيام

يشوع بن نون خلفاً له وقيادته بني إسرائيل ودخوله أرض كنعان وحروبه التي أحرق فيها المدن والقرى والحقول والأشجار وقتل فيها الشيوخ والنساء والأطفال والحيوانات، حتى وفاته.

- **سفر القضاة:** ويحتوي على تاريخ الإسرائيليين في عهد القضاة الذين حكموا الشعب بعد وفاة يشوع بن نون، وفيه الكثير من التفصيلات التي تتحدّث عن التفكّك والذوبان في المجتمع الكنعاني ومحاولات القضاة «الحكام» حثّهم على الالتزام بتعاليم يهوه، ويتضّمن أيضاً سلوك أكثر القضاة المخالف للشريعة الموسوية..

- **سفر صموئيل الأوّل وسفر صموئيل الثاني:** ويحتويان على تاريخ حياة صموئيل النبّي ومحاولاته رصّ الصفوف بين اليهود وتحذيره لهم من مغبة الذوبان بالمجتمع الكنعاني والتخلي عن تعاليم موسى، ومن ثمّ تنصيبه للملك شاؤول ملكاً عليهم أسوة بالأمم الأخرى بناء على طلبهم وإلحاحهم، وينتهي السفران بظهور الملك داود وانتصاراته وتوحيده لليهود في بقعة صغيرة أسموها مملكة داود.

- **سفر الملوك الأوّل وسفر الملوك الثاني:** ويحتويان على موت الملك داود وحكم ابنه سليمان وحتى بدء السبي البابلي وخراب الهيكل على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٦ قبل الميلاد. ونقرأ فيه عن انقسام مملكة داود وسليمان والصراعات المتعددة التي نشبت بين دويلة يهوذا ودويلة إسرائيل، وتخلّي أكثر اليهود عن الإله يهوه لصالح آلهة الكنعانيين «عشتاروت، بعل، ملكوم، كموش وغيرهم».

وأمّا لأنبياء الأخيرون فيحتوي على الأسفار التالية:

«إشعيا، إرمّيا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريا، ملاخي». هؤلاء كلّهم أنبياء أرسلهم يهوه لهداية اليهود إلى طريق الصواب وابتعادهم عن الاندماج والذوبان في

المجتمع الكنعاني أو غيره، وللتأكيد على النقاء العرقي وضرورة الحفاظ على الزرع المقّدس والاحتراز من الأغيار.

٣ - مكتوبات: ويحتوي على:

- **مزامير داود:** وهي عبارة عن حكم ومواعظ تنسب إلى داود.
- **أمثال سليمان:** وهي أيضاً حكم ومواعظ وأمثال تعّمق الشعور بطاعة الله ومحبته وضرورة التقّرب منه.
- **تاريخ أيّوب:** ويبحث في ضرورة الصبر واحترام القرارات الإلهية وعدم التأفّف من المصير المكتوب، وفيه نقرأ عن المعاناة التي عاناها أيّوب النّبي بعد أن ابتلاه الله وكيف صبر وتحمّل.
- **المجّلات:** وهي أسفار: نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي إرميّا والجامعة، أستير، دانيال، عزرا ونحمّيا، وينتهي هذا الجزء بكتابين تاريخيين هما: «أخبار الأيام الجزء الأوّل وأخبار الأيام الجزء الثاني». ويحتويان على تاريخ الإسرائيليين بإيجاز منذ بدء الخليقة حتى عهد قورش ملك الفرس.

ثانياً - التّلمود:

يحتل التلمود مكانة هامة داخل الديانة اليهودية، فاليهودية الربّانية ليست سوى تلك اليهودية التلمودية، وهي التي توّطدت دعائمها بين يهود العالم أجمع. والتلمود هو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرّس شفهياً من حين إلى آخر. فهو نتاج الشريعة الشفوية التي يزعم اليهود أنّه قد جرى تلقينها عن طريق التقليد المأثور وبالتواتر منذ أقدم الأزمنة. وأنّ هذه الشريعة قد تلّقاها موسى في سيناء فانتقلت من السلف إلى الخلف وقبلت كسّنة سماعية إلى جانب الشرائع المدّونة في

أسفار موسى الخمسة. أي أنّ موسى تلّقى شريعتين أوتوراتين في عرفهم «المكتوبة والشفوية». وخوفاً من النسيان وحفظاً للأقوال والنصوص والآراء الأصلية المتعدّدة، ونتيجة لكثرة التقاليد والاجتهادات، والمجتهدين الناظرين في الشريعة، فقد دونّها الحاخامون بالكتابة سياجاً للتوراة فتكّون من هذه الشروح والتفاسير الشفهية ما يسّمى «التلمود»(٢٤).

هذه الشريعة الشفوية لم تنجل بصورة مميّزة إلّا بعد قيام الكتبة خلفاء عزرا ومحاولتهم نشر التوراة بين الناس عن طريق التعليم والشرح والتفسير. والفترة التلمودية التي جعلت الشريعة الشفهية في منزلة المكتوبة لاتبدأ إلّا بعد خراب الهيكل الثاني أي منذ عام ٧٠ بعد الميلاد وحتى مطلع القرن السادس وذلك على يد المعلمين المعروفين بـ «التنائيم»(٢٥).

هناك نسختان من التلمود، التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي. أمّا الفلسطيني فيرجع تاريخه إلى منتصف القرن الرابع للميلاد وقد وضع أسسه الرّابي «يوحنان بن نبّحة» أحد تلامذة الرّابي «يهوذا هاناسي» مؤسس أكاديمية طبرية، وهو يختلف عن التلمود البابلي من حيث المادة والأسلوب وطريقة العرض واللغة. فالتلمود الفلسطيني يكتفي بالشرح أو التحليل لنّص المشنا مع سرد مناقشة غير مطوّلة بين الأحبار، ويعرض في نهاية القول المرجع والأمر الفصل في كل نظرية فقهية ومعاملة تشريعية، بينما البابلي يفتح الباب على مصراعيه لمناقشات طويلة لا تنتهي إلى قول مرّجح. فأسلوب التلمود الفلسطيني ينحو صوب الاقتضاب والمادة فيه تبدو هزيلة. وما تمّ تدوينه فيه أشبه بعبارات متقطعة جاءت استجابة لحاجات الذين كتبوها، وكان القصد منها تنشيط الذاكرة كما يرى الباحثون، وهذا ما أسهم في إحلال التلمود البابلي تلك المنزلة الرفيعة، وجعله طيلة قرون عديدة، التلمود الأوحد بلا منازع(٢٦).

التلمود البابلي هو نتاج الأكاديميات اليهودية في العراق وأشهرها «صورا ونهار دعا وبمبديثة» وهو أكثر تفوقاً وأهمية من الفلسطيني حيث أنّ حجم مادته

تبلغ ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني وأسلوبه أكثر انفتاحاً في المناقشة وفيه إسهاب وسعة في المادة مّما جعله يحتل مكانة هامة ومنزلة رفيعة ويغدو مرجعاً هاماً لا غنى عنه(٢٧).



خامساً

البعد التأريخي التلمودي

إنّ التلمود عمل اشتركت فيه أقلام كثيرة خلال أجيال متعدّدة. أكثر من ألف عام، وفي كل فترة كان يتّم جمع وتبويب وتصنيف وتدوين التلمود.

المرحلة الأولى التكوينية للتلمود تبدأ بمجيء عزرا الكاتب من بابل، وتمتد حتى عصر المكابين ٤٥٠ - ١٠٠ قبل الميلاد[٢٨]. خلال هذه الفترة جرى جمع القسم الأكبر من الكتابات وأضيفت إلى التوراة لتغطية الأوضاع والنواحي الجديدة وتكييف بعض الشرائع التوراتية وفقاً لمتطلبات الحياة، طالما أنّ النصّ التوراتي لم يفِ بهذه الحاجات. وهذه المرحلة يطلق عليها مرحلة الكتبة الذين انحصر نشاطهم الرئيسي في حقل نشر التعليم الديني إلى جانب بعض التشريعات والمراسيم التي كان لها أثر في ترتيب التوراة وإثبات نصّها المعياري[٢٩].

المرحلة الثانية تبدأ فيما بين «المكابي والهيرودي» وخلال هذه الفترة ظهر ما يعرف بالمعلمين الكبار الذين أطلقت عليهم تسمية «الأزواج (زوجوت)» وكان هناك خمسة من هؤلاء يمتدّون على خمسة أجيال، ويمثلّ كل زوج منهم المنصبين التاليين: رئيس السنهدرين أو الأمير ولقبه النّاسي، ونائب الرئيس أو رئيس بيت الدين وهم حسب التسلسل:

- جوزية بن يوعزر . . . . جوزية بن يوحنان
- يشوع بن فراحيا . . . . نطاّي الأربيلي
- يهوذا بن طباي . . . . سمعان بن شّطاح

- شمـــاعـيا .. .. أتباليون

- هـيــــلّــل .. .. شمّاي

هؤلاء لعبوا دوراً هاماً في تطوير الشريعة الشفوية، مع الإشارة إلى أنّ الخلافات في الرأي حول ممارسة بعض الفرائض الدينية كانت في تصاعد مستمر بين هؤلاء الحكماء، وهناك العديد من الروايات والأقوال الهجادية والأحكام الشرعية والقوانين التي تنسب إليهم.. والزوج الأهم من بين هؤلاء الأزواج الخمسة «هيلّل وشمّاي» فهناك كثير من الأحكام الشرعية التي تحمل اسميهما، وكان هناك خلاف دائم بينهما استمّر حتى مع الأجيال اللاحقة[٣٠].

المرحلة الثالثة كانت خلال القرنين الأوّلين للميلاد وفيها يظهر التنائيم أي المعلّمون والثقاة ومعظمهم يحملون لقب «رابي» بمعني سيدي وعصرهم يقسم إلى أربعة أجيال متتالية:

١ - الجيل الأوّل فيما بين ١٠ - ٨٠ بعد الميلاد، ورجالات هذا الجيل ورثوا الخلافات من مدرستي هيّلل وشمّاي، وأشهرهم الرابي جملئيل الأكبر من أحفاد هيّلل والرابي يوحنان بن زكّاي الذي أسّس مدرسة يمنية لتعليم الدين وأصبحت مركزاً للحياة والفكر بعد الخراب الثاني للهيكل[٣١].

٢ - الجيل الثاني فيما بين ٩٠ - ١٣٠ بعد الميلاد، وأشهر التنائيم في هذا الجيل الرابي جملئيل الثاني الذي ترأس المدرسة الدينية في يمنية بعد وفاة زكّاي، والرابي إسماعيل بن أليشا، والرابي عقيبابن يوسف، وهو أشهر علماء هذا الجيل ومعّلم السواد الأعظم من ربّاني الجيل الثاني.

٣ - الجيل الثالث فيما بين ١٣٠ - ١٦٠ بعد الميلاد، ويمثّله تلامذة الرابي إسماعيل والرابي عقيبا، وأشهر تلامذة عقيبا الرابي «مائير» الذي تابع العلم التنظيمي للتقاليد الشفهية بعد معّلمه، وتنسب إليه المصادر اليهودية أنه وضع الأساس لجمع المشنا.

٤ - الجيل الرابع فيما بين ١٦٠ - ٢٢٠ بعد الميلاد، وأشهر التنائيم في هذا الجيل هو الرابي يهوذا النآسي، وكان رئيس السنهدرين وينسب إليه جمع المشنا وتصنيفه وتبويبه، وينسب إليه أيضاً تقسيم المادة المجموعة إلى ستة أجزاء عرفت بالسّدريمات الستة، ويحتوي كل سدر على عدد من المقالات أو الأسفار. وكل مقالة تقسم إلى عدد من المفاصل، ويتألف كل مفصل من فقرات عديدة تعرف بـ «حلقوت» وهي الأحكام الشرعية، ويبلغ عدد هذه المقالات (٦٣) ثلاث وستون مقالة. وقد اعتبرت مجموعة الرابي يهوذا النآسي بمثابة المشنا الأوحد(٣٢).

المرحلة الرابعة ويطلق عليها «الأمورائيم» وهي فيما بين ٢٢٠ - ٥٠٠ بعد الميلاد. وهي تعني العلماء الذين عاشوا في فلسطين والعراق خلال هذه الفترة، وتتعدّد التسميات التي تطلق على هؤلاء مثل: «المتكّلمون، المفسّرون، الشّراح، المجادلون»، وقد انحصر نشاطهم الرئيسي في شرح المشنا وتفسيره، وهذه الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن السادس للميلاد هي الفترة الحاسمة في تاريخ التلمود وفي تكوينه الّلاحق بنوع خاص. ومرحلة الأمورائيم تقسم إلى خمسة أجيال:

أ - الجيل الأوّل فيما بين ٢٢٠ - ٢٨٠ بعد الميلاد، ومن أشهر المعلمين في هذا الجيل في فلسطين وفي بابل الرابي «يوحنان بن نبآحة» من فلسطين وهو أبرزهم خلال القرن الثالث الميلادي وقد تتلمذ على الرابي يهوذا هاناسي، والرابي «أبا عريقا» من بابل، وقد جاء من العراق إلى فلسطين وأسّس أكاديمية «سورا» ويذكر عادة بلقبه الشائع «راب» وهناك أيضاً «صموئيل الفلكي والطبيب» من أقارب راب.

ب - الجيل الثاني: فيما بين ٢٨٠ - ٣٠٠ بعد الميلاد ويمثّله:

- في فلسطين الرابي أبّا حوا، والهجادي الشهير رابي صموئيل بن نحماني.

- في بابل راب حونا والراب يهوذا بن حزقيال مؤسس أكاديمية «بمبديثة»، والراب حسداً والراب ششت[٣٣].

ج - الجيل الثالث فيما بين ٣٢٠ - ٣٧٠ بعد الميلاد، ويمثّله:

- في فلسطين إرمّيا والرابي يوناه والرابي جوزه.

- في بابل رباح بن نحماني الذي اشتهر ببراعته الجدلية ودعي بمحرك الجيل. والراب يوسف، وهو من أكبر الثقاة في «الترجوم» الترجمة الآرامية للتوراة، وصاحب اطلاع واسع في جميع فروع الشريعة. ومن تلامذة هذين الرّابين «أبابي ورابا» اللذان اشتهرا بأساليبهما البارعة في المجادلة حيث ترد الكثير من مجادلاتهم في أماكن متعددة من التلمود البابلي[٣٤].

د - الجيل الرابع فيما بين ٣٧٥ - ٤٢٧ بعد الميلاد، ويمثّله:

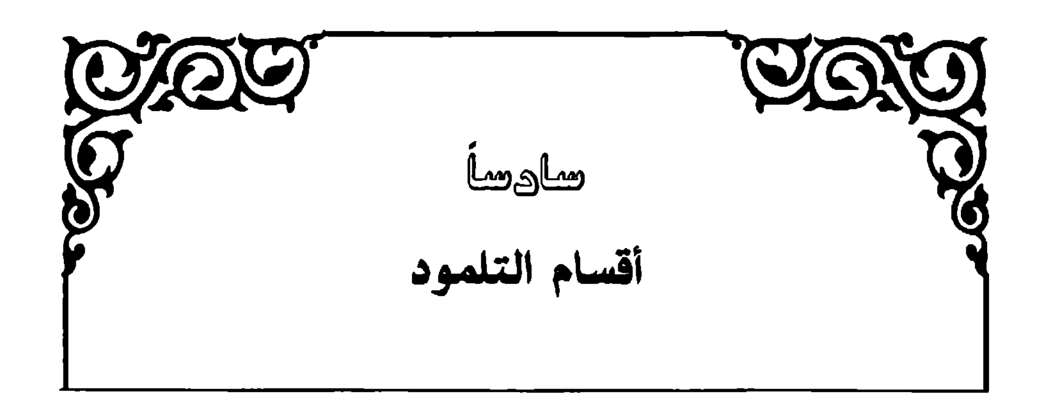
- في فلسطين الرابي صموئيل بن جوزة بن رابي بون.

- في بابل راب آنسي، راب كهانا الثاني والراب أميمار. وإلى الراب آنسي ينسب الفضل في البدء بجمع التلمود البابلي وتهذيبه وتنقيحه، حتّى أن المصادر اليهودية تعتبره خاتم أسفار التلمود البابلي[٣٥].

هـ - الجيل الخامس فيما بين ٤٢٧ - ٥٠٠ بعد الميلاد ويمثّله:

في بابل ما بار، راب عشّي، رابينا، ورباح طوسفاح.

المرحلة الخامسة: وتدعى «الصابورائيم» أي التأمليون والشّراح في أقوال السلف وأصحاب الرأي. وأشهرهم الرابي «جوزية» والرابي «آحاي» في مطلع القرن السادس. والرابي «جيزا» والرابي «سمعونا» في منتصف القرن السادس. ونشاط هؤلاء الصابورائيم كان محصوراً بالتعليق على التلمود بواسطة إضافات وهوامش تفسيرية وشرحية إلى جانب بعض المجالات التي أضيفت للتلمود دون ذكر أسماء المشتركين فيها وبأسلوب غريب، كما أدخلوا على التلمود بعض القراءات النهائية حول اختلاف الآراء لدى أسلافهم[٣٦].



يقسم التلمود إلى قسمين رنيسيين هما «المشنا والجمارا».. .

١ - المشنا: هي مجموعة قوانين اليهود السياسية والحقوقية والمدنية والدينية أي تتضّمن القواعد والأحكام بغير نقاش غالباً، والمشنا أشبه ما تكون بالكتاب القانوني أو مصّنف الأحكام الشرعية والفقهية التي تدعى «هالاغا» أي المذهب أو المسلك أو الطريق الذي يذكّر بالأحكام والفرائض والتشريعات الواردة في أسفار «الخروج واللّاويين والتثنية والاشتراع» ويبقى الحلال والحرام والطهارة والنجاسة وغيره ممّا ورد ذكره في التوراة وفسّره الفقهاء اليهود ووضعوا له حدوداً وقيوداً تلائم حاجة العصر الذي كانوا يعيشون فيه(٣٧).

المشنا تتألف من ستة أقسام رئيسية تدعى «سداريم» جمع سدر. وكل سدر يضّم عدداً من الأسفار أو المقالات أو الكتب تضمّ عدداً من الإصحاحات أو الفصول تسمى «برقيم»، وتكوّن بمجموعها ٦٣ مقالة.

١ - الزراعة: وتعرف باسم البذور Seeds، وفي العبرية Zeraim. يتحدث هذا القسم عن النظم والقوانين المتعلقة بالزراعة في شيء من الإفاضة والتفصيل، فيبحث في الريّ والحرث والحصاد، ويتناول مختلف أنواع زراعة المزروعات والحقول والحدائق والعناية بها، سواء كانت مثمرة أو غير مثمرة، ويربط هذه الأعمال بالعبادة اليومية، ويبين حق الفقراء في الحصاد، ويتحدث مع ذلك عن حمد الله بعد الطعام، وصيغ التبرك التي تتلى في أوقات مختلفة.

٢ - الفصول أو المواعيد: وهي تتحدث عن تبجيل يوم السبت والعبادة فيه، وعن مواعيد الصيام، والأعياد والاحتفالات، كما يتناول التقويم اليهودي.

٣ - النساء (ناشيم)، ويعرض فيه قوانين الزواج والطلاق، والجوانب الجنسية عامة، ويفصّل العلاقة بين الزوجين وحق كل منهما على الآخر، وقوانين العيش والطلاق، والنذور.. إلخ.

٤ - الجروح والجنايات (نازكين)، ويتناول فيه باستفاضة الشؤون المدنية والمسلكيات والتصرفات في الحياة العامة، من التعامل والاعتداءات، وجزاءات كل عدوان، ويتحدث فيه عن الآداب والأخلاق، مثل حسن التعامل ورعاية الحقوق، وحقوق الوالدين، وما إلى ذلك، كما إنه يعرض الوصايا والتفسيرات الشفوية من عهد موسى إلى عهد هليل وشماي، فضلاً عن نظم التقاضي، وقوانين القضاء، مما يجب أن يفعله القاضي والمتقاضون، ونظم التجارة والإبحار والسياسة والاجتماع...

٥ - المقدسات (كادا شيم)، وهو مخصص لأعمال الضحايا والهيكل ومرافقه، وتنصيب القسس وواجباتهم، كما يتحدث عن الذبائح والأطعمة.

٦ - قسم الطهارات «توهوروت»، ويتطرق فيه إلى الحديث عن التطهر والنجاسة والطاهر والنجس في الإنسان والحيوان، والحيوانات الطاهرة والنجسة، والأشياء التي تستعمل، وما يجوز أكله من الحيوان وما لا يجوز.

هذه بإيجاز أهم أقسام المشنا، وقد أضاف «الربانيون» و«الأحبار» إليها زيادات عرفت باسم «التصافوت» - أي الإضافات، ومع هذه الإضافات لم تحو المشنا كل المأثورات.

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن بعض أخبار المشنا مأخوذ من مصادر إسلامية في وقت متأخر، كما فعل موسى بن ميمون، والمشنا ظل بابها مفتوحاً للنمو والزيادة حتى العصر الحديث.

وفي قسم المواعيد والمواسم، نجد أحاديث عن إبراهيم وسارة لم ترد في

التوراة، وقد بالغ الباب في وصف سارة بالجمال البالغ إلى الحد الذي لم يستطع فيه إبراهيم طوال الفترة التي قضاها معها أن يملأ عينيه منها، ويذكر لهذا الجمال أعاجيب ونوادر هي ولا ريب من الخرافات، وجاء في بعض نسخ المشنا أن إبراهيم يشفع لليهود يوم القيامة، ويذودهم عن النار.

ويوجد في أقسام المشنا تضارب في الروايات، لذلك قال بعض الباحثين بأن أشياء أضيفت في وقت متأخر لم تكن متسقة مع ما سبق، حيث تكونت من مقالات عديدة متفرقة. وقد كان من تساهل الفريسيين أنهم قبلوا الشروح والروايات الكثيرة التي لم تسلم من التضارب رغم ما بذل في تمحيصها.

ومهما يكن من أمر هذه الروايات الشفوية والكتابات، فقد اتخذت مكانةً تلي التوراة في قداستها، ومنذ عهد الرباي يهوذا بن سيميون، كان لها المكانة الأولى في المدارس اليهودية، سواء في فلسطين أو في بابل.

٢ - **الجمارا** Josefto: الجمارا - أو الإضافات - هي الشروح والحواشي التي تحيط بالمشنا، أي توضّح القواعد والأحكام الواردة في المشنا بأمثلة أو حكايات وتناقشها وتضع إلى جانبها غالباً الحكم الفقهي الأخير. والجمارا تعني «التكملة والتّتمة» وتتجلى فيها «الهجادا» أي العنصر القصصي والروائي والأسطوري بما يشمله من الأقوال المأثورة والأخبار والخرافات، ومختصر المباحث والمجالات التي حصلت في معاهد الدرس لأجل هذه الشروح والتفاسير. والهاجادا لفظة آرامية مشتقة من جذر يفيد معنى «روى وسرد وحكى وقصّ» ثم صارت تعني الشرح القصصي على سبيل الوعظ الديني كما اندرج تحتها تقاليد الأقوال المأثورة عن الرّبين إلى جانب القصص والأساطير المتصلة بحياة القديسين اليهود في العصر اللاحق للتوراة. واشتملت على موضوعات الفلك والتنجيم والطّب والسّحر والتصوف وغيرها[٣٨].

وهو مجموعة أخرى ضمت إلى المشنا واستقلت بهذا الاسم. وأصلها من عمل المعلمين الذين كانوا في عصر الرباي يهوذا ولم يكونوا أعضاء في مجلسه،

فقد عملوا من جانبهم على جمع روايات أقل شهرة، كما جمعوا الروايات التي استبعدها يهوذا من مشناه، ولكن هذه لم تكن قليلة الأهمية، ولا مما يليق التخلي عنه، ومنها أقوال وروايات نجمت عن مدرسة عقيبا وإسماعيل ونسجت حولها شروح وتفاسير في أقوال المعلمين Amoraim، فرأى الدارسون أن يجمعوا ذلك كله مع بعض الأحكام الشرعية Halachath، والإجابات عن المشاكل التي عرضت، كل ذلك جمع أخيراً وكون الجمارا، وهي بمعنى الإنهاء والإنجاز، وهي، كما هو واضح، وسعت المشنا، لأنها تحوي أحكاماً ومواد ليست في المشنا، منها القديم الذي لم يأخذه يهوذا، ومنها المستحدث.

لم تجمع الجمارا إلا بعد ٣٠٠ عام من اكتمال المشنا، وقد ثار جدال طويل بين المفسرين حول المواد التي تكوّنت منها الجمارا، وبالرغم من كونها مجمّعة من الروايات الشفوية والمشنا، كان يراد لها أن تكون معتمدة على نصوص التوراة. وقد كتبت باللغة الآرامية.

من المشنا والجمارا معاً يتألف التلمود الذي هو نتيجة تفاعل الشريعة المكتوبة مع أوضاع الحياة المتغيرة والحاجات الطارئة، فهو يعتبر بمثابة سجل حافل يبين خلال المناقشات والشروحات والأمثلة والردود والروايات، كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية في حياتهم اليومية، وحين يصطدم التطبيق العملي بالنصوص المقدسة تبدأ المشكلة بالظهور وتكثر الاجتهادات، بينما يتصاعد البحث عن الحلول والمخارج.

من المشنا والجمارا معاً يتألف التلمود الذي هو نتيجة تفاعل الشريعة المكتوبة مع أوضاع الحياة المتغيّرة والحاجات الطارئة. فهو يعتبر بمثابة سجل حافل يبين خلال المناقشات والشروحات والأمثلة والردود والروايات كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية في حياتهم اليومية وحين يصطدم التطبيق العملي بالنصوص المقدسة تبدأ المشكلة بالظهور وتكثر الاجتهادات بينما يتصاعد البحث عن الحلول والمخارج[٣٩].

المشنا تتألف من ستة أقسام رئيسية تدعى «سداريم» جمع سدر. وكل سدر يضّم عدداً من الأسفار أو المقالات أو الكتب تضّم عدداً من الإصحاحات أو الفصول تسمى «برقيم». .

- السدر الأوّل «سدر زراعيم» البذور ويتألف من أحد عشر سفراً فيها قوانين التوراة المتصلة بحقوق الفقراء والكهنة واللّاويين في غلال الأرض والحصاد. كما يبسط القواعد والأنظمة المتعلّقة بالفلاحة والحراثة وزراعة الحقول والجنائن، وبساتين الأثمار والسنة السبتية والعشار والمخاليط المحظورة في النبات والحيوان والكساء. وهذه الأسفار هي:

- سفر براخوت «البركات» ويتناول صلوات اليهود وعباداتهم والقواعد المتعلقة بالأجزاء الرئيسية للصلوات اليوّمية.

- سفر فعاه «زوايا الحقل» ويتناول صلوات اليهود وعباداتهم والقواعد المتعلّقة بزوايا الحقل واللقاط المنسي مّما ينبغي تركه للفقراء «فقراء اليهود حصراً». وغير ذلك من الفرائض والواجبات التي يرد ذكرها في سفر اللّاويين الإصحاح التاسع عشر والإصحاح الثالث والعشرين، وفي سفر التثنية الإصحاح الرابع والعشرين.

- سفر ذمّاي «المشكوك بأمره من المحاصيل» ويتحدث عن المحاصيل الزراعية كالذرة وغيرها من منتوجات الأرض لجهة الشّك بأمر استخراج العشار اللّازم منها أو عدمه. ويبدأ هذا السفر بإيراد قائمة تتضّمن المحاصيل المعفاة من قواعد الزّماي وأحكامها كالتّين البّري والجمّيز والبلح الفّج والعنب المتأخر، بينما يعدّد الفصل الثاني المحاصيل الواجب تعشيرها كالتين المكبوس والبلح والخرّوب والأرز والكمّون وغيره.

- سفر كيلعايم «المخاليط أو الاختلاط» يعالج الأحكام التوراتية الواردة في سفر اللاويين الإصحاح ١٩ وفي سفر التثنية الإصحاح ٢٢ بالنسبة لخلط البذور المختلفة في الزراعة أو الجمع بين جنسين من المواد في الثوب.

- سفر شبيعيت «السنة السّابعة أو السبتية» يبحث في القوانين المتعلّقة بإراحة الأرض والإبراء من الديون في السنة السبتية استناداً إلى ما جاء في اللّاويين الإصحاح الخامس والعشرين.

- سفر ترومَوت «التقدمات، الرفائع» يعالج القوانين والفرائض المتعلّقة بذلك القسم من الغلال والمحاصيل المعّين للكاهن.

- سفر معاشروت «العشار» وموضوعه العشار الأوّل المتوجب دفعه سنوياً إلى اللّاوي من غلّة الحصاد، واللّاوي بدوره يعطي الكاهن منه بنسبة العشر. و معاشر ثاني «العشار الثاني» الذي يحمله المالك نفسه إلى القدس لكي يؤكل هناك.

- سفر حلّاه «أول العجين» ويتعّلق بذلك القسم من العجين الذي يفرض إعطاؤه للكاهن.

- سفر الغرلة «بلا ختان، الغلفاء» ويتناول الحظر على استعمال ثمار الأشجار الصغيرة خلال السنوات الثلاث الأولى، وقواعد الاعتناء بهذه الأشجار في السنة الرابعة.

- سفر البكوريم «البواكير» ويبحث في قوانين تقديم الثّمار الأولى في الهيكل، ويتضّمن وصفاً للشعائر التي ترافق التقدمة، وتوجد فيه مقارنات بين الرجل والمرأة وغيره من المسائل الأخرى.

- السدر الثاني «سدر موعيد» الأعياد والمواسم، وفيه اثنا عشر سفراً تضّمها أربعة مجلدات ضخمة تتناول كل مايتعّلق بالسبوت والأعياد وأيام الصوم والمناسبات الدّينية والطقوس والفرائض والقرابين وتنظيم التقويم العبري وغيرها. وهذه الأسفار هي:

- سفر السبت يتناول هذا السفر قوانين السبت والقواعد الّلازمة لمراعاة عطلة يوم الرّاحة والأعمال المحظورة في ذلك النهار.

- سفر عيروبين «المقادير» التي يصّح الجمع فيما بينها لجهة الأمكنة

والأطعمة والمسافات بحيث يؤدي ذلك إلى توسيع حدود السبت، ويتناول هذا السفر أيضاً القوانين والأنظمة التي تتيح لليهودي حرّية الحركة خارج نطاق الحدود الموصوفة وأثناء السبوت والأعياد.

- سفر فصاحيم «الفصوح» أو خراف الفصح، ويتناول قوانين إتلاف الخمائر أثناء عيد الفصح اليهودي وتقريب الخراف والذبائح ومواسم الرّب المقدّسة.

- سفر شقاليم «الشواقل» ويتناول أحكام الضرائب والرسوم المجباة لصيانة الهيكل وتأمين نفقاته وتقديم الذبائح بصورة منتظمة.

- سفر يوما «اليوم» ويعرف بيوم الغفران، لأنّه يتناول أنظمة هذا العيد وفرائضه داخل الهيكل كما يبسط قوانين الصوم وأحكامه ويصف الاحتفالات والطقوس التي كان يترأسّها الكاهن الأعلى في ذلك اليوم.

- سفر سوكاه «المظّلة أو خيمة الاجتماع» يحتوي هذا السفر قوانين عيد المظال، وكيفية إقامة المظّلة أو الخيمة والسكن تحتها لمدة سبعة أيام، كما يتحدّث عن شعائر هذا العيد وصلواته، والنباتات الأربع التي تؤخذ أغصانها لصنع المظّلة.

- سفر بيظاه «بيضة العيد» يرسم الحدود التي تتحكم بإعداد الأطعمة أثناء الأعياد، ويسرد المحظورات خلال أيام العيد.

- سفر روش هاشنة «رأس السنة» ويتناول المسائل المتعّلقة بالتقويم العبري ورؤية الأهّلة للسنة الجديدة، ويحوي أيضاً القوانين التي تجب مراعاتها في مطلع الشهر السّابع «تشري» أي رأس السنة المدنية عند اليهود.

- سفر تعانيت «الصوم» وهو يبحث في أمور الصوم.

- سفر مجيّللا «الفافة التوراة» والمقصود بهذا السفر كتاب أستير في الدرجة الأولى لأنّه يتناول أحكام قراءة قصة أستير في عيد البوريم كما ترد فيه أحكام أخرى متعّلقة بقراءة التوراة أثناء العبادات العّامة.

- سفر حجّيجا «تقدمات الأعياد» ويتناول القوانين والأحكام المتصلة بالقرابين التي تقدّم في الأعياد.

- سفر موعيد قطان «العيد الصغير» ويتناول أحكام العمل أثناء الأيام الفاصلة بين أوائل عيد الفصح وأواخره وبين عيد المظال، كما يتحدث عن الفرائض المتعلقة بالحزن والحداد.

- السدر الثالث «سدر ناشيم» أي النساء، وهو يشتمل على قوانين الزواج والطلاق والأحكام التي تحدّد العلاقات بين الزوجين وبين الجنسين بصورة عامة وأسفار هذا السدر سبعة هي:

- سفر يباموت «الأخوات الشرعيات أو زواج الّلاويين» ويتحّدث عن الشرع التوراتي القائل بوجوب زواج الأخ بامرأة أخيه المتوفى دون أن يخّلف الأولاد وفي حال امتنع الرجل عن أخذ امرأة أخيه تصعد أرملة الأخ إلى الشيوخ معلنة أمامهم «قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج» وحين يصّر الأخ على الرفض أمام شيوخ المدينة، تتقّدم امرأة أخيه وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول: «هكذا يفعل بالرجل الذي لايبني بيت أخيه فيدعى اسمه في إسرائيل» حاليصاه «والمرأة تدعى» حالوصاه».

- سفر كوتوبوت «شؤون الزواج والعقود».

- سفر نذاريم «النذور»

- سفر النظير «النذير أوالناذر»

- سفر سوطاه «المرأة المشبوهة» أي المرأة التي يتّهمها زوجها بالزّنى والإجراءات التي ترافق ذلك.

- سفر غطين «كتب الطلاق».

- سفر قيدوشين «الّتكريس» ويتناول الشعائر والفرائض المتصلة بالخطوبة والزواج واقتناء العبيد والأقنان بصورة شرعية واستملاك العقارات. وغيرها.

السدر الرّابع «سدر نزيكين» أي الأضرار ويقسم إلى عشرة أسفار هي:

- سفر بابا كاّما «الباب الأول» ويتناول أحكام الأضرار الّلاحقة بالأملاك والأذى المرتكب بحّق الأشخاص بدافع إجرامي أو على صعيد الجنحة، كما يعالج قضايا التعويض عن السرقة والسلب واقتراف العنف.

- سفر بابا تزيا «الباب الأوسط» ويتناول الأحكام المتعّلقة بالأشياء المفقودة التي يّتم التقاطها أو العثور عليها بالبيع والمبادلة والرّبا والغش والاحتيال واستئجار العمال والبهائم، بالإضافة إلى الإيجار والتأجير والملكية المشتركة للبيوت والحقول. وهومليء بالأحكام التي تميّز اليهودي عن الأممي.

- سفر بابا بترا «الباب الثالث» يعالج القوانين المتعّلقة بتقسيم أملاك الشراكة والعقارات وقوانين التجارة والتمّلك والاستملاك وغيرها.

- سفر السنهدرين «المحاكم القضائية» ويتناول تأليف مختلف المحاكم القضائية وإجراءات المحاكمة وعقوبات الموت والإعدام.

- سفر شبوعوت «القسم أو اليمين»

- سفر عدويوت «الشهادات»

- سفر عابودازاره «عبادة الأصنام»

- سفر آبوت «الآباء»

- سفر حورايوت «الأحكام أو القرارات» ويتناول الأحكام الخاطئة التي تصدر عن السلطات الدينية في المسائل المتعّلقة بالشعائر والطقوس.

- السدر الخامس «سدر قداشيم» المقدّسات ويتألف من أحد عشر سفراً:

- سفر ذباحيم «الذبائح»

- سفر مناحوت «تقدمات اللحوم والشراب».

- سفر حولين «الدنيويات» أي مواصفات ذبح الحيوانات والطّيور للاستهلاك العادي.

- سفر بكوروت «الباكورة» أي المواليد البكر من الحيوان والإنسان وفقاً لما جاء في التوراة «قدّس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم إنّه لي». سفر الخروج الإصحاح ١٣.

- سفر عراكين «التقديرات» أي تحديد الكمّية التي ينبغي تقديمها كنذر للهيكل.

- سفر تموراه «الابدال أو البدل» أي إبدال القرابين وتغييرها الجيد بالرديء، والرديء بالجيد.

- سفر كرتيوت «الرسوم الجزائية» ويعالج الآثام والأخطاء التي تخضع لعقاب القطع أو الفصل من الشعب.

- سفر معيلاه «الإثم والخطيئة» ويتناول مسألة انتهاك الحرمات والمقدسات وتدنيس الأشياء التابعة للهيكل أو المذبح.

- سفر تاميد «التضحية اليومية أو المستمرة» يصف خدمات الهيكل من حيث اتصالها بتقديم القرابين اليومية في الصباح والمساء.

- سفر ميدوت «المقاييس والأبعاد» ويتناول مقاييس الهيكل ومواصفاته «السّاحات، الأبواب، القاعات، المذبح». كما يتضّمن وصفاً للخدمات التي يؤديها الكهنة أثناء وجودهم في الهيكل وقيامهم بحراسته وتدبير شؤونه.

- سفر قنّيم «الأعشاش» ويتحدّث عن الأنظمة والأحكام المتعلّقة بتقديم العصافير والطيور قرباناً للتكفير عن الخطايا والمعاصي التي يقترفها الفقراء.. وغيرها..

- السدر السادس «سدر طهوروت» التطهيرات، ويتألف هذا السدر من اثني عشر سفراً:

- سفر كليم «الأواني والأوعية» طهارتها ونجاستها.

- سفر أوحولوت «الخيام» نجاستها وطهارتها.

- سفر نجاعيم «البرص، الطواعين، الأوبئة».

- سفر فاراه «العجلة الحمراء» البقرة الصغيرة، أي البحث في الخصائص الواجب توفرها في العجلة الحمراء لكي يصار إلى إعداد رمادها للاستخدام في التطهير من النجاسة والرجاسة.

- سفر طهوروت «تطهيرات» ويعالج أحكام النجاسة في الأطعمة والأشربة.

- سفر مكفاعوث «الآبار والخزانات».

- سفر نداه «الحائضة» الحيض المتعّلق بالنساء.

- سفر ماكشيرين «الاستعدادات» ويتناول الظروف التي تصبح الأطعمة بموجبها قابلة للنجاسة بعد احتكاكها بالسوائل. كما يعدّد السوائل التي تجعل الأطعمة في تلك الحالة من الاستعداد والتعّرض.

- سفر زابيم «الزاب، السيلان» يتحدث عن نجاسة الرجال والنساء لدى الإصابة بالأمراض الزهرية والسيلان المنوي وغيره..

- سفر تبول يوم «الغسل اليومي».

- سفر عقصين «سويقات الثمار وقشورها» والظروف التي تصبح بموجبها قابلة لنقل النجاسة(٤٠)..



سابعاً

التلمود هو العقيدة الشفوية للصهيونية

التلمود هو خلاصة المناظرات والحُجج الخاصة بالأحكام الدينية، والتي تضمن المشناة والجمارة. وكانت هناك مجموعتان من تلك الخلاصات، إحداها تكونت في فلسطين الرومانية وتسمى تلمود القدس، والأخرى كتبت في العراق وتسمى التلمود البابلي. والتلمود البابلي أكثر استفاضة وأهمية. وبينما انتهى التلمود المقدسي عند القرن الخامس ق. م. ، فإن التلمود البابلي قد ضم إضافات إلى نحو عام ٥٠٠ م. وكلاهما يعكسان بالطبع ثقافة وواقع تلك الأزمنة.

وحوارات التلمود وأحكامه مبنية على المشناة وهي عبارة عن تنظيم وتصنيف للشريعة الشفوية. واليهود الأرثوذكس يؤمنون بأن موسى تلقى الكتب الخمسة الأولى بالعهد القديم (التوراة)، وفي نفس الوقت ترك تراثاً من التعاليم الشفوية التي فصلت مجمل الشريعة المكتوبة وشرحتها. التوراة نفسها لا تقبل التغيير، أما التعاليم الشفوية فهي ضرورية لتطبيق الشريعة في حالات مختلفة، ومواءمتها لظروف متغيرة، دون تغيير مقاصدها، تماماً كما تفسر المحكمة الدستورية الأمريكية الدستور الأمريكي. على سبيل المثال، تم تعديل كل القوانين المتعلقة بالعبادة والتضحية عند المعبد حين تم هدمه ونُفيَ الشعب اليهودي، وذلك للتواؤم مع الظروف الجديدة. وكل من اليهود والمسيحيين يؤمنون بأن بعض قوانين العهد القديم ليس المقصود منها المعنى الحرفي لها. والسلطة النهائية للشريعة هي السَنهيدريم الأكبر، وهو تجمع لكبار الحاخامات.

ومنذ حل السنهيدريم حوالي ٥٠٠ م لم يعد هناك سلطة دينية واحدة معترف بها لليهود. على أية حال، كانت الشريعة تفسر وتعدل وفقا لمجموعة مختلفة من الحاخامات، ممن يعترف معظم اليهود بجدارتهم، والتي تشتمل على سبيل المثال على الحاخام جيرشوم الذي حرم تعدد الزوجات، والحاخام موسى بن ميمون. وهذه الأحكام تسمى «شريعة الهالاخاة» أو الهالاخاة. **اقرأ المزيد عن كتب الشريعة اليهودية، والكتب المقدسة هنا (بالانجليزية).**

١ - هل يفسر المسيحيون واليهود الشريعة بطرق مختلفة بسبب التلمود؟

تتهم المواقع المعادية للسامية اليهود بأنهم يتبعون التلمود بينما يتبع المسيحيون العهد القديم، والواقع أن العبادتين المسيحية واليهودية كلتاهما تنطلقان من كلمات العهد القديم الحرفية، والتي تعكس التراث الشفوي اليهودي والقانون العرفي. على سبيل المثال لا يدافع معظم المسيحيين واليهود عن الرجم حتى الموت لمن ينتهكون حرمة السبت أو يسبون الإله، كما لا يدعون إلى قلع عين أحدٍ تماشيا مع آية «العين بالعين والسن بالسن». التفسيرات والتعديلات على العهد القديم الحرفي تستند جزئيا إلى تراث الشريعة الشفوية، والتي كانت معروفة بالفعل زمن عيسى، وتم تصنيفها لاحقاً من خلال التلمود.

٢ - هل يحتوي التلمود على افتراءات نحو عيسى والمسيحيين؟

هناك العديد من الإشارات إلى يشوع (عيسى) في التلمود، وكذلك إلى مريم (أحياناً ما يظن أنها ماري). على أية حال، كانت تلك من الأسماء الشائعة، ويمكن في كل حالة إثبات أن المقصودين بهذه الأسماء هم أناس عاشوا قبل مجيء المسيح، وأن الحوادث المذكورة ليس لها علاقة بعيسى. واسم ماري من المحتمل أنه لم يكن مِريَم أو مَريَم، كاسم أخت موسى، بل ميري أي «ثورة». والمشناة والتلمود كتباً في وقت لم تكن المسيحية فيه قد

ظهرت، أو كانت متمثلة في طائفة ضئيلة العدد، أما «الخصوم» الأساسيين لليهود في ذلك الوقت فكانوا الوثنيين. ومسألة أن التلمود يشوه عيسى والمسيحيين هي محض تلفيق من مسيحيي القرون الوسطى، ومن واكبهم من اليهود المتحولين إلى المسيحية، تزلفا إليهم. ويمكنك الاطلاع على المزيد من الردود على هذه الشبهات هنا. http://www. geocities. com/Athens/Cyprus/8815/exp.html (بالإنجليزية).

٣ - هل لليهود شريعة مختلفة للجوييم (غير اليهود) تختلف أحكامها عن أحكام شريعتهم؟

يدعي معادو السامية أن الشريعة اليهودية تعامل غير اليهود بطريقة مختلفة، وتعتبر الجوييم «حيوانات». وفقا للشريعة اليهودية لا يلزم غير اليهود القيام بالطقوس والالتزامات الدينية المفروضة على اليهود. أنشا ذلك مجموعة من الأحكام التي تتعامل مع اليهود وغيرهم بطريقة مختلفة. مع ذلك فإن الشريعة عمدت بصفة عامة إلى المساواة وإلى معاملة الجميع على التساوي في الأمور غير الدينية. ووفقاً للاويين، ٢٤: ٢٢، حكم واحد يكون لكم. الغريب يكون كالوطني. إني أنا الرب إلهكم.

وتتناول رسالة «أفودا زاره» الجوييم، لكن الإشارة تعود إلى الوثنيين لا المسيحيين. إنها تذكر على الخصوص الأعياد الرومانية الوثنية مثل الكاليند والساتوماليا. وتشير الرسالة إلى الوثنيين بكلمة «أكوم» وهي مختصر يشير إلى عباد النجوم وعلامات الفلك. وكتب الشريعة اليهودية تحوي بعض العبارات غير الطيبة بالمرة عن الوثنيين الهمجيين، لكن هكذا الشأن في كتب المسلمين والمسيحيين المقدسة كذلك.

هناك بعض الإشارات المتعصبة إلى غير اليهود وإلى الشعوب ذات الأعراق المختلفة في الكتابات اليهودية، تماماً كما توجد مثل هذه الإشارات في

كتابات المسلمين والمسيحيين، لكن لا يوجد أساس للإتهام الموجود على العديد من مواقع الانترنت بأن الديانة اليهودية عنصرية. اليهود الأحباش هم أفارقة سود، ووفقاً للتراث فإن زوجة موسى كانت سوداء كذلك.

فُسِّرَ التلمود بطرقٍ عدة، من علماء متعددين. أحد هذه التفسيرات البارزة والليبرالية، والمثيرة للجدل، موجودة بكتاب «تسع قراءات تلمودية» للفيلسوف الفرنسي اليهودي ذي النزعة الإنسانية إيمانويل ليفينا. لقد عرض المسائل بشعور بالمسؤولية نحو الآخر، ونحو الغريب عنا. حُرِّر هذا الكتاب وترجم إلى الإنجليزية مع مقدمة لآنيت آرونويش كما نشر بلغات عدة.

للأسف فإن بعض اليهود، مثل الحاخام الراحل كاهانا وأتباعه، متعصبون وعنصريون، تماماً كما أن بعض المسيحيين والمسلمين (ومنهم أولئك الذين ينشرون المواد المعادية للسامية على الإنترنت) متعصبون وعنصريون. الكتب المقدسة وتعاليم كل الأديان قد نشأت منذ زمن طويل، وهي إلى حد ما تعكس الأحكام المسبقة والأخطاء الشائعة في تلك الأزمنة التي كتبت فيها. والعديد من المتعصبين يجدون «أدلة» لمعتقداتهم في التفسيرات شديدة الحرفية، أو غير الصحيحة، أو المزيفة للكتب المقدسة أو التعاليم الخاصة بكل دين.

يمكنك قراءة المزيد عن معاملة غير اليهود في الديانة اليهودية هنا

http://www.jewfaq.org/gentiles.htm . (بالإنجليزية)

٤ - ما هو جِسرونوت (خسرونوت) شاس؟

في البلاد المسيحية قديماً، كان التلمود وغيره من كتب الشريعة اليهودية تخضع للرقابة من قبل السلطات المسيحية، التي اعتقدت أن بعض الفقرات بهذه الكتب تحوي إهانات للمسيحية أو الجوييم من غير اليهود. وهذه الفقرات المحذوفة جمعت في مخطوطات وجدت طريقها سراً إلى اليهود، وعرفت باسم جِسرونوت شاس. وكلما كان يسمح بنشر نسخ من الكتب اليهودية دون بتر كانت

الطبعات المصححة تنتشر. مع ذلك فإن بعض الطبعات المبتورة كانت لاتزال تجد طريقها إلى النشر، وبالتالي لزم أن ينشر إلى جوارها كتاب منفصل للحسرونوت شاس ليكمل ما بترته يد الرقابة.

أمثلة من المواد المحذوفة والتي تظهر في حِسرونوت شاس:

- ملاحظة حاخامية بأن اليهود لا يمكن أن يحققوا القداسة الكاملة وهم في الشتات بسبب معاناتهم، تم حذفها باعتبارها إهانة للجوييم من غير اليهود، رغم أنه من الواضح أن اليهود عانوا بالفعل في الشتات.
- تم حذف دعاء على نبوخذ نصَّر ملك البابليين لأن الرقيب إعتقد أنه تلميح خفي إلى المسيحيين، رغم أن مدنا بعينها ببابل كانت تذكر وكان السياق جلياً.
- إن شرب أحد ما شيئاً ساماً، وأصبح من الممكن أن يموت، فإنه يجب عليه أن يبصقه، حتى في وجود ملك، رغم بذاءة هذا التصرف. حذف الرقيب كلمة ملك.

المزيد من الأمثلة يمكن قراءتها بهذا الموقع: **كارهو اليهود.**

http://www. jewhaters. com/ (بالإنجليزية)

هذه هي أشكال المواد الموجودة بحسرونوت شاس، والذي يوصف بالمواقع العنصرية باعتباره كتاباً سرياً وشيطانياً يحوي مؤامرات اليهود ضد المسيحيين. ليس الكتاب سرياً. بوسع أي أحد أن يشتريه، ومحتواه غير مؤذ. ومعظم اليهود، ممن ليسوا علماءَ تلموديين، لا يعرفون حتى بوجود مثل هذ الكتاب.

٥ - هل يعتقد جميع اليهود بالتلمود وكتب الشريعة الأخرى ويتبعونها؟

بض اليهود ملحدون أو غنوصيون لا يؤمنون بأي من هذه «الكتب المقدسة» إلا كتراث ثقافي، وغيرهم ليس لديهم حتى فكرة عامة عما بهذه الكتب. ناعوم

تشومسكي يهودي، وهو بالقطع لا يتبع شرائع التلمود، ولا كان يتبعها رئيس الوزراء السابق آرييل شارون. وداخل الديانة اليهودية هناك فرق متعددة ومختلفة. اليهود الأرثوذكس يتبعون التلمود والأحكام المتأخرة للحاخامات المتفق على جدارتهم بخصوص الهالاخاة. لكن هؤلاء الأرثوذكس لهم فرق مختلفة تتبع حاخامات مختلفين وبينهم فروق بسيطة في الأحكام. معظم الأرثوذكس مثلاً لا يقبلون عدداً من الأحكام المهمة لرئاسة الحاخامية بإسرائيل. اليهود المحافظون يتبعون الأحكام بشكل مختلف إلى حد ما، أما اليهود الإصلاحيين، وحركات التجديد بصفة عامة فهم أكثر تحررا في تفسيراتهم للشريعة.

٦ - هل يعتقد اليهود الأرثوذكس بكل ما في كتب الشريعة؟

تحوي كتب الشريعة كلا من قوانين الهالاخاة والآراء الظرفية الي دخلت إلى النقاش أثناء تقرير أحكام الشريعة. على سبيل المثال، عند مناقشة ما يسمح للناس بحمله أثناء السبت تناول كبار علماء التلمود مسألة جواز حمل التمائم المقاومة للأمراض، ووصفوا بعض هذه التمائم والعلاجات. هذه العلاجات المتنوعة الموصوفة في سياق النقاش لا تعتبر جزءاً من الهالاخاة، أو الشريعة اليهودية. بالمثل فإن الآراء الظرفية المتعلقة بالقانون الطبيعي، والعرق، وغيرها من المسائل التي قد تظهر في التلمود أو غيره من الكتب لا تعتبر جزءاً أصيلاً من الشريعة.

٧ - هل التلمود هو أساس الصهيونية؟

ينتشر هذا الإدعاء على المواقع المعادية للصهيونية، وهو ادعاء واضح الزيف. العديدون من مؤسسي **الصهيونية**، بمن فيهم تيودور هرتزل، لم يكونوا يهودا متدينين، وما كانوا يتبعون التلمود. بالمقابل، فهناك العديد من فرق اليهود غير الصهيونية، أو حتى المعادية للصهيونية، مثل ناطوري كارتا وأتباع الحاخام

ساتمار (الناشيء في مدينة ساتو ماري بنواحي ترانسلفانيا)، ممن يتبع جميعهم شرائع التلمود، ويضموا بين صفوفهم بعضاً من علمائه، دون أن يكون أحدهم صهيونياً.

الصهيونية حركة حديثة، تستند إلى مفهوم أن اليهود شعب وأمة، وبالتالي لهم حق تقرير المصير في دولة خاصة بهم. الصهيونية لم تضع حدود الدولة اليهودية، والصهيونية ليس لها علاقة بالتلمود.

٨ - هل أخفي التلمود عن غير اليهود؟

التلمود وغيره من الكتب اليهودية ليست سراً على أحد. كتب التلمود بالآرامية، ودون بأسلوب تلغرافي، مما استدعى اسهاباً في التفسير والدراسة لفهمه جيداً. وبغض النظر عن الدين، فمن لا يملك هذه الخلفية سيجده عسيراً جداً على الفهم، حتى إن كان عارفاً بالعبرية، التي هي شبيهة بالآرامية بشكل ما. على أية حال هناك ترجمات إنجليزية، وهناك أجزاء كبيرة من التلمود موضوعة على الانترنت - مثل - هنا

. http://www. sacred-texts.com/jud/talmud.htm

٩ - ما مصدر التشويهات ضد التلمود والتي تظهر على المواقع المعادية للسامية؟

نشر المسيحيون والمرتدون اليهود إلى المسيحية، في الأزمنة القديمة، مخطوطات وكتب مليئة بالمعلومات الخاطئة عن التلمود. واستخدم بعض ذلك في «المناظرات» العامة. وحين كان اليهود يخسرون تلك المناظرات كانت مجتمعات بأسرها تجبر أحياناً على النفي أو التحول إلى المسيحية. وهناك خلاصة لتلك الافتراءات نشرها حديثاً القسيس الكاثوليكي الأب أوغست روهلنغ من براغ تحت عنوان «اليهودي التلمودي». كانت عبارة عن هجوم وحشي معاد

للسامية ذائع الانتشار بين الكاثوليك. خسر بعدها روهلنغ قضية تشهير وسب مما أثبت زيف دعواه، لكن مواد الكتاب لا زالت تتداول. أحد المصادر الأخرى لهذي التشويهات أعمال إسرائيل شحاق، وهو يهودي حوَّر الحقائق في سبيل حملته العنيفة ضد الأصوليين اليهود. بهذا يصبح شحاق مثالاً آخر على اليهود الذين لا يؤمنون بالشرائع التلمودية.

١٠ - هل يعود أصل اليهود إلى الخزر؟

خمن الراحل آرثر كوستلر أن اليهود الأوروبيين (الأشكيناز) يعود أصلهم إلى إحدى قبائل آسيا الوسطى، الخزر، والتي تحولت بشكل جمعي إلى اليهودية. واستخدم المعادون للسامية والصهيونية هذه لنظرية ليزعموا أن اليهود الأشكيناز ليس لهم حق في دولة إسرائيل. لكن الأبحاث اللاحقة أثبتت أن الإدعاء بأن الأشكيناز تعود أصولهم إلى الخزر هو ادعاء مشكوك فيه بدرجة كبيرة. تحولت قبائل عدة، في أزمنة مختلفة، إلى اليهودية، بما فيها بعض القبائل العربية بمملكة اليمن، الخزر، كما تكرر الزواج المختلط بينهم وبين اليهود «الأصليين». وبالمثل تحول كثير من اليهود، طوعاً أو قسراً، إلى المسيحية والاسلام. وأقوى الأدلة تشير إلى انتشار اليهود من روما إلى كل أنحاء أوروبا. كانت هناك مجتمعات يهودية بفرنسا في العصور المظلمة على وجه اليقين. يعود يهود آخرون في أصولهم إلى اليهود الإسبان (السفارديم) والذين أجبروا على مغادرة إسبانيا في عام ١٤٩٢. وتشير الأدلة الجينية إلى أن اليهود الأوروبيين أقرب إلى لفلسطينيين والسوريين العرب من سكان آسيا الوسطى، الذين تعود أصولهم إلى الخزر. اقرأ على سبيل المثال (بالإنجليزية) مقالات عن هذا الموضوع هنا وهنا. على أية حال فإن علاقة الناس بأمتهم لا تكاد تعود أبداً إلى الجينات الوراثية أو إلى «العنصر». لا يزعم أحد أن كل الفرنسيين هم حفدة للغوليين القدماء، أو أن أصول البريطانيين جميعهم تعود إلى السلت والبكت.

وحين يتحدث الأمريكيون عن «أسلافهم» فإن هؤلاء الأسلاف لا تقصر النسبة إليهم عن أن تشمل أجيال المهاجرين ممن أتوا بعد مستوطني زهرة النوار. والفلسطينيون العرب اليوم ليسوا كلهم حفدة للكنعانيين والفلسطينيين القدماء. بعضهم يهود غير دينه، وبعضهم تعود أصوله إلى عائلات عربية قدمت مع موجات الغزو المتلاحقة. ومهما كانت أهمية حجة الجينات فإن الزعم بأن أحداً ما ليس له الحق في وطن معين بسبب عدم نقاء عنصره هو زعم عنصري، صفة من يأتي به العنصرية.

ثامناً: الرؤية التلمودية لفلسطين

في أسفار التلمود مفاهيم وتصورات عن الأرض المقدّسة «فلسطين» تلعب دوراً بارزاً على صعيد الفكر والعمل الصهيوني، وإليها استند زعماء الصهيونية من العلمانيين والمتديّنين في تبرير أعمالهم ومشاريعهم العدوانية في فلسطين العربية. ولا تزال هذه المفاهيم والتصورات الغيبية تلعب دوراً هاماً في إسرائيل اليوم، اجتماعياً واقتصادياً وتعليمياً وسياسياً.

إنّ النقطة الرئيسية التي يستند إليها هؤلاء الصهاينة هي فكرة المسيح المنتظر التي قال عنها «بن غوريون» أنها ضمنت بقاء الشعب اليهودي على مرّ الأجيال، وخلقت الدولة التي أصبحت أداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيائية(٤١).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

هذه الرؤيا، رؤيا الخلاص أو الأمل المسيائي هو الطابع المحوري لليهودية التلمودية، وهذا الخلاص يرتبط برباط وثيق مع فكرة العودة إلى الأرض المقدّسة «الموعودة» وإعادة بناء الهيكل وطرد العرب.

في أسفار التلمود يتجلّى اهتمام الرّبانيين بفكرة المسيا، فتتحّول على أيديهم إلى عقيدة شاملة وأساسية تؤلف الطابع المحوري لفرادة الشعب

اليهودي، وتعلقّهم بوطنهم القديم وتحوّل أنظارهم نحو المستقبل وتملأهم بالصبر والعمل لمواجهة جميع الصعوبات التي عانوها.

يورد الدكتور أسعد رزّوق مزيداً من الفقرات التي تتحدّث عن الرؤيا المسيائية ونظرة الرّبانيين لها والحديث عن مواقيتها وأسبابها ونتائجها(٤٢).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

في سفر سنهدرين نقرأ عن التصورات الرّبانية المتعدّدة والتي منها رؤية «التنائيم» في أنّ هناك دورة السنوات السّبع التي سيأتي بعدها المنتظر من نسل داود، وعلائم ذلك تظهر في كل سنة من هذه السنوات السّبع. ومنها أيضاً أنّ التّوبة شرط الخلاص، وعلائم هذه التوبة هو اشتداد الخصوبة في أرض فلسطين على رأي الرّباني «أبّا» بينما يرى الرّباني «حاما بن حانينا بن داود» أنّ هذا الخلاص لن يأتي حتى يزول تسّلط أصغر الممالك على إسرائيل.

وتتراوح مدّة العصر المسيائي بين أربعين سنة وسبعين لدى البعض من الرّبانيين. أو بين ٣٦٥ و٤٠٠ سنة لدى غيرهم.

والمسّيا كما يرى الرّبانيون ينحدر من نسل داود وسوف يغلب أعداء إسرائيل ويسحقهم لكي يحرّر إسرائيل ويسترجع فلسطين. وفي سفر «تعانيت» يرد تفسير الرّباني «يوحنان» للعبارة الواردة في سفر هوشع في التوراة الإصحاح الحادي عشر «إنّ الواحد القدّوس تبارك اسمه قال: لن أدخل القدس السماوية حتى يتسّنى لي دخول القدس الأرضية»(٤٣).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

ويرى الرّبانيون التلموديون، أنّ جمع اليهود في فلسطين هو من منجزات العصر المسيائي، وفي المجموعة التي تضّم الأقوال الحكيمة للرّباني «أليعازر» نقرأ شيئاً مماثلاً: «الواحد القدّوس تبارك اسمه هو المقّدر له أن يجمع بني إسرائيل من زوايا الأرض الأربع، وكما ينقل البستاني غرساته من تربة إلى تربة أخرى فإنّ الواحد القدّوس تبارك اسمه سوف ينقلهم من أرض: دنسة إلى أخرى طاهرة»(٤٤).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

فتصورات التلمود للعصر المسيائي ترسم صورة لفلسطين إلى جانب مسألة جمع المنفيين من بني إسرائيل. فيتحّدث الرّبانيون عن اجتماع شمل بني إسرائيل في فلسطين وتقسيم الأرض فيها على / ١٣/ سبطاً منهم وسوف تمتدُّ حدود فلسطين وتتسّع كلّما ازدادات امتلاءً وكثافة.

وفي سفر «بابا بترا» يتحدّث الرابي يوحنان عن تفسير العبارة في المزمور ٢٤/٢: «لأنّه على البحار أسّسها وعلى الأنهار ثبتّها». ويرى يوحنان أنّ المقصود هي أرض إسرائيل ٨ فالبحار هي بحارها السبعة والأنهار هي أنهارها الأربعة «بحيرة طبرية، بحر سدوم» الميت «بحر إيلات، بحر حولتا، بحر سيبكابي، بحر أسباميا، البحر الكبير المتوسط». أمّا الأنهار الأربعة فهي «الأردن، اليرموك، كراميون، ينجاه أو بيجا»(٤٥).

والصورة التي يرسمها الأدب التلمودي لحدود أرض إسرائيل في المستقبل هي حسبما جاء في سفر «دباريم» : «سوف تمتدّ حدود أرض إسرائيل وتصعد في جميع الجهات، ومن المقدّر لأبواب القدس أن تصل إلى دمشق، وسوف تأتي الدياسبورا لتنصيب خيامها في الوسط»(٤٦).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

وترد اجتهادات وتفسيرات كثيرة على لسان الربانيين في التلمود عن فلسطين وأحقّية بني إسرائيل فيها بسبب الوعد الإلهي ليعقوب الذي منحه أرض الكنعانيين ليمتلكها ونسله وتغدو ميراثهم الأبدي. فهم يشيرون إلى أنّ أرض كنعان من نصيب سام بن نوح وهم أبناء سام بن نوح. بينما الكنعانيون من نسل حام. ووجدوا في أرض كنعان لكي يحرسوا المكان إلى حين مجيء بني إسرائيل، وأنّ الواحد القدّوس تبارك اسمه قاس جميع الأمم فوجد أنّ جيل التيه «بني إسرائيل» وحده يستحق أن يتلقى التوراة، وقاس جميع المدن فوجد القدس وحدها جديرة باحتواء الهيكل، ثم قاس جميع البلدان فرأى أنّ البلد الوحيد الذي يليق بأن يعطى إلى بني إسرائيل هو أرض إسرائيل(٤٧).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

فالرّبانيون التلمودّيون يشيرون دوماً إلى أنّ كنعان لهم بحسب ما جاء في التوراة، سفر التكوين الإصحاح التاسع: «ملعونٌ كنعاة عبد العبيد يكون لاخوته». وهذا يعني كما فسّرها الرّبانيون أنّ العبد ملكٌ لصاحبه وحتى لو أعطيت الأرض إلى الكنعانيين فإنّها ملكٌ لأسيادهم اليهود. وأنّ إبراهيم صرف أبناء أسراري جميعهم وأعطى كلّ ما له لابنه إسحق، وبالتالي فإذا قام أبٌ بتوريث أبنائه خلال حياته ثم صرفهم الواحد عن الأخر، فهل هناك من حقّ للواحد على الأخر. ويجيب التلمود كلّا بالطبع(٤٨).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

---

تاسعاً: الرؤية التلمودية للأغيار:

إنّ النظرة اليهودية التلمودية تميّز اليهود عن الأغيار، الأمم غير اليهودية، فهم الشعب المختار والزرع المقدّس. هم البشر وجميع الأمم حيوانات يستدعي نحرهم.. والنحر غير الذبح. فالذّبح يتطلب التبريك أمّا النّحر فلا يحتاج إلى تبريك. لأنّ الأمم لايحتاجون إلى التبريك. والوثني الذي يدرس التوراة يستحّق عقوبة الموت في نظر الرابي يوحنان، لأنّ موسى أوصى كما يشرح هذا الرابي بناموس ميراث جماعة يعقوب، أي أنّ التوراة هي ميراثهم وحدهم، فلهم الميّزة والأفضلية إزاء الأغيار، وهو ماتكرسّه أقوال الفقهاء اليهود في التلمود فنقرأ قول الرابي حنينا: «إذا ضرب الوثنّي يهودّياً استّحق الموت». ويقول أيضاً: «من ضرب إسرائيلياً على فكّه كأنّه اعتدى على الحضرة الإلهية»(٤٩).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

الرؤية التلمودية للأغيار ترى أنّ بني إسرائيل هم البشر وحدهم أمّا ما عداهم من جميع الأمم فإنّهم من أصناف البهائم والحيوانات. ولا يجوز لليهودي أن يسكن في بيت واحد مع أحد من الأمم، ويجب على اليهودي أن

يجتهد بإخراج الساكن معه من الأمم الأخرى، لأنّ بيوت الأمم الأخرى تشبه خان الحيوانات وليس لهم اسم مسكن على الإطلاق[٥٠].

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

كما يشير فقهاء التلمود إلى أنّه لايجوز للطبيب «الحكيم» اليهودي الماهر أن يعالج أحداً من بقية الأمم ولو بالأجرة. أمّا إذا كان الطبيب اليهودي غير ماهر بصنعة الطّب فيجب عليه أن يتعّلم بمعالجة بقية الأمم للتعّلم فقط. وحرام عليه أحد من اليهود طالما بقي غير ماهر بصنعة الطب[٥١].

إنّ طعام النصارى والمسلمين محرّمٌ ولا يجوز لليهودي أن يأكل من منازل النصارى والمسلمين. وعليه أن يتلف خمره إذا ما لمسه نصراني أو مسلم أو من عبّاد الأصنام[٥٢].

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

ونقرأ أيضاً أنّه لا يجوز لليهودي أن يتعامل بالرّبا مع أخيه اليهودي بينما يباح له أن يمتصّ غيره من الأمم والشعوب، وأن يسرقه وأن يشهد بالزّور عليه وأن يقتله أو يكذب عليه أو يغدر به أو يغصبه أو ينتقم منه أو يشتهي امرأته أو بيته. فالمحرمات التي نجدها في سفر الخروج تخصّ بني إسرائيل وحدهم: «لا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا أمته ولا ثوره ولا حماره»، «لا تقرض أخاك بربا للأجنبي تقرض بربا. لكن لأخيك لا تقرض بربا» سفر التثنية[٥٣].

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

ويتشدّد التلموديون في نظرتهم إلى العرب، فيرد في سفر «سوكاه» قولٌ للرابي «حانا بن آبا» : «هناك أربعة أشياء يندم الواحد القدّوس تبارك اسمه على خلقه إيّاها وهي: » النفي، الكلدانيون، الإسماعيليون، ونزعة الشّر». وينسب الرّبانيون التلموديون إلى العرب كثير من التصرفات السلبية مثل إساءة معاملة الأسرى من النساء، وإساءتهم لجمالهم وخيانتهم وغوغائيتهم[٥٤].

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm

إنّ رؤيتهم بشكل عام إلى الأمم أنّهم وثنيون يعبدون الأصنام ولهذا لا يحقّ لهم كما يحقّ لليهود. فلليهود حقّ بما يحرمونه على سواهم. فلا يجوز لأحد من عباد الأصنام «أي جميع الأمم دون استثناء» أن يستريح يوم السبت، فإذا استراح فينبغي قتله، لأنّ الله قال حسب رأيهم: لا يستريحوا لا في الليل ولا في النهار، وكذلك إذا قرأ أحد عبّاد الأصنام في التوراة فيجب قتله لأنّ التوراة هي لبني إسرائيل فقط(٥٥).

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm



التلمود في إسرائيل:

هناك سلطتان قائمتان في إسرائيل: الدولة من جهة، ودار الحاخامية من جهة ثانية.. ودار الحاخامية تقوم على تطبيق الشرع التلمودي في شؤون الأحوال الشخصية للإسرائيليين «الزواج، الطلاق، المواريث»، وهي شديدة التمسّك في تنفيذ أحكام الشّرع بحذافيرها.

إنّ الشّرع التلمودي يمارس نفوذه في المجالات التالية:

- **الأحوال الشخصية:** قضايا الزواج والطلاق وتسجيل المواليد وقوانين الميراث.

- **قوانين الأطعمة:** تحليلها وتحريمها والشروحات المتعلّقة بالذّبح الشعائري.

- **التعليم الديني:** وهذا ما يأخذ الأولوية لدى الحاخامين، والتربية التلمودية في المدارس والمعاهد الدينية تلقى اهتماماً متزايداً ويؤلف التلمود محوراً رئيسياً في منهاج الدراسة، وتوجد في إسرائيل مؤسسة خاصّة في القدس للموسوعة التلمودية التي بوشر بإصدارها منذ عام ١٩٤٧ باللغة العبرية، وهي في متناول كلّ يهودي.

والعرب في إسرائيل يواجهون مظاهر التعصّب والانغلاق والتشدد الدّيني، وتظهر دائماً كتابات معادية للعرب على الجدران مثل: «الموت للعرب، إسرائيل لنا، لا نريد العرب، هذه المدرسة لنا وليست للعرب، لا تنازل عن الحدود، إلى ما هنالك من جمل وعبارات تلمودية تكرّس النزعة العنصرية والعدوانية واستحضار التاريخ. وتساهم في خلق جيل يهودي منغلق متعصّب شديد التدّين بالغيبيات التوراتية والتلمودية، يسعى لترجمتها إلى واقع، فالتلمود يفسّر القدس السماوية بمفهومها الرّوحي على أساس القدس الأرضية، ويشترط لتحقيق القدس الرّوحية عودة اليهود إلى قاعدتها الأرضية».

في إسرائيل مئات الآلاف من الشبّان الذين تثقفوا على تلك النزعات الدينية الغيبية، وهم يرفضون أي شيء يسّمى مساواة أو عدالة مع الأغيار ويحاولون دوماً ترسيخ فكرة الاختيار والقداسة، والحدود التاريخية المقدّسة وضرورة التمسّك بالتراث.

ويعمل المسؤولون الإسرائيليون بدأب لتشكيل الشخصية اليهودية بناء على نموذج عنصري انطلاقاً من المقولة إنّ اليهود شعب الله المختار، وهم أسمى الأجناس وأرقاها[٥٦].

http://www.awu-dam. org/book/97/study/163 - a/book-sd 163 htm



الخلاصة والاستنتاج

لقد عمدت اليهودية العالمية، ومن ثم الحركة الصهيونية، على التحرك لتحقيق أهدافها من خلال السيطرة على مجالات الثقافة والصحافة والفكر ودوائر المعارف الغربية وراحت تروج لمشروعها ببعث تراثها التلمودي القديم في محاولة لتقديمه للبشرية في صورة علمية حديثة، وعلى شكل نظريات وأيديولوجيات ومذاهب وضعت في دقة وبراعة، بحيث أمكن أن تبدو في صورة محايدة فترة طويلة من الزمن قبل أن ينكشف زيفها وهدفها المسموم ومصدرها

التلمودي المادي الوثني القديم.. وقد عمدت إلى تقديم خطتها على أنها ليست من عمل اليهودية الصهيونية المعاصرة (بمطامعها وأحقادها) وإنما على أنها عمل متصل بالكتب المقدسة القديمة التي هي موضع تقدير المجتمع الغربي المتدين، وكان ذلك حين حاولوا الربط بين العهد القديم والعهد الجديد في كتاب واحد في مجلد جامع منذ ذلك الوقت البعيد، الذي يمتد إلى عصر ما قبل الثورة الفرنسية، والذي كان موضع قداسة لدى الطوائف الدينية في انكلترا والولايات المتحدة وأجزاء من أوربا، وما يتصل بذلك من فرض على المناهج التعليمية في تلك البلاد، بحيث تتلقى الأجيال الجديدة هذه الفكرة على أنها عقيدة: فكرة ميراث اليهود لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام من طريق ابنه إسحاق وحجب ابنه الأكبر إسماعيل وما يتصل بهجرة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وتجديد بناء الكعبة وما يتصل بارتباط العرب بإسماعيل وإبراهيم جيلاً بعد جيل حتى ظهور الإسلام على يد خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم..

ولقد نشأت هذه الأجيال على الإيمان بتلك الفكرة التي صاغها كتاب التوراة حين أعادوا كتابتها خلال وجودهم في بابل وعلى يد كبيرهم (عزرا) وهناك قاموا بتحريف التوراة ووضعوا هذه الفكرة العنصرية التي تتفق مع دعوتهم التضليلية (شعب الله المختار) وأقاموها على أساس أن وعد الله لإبراهيم عليه السلام في أبنائه بامتلاك هذه الأرض، هذا الوعد قاصر على ابنه إسحاق وذريته وحدهم، ومن هنا يجيء هذا الادعاء التاريخي الباطل بحقهم في العودة إلى ارض الميعاد..

وفي ضوء جهودهم هذه فان اليهود لم ينجحوا في غزو العالم العربي وتحريك القوى العالمية في اتجاه مصالحهم اعتباطا أو صدفة وإنما كان ذلك عن تخطيط مدروس وبأساليب غاية في الخبث والدهاء والشمول، وقد تحركت التلمودية الصهيونية على ثلاث جبهات شملت العالم كله:

١ - **الحركة الاولى:** في اتجاه المسيحية والغرب وذلك عن طريق الماسونية وحصيلتها الثورة الفرنسية التي أفرزت نشوء حركة الهاسكالاه اليهودية بزعامة (مندلسون) والتي دعت اليهود إلى خرق الجيتو والاندماج بالمجتمعات

الغربية وإحياء اللغة العبرية والتفكير بإنشاء وطن قومي لليهود، كما ساهمت هذه الثورة بكسر قوانين الكنيسة التي كانت تحجزهم عن الاشتراك في الحياة الاجتماعية والسياسية ومن ثم أتاحت لهم تملك وجوه النشاط الثقافي والصحفي والاجتماعي ومن ثم السيطرة على رجال الحكم والسياسة. .

٢ - **الحركة الثانية**: في اتجاه الارثودوكسية وروسيا وذلك عن طريق الماركسية وثمرتها الحركة الشيوعية. . وتجلى هذا بإسقاط القيصرية وإقامة البولشفية في روسيا. . وبذلك أصبح لليهود نظام مواجه للرأسمالية التي كانوا هم صناعها من قبل ووضع العالم كله بين فكي أسد.

٣ - **الحركة الثالثة**: في اتجاه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي وذلك عن طريق الماسونية وثمرتها الحركة الصهيونية التي طرحت برنامجها الاستيطاني العنصري في مؤتمرها الأول ببازل بسويسرا. . وتجلى هذا بإسقاط الدولة العثمانية والخلافة، وبذلك انفتح الطريق أمام يهود العالم إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية في القدس. .

من هنا نجد ان اليهودية العالمية هي أم لثلاثة توائم: الماسونية والماركسية والصهيونية. . الماسونية التي فتحت الطريق أمام السيطرة العالمية والماركسية التي أقامت الصراع العالمي والصهيونية التي أسست دولة في قلب العالم العربي الإسلامي. .

وأخيراً نقول أن النجاح الذي حققته التلمودية الصهيونية سوف لن يستمر بعون الله لان العرب والمسلمين قد عرفوا الطريق الصحيح إلى المواجهة مع الصهيونية، رغم حالة الضعف التي هم عليها الآن، ورغم محاولاتها حصر التعامل مع فلسطين في دائرة قومية أو عربية، إلا أن هناك من العرب والمسلمين من نقل فكرة الصراع لتشمل الدائرة العربية والإسلامية والإنسانية حتى وان كانت هذه الحركة بطيئة أو غير فعالة في الوقت الحاضر، ومن الحقائق التي تكشفت أمامهم هي أن الصهيونية لم تنجح في إقامة إسرائيل إلا لضعفهم وسيطرة

الأطماع المادية والشخصية عليهم وانقسام حكامهم وساستهم وانفصام عرى الوحدة بينهم، لكننا نعتقد أن تجربة الحروب الصليبية ما تزال قائمة أمامهم ولا بد أن يأتي اليوم الذي يتعلمون فيه من هذه التجربة وان يعرفوا ويقرروا أن طريق الوحدة والتكامل والترابط في مواجهة الصهيونية ورص الصفوف وتناسي الخلافات وتغليب المصلحة القومية العليا على المصالح الأنانية الضيقة هو وحده منطلق النصر ولقد اصطنعه صلاح الدين فحقق لهم الخروج من الأزمة وقوامه العودة إلى منهج الإسلام وتطبيق شريعته ونظامه التربوي وإقامة فريضة الجهاد كمعلم بارز من معالم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وان الباحث عندما يطرح هذا الأمر على علم تام بان الصهيونية والامبريالية وقوى الشر تسعى للحيلولة دون تحقيق ذلك، لكنه واثق بعون الله من تمكن العرب والمسلمين في يوم ما، ولعله قريب بعون الله، من تجاور حالة ضعفهم وواقعهم المؤلم لأنهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بان لا سبيل لتحرير فلسطين إلا بالتخلص من سيطرة الأفكار الدخيلة عليهم والتحرر من الأنانية والخوف والرهبة من سطوة القوى الدولية المتحكمة وان قراءته العلمية والدقيقة للتاريخ تؤكد أن الشعوب المظلومة والمضطهدة والمغلوب على أمرها وطلائعها النخبوية لابد وان يبلغوا في لحظة معينة أو في زمن معين نقطة الوعي والإدراك لحقيقة الواقع المؤلم وعندها سوف يتحررون من الرهبة والخوف ويتحركون بإرادة ووعي واتكال على الله وعلى قواهم الذاتية لتصحيح مسارات اللعبة السياسية القذرة التي تديرها الحركة الصهيونية والولايات المتحدة وقوى الشر الأخرى دون خوف أو تردد.



هوامش الفصل التمهيدي

(١) التلمود والصهيونية - تأليف الدكتور أسعد رزّوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ ص١١٥.
(٢) نفس المصدر ص١١٧.
(٣) «التلمود والصهيونية» - الدكتور أسعد رزوق - منظمة التحرير الفسطينية. مركز الأبحاث ١٩٧٠ ص١٤٦ - ١٤٧.
(٤) نفس المصدر ص١١٤.
(٥) المكابيون: كلمة مكابي بالعبرية تعني المطرقة. ففي سنة ١٧٥ قبل الميلاد قام اليهود المقيمون في القدس بتمرد ضد السلطة السلوقية واستمّر هذا التمرّد أكثر من أربعين سنة وانتهى بالحصول على الحكم الذاتي في القدس تحت سيادة اليونان وترأس هذا الحكم «سمعان المكابي» وهو الإبن الثالث «لمتّيا» الذي قاد التمرّد وهو من الأسرة الحشمونية. وقد أعلن المكابيون أنّهم دولة مستقّلة وتطلعوا إلى التّوسع وتمكنوا من احتلال بعض المناطق وأرغموا سكان الجليل والأدوميين على اعتناق الدّين اليهودي وفرضوا الختان على الرجال. واستمروا في حكم القدس حتى قضى عليهم «بومباي الروماني» سنة ٦٣ قبل الميلاد عندما احتل القدس.. أنظر الموسوعة الفلسطينية - الأطماع الصهيونية في القدس - تأليف عبد العزيز محمد عوض - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠. ص٨٦٠.
(٦) «التلمود والصهيونية» - الدكتور أسعد رزوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ ص١٢٦.
(٧) نفس المصدر ص١٢٦ - ١٢٨. .
(٨) نفس المصدر ص١٣٤.
(٩) التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ - ص١٣٥ - ١٣٦.
(١٠) «التلمود والصهيونية» - الدكتور أسعد رزوق. منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ - ص١٤٢ - ١٤٥.
(١١) نفس المصدر ص١٤٢ - ١٤٥.
(١٢) نفس المصدر ص١٤٢ - ١٤٥.
(١٣) نفس المصدر ص١٤٤ - ١٤٥.
(١٤) «التلمود والصهيونية» - الدكتور أسعد رزوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ - ص١١٨ - ١٢٣.

(١٥) نفس المصدر ص١١٨ - ١٢٣.

(١٦) نفس المصدر ص١٢٣.

(١٧) أنظر «التلمود والصهيونية» - للدكتور أسعد رزّوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠ - من ص١٥٠ إلى ١٧٥.

(١٨) كانوا يرتدون الزّي الطويل، ويطلقون لحاهم وسوالفهم ويرتدون قبعات. ولا يزال هذا الزّي حتى الآن يّميز اليهود عن الآخرين.

(١٩) الشولحان عاروخ، بالعبرية تعني «المائدة المجهّزة» وهو كتاب ألّفه الحكيم اليهودي يوسف كاروه، أحد حكماء صفد في القرن الخامس عشر ميلادي، ويقسم إلى أربعة أقسام: .

١ - نهج الحياة: ويتناول الصلوات والأعياد والمواسم.

٢ - معلم المعرفة: ويتناول المحلّل والمحرم من المأكولات والطهارة والنجاسة والصدقات والنذور والحداد والختان.

٣ - الحجر المغني: ويتناول قضايا الزواج والطلاق.

٤ - صدر القضاء: ويتناول أحكام المعاملات والحقوق والميراث والشهادة والوصاية والعقود. .

أنظر مجلة عالم المعرفة - العدد ١٠٢ حزيران ١٩٨٦ «الشخصية اليهودية (الإسرائيلية» والروح العدوانية» - الدكتور رشاد عبد الله الشامي - ص٢٠ - ٢٧ -.

(٢٠) الهسكالاه: حركة يهودية ثقافية طرحت تعديلات جذرية في الدين اليهودي، حيث سعت لتحقيق الخلاص بالاعتماد على الذات وعدم انتظار المسيح للعودة إلى صهيون.

أنظر مجلة عالم المعرفة - العدد ١٠٢ حزيران ١٩٨٦ حول الشخصية اليهودية والروح العدوانية، للدكتور رشاد عبد الله الشامي - الفصل الثاني.

(٢١) نفس المصدر - الفصل الثاني.

(٢٢) نفس المصدر - الفصل الثاني.

(٢٣) «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهيوني» - صادر عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق ١٩٨٦ - باشراف حبيب قهوجي - الطبعة الأولى ١٩٨٥ ص١٦٧ - ١٦٨.

(٢٤) نفس المصدر ص١٦٩ - ١٧٠.

(٢٥) «الصهيونية واللّاصهيونية» - تأليف خالد القشطيني - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ ص٧٢١. .

(٢٦) «الصهيونية واللّاصهيونية» تأليف خالد القشطيني - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس الطبعة الأولى: بيروت ١٩٩٠ - ص٧٢١.

(٢٧) «العرب واليهود في التاريخ» الدكتور أحمد سوسة - الطبعة الثانية - العربي للإعلان والنشر والطباعة - ص٣٦٣.

(٢٨) نفس المصدر ص٣٦٣. وانظر أيضاً «الصهيونية واللّاصهيونية» - ص٧٢٥.

(٢٩) الصهيونية واللاصهيونية - تأليف خالد القشطيني - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ - ص٧٢٥.

(٣٠) نفس المصدر ص٧٣٠.

(٣١) نفس المصدر ص٧٣٠.

(٣٢) «الصهيونية واللاصهيونية» - خالد القشطيني - الموسوعة الفلسطينية - المجلد السادس - القسم الثاني الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ص ٧٣٠.

(٣٣) نفس المصدر ص٧٢٥.

(٣٤) كان صلاح الدين الأيوبي متسامحاً جداً مع اليهود، وعندما فتح القدس أرسل منادياً ينادي في أرجاء البلاد أنّ باستطاعة كل سلالة إبراهيم العودة إلى القدس. وتابع خلفاؤه نفس السياسة. أنظر «فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي» تأليف شاكر مصطفى - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠ ص٤٩٨.

(٣٥) «العرب واليهود في التاريخ» - الدكتور أحمد سوسة. الطبعة الثانية، العربي للإعلان والنشر والطباعة - ص٣٦٣.

(٣٦) نفس المصدر ص٣٦٣.

(٣٧) «الصهيونية واللاصهيونية» خالد القشطيني - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني، المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠. ص٧٣٠.

(٣٨) سفر إشعّيا الإصحاح ٤٩.

(٣٩) سفر إشعّيا الإصحاح ٦٠.

(٤٠) سفر إشعيا الإصحاح ٦١.

التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - ص٢٣٦.

التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزّوق - ص٢٤١ وما يتبعها.

التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - ص٢٦٠ - ٢٦١.

فطير صهيون - العماد مصطفى طلاس - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص١٥٣.

نفس المصدر ص١٥٥.

نفس المصدر ص١٥٦.

العنصرية اليهودية - دكتور جورجي كنعان - دار النهار للنشر - الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص٥٤ - ٥٥.

التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - ص٢٦٥ ٢٦٨.

فطير صهيون - العماد مصطفى طلاس - الطبعة الثانية ص١٥٤ ١٥٥.

التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق. ص٢٧١ - ٢٧٣.

(٤١) البُعد الدولي للقضية الفلسطينية -الدكتور محمد عزيز شكري - الموسوعة الفلسطينية - المجلد السادس القسم الثاني - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠. ص٨.

(٤٢) «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهيوني» - حبيب قهوجي - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى ١٩٨٦ - ص٧.

(٤٣) «التوسعية الصهيونية و(إسرائيل) الكبرى» - خالد عايد - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ - ص٥٣٥ - ٥٣٦.

(٤٤) استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة - حبيب قهوجي - إصدار منشورات الطلائع - دائرة الإعلام بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى ١٩٧٨ص١٨.

(٤٥) «استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة». بإشراف حبيب قهوجي - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية الطبعة الأولى ١٩٧٨ص١٨.

(٤٦) نفس المصدرص١٧.

(٤٧) «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهيوني» - حبيب قهوجي - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى ١٩٨٦ص٩ - ١١.

(٤٨) «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» - الدكتور معاوية إبراهيم - الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ص٧ - ٩.

(٤٩) «استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة» - حبيب قهوجي - ص٦٦ - ٦٧.

(٥٠) «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهّيوني» - حبيب قهوجي - ١٩.

(٥١) «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهّيوني» - حبيب قهوجي ١٩ - ٢١.

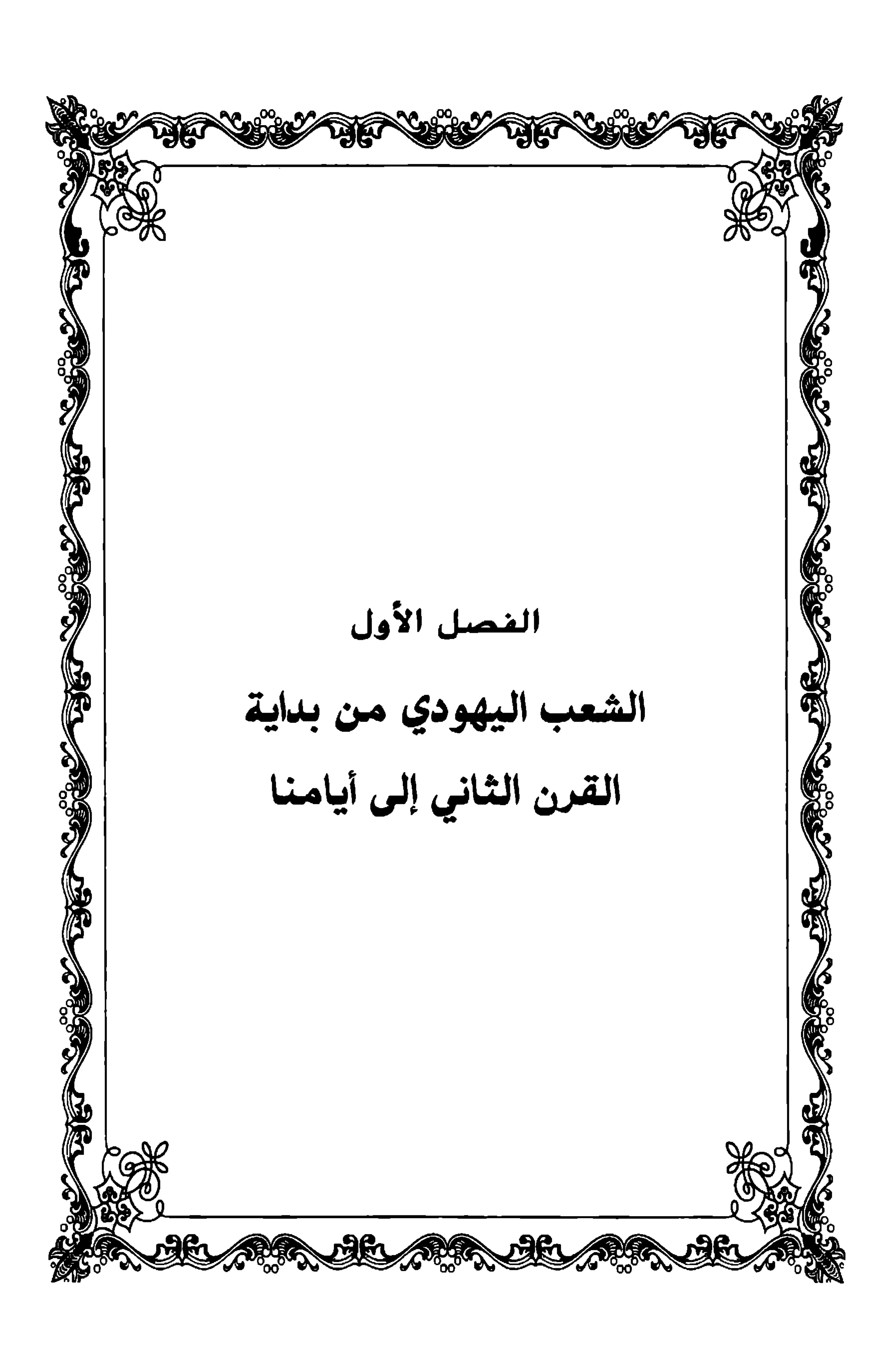
(٥٢) نفس المصدر ص٢٠ - ٢١.

(٥٣) نفس المصدر ص١٧. اليديشية لهجة من لهجات اللغة الألمانية تكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية. وينطق بها اليهود في روسيا وبلدان أوروبا الوسطى وتكتب بأحرف عبرية.

(٥٤) «الصهيونية» - الدكتور عبد الوهاب المسيري - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠ص٢٣٨ - ٢٣٩.

(٥٥) «استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلّة» - حبيب قهوجي - ص٦٧.

(٥٦) «التوسعية الصهيونية و(إسرائيل الكبرى)» - خالد عايد - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ - ص٥٣٧.



الفصل الأول

الشعب اليهودي من بداية القرن الثاني إلى أيامنا

تمهيد

نودّ هنا أن نلقي نظرة سريعة إلى الشعب اليهوديّ، بعد أن سحقت رومة في الدم ثورة ابن الكوكب (بركوخبا) سنة ١٣٥. ترك اليهود أورشليم حيث مُنع تعليم الشريعة اليهوديّة، ولكنهم انسحبوا بترتيب إلى الجليل وظلّوا هناك حتى سنة ٤٢٥ قبل الانطلاق إلى بابل حيث ظلّوا حتى سنة ١٢٠٠.

بدأوا فنظمّوا صفوفهم في مجمع يبنة أو يمنية حوالي سنة ٩٠. اتفقوا على قانون الكتاب المقدّس أو لائحة الأسفار القانونيّة. فأخذوا بقانون فلسطين (في اللغة العبريّة)، وتركوا قانون الاسكندرية الذي يتضمّن الترجمة السبعينيّة اليونانيّة، كما يتضمّن سبعة أسفار وبعض المقاطع التي لا نجدها في النصّ العبري الفلسطيني. لم يعد من كهنوت بعد دمار الهيكل ولم تعد من ذبائح. الصادوقيون المرتبطون بعظيم الكهنة زالوا، فما بقي سوى الفريسيّين الذين لعبوا دوراً كبيراً في جمع التقاليد والنصوص لئلا يضيع أي شيء من الغنى الذي حملوه منذ ألفي سنة تقريباً.

بعد سنة ١٣٥، لاحق الحاكم الروماني المعلّمين، وحرّم الممارسة الدينيّة اليهوديّة. وسُجن القائد الروحي الكبير رابي عقيبة في قيصريّة وعُذّب مع عدد كبير من زملائه وتلاميذه. غير أن هذا الاضطهاد لم يدم طويلاً. ففي أيام انطونين التقي، امبراطور رومة (١٣٨ - ١٦١)، تحسّن وضع اليهود ومعاملتهم. فاجتمع السنهدرين أو المجلس الأعلى في أوشه في الجليل، وجعل من سمعان بن غملائيل «بطريركاً» على اليهود. واعترفت رومة بسلطته الدينيّة كما أقرت بسلطة السنهدرين القضائيّة. عملياً نحن أمام حكم يهوديّ يعقد جلساته في الجليل في بيت شعاريم أو صفوريّة. وكانت في تلك الحقبة نهضة ماديّة وروحيّة، فبُنيت المجامع في كفرناحوم وبيت ألفاً وكفربرعم وميرون وكورزين

وأريحا وغزة.. كما دوّنت في ذلك الوقت المشناة (تكرار الشريعة). ودوّنت التفاسير الملحقة (توسفتا، المضافة) أما المعلّمون فهم «ردّادون» (تنائيم). ١٤٨ منهم ذُكرت أسماؤهم. في القرن الرابع، كانت مصادمة مع الحامية الرومانيّة فدمّرت مراكز طبرية وصفورية واللدّ. وبدأ المركز الفلسطيني بالانحطاط وكان اضطهاد دفع إليه تيودوسيوس الثاني.

وننتقل من فلسطين إلى بابل. منذ القرن السادس ق م، ذهب اليهود إلى أرض بابل، وما عتّموا أن كوّنوا «مستوطنات» حيّة وغنية، فنعمت بمساندة السلطة حتى سنة ٢١١ البرتيين (أو الفراتيّين)، وحتى سنة ٦٤٢ مع الفرس الساسانيّين، وبعد ذلك مع الخلفاء العرب. فاعترفوا جميعاً بسلطة الحاكم اليهودي المستقل «رئيس جلوتا» أو «رئيس» أهل الجلاء أي أهل المنفى. سمّيت تلك الحقبة الحقبة التلموديّة. هناك نجد العدد الكبير من اليهود الذين شكّلوا دولة ضمن الدولة: نهارديا، نصيبين.. وكانت المدارس التي سمّيت «أكاديميات» (يشيبوت) فعلّمت الشريعة اليهوديّة. أما آخر هذه الفترة فسمّيت حقبة «جيونيم» أي رؤساء هذه الاكاديميات الذي سيلعبون دوراً كاد يسيطر على دور «رئيس الجلاء».

سنعود إلى كتابة التلمود فيما بعد، مع «القوّالين» (اموارئيم) بعد «الردادين» (تنائيم). ودوّنت الغمارة فشكّلت مع المشناة، التلمود مع جميع الأسئلة والأجوبة.

نشير هنا إلى حركة يهوديّة في بلاد الخزر (شمال بحر قزوين) سيطرت على الحكم ولم تذهب إلى الانحلال إلّا بعد الهزيمة التي مناها بها الأمير الروسي باروسلاف سنة ١٠٨٣ امتلأت البلاد بالجوامع حتى مجيء التتر سنة ١٢٣٧

وامتدّ اليهود إلى أفريقيا الشمالية، كما وصلوا إلى اسبانيا، فكان لهم عهد ذهبيّ مع العرب. لا ننسى أن ابن ميمون هو من اسبانيا وأنه طبع الفكر اليهودي بالطابع العقلاني. ولكن مع «الموحدين» بدأ الاضطهاد، فهرب اليهود إلى

أوروبا وهناك توسّعوا حتى وصلوا إلى روسيا. ولما اضطهدوا في أوروبا عادوا إلى السلطنة العثمانيّة فشكلّوا «سفراديم» (أي اليهود الذين أصلهم من اسبانيا). كما بدأوا يعودون إلى الأرض المقدّسة: في عالم الزراعة في الريف، في عالم الصناعة ولاسيّما الحياكة في المدن.

نتوقّف هنا بعد هذه المسيرة الطويلة للشعب اليهودي الذي كان في الواقع فئيتن. الفئة الأولى تضمّ اليهود الذين ولدوا من أمهات يهوديّات. والفئة الثانية، اليهود المرتدون. وقد كانت ارتدادات عديدة إلى الشعب اليهودي، ولاسيّما في الشرق مع مملكة حدياب، ومع منطقة الخزر. كما أن عدداً كبيراً من القبائل (كابيليا) في جبال الجزائر ارتدت إلى اليهوديّة قبل أن يردّها الاسلام. تيار روحي طويل النفس، لا يزال حاضراً حتى اليوم. ولكنه اعتبر أن تركيزه في أرض فلسطين من جديد يعطيه غنى لم يكن له حين انتشر في بلدان العالم من فرنسا إلى هولندا إلى انكلترا والولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين واوستراليا. . أظنّ أنه حين يفسّر التوراة بشكل حرفيّ ليطبقها على الحياة السياسيّة اليوم، يضعف من موقفه كما يقلّل من قيمة التوراة التي ليست كتابه وحده، بل كتاب الشرق كله. وحين يريد أن يعزل نفسه في مجبر (غيتو) كما في القرون الوسطى، يحكم على نفسه بالاختناق والموت. فالتفاعل مع الشعوب والأمم هو الذي يغني الجماعات البشريّة.

ذاك هو تاريخ الشعب اليهودي الذي حمل رسالة عبادة الإله الواحد في العالم. حمل رسالة ستأخذ منها المسيحيّة ولكنها تجدّدها تجدّداً تاماً وتفتحها على جميع الشعوب والبلدان والحضارات. وهي رسالة استقت منها تيارات واسعة في هذا الشرق. وهو أدب توراتي يتدارسه العلماء في جميع أنحاء العالم فيقابلونه بسائر ما اكتُشف هنا وهناك من مكتبات. فمتى نتعرّف نحن على تراثنا، متى نتعرّف على تاريخنا وتاريخ كل شعب من شعوب الشرق، علّنا بذلك نعرف أن نتعايش في عائلة واحدة تكون المساواة مبدأنا والمحبة نورنا والايمان بالله الواحد أساس حياتنا؟

أولاً

نظرة عامة حول اليهودية واليهود

إنَّ الرسالات من منبع واحد هو الله تعالى، والإسلام خاتمتها، ولذلك كان أشمل وأكمل، فمن طبيعة اللاحق أن يستفيد بالسابق، وأن يضيف جديداً إليه، ومع أن الرسالات من الله فإنه تعالى أعطى الدواء بقدر طاقة المريض، فكان يعطي البشرية من الهدى والتوحيد بقدر ما تحتمله البشرية، وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفاً ثم اشتد رويداً رويداً، حتى اكتمل نموها بالرسالة الخاتمة.

هذا وتاريخ اليهودية له أثركبير في عقيدتهم، بخلاف غيرهم، فالتاريخ الإسلامي مثلاً ليس ذا أثر في العقيدة الإسلامية.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن أثر أنبياء بني إسرائيل وصورهم في صورة كريمة، وقد انطبق عليهم القانون الإلهي في اختيار الرسل ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥] فأنبياء بني إسرائيل ككل الأنبياء، صفوة أخيار، وعلى عكس هذا نجد حديث التوراة المحرفة عن هؤلاء، فإن الذين كتبوا التوراة لم يراعوا عند الحديث عن أنبيائهم، إلّا ولا ذمة، ولم يبدر في حديثهم أي تقديس لهم أوإجلال، فنسبوا إليهم ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الذوق.

وأما عقيدة بني إسرائيل كما صورها القرآن الكريم فإنه صورها سليمة صادقة صافية، لا تختلف عن عقيدة المسلمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣].

فالعقيدة الأصلية لبني إسرائيل كانت متمثلة في الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، إله الناس جميعاً، والإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أوالعقاب ولكن تغيرت معالم العقيدة هذه مع تحريف التوراة، واختراع التلمود، وتقرير البروتوكولات. فاليهود سرعان ما ثاروا في وجه أنبيائهم، ورفضوا الاستجابة لهم، وطرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء، ثم هاجموهم، وقتلوهم أحياناً، واستبد بهم الضلال والجحود، فعبدوا غير الله، وأنكروا البعث، ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء أبداً.

ولذلك ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

ومن الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بني إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقي للعقيدة وهو السماء، وانساقوا خلف مصادر أخرى، فقد مرت ببني إسرائيل أحداث خطيرة، منذ عاشوا في مصر، ووقعوا بين شقي الرحى في فلسطين، ونفوا إلى بابل، وفي فترة الصراع والتشرد كتبوا العهد القديم ووضعوا التلمود، وبرتوكولات حكماء صهيون - كما سنرى بعد - وأصبحت هي المصادر الواقعية للعقيدة اليهودية(١).

واليهود أمة منعزلة عن سائر الأمم، تكره الاختلاط بغيرها، فهم عاشروا المصريين، ومع ذلك لم يأتلفوا معهم، حتى جاءهم «موسى» عليه السلام، وأخرجهم من مصر، برغم أنهم سادوا أيام «يوسف عليه السلام» وكان يمكنهم أن يمتزجوا مع

أبناء الشعب بصورة كاملة، وعلى مر العصور لازمتهم جبلتهم، فلقد عاشوا في بلدان عديدة مدداً طويلة، ومع ذلك خرجوا منها مطرودين أو محاطين بالكراهية والمقت.

وقد عرف اليهودي المعاصر بأوصافه الخاصة القائمة على حب الذات، والتعصب، ومحاولة فرض السياسة على العالم كله بمنهج مرحلي معتمداً في مسلكه على تعاليم اليهود الأوائل الذين تركوا له كتباً تحدد له المنهج الواجب الاتباع.

فاليهودية بقايا متحجرة، أي أنها مجتمعات استثنائية منعزلة قد بقيت من عصر سابق كما أن المتحجرات سجل باق لأشكال الحياة التي وجدت في الأعصر الخالية[٢].

يقول الأستاذ «عباس العقاد» : «إن أصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها المجتمع الإنساني في جميع الأزمان، فاليهودي «كارل ماركس» وراء الشيوعية التي تهدم الأخلاق والأديان، واليهودي «دور كايم» وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب واليهودي «جان بول سارتر» وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد. مجنحاً بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة»[٣].

لقد عرف التاريخ في بني إسرائيل شر الجماعات التي تصلح أن تكون موضعاً لدراسة الآفات الإنسانيةلمن شاء أن يدرس ويفكر ويعتبر، ولقد حاول بنو إسرائيل ألا تكون طباعهم السيئةمقصورة عليهم، بل شاءت لهم أهواؤهم وسولت لهم أنفسهم وشياطينهم أن يطرحوا الآخرين معهم في حمأة الأخلاق الفاسدة والمنكرات والرذائل فنظموا لذلك المنظمات، وأسسوا المؤسسات، وهذا يجعلنا نؤكد أنهم جناة على الأخلاق، إذ كل رذيلة من رذائلهم المنطوية عليها صدورهم والجاري تعاملهم بها، قد استطاعوا بمهارتهم وكيدهم أن يجروا

الناس إليها، ويطبعوهم عليها زرافات ووحدانا، حتى صار المجتمع العالمي كله اليوم - إلا قليلاً ممن عصم الله ورحم - مجتمعاً يهودي الصفات والأحوال، وإن لم يكن مجتمعاً يهودي الجنس والنسب(٤)..

واليهود لا يؤمنون إلا بالمادة ولا قيمة للمعنويات عندهم، ولا وزن للأخلاق ولا نصيب للروح، ولا مكان للمبادئ، ولا محل للصدق والوفاء، ولا وجود للأمانة والحياء، فهذه أمور لا يعرفها اليهود، ولا تعرفها منظماتهم المنتشرة في العالم، وكذا سائر الصفات التي هي فوق كل الغرائز.

وهذا الإيمان بالماديات وحدها يقضي على مقومات الأخلاق الإنسانية والاجتماعية، بل على حقيقة الإيمان الديني، لأن جزءاً كبيراً من الدين قائم على ما وراء المادة والغيبيات، ومنه «اليوم الآخر» ولذا نرى اليهود لغلبة المادة وسيطرتها عليهم لا يؤمنون باليوم الآخر وما فيه، وليس أدل على ذلك من أن كتبة التوراة أخلوها من ذكر هذا اليوم، فلم تذكر التوراة شيئاً عن الآخرة، ولا عن الملائكة ولم تذكر جنة ولا ناراً، وكل ما تعد به المحسنين مادي دنيوي فحسب(٥). وذكر الآخرة لم يرد في نص واحد أو صريح، وكل ما ورد فيها من إشارات مثل كلمة (آخرتهم آخرتها) فإنه يحتمل أن تؤول إلى نهاية الأمر.

«ولما كانت الحياة الدنيا هي غاية همهم، ومبلغ علمهم، والمادية هي مبتغاهم الأسمى، بل شعارهم الذى يسيرون وراءه لا يضلون عنه، فقد صاروا نفعيين أنانيين يهدمون المبادئ من أجل ذواتهم ويدوسون المصالح العامة في سبيل منافعهم الشخصية، فحملتهم أنانيتهم ونفعيتهم أن يسلكوا كل سبيل ملتو، وكل طريق منحرف للحصول على المال والمنافع، فلم يتورعوا عن الكذب والخداع والغش والنفاق والتضليل»(٦).

وهذه هي التوراة تتحدث عنهم فتقول: «لأنهم - أي اليهود - من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن، كل واحد يعمل بالكذب»(٧).

ويقول الشيخ الإمام محمد أبو زهرة: «لا نجد في اليهود إلا الرياء، وملق الأقوياء والنفاق، وأن يكون للقول ميدان وللعمل ميدان، ولقد أشاعوا النفاق في الأرض حتى توهم الناس أن من لم ينافق ليس بكيس، ومن لم يتملق لم يؤت الحكمة، ومن لم يداهن فهو أحمق، ومن لم يماليء على الشر فهو داع إلى الفتنة، مثير للسوء، ومن يجهر بالحق فهو معاند مثير للشغب. .

إلى أن قال: ولقد نشروا النفاق في الأرض كلها وبثوا له الدعاية بأسماء مختلفة، فمرة بأنه الحكمة وأخرى بأنه الكيس، وثالثة بأنه السياسة الناجحة، حتى أشاعوا بين الناس أن السياسة والأخلاق لا يجتمعان، وذلك قول الزور، ولقد قرر الحكماء حقاً وصدقاً أن من يقول إن الأخلاق لا تجتمع مع السياسة لم يفهم الأخلاق ولا السياسة، فالسياسة الفاضلة هي والأخلاق متلازمتان لا تنفصلان»(٨).

تراهم ينافقون الأقوياء والكبراء والحكام في سبيل أطماعهم والوصول إلى أغراضهم المادية الدنيئة، ويغدرون بالعهود، ويخونون الأمانات ويفجرون في الخصومة، وتلك أهم خصال النفاق تجمعت في اليهود وعلى رأسها خصلة الكذب، إنها شر صفة يتصف بها إنسان على الأرض فهو أساس النفاق والكفر والفساد. وعلى هذه المبادئ أسسوا منظماتهم الدولية، وأقاموا تنظيماتهم السياسية والاقتصادية. . لقد اعوجت نفوس اليهود فأبت إلا أن تحول حياة البشر إلى جحيم، وتسعى لكي تضع نفسها في القمة فوق بني آدم - ولو على جماجم البشر وأشلائهم - مستخدمة في ذلك كل الوسائل ولو كانت الحروب المدمرة للعالمين، فماذا فعلوا من جنايات تقضي، أو قضت على المجتمع الإنساني؟ وما أقاموا من منظمات؟فى بحثنا هذا جواب مختصر لأهم ما فعله اليهود مع المجتمع الإنساني بصفة عامة ومع المسيح والمسيحيين بصفة خاصة، والله الموفق.

ثانياً

تاريخ المنظمات اليهودية
أو «جذور الفكر اليهودي»

إذا درسنا التاريخ للعبرة والعظة وتعمقنا في أغواره، ورحنا ندرس تاريخ عدونا لنتعرف على مواضع قوته ومكامن ضعفه وعلى أساليبه وخططه، وعلى مؤامراته الكيدية، فإن اليهود يكونون في الدرجة الأولى. وصدق الله العظيم القائل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢]. يُستقى تاريخ اليهود من مصادرهم وما يتعلق ببداية تاريخهم، واليهود منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ العالمي وهم يغلفون تاريخهم بالأسرار والألغاز، ويظهرون من أمور حياتهم غير ما يبطنون. فتاريخهم كله ليس إلا صراعاً بينهم وبين إمبراطوريات عظيمة، وأمم كبيرة كانوا يعيشون في كنفها بصفتهم قلة قليلة مستضعفة ذات نشاط أوسع من إمكاناتها، وأطماع أكبر من أن تحتملها تلك الإمبراطوريات والشعوب التي كانت تبتلى بها، فلجأوا لذلك إلى أسلوب الضعيف المستضعف المراود، أسلوب الكذب والغش والعمل في الخفاء، وانسحب ذلك على تاريخهم كله، فلايعرف العالم حتى اليوم ماذا يريده اليهود، بينما اليهود يعرفون بالضبط ماذا يريدون؟ وماذا يراد منهم؟

فتاريخ اليهود إذاً تاريخ مبهم غامض لا يُعرف منه إلا ما يستنتجه الناس أو ما يقدمه اليهود لهم منه على أطباق من الزيف والتعالي والضلال والتضليل، حتى التوراة التي بأيديهم وهي المصدر الأساس لليهود احتوت على كثير من الخرافات والأساطير وعلى أمور خيالية تناقض الحقيقة والواقع، وملئت بالكذب والزيف والتضليل كطبيعة اليهود - أصحاب هذا الكتاب.

لقد حاول اليهود قديماً - وما زالوا يحاولون حديثاً - هدم الفوارق والحدود بين تسميتهم بالعبرانيين وبني إسرائيل والساميين والموسويين ليدخلوا في روع الناس أنهم جميعاً من نسل أسباط يعقوب (إسرائيل) حتى يرجعوا بنسبهم إلى «إبراهيم» أبي الأنبياء والمرسلين، فهم بذلك الأشرف جنساً، والآصل نسباً، والأصدق ديناً، فهم الأصل وهم شعب الله المختار، وما عداهم من الأمم والشعوب ليسوا إلا جداول وروافد تنبع منهم وتصب فيهم.

إنها عقدة النقص التي تحكمت في اليهود منذ أن وجدوا، فأورثتهم حب التعالي والفخر الزائف لدرجة أنهم مايزالون يزعمون بأن (الغوييم) أو (الجوييم) أي «الأغيار» ما خلقوا على هيئة البشر إلا ليخدموهم ويسبحوا بحمدهم، وليعترفوا بأفضليتهم عليهم، ولا يزالون يزعمون بأن كل ما في الأغيار من مال ومتاع إنما هو ملك خالص لهم، يجب استرداده منهم بكل وسيلة ممكنة، أخلاقية كانت أو غير أخلاقية.

وليس من تعليل لهذه الترهات، سوى أن اليهود كانو يشعرون دوماً بشعور الطفولة، لأنهم كانوا على امتداد تاريخهم الطويل ضعفاء مستضعفين، لا وزن لهم في نظر من كانوا ينزلون في كنفهم ويحتمون بحرابهم.

فعوضوا ذلك بفخر زائف، ولذلك كرههم الناس ونبذوهم، ولهذا طاردهم التاريخ منذ أن حاولوا تسلقه، وعزلهم حقدهم، وإجرامهم منذ أن حلواً بين الناس لدرجة أن قال فيهم «جوستاف لوبون» : «كان بنو إسرائيل أخلاطا من شعوب جامحة تشكل مجموعة بدوية غير متجانسة من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو ونهب القرى الصغيرة حتى تقضي عيشاً رغيداً لبضعة أيام ثم تعود إلى حياة التيه والبؤس»(٩) .

وكانوا يضطهدون ويعذبون وينفون بسبب تعاليمهم وحقدهم وإجرامهم، وما يحدث الآن في إسرائيل خير مثال على ذلك.

هذا.. ولا نشذ ولانشطح إذا رحنا نؤكد بأن المنظمات اليهودية قديمة بقدم البشر، فهي أقدم من اليهود أنفسهم بعشرات القرون، وكيف ذلك؟

إن تاريخ المنظمات اليهودية يرجع - في الأصل - إلى «سام بن نوح» والذي أخذت منه اسم «السامية» التي يطنطن بها اليهود في هذه الأيام، والتي تلقفتها المنظمات اليهودية وأسقطت عليها ما شاءت لتحقيق مصالحها ومخططاتها، وحقدها أيضاً، ونسجت حولها الخرافات والأضاليل التي حورتها وطورتها بشكل بدا مقبولاً للجهلاء والسذج والبسطاء.

وتكمن البداية في تلك القصة التي ذكرتها التوراة المحرفة، إنها قصة «سام وحام، ويافث، وأرفكشاذ» تلك التي أراد بها اليهود قديماً، والصهاينة حديثاً، تحقيق سيادتهم على العالم، حيث نسج مؤلفو التوراة قصة طويلة ملفقة، مؤداها أن «حاما» وهو أبو كنعان، جد الكنعانيين كما تزعم التوراة - أنه رأى أباه في خيمته سكران يرقص عاريا، فأخبر إخوته بذلك، فاستطاع «سام» - جد بني إسرائيل - كما تزعم التوارة أيضاً - بلباقته وذكائه، أن يغطي غباوة أخيه، وسوأة أبيه، ولهذا فإن «نوحا» حين أفاق من سكرته وعلم بالأمر، دعا على «حام» بأن يصبح عبد العبيد لإخوته، وأن تصبح ذريته من بعده عبيداً لذراريهم[١٠]. وبناء على ذلك فأبناء «حام» - أي الكنعانيون العرب - أنذال، أغبياء، ملعونون، وأبناء «سام» - أي بنو إسرائيل - كرماء، أذكياء، بعيدون عن اللعنة.

وما جنس الكنعانيين الملعون - بحسب ما جاء في سفر أشعياء، والقضاة- إلا ذلك الجنس الذي كنا نتطلع إليه عبر القرون من بلاد اليونان باعتباره أب الكتابة والتجارة والحضارة.

وهذا - كما ترى - دس رخيص، ومزاعم تتناقض مع الحقيقة والواقع. ولقد تلقف الصهاينة والمخادعون والمخدوعون هذه النظرية فنادوا بما نادى به آباؤهم وأجدادهم في توراتهم من قبلهم، فزعموا بأن فلسطين ملك إلهي خالص لهم، وأن عرب فلسطين - أبناء الكنعانيين - عبيد خلص لسيادتهم، «فحام» - أبو كنعان - ملعون، والله قد وعد أباهم «إبراهيم» - كما وعد إسحاق ويعقوب ومن جاء بعدهم من الأنبياء بأن الأرض والمال لأبناء «سام» الشرفاء الأخيار، وليس لأبناء «حام» الأنذال الأشرار إلا الخزي والعار!!

ومن المفارقات الغريبة أن هؤلاء حين يعدون الشعوب السامية يضعون العرب والكنعانيين على رأسها - وهو كذلك - مع أن التوراة تذكر بأنهم «أولاد كنعان بن حام» وليسوا «بأولاد سام،» فهل الكنعانيون من نسل «سام» أم من نسل «حام أبوكنعان» ؟!! والسامية، واللاسامية دعوة حديثة اختلقها اليهود في بلاد الغرب - في أوروبا وأمريكا بوجه خاص - ليستروا بها عوراتهم وسخائمهم، وليحصلوا بها على امتيازات خاصة،وكذلك ليتخلصوا بها من أعدائهم ومنافسيهم بزعم أن العداء الذي يظهره الأغيار لليهود ليس بسبب جرائم اليهود وحقارتهم، ولكن بسبب نقاء جنسهم واتساع مداركهم، وتفردهم بامتلاك الثروة والمال. ؟!

والغريب أن الذي افترى فرية «اللاسامية» هذه، هم يهود من شرق أوروبا لا يمتون للعبرانيين ولا لبني إسرائيل بصلة، لأنهم من أصول مغولية تترية خزرية، فهم ليسوا من نسل «سام» المزعوم، فيزعمون وجود السامية فهي تعود عليهم. ! فلم إذاً اخترع اليهود فرية «اللاسامية» لغيرهم؟

لقد اخترعوها لأسباب كثيرة من نسج خيالهم، وكما قال «هرتزل» :(لو لم تكن «اللاسامية» موجودة لوجب علينا إيجادها) وهرتزل هذا يعرف تماماً أبعاد قوله هذا.

إن اليهود قد اضطهدوا وعذبوا ولوحقوا، لأنهم لم يستطيعوا طيلة تاريخهم الطويل أن يتهجوا كلمات التعايش الإنساني الكريم، ولم يستطيعوا أن يهضموا حتى الآن كلمتي الحق والعدل. ومن ثم استخدموا كلمة «السامية» (صابونا) يغسلون به عرق أبدانهم النتنة التي لاحقتهم مع جرائمهم البشعة ومع هذا فإنهم يطلقون كلمة «السامية» على كل اليهود، مع أن أكثر من تسعين في المائة منهم لا ينتمون لأصول سامية.

ومن هنا فقد أصبحت المعركة شرسة بين الكيان الصهيوني المصطنع الذي يدعي السامية وغيره، ومن هنا فإن إسرائيل تتبجح اليوم بأنها منارة الشرق،

المؤهلة لإحيائه وبعثه، وموئل «الديمقراطية» في منطقة لم تسمع بها. فإسرائيل هذه بنت الصهيونية الحاقدة أحيت - وما زال تحيي - كل يوم في منطقتنا العربية النازية العنصرية المتغطرسة، والتميز العنصري المتعالي، فهل حقاً ما تزعم إسرائيل، وما يدعيه اليهود؟!!![١١].



ثالثاً

مبادئ اليهودية، وحدانية الله

حين نتحدّث عن المبادئ نشير إلى أمور عديدة. إلى الأصل، إلى الينبوع، إلى السبب الأول. عند ذاك نتوقّف عند التوراة أو أسفار العهد القديم، ولا ننسى التقليد الشفهي الذي نجده في خطّ يبدأ في المشناة وينتهي في تلمود بابل الذي دوّن في القرن الخامس ب م. هذا دون أن ننسى الترجوم وسائر التوسّعات اليهوديّة. وقد نشير حين نتحدّث عن المبادئ إلى العناصر التي تؤسّس جماعة أو شعباً أو ديانة. في هذا المعنى نتّخذ لفظة مبادئ في موضوعنا: «مدخل إلى مبادئ اليهوديّة». فنتوقّف عند ثلاثة أمور: وحدانية الله، شعائر العبادة، نظرة بني إسرائيل إلى أنفسهم على أنّهم الشعب المختار، وإلى علاقتهم بسائر الشعوب.

ونبدأ بالحديث عن وحدانية الله، عن المونوتاويّة أو التوحيد.

المونوتاويّة أو عبادة الله الواحد، تدلّ على شكل من الديانة، لا يوجد بحسبه سوى إله واحد. فبقدر ما نفهم المونوتاويّة في المعنى الحصري، أي الاعتقاد بإله واحدِ، ونفي واضح لجميع الآلهة الأخرى، نستطيع أن نتحدّث عن أصل مهمّ من أصول الديانة اليهوديّة التي تتلو كل يوم صلاة شماع: «إسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد» (تث ٦: ٤).

كيف وصل بنو إسرائيل إلى المونوتاويّة، بعد أن بدأوا بعبادة الآلهة المتعدّدة؟ كيف توصّلوا إلى الاعتقاد بإله واحد دون سائر الآلهة؟ وكيف تركوا جميع شعائر العبادة التي لا تتوجّه إلى يهوه، الإله الذي أخرجهم من مصر بيد ممدودة وذراع قادرة؟ نتوقّف هنا عند ثلاث محطات: عبادة الآلهة المتعددة التي

يشير إليها يشوع في عهد شكيم. الهينوتاويّة التي هي خطوة إلى المونوتاويّة لم تكتمل بعد: تعترف بإله واحد تعبده، ولكنها لا تستبعد وجود سائر الآلهة. قد نقرّب هذه اللفظة من «مونولاتريا» التي تعني عبادة إله هو فوق سائر الآلهة.

جمع يشوع أسباط إسرائيل في شكيم وقال لهم: «في عبر النهر سكن آباؤكم منذ القديم، تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى» (يش ٢٤: ١ - ٣). هذا ما أعلنه يشوع عن جذور الشعب العبراني. ولا ننسى أن اسم تارح يرتبط بالإله القمر (ي ر ح). نشير هنا بالنسبة إلى ابراهيم أنه عرف العبادة الوثنيّة في بيت أبيه، ولكنه حطّم الأصنام، كما تقول التقاليد اليهوديّة. ولا ننسى أن راحيل أم يوسف وبنيامين، لم تتخلّ عن الآلهة التي عرفتها في حاران، بل حملتها معها إلى أرض كنعان (تك ٣١: ٣٠ - ٣٤).

عرف الآباء في ترحالهم آلهة «المناطق» التي كانوا يحاذونها. عرفوا إيل بيت إيل، وتعاهدوا مع أهل شكيم. أما يعقوب فكانت له معاهدة مع لابان الآراميّ ومع آلهته، فدخل في عهد معه وحلف باسم غير يهوه: «إله إبراهيم وإله ناحور»، أي إله الشعب العبراني وإله الشعب الآرامي. ونتذكّر سليمان الحكيم نفسه. لاشكّ في أنه بنى هيكلاً للرب لم يكن مثله. ولكنه بنى أيضاً هياكل لآلهة نسائه. يقول ١ مل ١١: ٤ - ٨: وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه ملن بقلبه إلى اتّباع آلهة غريبة.. وتبع سليمان عشتاروت إلهة الصيدونيّين، وملكوم رجس (هكذا سمّاه الكاتب الاشتراعي، لا سليمان) بني عمون.. حينئذ بنى سليمان على الجبل الذي تجاه أورشليم (أي جبل الزيتون. سوف يسمّى في ٢ مل ١٣:٢٣ جبل الخراب) مذبحاً عالياً لكاموش رجس موآب، ولمولك رجس بني عمّون. وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يقدّمن البخور ويذبحن الذبائح لآلهتهن.

وهكذا نكون قد انتقلنا من عبادة الآلهة المتعدّدة «التي عبدها آباؤكم (أي آباء الشعب العبراني) في عبر النهر، أو آلهة الأموريين الذين أنتم مقيمون بأرضهم» (يش ٢٤: ١٥)، إلى عبادة إله واحد لا ينفي وجود آلهة أخرى. هذا

ما سميناه «الهينوتاويّة». لا شك في أن المقام الأول هو ليهوه في نظر سليمان. وقد بنى له هيكلاً على التلّة. ولكنه بنى أيضاً على التلال المجاورة مذابح وهياكل لآلهة نسائه. هنا نتذكّر أيضاً ما فعله أخاب من أجل زوجته إيزابيل، بنت اتبعل ملك الصيدونيّين: «عبد البعل وسجد له. وأقام مذبحاً للبعل في بيت بناه له في السامرة» (١ مل ١٦: ٣١ - ٣٢). فكأنه قد صار في السامرة هيكل للبعل، كما في أورشليم هيكل ليهوه. ويتابع النص فيقول إن أخاب «أقام أشيره» أي نصباً مقدّساً يدل على إله كنعاني قديم عُرف في أوغاريت، وتماهى فيما بعد مع عشتاروت.

وهكذا اعتبر الشعب العبراني أن إلهه هو يهوه. وأن لكل شعب إلهه. فبابل يحميها الإله مردوك. وبنو عمون يحميهم مولك. وبنو موآب يحميهم كاموش. وهكذا دواليك. أما ما نجده من صفات تحقّر هذه الآلهة (رجس. .)، فقد زيدت فيما بعد على ضوء الاصلاح الاشتراعي الذي تمّ في أيام يوشيّا في الربع الأخير من القرن السابع. بل كانوا يعتبرون أن الله قدير في أرضه، لا في سائر ممالك الأرض. إنه حاضر في الأرض المقدّسة وحسب، كأني به حارس يقف على حدود البلاد كي يحمي شعبه. هنا نتذكّر خبر داود الذي أجبر على الهرب من أرض الربّ إلى أرض الفلسطينيين. اعتبر أنه لم يعد في حماية الله، أنه مدفوع لأن يعبد آلهة أخرى لأنه ذهب إلى بلد آخر. قال لشاول: «نفوني (الأعداء) اليوم. . ومنعوني (أو قطعوني) من الانضمام إلى ميراث الرب قائلين: اذهب وأعبد آلهة أخرى. والآن أرجو أن لا يسقط دمي على الأرض بعيداً عن وجه الرب» (١ صم ٢٦: ١٩ - ٢٠).

أرض إسرائيل هي أرض الرب. وسائر الآراضي تخصّ سائر الآلهة. لهذا، يتعبّد الناس لإله المكان. في هذا المجال نفهم معنى سفر طوبيا: فمع أن طوبيت والد طوبيا يعيش في المنفى، إلّا أنه يحفظ الشريعة حتى في ما يخصّ العشور. بل هو يمارس أعمال الرحمة مثل إطعام الجياع ودفن الموتى. فالله حاضر في أرضه، كما هو حاضر في المنفى حيث يقيم شعبه. ويخبرنا حزقيال

النبيّ أن «مجد الرب ارتفع من وسط المدينة (أورشمليم) ووقف على الجبل الذي في الشرق» (أي جبل الزيتون) (٢٣:١١). أجل، ترك الله المدينة، ووقف ينتظر الذاهبين إلى المنفى لكي يذهب معهم. وحين يعودون سوف يعود معهم. قال حز ٤٣ : ٢ : «فإذا بمجد إله إسرائيل قد أتى من طريق الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة، والأرض قد تلألأت من مجده».

في هذا الإطار أيضاً نفهم الحكم القاسي على اليمالك زوج نعمي وابنيه محلون (زوج عرفة) وكليون (زوج راعوت) لأنهم تركوا أرض الآباء وذهبوا إلى أرض غريبة ونجسة، إلى أرض موآب. كما نفهم النظرة المعجبة إلى راعوت الغريبة التي قالت لحماتها نعمي: «حيثما ذهبت أذهب، وحيثما أقمت أقيم. شعبك يكون شعبي وإلهك إلهي. وحيثما تموتين أموت، وهناك أدفن» (را ١ : ١٦ - ١٧). كما نفهم ما فعله يونان حين توجّه إلى الغرب، حاسباً أن يد الرب لا تصل إلى هناك، كما أنها لا تستطيع أن تصل إلى الشرق. ولو وصلت إلى هناك لمنعت الأشوريين بعاصمتهم نينوى من التنكيل بسكان الأرض. ولكنه سيفهم فيما بعد أن يد الرب تصل إلى البحر وتحرّكه من أجل مشاريع الخلاص، تصل إلى ترشيش آخر حدود العالم. تصل إلى نينوى وتدعوها إلى التوبة فتتوب. الله هو إله أورشليم وهو إله نينوى. بل إن ما فعلته نينوى لم تفعله أورشليم. هي تابت ولبست المسح. «لكن إسرائيل لم يعرف وشعبي لم يفهم». (أش ١ : ٣).

ماذا نستخلص من كل هذه المعطيات؟ قبل موسى، عبدَ الآباءُ الله تحت أسماء مختلفة: إيل، الوهيم، يهوه، عولام أو إله الآباد (تك ٢ : ٣٣). روئي أو الإله الذي يُرى أو يتراءى ويظهر (تك ١٣:١٦). هو الإله العليّ، عليون (تك ١٨:١٤ - ٢٠)، هو شداي أي الإله الشديد أو إله الجبال لأنه هناك يُعبد في الحالات العاديّة (تك ١٧ : ١؛ ٣٥: ١١). عُبد على جبل الرب في شمالي لبنان. عُبد على جبل حرمون، كما عُبد على جبل الأقرع، جبل صافون، شمالي أوغاريت. ويقول خر ٦ : ٣ إن شداي هو الاسم الذي به كشف الله عن نفسه للآباء. ونلاحظ بشكل خاص علاقة هذا الاله بالأشخاص: إله ابراهيم (تك

٢٤: ١٢ - ٢٧). إله اسحاق (تك ٤٦: ١ - ٣). إله ابيك (تك ٤٩: ٢٥). إله آبائك (خر ٣: ١٣). قويّ يعقوب (تك ٤٩: ٢٤) لأنه يعطي القوة ليعقوب. ورعب (أو قريب) يعقوب (تك ٣١: ٤٢ - ٥٣).

لا نفسّر هذه الأسماء المتعدّدة وكأننا أمام آلهة متعدّدة. فالعهد القديم يعارض «إله الآباء» مع «سائر الآلهة» (تث ٢٩: ٢٤؛ قض ٢: ١٢). هي بالأحرى طريقة نعبّر فيها عن تواصل الأجيال التي خضعت لربّ الشعب. وقوّة هذا الإله وسلطانه لا ينحصران في موضع واحد (تك ١٨: ٢٥)، ولا في مجموعة واحدة (تك ١٢: ٣)، مع أن غير اليهود يعتبرونه إلهاً خاصاً بإسرائيل (تك ٢٨: ٢٦؛ ٢٧: ٣٠). ومع أن العبرانيّين لا ينكرون وجود آلهة أخرى تعبدها شعوب أخرى (تك ٣١: ٣٥).

ولعبت شخصيّة موسى دوراً هاماً في تطوّر المونوتاويّة. فإله الآباء (خر ٣: ١٣، ١٥) كشف عن نفسه لموسى باسم يهوه، اسم الله الذي هو بالحقيقة، باسم الإله الذي يُعلن عن نفسه عاملاً من أجل شعبه المضطهد (خر ٢٧: ٧). فحين خلّص الله بني إسرائيل من عبودية مصر، جعل من هذا الشعب ملكه الخاص (خر ١٩: ٣)، عروسه (هو ٢: ١٦؛ إر ٢: ٢؛ حز ١٦: ٨، ١٤)، وعقد معه عهداً (خر ٣: ٢٤ - ٨؛ ٣٤: ١ - ٣٥). وهكذا صار إسرائيل شعبه موحّداً، يجتمع حول يهوه كما حول راية بها يرتبط بالرب وهي تحوي الوصايا العشر.

حين حرّر الرب شعبه، دلّ على أنه الإله الحيّ. هو يفعل كشخص حرّ، كالإله السامي وسيّد الكون (خر ١٥: ١٨: ١٩: ٩؛ عد ٢٣: ٥١). هو سيّد شعبه وسيّد البشر جميعاً. ففرعون نفسه يهاب هذا الإله. فبالأحداث المؤثرة التي رافقت بنود عهد سيناء (خر ٩: ١٩، ١٢ - ١٦)، دلّ الله على أنه الإله القدّوس والرهيب. مثل هذه الديانة تُعتبر ديانة توحيدية، مونوتاويّة، وإن لم تنكر أخبارُ الخروج وجودَ آلهة أخرى (خر ١٥: ١١).

وأقام الشعب على أرض فلسطين. وأخذ بعادات الكنعانيّين، كما أخذ بالنظم الدينيّة والعباديّة في البلاد. عُبد الرب كالإله الوطني، الذي هو الرباط الرئيسي بين القبائل المشتّتة. وعُبد معه البعل وعشتاروت الكنعانيين ثم آلهة الفينيقيّين والأشوريّين والبابليّين (قض ٢: ١١ - ١٣؛ ٣: ٧ - ٨؛ ١ مل ١٤: ٢٢ - ٢٤؛ ١٦:٣١ - ٣٤؛ ٢ مل ٢١:٢ - ٧). وهكذا وُلدت ديانة شعبيّة تلفيقيّة لم يستطع إصلاح حزقيا أن يقتلعها، ولا إصلاح يوشيّا.

وندّد الأنبياء بقوّة بهذه الانحرافات. فوضع إيليا النبيُّ الشعبَ أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا يهوه، وإمّا البعل (١ مل ١٨: ٢١). وشدّد عا ٣: ٢؛ ٥: ٨؛ ٧: ٤؛ ٩:٨ على العدالة التي تدلّ على أن الشعب يعبد الرب حقاً. وحدّثنا هوشع عن علاقة الحب بين الرب وشعبه (٣: ١؛ ١١: ١). بعد ذلك من عبد آلهة أخرى، كان كأنه زنى، أي خان الرب كما تخون المرأة زوجها. وفي نظر أشعيا الثاني، يهوه هو وحده الإله الحقيقي. وهكذا ما اكتفى هذا النبيّ بأن ينكر سلطة سائر الآلهة. بل اعتبرها غير موجودة: نفى وجود آلهة غير الإله الواحد (أش ٤٠: ١٩ - ٢٠؛ ٤١:٧؛ ٤٤:٩ - ٢٠). أما الأصنام فهي ضعيفة لا قوة لها. هي عمل إنسان صنعها (أش ٢:٨ - ٢٠). فماذا يكون مثل هذا الإله؟ وحارب إرميا عبادة الأصنام، وشدّد حربه. وهكذا استلهمت كرازة الأنبياء التوحيد النقيّ الصافي الذي لا التباس فيه ولا مساومة.

وعى الأنبياء أنهم لا يقدّمون تعليماً جديداً، بل اعتبروا أنهم يستندون إلى وحي يعود إلى زمن موسى. وهذا الزمن كان زمن العلاقة المثاليّة الكاملة مع الربّ، زمن الحبّ الأول بين يهوه وشعبه (إر ٢: ٢؛ حز ١٦: ٣ - ١٤؛ هو ٢: ١٤ - ٢٤). ويصل صراع الأنبياء مع واقع الشعب، إلى البعد الشامل لإيمان إسرائيل، كجواب جديد لمسألة عبادة الأوثان والتلفيق الدينيّ: إن سلطان يهوه يمتدّ إلى جميع الشعوب وهو يحمل إليهم الخلاص (أش ١٨:٧ - ٢٠؛ ٨: ٧ - ١٠؛ إر ٤٧:٤٦)، كما فعل حين أرسل يونان إلى نينوى المدينة الوثنيّة الخاطئة.

وخلاصة القول، بدأ الآباء في عبادات آلهة عديدة، ومرّوا في ما سمّيناه الهينوتباويّة التي تعبد إلهاً ولا تنكر الآلهة الأخرى لدى الشعوب الغريبة. وسيكون تطوّر بطيء نابع من قلب شعب إسرائيل، يصل بنا إلى المونوتاويّة في أجلى نقائها في زمن المنفى. فيُعلن أشعيا الثاني بلسان الرب: «لا إله غيري» (٤٥: ٢١). «لم يكن إله قبلي، ولا يكون بعدي، أنا الرب ولا مخلّص غيري» (٤٣: ١٠ - ١١). «أنا الأول والآخر، ولا إله غيري» (٤٤: ١٦). وهكذا نكون قد وصلنا إلى مونوتاويّة مطلقة تنفي نفياً واضحاً وجود آلهة غير الإله الواحد. ذاك هو الخطّ الذي سار فيه الاسلام. عُبد الله بجانب آلهة القبائل ولكن الاسلام استبعد كل هذه الآلهة وقال: لا إله إلّا الله. هذه المونوتاويّة قد أخذت بها المسيحيّة، ولكنها رفعتها حين وصلت بها إلى التعليم الثالوثيّ، الله واحد في ثلاثة أقانيم، الآب والابن والروح القدس.



رابعاً

شعائر العبادة في العالم اليهوديّ

كانت المونوتاويّة أو عبادة الله الواحد المبدأ الأول الذي درسناه حين أجملنا المبادئ اليهوديّة في ثلاثة مبادئ. أمّا المبدأ الثاني فهو العبادة أو بالأحرى شعائر العبادة التي هي أفعال خارجيّة نعبّر فيها عن إكرامنا لله، عن تعبّدنا وسجودنا له، عن إعلان ارتباطنا به وحاجتنا إلى عونه وبركته.

في كل الديانات، تقيم العبادةُ بشعائرها، علاقات بين الله والانسان. وحسب التوراة، مبادرة هذه العلاقات تعود إلى الله. النداء من الله، والجواب من الانسان، وجوابه جواب سجود في شعائر عبادة تأخذ شكلاً جماعياً. العبادة هي عمل الجماعة. وهي لا تعبّر فقط عن حاجة الإنسان إلى الخالق الذي به يرتبط ارتباطاً تاماً، بل هي تُتمّ فرضاً واجباً: إن الله اختار له شعباً ليخدمه وبالتالي يكون شاهداً له. فعلى الشعب المختار أن يقوم بالمهمّة الملقاة على عاتقه فيقدّم له العبادة. هنا نتذكّر في العبريّة كما في العربية ما يحمل فعل عبد ومشتقاته من غنى. عبد الله أي وحّده، خدمه، خضع وذلّ وأطاع له. وتعبّد أي انفرد للعبادة والنسك. واستعبد أي صار عبداً لله في الطاعة لوصاياه والتعلّق به.

ونودّ أن نذكر التاريخ القديم لكي نفهم أساس فعل «عبد». فالآلهة الصغار تعبوا من خدمة الآلهة الكبار. لهذا قرّروا أن يخلقوا الإنسان ليقوم عنهم بأعمال «العبيد». كم نحن بعيدون عن سفر التكوين حيث الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله. كم نحن بعيدون عن روح الجنّة حيث يعمل الله مع الانسان، كالصديق مع صديقه، وعند المساء يتمشّى معه ويتحدّث.

إن العبادة في الكتاب المقدّس ولدى الشعب اليهودي، قد تبعت مسيرة العبادة لدى كل الشعوب القديمة في الشرق والغرب. فهناك أماكن العبادة. كانت في البريّة خيمة سمّيت خيمة الاجتماع. فيها يلتقي موسى بالله. ويحمل إلى الشعب نتيجة لقائه بالله. هذه الخيمة كانت في وسط الخيام لتدلّ على أن الله يقيم في وسط شعبه. أو تكون بعيدة عن الخيام للدلالة على أن الله هو الآخر الآخر الذي لا يُدنى منه. هو نار محرقة. ولما تحوّل العبرانيون من البدو إلى الحضر، أخذوا بالمعابد التي وجدوها في أرض كنعان، في بيت إيل وشكيم وحبرون وبئر سبع. وكانت محاولة إصلاح وجدت نقطتها الأخيرة مع يوشيا في نهاية القرن السابع ق م. ألغيت كل المعابد المحليّة، فلم يبقَ سوى هيكل أورشليم الذي فيه تُذبح جميعُ الذبائح. ولما هُدم الهيكل الأول سنة ٥٨٧، توقّفت الذبائح إلى أن أعيد المذبح بانتظار عودة الهيكل. ولكن لما هُدم الهيكل الثاني سنة ٧٠ ب م. زالت الذبائح وزال الكهنوت من الشعب اليهودي. واليوم يمارس اليهود شعائرهم بدون كهنة ولا ذبائح، ولا هيكل. تشير الرسالة إلى العبرانيّين إلى هذا الوضع، ولكنها تنقل النظرة من شعب إلى شعب، من شعب سار وراء موسى إلى شعب سار وراء المسيح، الذي هو الذبيحة الوحيدة، الذي هو الهيكل وموضع حضور الله على الأرض، الذي هو الكاهن الوحيد الذي لا يحتاج أن يقدّم ذبائح عن نفسه وعن الشعب. فقد قدّم ذاته مرّة واحدة في ذبيحة روحيّة فكان علّة خلاص لجميع البشر.

كان الهيكلُ موضعَ حضور الله واجتماع الجماعة. ولما تشتّت الشعب اليهوديّ أخذ يبني المجامع في كل موضع يُوجد فيه على الأقل عشرةُ رجال. فالمجمع أو الكنيس هو موضع الاجتماع يوم السبت والصلاة. وهو المدرسة الدينيّة. في المجمع يتلون صلاة «شماع»، إسمع يا إسرائيل وغيرها من الصلوات، يقرأون من التوراة بالمعنى الحصري للكلمة، ومن أسفار الأنبياء. وبعد ذلك تأتي العظة. هناك موظّفون في المجمع، لا كهنة.

أما مركز حضور الله، الوسيط بين الله والشعب، فهو الكتاب المقدّس.

بواسطة الكلمة التي أوحيت في الماضي إلى موسى والأنبياء، يتّصل الإنسان بالله. وأظنّ أن هذا هو الوضع بالنسبة إلى الاسلام حيث القرآن هو الوسيط بين الله والانسان.

وهناك الأزمنة المقدّسة. السبت أولاً الذي تفرعّ منه الفعل «سبت» أي استراح. ففي أساس السبت، تطلب الشريعة من المؤمن أن يستريح كما استراح الله بعد أن عمل «ستة» أيام في خلق العالم (تك ٣:٢). وتقول الوصية التي تلقّاها موسى على الجبل: «أذكر يوم السبت وكرّسه (قدّسه) لي. في ستة أيّام تعمل وتنجز جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك (نهار لا يخصّك فتتصرف به كما تشاء، بل هو لله). لا تقم فيه بعمل ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وجاريتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وكرّسه له» (خر ٢٠: ٨ - ١١).

يبدو أن السبت (أو: الراحة) الأسبوعي أمر خاصّ بإسرائيل، ولا يجد ما يوازيه في العالم القديم. لا شك في أننا نجد في العالم السومري والبابلي «ش ف ت و»، وهو عيد شهري يقع في اليوم الخامس عشر من الشهر، في يوم البدر. اعتبروه يوماً يحمل البركة ورضى الله، فصار مناسبة احتفالات عباديّة. وذكرت كتب الطقوس في أوغاريت عيدين يرتبطان بالقمر: بداية القمر، ووسط القمر أو «عيد البدر» الذي كان الأهم بطقوسه وذبائحه.

هذا السبت الذي يختلف الشرّاح على أساسه، هل وُلد قبل المنفى ومع تأسيس اليهويّة، أي عبادة يهوه، الإله الواحد؟ هل وُلد بعد المنفى منطلقاً من عيد البدر كما عرفته الشعوب الشرقيّة؟ تبقى المسألة موضح الجدال. ولكن ما هو أكيد هو أن هذا اليوم جمع عنصرين رئيسيين: هو يوم صلاة وعبادة، هو يوم راحة وانقطاع عن العمل. إنه يوم مقدّس للرب، فلا يحقّ للانسان أن يتصرّف به كما يشاء. لهذا جاءت القوانين صارمة جداً بحيث إن إنساناً حمل الحطب يوم السبت فرُجم (عد ١٥: ٣٢).

وسيتّخذ السبت حيّزاً واسعاً في الحياة اليهوديّة. فهو مع الختان علامة الانتماء إلى الشعب. وستكون له مكانته في المشناة والتلمود. ففي نظام «م وع د» (الموعد، الزمن المحدّد) الذي هو النظام الثاني من المشناة الذي يعالج الشرائع التي تسود الأعياد، صغيرها وكبيرها، نجد في المقام الأول «ش ب ت» أو السبت، بفصوله الأربعة والعشرين. هو يحدّد الممنوعات في ذلك اليوم المقدّس.

وإذا عدنا إلى الوصايا ال ٦١٣ بما فيها من إيجابي (ما يجب أن نعمل) وسلبي (ما لا يجب أن نعمل) نجد مثلاً منع كل عمل يوم السبت، منع تعدّي الحدود يوم السبت. . ومن اتصل باليهود اليوم، يعرف أنهم لا يشعلون ناراً يوم السبت ولا يهيّئون طعاماً. . .

السبت هو في جوهره يوم فرح وصلاة وتأمّل. يترك المؤمن جانباً جميع الاهتمامات التي تحتل أيّام الأسبوع، ويكرّس هذا اليوم للدرس والراحة. يبدأ السبت في مساء الجمعة، عند غروب الشمس. تشعل ربّة البيت شمعتين وتتلو المباركة. وينتهي مساء السبت. في فترة من الفترات عيّدت فئات يهوديّة ليبراليّة يوم الأحد. ولكن جميع اليهود عادوا إلى السبت، لا سيما وأنه يوم عطلة في عدد كبير من بلدان العالم.

ومع السبت الذي هو مهمّ جداً، لأنه يعود مرّة كل أسبوع، تأتي الأعياد الموزّعة على السنة. من عيد الفصح إلى الأسابيع ورأس السنة وعيد التكفير وعيد القطاف وعيد الفوريم. يحاول اليهود أن يعيّدوا هذه الأعياد دون أن ينظروا إلى ما تفعله الجماعات الأخرى. هم عالم في عالم. وهم يربطون عدّ السنوات بخلق العالم. فالسنة ١٩٩٨ تقابل سنة ٥٧٥٩ وهي تبدأ في ٢١ - ٢٢ أيلول. أما سنة ٥٧٦٠ فتبدأ في ١١ - ١٢ أيلول.

ذكرنا أماكن العبادة والأشخاص الموكّلين بأعمال العبادة، الذين كانوا في الأصل ربّ البيت، رئيس العشيرة، الملك. ثم صاروا الكهنة واللاويين. واليوم

جميع اليهود يستطيعون أن يقوموا بأعمال العبادة شرط أن يعيّنوا في هذا العمل أو ذاك. لم يعد من فئة مخصّصة في العالم اليهوديّ. لم يعد من كهنوت. يبقى أن نذكر في هذا الاطار الأعمال العباديّة.

أول هذه الأعمال هو الختان. وقد عرفته الشعوب الشرقيّة القديمة. فهناك نصوص مصريّة في المملكة القديمة والمملكة الحديثة تتحدّث عنه. وهو طقس قديم جداً مورس ساعة كانت السكاكين بعد من صوّان، وما زالت يُمارس كذلك في الشعب اليهودي. في الأصل، الختان هو طقس استعداد للزواج وتنشئة على الحياة الزوجيّة. ولكنه صار يدلّ على انتماء الولد إلى شعب الله. لهذا يُمارس في اليوم الثامن، وقد أخذ أهمية كبيرة في زمن المنفى والشتات.

وثاني هذه الأعمال هو التطهير. فالطهارة والنجاسة شغلتا بال الأقدمين، فلجأوا إلى الماء وبالأحرى إلى الذبائح العديدة التي يقدّمونها للاله لكي يتنقوا من نجاستهم فيصبحوا أهلاً للمشاركة في الأعمال الطقسيّة. زالت الذبائح مع زوال الهيكل سنة ٧٠ ب. م، فلجأ المؤمنون إلى الماء والصلاة والمشاركة في يوم كيبور، يوم التكفير.

إن التلمود يربط بين مفهوم الطهارة والتطوّر الاخلاقي والروحي. «فالطهارة هي إحدى المراحل في طريق روح القداسة» (عبوده زره أو عبادة الأوثان ٢٠ ب). «التوبة والأعمال الصالحة تقود إلى الطهارة وإلى القداسة» (بركوت ١٧ أ). ثم إن دراسة التوراة تُعتبر في ذاتها تطهيراً. وقد قال النبي حزقيال ذاكراً زمن الفداء: «أرشّ عليكم ماء طاهراً فتطهرون. أطهّركم من كل نجاساتكم وكل أخطائكم» (٣٦: ٢٥).

شرائع كثيرة. بعضها عفّاه الزمن. ولكن الأتقياء (حسيديم) ما زالوا يشدّدون على الاغتسال الطقسي، إما بغسل الجسد كلّه وإما برشّ الماء على اليدين.

لن نتحدّث عن الذبائح التي زالت من حياة اليهود بزوال الهيكل الثاني

والكهنة. من ذبائح محرقة (تحرق كلّها) إلى ذبائح سلامة أو اتحاد بين الله من جهة، والمؤمن وأصدقائه وأقاربه من جهة ثانية. ولكن الصلاة تحتلّ حيّزاً كبيراً في حياة المؤمن. صلوات الصباح، بركوت هاشحر. صلوات المساء والنوم، صلوات تطلب المطر والطلّ، صلاة قبل السفر. ومع الصلاة هناك الصوم في ١٧ تموز (شهر عبري قمري، يمتدّ من ١٥ حزيران إلى ١٥ تموز)، وفي ٩ آب، وفي يوم التطهير أو يوم كيبور الذي يقع في ١٠ تشرين. ولا ننسى المحرّمات العديدة ولا سيّما على مستوى الطعام والشراب، ما لا مجال لذكره في هذه العجالة.

في الأصل، علاقة الإنسان مع الله بسيطة، شرط أن لا يتجاوز الإنسان حدوده. عندئذ تنقطع العلاقة بين المؤمن والله. فيحتاج المؤمن إلى عمل عباديّ يعيد هذا التواصل. هنا نشير إلى الأمور الكثيرة التي أخذتها التوراة ثم العالم اليهودي عن الفينيقيّين والكنعانيّين والآراميّين، ولكنهم حاولوا أن ينقّوها من كل ما يمتّ إلى تعدّد الآلهة. ففي التوراة، لا نجد صراع الآلهة، بل الإنسان الذي يقف أمام الله. من أجل هذا كانت كل شعائر العبادات محاولات تبقي الاتصال بين الله والانسان حاضراً. أما المسيحيّة التي تجذّرت في العالم اليهوديّ، فقد عرفت هذا الاقتراب من الله بواسطة يسوع الذي هو إله وإنسان معاً. يعرف ما في الإنسان من ضعف، كما يعرف ما في قلب الله من حنان وغفران.



خامساً

شبهة الشعب المختار

كان المبدأ الأول في اليهوديّة، عبادة الله الواحد. والمبدأ الثاني شعائر العبادة التي بها نعبّر عن تعلّقنا بهذا الإله الذي اختبره الشعب العبراني مخلصاً قبل أن يختبره خالقاً، الذي اختبره مرتبطاً بشعب من الشعوب قبل أن يختبره إله جميع الشعوب. وهكذا نصل إلى المبدأ الثالث الذي بحسبه يعتبر اليهود أنهم شعب الله، أنهم الشعب المختار، أنهم أفضل شعب وأفضل أمّة. أما باقي الشعوب فيأتون في الدرجة الثانية حتى ولو عبدوا الله الواحد. ذاك هو المبدأ الثالث في هذا المدخل إلى المبادئ اليهوديّة.

إن موضوع شعب الله هو المركز الذي نجد فيه نواحي حياة إسرائيل كلّها. وهو مهمّ جداً على مستوى العهد القديم، على مثال الكنيسة التي هي مهمّة على مستوى العهد الجديد. ولا ننسى مفهوم الأمة في الاسلام.

ما هي الألفاظ التي تدلّ على الشعب؟

هناك «ل ا م»، «ج وي»، «ع م». فمع أن هذه الألفاظ الثلاث تُستعمل مراراً في صيغة الجمع في تواز مترادف، فالاستعمال على مرّ العصور يدلّ على اختلافات بين لفظة ولفظة. ونورد بعض الأمثال قبل أن نتوقّف عند التفاصيل. نقرأ في مز ٤٧ : ٤ : «يُخضع الشعوب (ع م ي م) تحتنا، والأمم (ل ا م ي م) تحت أقدامنا». وفي مز ٩٦:٣، ١ : «حدّثوا في الأمم بمجده، في جميع الشعوب بمعجزاته.. نادوا في الأمم: الرب قد ملك» (رج ١٠٥ : ٤٤: فورثوا تعب الشعوب، ج وي م، ١٠٦ : ٣٤ - ٣٥).

في الأصل، دلت «ل أ م» على الجمع، على العدد الكبير من الناس (أم ٢٦:١١؛ ٢٤:٢٤). هي لفظة قديمة جداً لا تُستعمل في النثر بل في الشعر فقط. وهي لا تنطبق أبداً على شعب إسرائيل، ما عدا في أش ٥١: ١ (اصغوا إليّ يا شعبي، ع م ي، التي قد تكون ربما «لأمي»). لا ننسى أن الأمم تعني الأمم الوثنيّة تجاه شعب الله.

أما «ج وي» فدلّت في الأصل على «العشيرة» أو «القبيلة». ونحن نجد هنا الاستعمال القديم جداً في ٢ أخ ١٥: ٦ (وتسحق أمة أمّة: ج وي. ب ج وي) أو حز ٥: ١٠: ٣ (بما أن الأمتين: ج وي م). إذن، «ج وي» هو الذي ينحدر من جدّ واحد، حقيقي أو مفترض (تك ٢:١٢؛ ٣٥: ١١). وفي الواقع، تُستعمل اللفظة في الحديث عن نسل ابراهيم (تك ١٧: ٤ - ١٦٥٢) ويعقوب (تك ٣٥: ١١). كما هي تدلّ على شعب إسرائيل (خر ١٩:٦؛ تث ٦:٤؛ إر ٣١:٣٦)، ولكنها لا تظهر أبداً في عبارة «شعب يهوه». وفي صيغة الجمع، دلّت «ج وي م» على شعوب هي أعداء إسرائيل (مز ٩:٦، ١٦، ٢٠ - ٢١). من هذه اللفظة تفرّع استعمال «اللايهوي». «ج وي» هو من لا يعبد يهوه، الجماعي وعلى المستوى الديني (عز ٦: ٢١). «ج وي» هو من لا يعبد يهوه، الإله الواحد. وسيتعمّم هذا المدلول في الحقبة التي بعد التوراة، فتقابل في اليونانيّة «إتنوس» أو الأمم.

وتبقى لفظة «ع م» (في الشريانيّة: عما. وفي العربيّة، العمّ هو الجماعة). تدلّ اللفظة على الحشد، على الشموليّة (في العربية، عمّ الشيء أي شمل الجماعة). وتستعمل في علاقة مع النظم السياسيّة والوطنيّة والدينيّة: جماعة عامّة، جماعة المؤمنين، مجموعة دينيّة. أما المدلول الأولاني فنجده في بعض العبارات التي تحجّرت فما عادت تتطوّر (انضمّ إلى قومه، تك ٨:٢٥؛ خر ٣١: ١٤). «ع م» أي الأقارب. وصارت في العربية أقرب الأقارب أي شقيق الأب.

لا شكّ في أن لفظة «ع م» هي الأكثر إيحاء. فتدلّ مثلاً على المواطنين في المدينة الذين ينعمون بذات الحقوق المدنيّة (را ٤: ٤، ٩)، مثلاً شعب أورشليم

(٢ أخ ٢٣: ٨). يجتمعون ليتّخذوا قراراً، فيشكّلون جماعة الشعب التي تسمّى فقط «ع م». وهناك شعب الأرض «ع م. ه. ارص» الذي يتميّز عن الملك والامير، عن الملك ووزرائه، كما يتميّز عن الكهنة. بل هو يتميّز حتى عن شعب المدينة. نستطيع أن نقول إن شعب الأرض هم أهل الريف، وهم الذين سيعلنون يوآش (٢ مل ١١: ١٤ - ١٩) ثمّ يوشيا ملكاً (٢ مل ٢٤: ٢١). وهم الذين يدمّرون هيكل بعل في أورشليم، ويقتلون كاهن بعل مع عثليا «الوثنية» التي أرادت أن تملك في أورشليم (٢ مل ١١: ١٨ - ٢٠).

كلّ هذا يصل بنا إلى شعب إسرائيل. ما الذي يميّزه في نظرته هو عن سائر الشعوب؟

هنا نتوقّف عند ثلاثة مفاهيم: الاختيار، الدعوة، العهد.

لا شكّ في أن قبيلة إسرائيل شعب كسائر الشعوب، وهي تنتمي إلى التاريخ البشري. ولكن منذ بداية التوراة، نفهم أن هذه القبيلة تتجاوز نظام التاريخ الذي جعل هذا الشعب هنا أو هناك. فإن وُجد شعب إسرائيل، فلأن الله قد وجده ودعاه لا بسبب كثرة عدده، ولا بسبب قوّته ولا بسبب استحقاقاته، بل محبة به وبالآباء.

ميّز الله هذا الشعب وسط سائر الشعوب، فافتداه وحرّره من العبوديّة في زمن الخروج. وإذ جعل منه أمّة مستقلّة، بدا كأنه قد خلقه من جديد (أش ٤٨: ١٥: تكلّمت ودعوته وأتيت به). كوّنه كما يتكوّن الولد في أحشاء أمه: «الرب صانعك وجابلك الذي أعانك من البطن» (أش ٤٤: ٢، ٢٤). وعى بنو إسرائيل وعياً عميقاً أنهم يرتبطون ارتباطاً كلياً بالرب. واعتبروا هذه العلاقة عهداً يؤسّس ولادة شعب جديد كان في الأصل خليطاً (خر ٣٥: ١٢؛ عد ١١: ٤) من أقوام مختلفة فيهم الجيّد والرديء.

لم نعد هنا على مستوى التاريخ وحسب، بل على مستوى الايمان. فهناك عقد مقدّس يربط القبائل الاثنتي عشرة، ويختم هذا الرباط في دم ذبيحة (خر

٢٤ : ٨). وهكذا صار يهوه إله إسرائيل، وصار إسرائيل شعب الله. وهكذا كانت علاقة فريدة بين الله وجماعة بشريّة معيّنة. فكل من انتمى إلى هذه الجماعة بالختان، شارك في هذه العلاقة بين الله وشعبه (تك ١٧ : ١٠).

وقبل أن نتوقّف عند مفاهيم الاختيار والدعوة والعهد نورد بعض النصوص: «لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب لزمكم الرب واصطفاكم، فأنتم أقلّ من جميع الشعوب. لكن لمحبّة الرب لكم. . أخرجكم الرب بيد قديرة، وفداكم من دار العبوديّة» (تث ٧: ٧ - ٨). ونقرأ في أش ٤١ : ٨ - ٩ : «يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته. . أخذته من أقاصي الأرض، ودعوته من أقطارها، وقلت له: أنت عبدي. اخترته ولم أرذله».

وهكذا نصل إلى موضوع الاختيار. ففي العهد القديم، اختيار الله لشعبه هو موضوع أساسي في سفر التثنية كما في الأسفار الاشتراعية مثل يشوع والقضاة وصموئيل والملوك. فسفر التثنية (٧: ٦ - ٨) يشدّد على هذا الاختيار الذي لا شيء يفسّره سوى حبّ الربّ. وقد بدأ هذا الاختيار يتحقّق مع الآباء، ابراهيم واسحاق ويعقوب (تك ١٢ : ١ - ٣). ثم مع تحرير نسلهم (مز ٤٣ : ١٠٥)، ثم بعطيّة الشريعة التي جعلت من هؤلاء الأوباش الذين هربوا من مصر والتحقوا بموسى، شعباً مرّتباً منظّماً (مز ١٤٧ : ١٩ - ٢٠)، ثم بحماية منحها الله لشعبه على مدّ تاريخه، كما في المحن التي خضع لها (أش ٤٨ : ١٠).

وصار هذا الاختيار رسمياً بواسطة العهد، الذي جعل من إسرائيل مُلك الرب، والشعب المقدّس الذي وضعه الله جانباً واحتفظ به لنفسه. لقد اختير هذا الشعب ليكون مستودع الشريعة (تث ٤ : ٨)، والشاهد على عمل الرب في التاريخ (أش ٤٣ : ١٠)، وعابد الرب الذي يقدّم له المؤمن شعائر عبادة تليق به (عد ١٩ : ١٩؛ أش ٦١ : ٦)، ويعلن تدخّلاته في تاريخ البشر (أش ٤١ : ١٤).

ويرتبط الاختيار بالدعوة، بنداء يرسله الله لا إلى فرد من الأفراد وحسب،

بل إلى شعب من الشعوب. وهذا هو موضوعنا. فالله يتصرّف مع شعبه كما يتصرّف مع شخص من الأشخاص يدعوه. لا شكّ في أنه يكلّمه بالوسطاء، مثل موسى. ولكن إذا وضعنا هذا العنصر جانباً، فمسيرة شعب إسرائيل تتضمّن كل عناصر الدعوة. فالعهد هو أولاً نداء من الله. وكلام يتوجّه إلى القلب. وحين نقرأ أسفار الشريعة والأنبياء، نراها مملوءة من هذا النداء. «إسمع يا إسرائيل». «إسمع الرسوم والأحكام التي أعلّمكم لتعملوا بها» (تث ٤ : ١). «إسمع يا إسرائيل الرسوم التي أتلوها على مسامعكم» (٥ : ١). «إسمع يا إسرائيل، إن الرب إلهنا رب واحد» (٦ : ٣ - ٤). «إسمع يا إسرائيل، إنك اليوم تجوز الاردن. . فاعلم أن الرب إلهك هو يعبر أمامك» (٩ : ١ - ٣).

مثل هذا الكلام يُلزم الشعب بحياة تختلف عن حياة سائر الشعوب. فالله هو كافل شعبه: «أنت شعب مقدّس للرب إلهك، وإياك اصطفى أن تكون له أمّة خاصة من بين جميع الأمم التي على وجه الأرض» (٧: ٦). وسيقول في خر ١٩ : ٤ : «حملتكم على أجنحة النسور (فلا يطالكم أحد) وأتت بكم إليّ».

بما أن هذا الشعب هو شعب الله، فالله يمنعه من أن يستند إلى إله سواه، إلى ملك سواه. هذا ما نجده في سفر أشعيا خلال الحرب الآراميّة (دمشق) الافرائيميّة (السامرة) ضدّ أورشليم. استند أحاز ملك أورشليم، إلى تغلت فلاسر، ملك الأشوريين، لا إلى يهوه، فجاءه كلام الرب بفم أشعيا قاطعاً: «إن لم تؤمنوا فلن تأمنوا» (٩:٧). يعني: إذا كنتم لا تتّكلون كل الاتّكال على الرب، فلن تجدوا الخلاص. لن تثبتوا. وسيقول الربُ بفم إرميا «هازئاً» بهذا الشعب الذي عبد الآلهة، وترك الإله الواحد: «هل استبدلت أمّةٌ آلهتها بآلهة الآخرين، هذا مع أنها ليست بآلهة؟ ومع ذلك، فشعبي استبدل إلهه بالآلهة. استبدل مجده (أي: الله) بما لا فائدة فيه. إنذهلي أيتها السماوات من هذا واقشعرّي» (إر ٢: ١١ - ١٢).

وأخيراً، إن نداء الرب ينتظر جواباً، لا من شخص من الأشخاص وحسب، بل من الشعب كله. ينتظر الالتزام الحياتيّ بلا تردّد ولا مساومة. بعد

أن ألقى موسى كلام الله على الشعب، قالوا: «كل ما تكلّم به الرب نعمل بحسبه» (خر ١٩: ٨). هذا معَ موسى. ومع يشوع، كان اتفاق بين الله والشعب في مدينة شكيم. سألهم يشوع: هل تريدون أن تعبدوا الآلهة الغريبة؟ أجابوا: حاشى لنا أن نترك الرب ونعبد آلهة غريبة. ثم زادوا: كلا، بل الرب نعبد. وفي النهاية: «الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمع» (يش ٢٤: ١٦ - ٢٤).

العهد في سيناء، العهد في شكيم، العهد في موآب قبل دخول الأرض المقدّسة. فالعهد في الأساس هو اتفاق بين ملكين، بين دولتين. كان عهد بين الله الذي هو ملك الكون، وموسى الذي هو ملك شعبه. وكان عهد مع داود. بل إن كل ملك كان يقيم عهداً مع الله حين يتوّج فيهتف له المرتّل باسم الله: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك». أنت اليوم صرت ابني. فأنا قد تبنّيتك (مز ٢: ٧). وبما أن موسى أو داود يمثّل الشعب، فنحن أمام عهد بين الله وشعبه. بموجب هذا العهد يصبح يهوه إله إسرائيل. ويصبح إسرائيل شعب الله. أجل، هذا العهد هو رباط يطلبه الضعيف من القوي، والفقير من الغنيّ. أما هنا فالله القدير هو الذي قدّم عهده حين دعا موسى وأرسله ليخلّص شعبه.

العهد هو علاقة تدلّ على التضامن بين متعاقدين. في العبرية «ب ر ي ت». وتعني في الأصل «بين اثنين» (راجع في الأكادية: بريتو، بيريتو). وتطوّر معنى «ب ر ي ت» انطلاقاً من عبارة «ك ر ت. ب ر ي ت» أي قطع عهداً. فقطع العهد هو خاتمة عقد العهد بين الاثنين (تك ١٥: ١٨؛ ٢١: ٢٧، ٣٢). أما أقدم مثل معروف لعبارة «قطع العهد» فنجده في وثيقة من وثائق «ماري» (على الفرات)، تتحدّث عن «قتل جحش بين (بيريه) الخانيين وأهل ايداماراز» لكي يقوم الوفاق بين الاثنين.

ولفظة «قطع» في عبارة «ك ر ت. ب ر ي ت»، تشير إلى العهد نفسه. ففي تك ١٥:٩ - ١٠، ١٧ وإر ٣٤:١٨ - ١٩، قُطعت الاضاحي قطعتين، ودعا كلّ من المتعاقدين على نفسه بأن يُقطع مثل هذه الذبائح إن هو تجاوز بنود العهد. نجد مثلاً أرامياً يعود إلى القرن الثامن ق م، وفيه عقد بين «م ت ي ع ل» ملك

أرفاد، وملك «ك ت ك». نقرأ: «وكما قُطع هذا العجل فليُقطع» متيعل «ويُقطع عظماؤه» إن هم تجاوزوا بنود العهد.

هكذا هو العهد مع البشر. والعهد مع الإله (في العالم الوثني)، مع يهوه (في عالم إسرائيل)، هو طريقة بها نعبّر عن العلاقات بين الله والبشر. قد نجد «عهداً» بين الله والملك في العالم الشرقي. ولكننا لا نجد إلّا في إسرائيل عهداً بين الله وشعب من الشعوب. قد تعود الفكرة إلى علاقة بين ملك صغير (جبيل، صور. .) وملك كبير (مصر)، أو إلى عقد زواج. هذا يعني أن الأصغر يُقسم بأنه يكون أميناً للأكبر، وأن الشعب يكون أميناً لربه.

إن تعابير هذا التوافق، تتلائم كل الملائمة مع ما قيل عن علاقة الشعب بإله غيور، بإله متطلّب. ونقول الشيء عينه عن عقد الزواج، تحط يطلبون من المرأة تعلّقاً تاماً بزوجها. فإن هي خانته صارت زانية. وهكذا تكون العلاقة بين الرب وشعبه، بحيث يصبح الشعب زانياً حين يخون ربه ويلجأ إلى آلهة أخرى. فالأنبياء، ولاسيّما هوشع (ف ١ - ٣) وإرميا (٢: ٢؛ ٣: ١ - ٦، ١٢) وحزقيال (١٦:٨) يلجأون إلى هذه الاستعارة التي وجدوها في أسفار موسى الخمسة وطبّقوها. نقرأ في خر ٢٠: ٥ وتث ٥: ٩: إن الله «إله غيور»، يغار على شعبه (لئلا يخونه)، كما يغار الرجل على امرأته.



سادساً

قراءة في التوراة أو أسفار العهد القديم

كل دين ينطلق من وحي، من خبرة مع الله، من اتصال به. وهذا الوحي هو نور سماويّ يلامس أعماق الانسان، وقلبه وحواسه. فيملؤه من حضور الله. غير أن هذا الوحي لا بدّ أن يتجسّد في كلام البشر إن بشكل شفهيّ وإن بشكل خطّي وإلّا ظلَّ في قلب من تسلّمه. فيلجأ ذاك الشخص المميّز إلى وسائل التعبير الذي في متناوله، ويحمّلها المضمون الجديد أو المتجدّد الذي ملأ كيانه. ذاك هو الوضع في العالم اليهوديّ، الذي بدأ مع موسى، بل بدأ مع إبراهيم، وامتدّ إلى الأنبياء والكتّاب الملهمين والحكماء والأتقياء، فقدّم لنا عدداً من المجموعات المقدّسة، ما زالت حيّة حتى اليوم لدى اليهود في ممارستهم لإيمانهم وحياتهم اليوميّة. بل انتقل قسم كبير منه إلى الديانة الاسلاميّة والديانة المسيحيّة. بل استوحاه الشعراء والفنّانون المسيحيّون على مرّ العصور، فصار هذا الكلام المقدّس حرفاً نقرأه ورسماً نتأمل فيه وصوتاً يتردّد في المسامع.

ونحن نعتبر المجموعات اليهوديّة ثلاثاً: التوراة بالمعنى الواسع أو أسفار العهد القديم. وهي التي كُتبت قبل مولد السيّد المسيح. التلمود وما سبقه من تدوينات بدأت بالمشناة وامتدت مع التوسفتا والجمارا قبل أن تصل بنا إلى تلمود أورشليم وتلمود بابل. والمجموعة الثالثة هي التفاسير والتراجيم التي غذّت صلاة المجمع أجيالاً وأجيالاً وما زالت تغني قراءة الكتاب المقدّس لدى اليهود والمسيحيّين.

إذا عدنا إلى اللغة العربيّة، نجد المعنى الحصري والمعنى الواسع للفظة

«توراة». هي أسفار موسى الخمسة. وقد سمّيت في اللغة البيبليّة العالميّة «بنتاتوكس» أو الأدراج (اللفائف) الخمسة، لأن الكتاب يلفّ على قضيب ولا يتوضّب في صفحات كتاب كما نعرف في خبرتنا. وبما أن لأسفار موسى الخمسة قيمة تفوق سائر الأسفار، حتى أسفار الأنبياء، بحيث توقّف عندها السامريون، سمّي العهد القديم كلّه «التوراة».

أما في العالم اليهودي، فالعهد القديم يتألّف من ثلاثة أقسام يُشار إليها بالحرف الأول من كل قسم: ت (توراة). ن (نبييم أو الأنبياء). ك (كتوبيم أو سائر الكتب). لهذا يسمّون الكتاب المقدّس «تنخ» (يلفظون الكاف خاء كما في عدد من اللغات الساميّة). أما القسم الأول فيضمّ البنتاتوكس أو أسفار موسى الخمسة، وقد نسبت كتابته خلال قرون عديدة إلى موسى. والقسم الثاني يضمّ ما يسمّى «الكتب التاريخيّة» (يش، قض، ١ - ٢ صم، ١ - ٢ مل) تحت عنوان الأنبياء الأولين أو الأنبياء السابقين. كما يضمّ نبوءات أشعيا وإرميا وحزقيال والأنبياء الاثني عشر مثل هوشع وعاموس وغيرهما. وما نجده في «كتوبيم» أو سائر الكتب، هو كل ما لم يدخل في القسم الأول والقسم الثاني. من صلوت المزامير، إلى حكمة أيوب والجامعة، إلى أسفار الأخبار وعزرا ونحميا. وقد تمّ هذا التمييز في نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الثاني ق. م. وبما أن سفر دانيال الذي جعلته السبعينية اليونانيّة بين الأنبياء، قد دوّن في منتصف القرن الثاني ق. م. أو قبل ذلك الوقت بقليل، فهو لم يدخل مع الأنبياء، بل جُعل مع الكتب الباقية التي نجدها في القسم الثالث.

ونشير قبل الحديث عن أسفار «تنخ»، عن أسفار التوراة والأنبياء والكتب، أنه كان هناك قانونان (القانون هو قصبة القياس، المعيار للدلالة على أن هذا السفر كتاب مقدّس) أو لائحتان للأسفار المقدّسة: لائحة فلسطين التي تضمّ ٣٩ كتاباً أو سفراً. وقد وصلت إلينا في اللغة العبريّة، ومقاطع قصيرة جداً في الأرامية، مثل فصول من سفر دانيال. ثم لائحة الاسكندريّة التي زادت سبعة كتب على لائحة فلسطين، ووصلت إلينا في اللغة اليونانيّة مترجمة عن العبرية أو

الأرامية، أو مدوّنة مباشرة في اليونانيّة مثل سفر الحكمة. أما السبب الذي لأجله رفض العالم اليهوديّ لائحة الأسفار المقدّسة كما كانت في الاسكندريّة، فلأن المسيحيّة الفتيّة أخذت بها بعد أن وجدت فيها الكثير ممّا يدلّ على مجيء المسيح وحياته. يكفي لذلك أن نذكر أش ٧: ١٤ حيث الصبية المتزوجة في العبرية (ع ل م ه. مؤنث غلام في العربية) صارت «العذراء والبتول» (برتانوس في اليونانية). وهكذا انطبق النصّ الكتابي على مريم العذراء، وأم يسوع المسيح. لهذا السبب، طلبوا ترجمة يونانيّة جديدة تصحّح «أخطاء» الترجمة السبعينيّة التي سمّيت كذلك لأن التقليد يقول إن مترجميها سبعون (أو اثنان وسبعون)، بنسبة ستة مترجمين من كل قبيلة من قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة. بدأت ترجمةُ السبعينيّة في منتصف القرن الثالث ق م. أما الترجمات اليهوديّة اللاحقة فجاءت في القرن الأول المسيحي وما بعد (أكيلا، سيماك).

ماذا عن «توره» أو أسفار موسى الخمسة؟ هي في الأصل كتاب واحد، وقد قُسم إلى خمسة من أجل القراءة الليتورجيّة. يبدأ بنشيد خلق العالم وينتهي بموت موسى. أما المواضيع الروحيّة الرئيسيّة فيه، فهي بركة الله (تك ١٢: ١ - ٣)، ومخافة الله (تك ٢٠: ٢٢)، وعهد الله ولاسيّما في سفر التثنية، وقول الله الذي تردّد عشر مرات في تك ١ فأتمّ عمل الخلق، كما سيتكوّن شعب الله في وصايا عشر يحفظها ويعمل بها.

هناك طبقات في تدوين هذه الأسفار الخمسة التي اسمها التكوين والخروج واللاويين والعدد وتثنية الاشترع. أما عند اليهود فقد سمّيت بأولى كلمات كل سفر. الأول: في البدء. الثاني: أسماء. الثالث: ودعا (الرب موسى). الرابع: في بريّة (سيناء). الخامس: الكلمات (التي كلّم بها موسى جميع إسرائيل). يعني أنها لم تُدوَّن دفعة واحدة. بل هي انطلقت من تقاليد عديدة حاول موسى أن يجمعها ويُطلق ما سمّي الديانة الموسويّة. وما بدأه موسى في القرن الثالث عشر ق م قد أتّمه الكاهن عزرا في القرن الرابع ق. م.

إنطلق «اللاويون» (أو الكهنة) من نواة أولى وأخذوا يتوسّعون فيها،

ولاسيّما في مناسبة الأعياد حيث يجتمع المؤمنون بالآلاف. بل أخذوا أموراً عديدة من الشعوب المجاورة، وقد اختلفت «الاخبار والأقوال» بين منطقة وأخرى، بين معبد وآخر. فالحكماء في أرض يهوذا بدأوا منذ داود وسليمان يجمعون التقاليد التي تسند ملكيّة داود وسليمان، وتدلّ على أن بركة ابراهيم قد وصلت إلى داود عبر قبيلة يهوذا، وستمتدّ في نسله. اسم الرب عندهم: يهوه أي الإله الذي هو. واللاويون المتأثّرون بالأنبياء توسّعوا بشكل خاص في موضوع مخافة الله والعيش بحسب وصاياه. كانوا في شمالي البلاد فأبرزوا قبيلة رأوبين. ولم يتعلّقوا بسلالة خاصة (سلالة داود في يهوذا)، بل حافظوا على المبدأ الديمقراطيّ الذي يتمثّل في القبائل. أما إلههم فقريب من إله الكنعانيّين. هو إلوهيم أي جمع إيل. وأعاد اللاويون قراءة التقاليد فقدّموا لنا «شريعة ثانية» (تث ١٨ :١٧) توجّهت بشكل خاص إلى الملك. وفعل مثلهم الكهنة. فعادوا إلى الوثائق المحفوظة في المعابد، وقدّموا الأسفار الخمسة في صيغتها النهائية إبّان الحكم الفارسي. وهكذا كان لليهود شريعة وقوانين كما لسائر الشعوب في المملكة الفارسيّة.

حدّثنا سفر التكوين (في البدء لدى الشعب اليهودي) عن خلق الكون والانسان، عن بداية تكوين الشعب العبراني مع ابراهيم واسحاق ويعقوب والقبائل الاثنتي عشرة. في الأصل، يشكّل كل اسم من هذه الأسماء إسم قبيلة. اتّحدت القبائل اتحاداً دينياً قبل أن تتحد إتحاداً سياسياً حول شخص داود وسليمان. وفي النهاية اعتبر الكاتب أن رؤساء هذه القبائل هم أقارب: ابراهيم هو أبو اسحاق، ويعقوب هو أبو يوسف وبنيامين وسائر «اخوتهما». ونقلنا سفر الخروج إلى مصر (أسماء بني إسرائيل) بعد أن كانت وجهتنا في سفر التكوين بلاد الرافدين. أما هذا السفر الثاني فيروي لنا خروج الشعب من مصر، من أرض العبوديّة إلى سيناء موضع العبادة لله. أما سفر اللاويين أو سفر الأحبار، فهو يورد قوانين تتعلّق بشعائر العبادة، بالذبائح، بالكهنة، بالمحرّمات. وأعاد سفر العدد الذي سمّي كذلك بسبب الاحصاءات التي فيه، قراءة أخبار الخروج

في البرية واستعدّ للدخول إلى الأرض المقدّسة. أما سفر التثنية فهو قراءة مسيرة الشعب مع موسى على ضوء الوضع الجديد الذي يعيشه العبرانيون. تركوا حياة البداوة وأخذوا بحياة الحضارة، فلا بدّ من أن تتكيّف الشرائع القديمة مع ظروف الحياة في أرض كنعان.

نقول هنا ما سبق وقلناه في مقالة سابقة: إن جميع القبائل لم تذهب إلى مصر، بل بعضها ولاسيّما قبيلة موسى (لاوي) ويشوع بن نون (إفرائيم). كما نشدّد على تمازج التقاليد بحيث نجد التكرار بين كتاب وكتاب، بل داخل الخبر نفسه كما في خبر الطوفان (تك ٦ - ٩). وأخيراً، كان لخبرة المنفى (٥٨٧ - ٥٣٨) تأثير كبير جعلت الكتّاب يعيدون النظر في ما كتبوا ويربطون كلّ شيء بالله تاركين جانباً العوامل البشريّة والتاريخيّة.

أما أسفار «نبييم» فتضمّ أولى الأسفار التاريخيّة التي سمّيت التاريخ الاشتراعي لأنها دوّنت على ضوء سفر تثنية الاشتراع الذي يربط عطية الأرض بالأمانة لوصايا الله. كما يشدّد على وحدة المعبد لئلا تظهر انحرافات على مستوى العبادة في أماكن مشتّتة في عرض البلاد وطولها. ونبدأ بسفر يشوع الذي يروي لنا بشكل ملحميّ احتلال الأرض المقدّسة في سرعة مذهلة. سيُفهمنا سفر القضاة الذي يأتي بعده، كم عانى العبرانيون لكي يجدوا لهم مكاناً في هذه الأرض الفقيرة. هم لا يستطيعون أن ينزلوا إلى السهول ولا أن يقيموا في المدن. فظلّوا على التلال القاحلة أو على حدود الأرض المزروعة. ويتحدّث سفر يشوع عن قسمة الأرض. ومتى كانت الأرض كلّها للعبرانيّين؟ فهم يعيشون وسط شعوب مختلفة. ثم حين نعلم أن هذا السفر دوّن في شكله النهائي بعد المنفى، نفهم أننا لم نعد أمام المعنى السياسيّ والحربي، بل أمام المعنى الروحي: الأرض هي أرض الله والعبرانيون هم ضيوف عنده.

ويحدّثنا كتاب صموئيل عن تنظيم الملكيّة لدى القبائل الاسرائيليّة على مثال ما في الشعوب المجاورة. هنا نكتشف أولاً شخصيّة صموئيل الذي اختبر حضور الرب في رؤيا، يوم كانت الرؤى نادرة، الذي سمع كلام الله ولم يدع

كلمة واحدة تسقط على الأرض. ثم نكتشف شخصيّة شاول أول ملك في «إسرائيل». أعطي المواهب العديدة، ولكنه فضّل أن يسمع صوت الجيش لا صوت الله. فرذله الله. هكذا فسّر الكاتب الملهم نهاية سلالة شاول. أما داود الذي جاء بعده، فكان بحسب قلب الله. لا شكّ في أنه خطئ، ولكنه عرف أن يتوب. ويروي كتاب صموئيل بسفريه حرب العصابات بين شاول وداود. ولم يَسُد السلام إلّا بعد موت شاول في حرب مع الفلسطينيين.

ويبدأ كتاب الملوك مع سليمان العظيم الحكيم الذي ينتهي حكمه في الثورات الاجتماعيّة بعد أن أثقل كاهل الشعب بالضرائب وأعمال السخرة. بعد موته انقسمت القبائل بين شمال بعشر قبائل وجنوب بقبيلتين. ونشهد سقوط السامرة سنة ٧٢٢ - ٧٢١ ثم سقوط أورشليم سنة ٥٨٧ - ٥٨٦. لا شك في أن هناك ظروفاً إقليميّة وسياسيّة، ولكن الكاتب يتوقّف فقط عند الناحية الدينيّة: «كان إسرائيل قد خطئ إلى الرب إلهه الذي أخرجه من أرض مصر» (٢ مل ١٧ : ٧ ي). ولكن بقي بصيص أمل في النهاية: أفرج البابليّون عن ملك اليهود، وأعادوا إليه بعض الاعتبار. مثل هذا الأمر قد يبشّر بعودة المنفيين المهجّرين إلى بلدهم. وهذا ما سوف يتمّ في أيام الفرس سنة ٥٣٨.

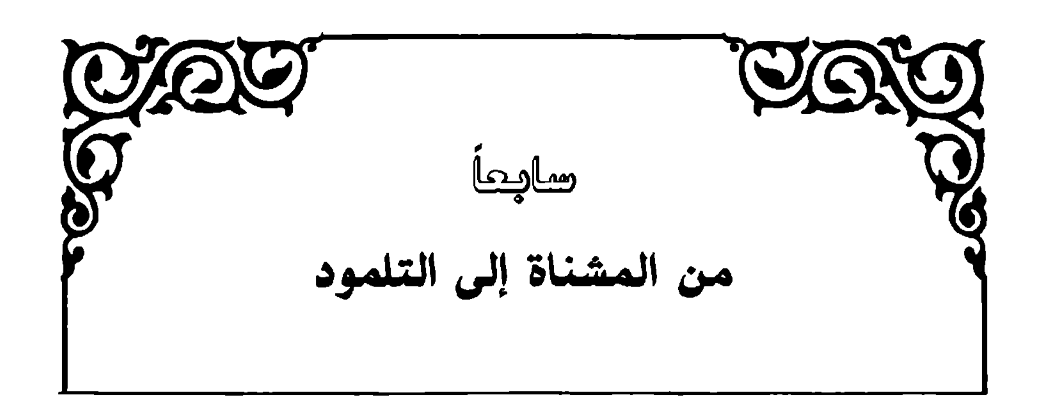
وأسفار الأنبياء اللاحقين هي سفر أشعيا الذي شدّد على قداسة الله، كما قدّم لنا لوحة تاريخيّة أسقط عليها كلام الله، تمتدّ من سنة ٧٤٠ ق م حتى القرن الخامس والعودة من المنفى. وعاش إرميا أحلك ظروف شعبه: رأى المدينة تُدمّر، والهيكل يحرق، والملكُ يؤسر والشعبُ يهجّر، فصرخ من الوجع: أحشائي أحشائي (١٩ : ٤). وكان حزقيال نبياً في المنفى. حكم في البدء على الشعب الخائن لربّه. ولكنه لما علم بدمار أورشليم وضياع كلّ شيء، بدأ يشجّع المنفيّين ويصوّر لهم الأرض الجديدة التي يهيّئها الله لشعبه مع هيكل يقيم فيه.

وحدّثنا عاموس عن عدالة الله، وهوشع عن حبّ الله لشعبه كحبّ العريس لعروسه. وتساءل حبقوق عن معنى الشرّ الذي يصيب العالم.. وهكذا امتدت نبوءاتهم حتى زمن الاسكندر الكبير وما بعد.

والقسم الثالث من العهد القديمُ سُمّي «كتوبيم» فضمَّ سفر المزامير الذي هو كتاب الصلاة، وسفر الجامعة وبطلان مشاريع الإنسان التي لا تنعشها مخافة الله، ونشيد الأناشيد أي نشيد حب الله لشعبه ولكل مؤمن من مؤمنيه، وسفر الأخبار اللذان أعادا قراءة كل تاريخ الشعب العبراني منذ البدايات حتى القرن الثالث ق م، من وجهة التقليد الكهنوتي.

لن نتحدّث عن الأسفار القانونيّة الثانية التي لم تحوها التوراة العبريّة، لأن العالم اليهودي، شأنه شأن العالم البروتستانتي، يعتبرها أسفاراً منحولة. ولكننا نقول إنه بعد دمار الهيكل وغياب الكهنة، صار الكتاب المقدّس هو الوسيط بين الله والبشر. وقد كلّم الله شعبه بلغة عبريّة صارت لغة مقدّسة حتى بألفاظها وحروفها، ففتحت الطريق أمام العربية. فاليهودي المؤمن لا يقرأ كتابه إلّا في اللغة العبريّة ولا يعود إلّا نادراً إلى الترجمات الحديثة. أما المسيحيّة فلم تقدّس لغة من اللغات، بل حاولت أن توصل كلام الله إلى جميع البشر في كل لغات العالم.





سابعاً

من المشناة إلى التلمود

تحدّثنا في فصل سابق عن التقليد الخطّي الذي يرقى إلى موسى وداود وسليمان والأنبياء وسائر الكتّاب الملهمين. إنه كلمة الله المكتوبة التي يدرسها اليهوديّ ويتحرّاها ويقابل النصوص بالنصوص والآيات بالآيات، بل الحروف بالحروف. ولكن التيار الفريسي اعتبر أن هناك تقليداً شفهياً يتناقله المعلّمون جيلاً بعد جيل، وهو أيضاً كلام الله. هذا التقليد الشفهي بدأوا بتدوينه بعد زمن المسيح. بدأوا بالمشناة وانتهوا بالتلمود.

تعود المشناة (أو المشنى) إلى فعل «ش ن ه» الذي يعني «ردّد، كرّر» وتأثر باللفظة الآرامية «تنى» (رج في العربيّة: ثنى، اثنين) فاتخذ معنى «درس». وطُبّق بشكل خاص على دراسة «الشريعة الشفهيّة»، ودلّ على أسلوب خاص يقوم على الذاكرة والاستعادة على ما في نظام الآباء (أبوت ٨:٣) «حين يسير واحد في الطريق ويستعيد ما تعلّمه يقطع المشنى». إن «م ش ن ه» تقابل «م ق ر ا» (قرا، قرأ) التي تعني الشريعة المكتوبة التي يجب قراءتها (نح ٨: ٨).

في شكل عام، تدلّ المشناة على الشريعة الشفهيّة في كل نواحيها، على المدراش (أو الدرس والتأمل)، على الهلكوت أو الأمور السلوكيّة، على الهاغادوت أي الأخبار الكتابيّة التقويّة. في النهاية، دلّت على السلوك الواجب اتباعه.

المشناة هي تعليم شفهي حول المبادئ القانونيّة وتطبيقاتها المختلفة بحيث تخرق عقول التلاميذ كما تخرق الماء الأرض. قد نكون أمام جزء تعليمي خاص

بهذا المعلّم أو ذاك، أو أمام مجموعة من الشرائع اللامكتوبة، التي لا تُقرأ في كتاب، بل يسمعها التلميذ من فم معلّم ويكرّرها هو بدوره.

أما المشناة ككتاب فهي المجموعة الكاملة التي دوّنت في العبريّة، لشرائع انتقلت في الماضي انتقالاً شفهياً، ثم دوّنها رابي يهودا هاناسي، وقد شكّلت نواة تلمود أورشليم وتلمود بابل.

نستطيع أن نعتبر المشناة نتيجة النشاط القانوني للمعلّمين اليهود خلال القرن الثاني ب م. فالظروف الجديدة فرضت شروحاً جديدة، وتفاصيل وإيضاحات، وتكيّفات وتطبيقات على شريعة موسى: الشريعة لا تتبدّل، ولكن طريقة عيشها تتبدّل، لهذا نعود إلى نصوص قديمة ونقرأها في إطار جديد فنتجدّد.

كان المشناة أولاً عمل «س ف ر د م» أي السفرة (سفر الكتاب أي كتبه) أو معلّمي الشريعة، وقد كوّنوا مجموعتين. المجموعة الأولى (الصادوقيون) يفسّرون الشريعة تفسيراً واسعاً. والمجموعة الثانية (الفريسيون) يفسّرونها بأضيق طريقة، ويسعون إلى إلغاء خطر تجاوزها، فيُدخلون فرائض جديدة، وقد جعل الفريسيون لتفاسيرهم والفرائض التي أضافوا، قوّة تضاهي قوّة الشريعة المكتوبة، وسعوا لكي تنتقل تقاليد الآباء كلّها (غل ١: ١٤؛ رج مت ١٥: ٢) من السلف إلى الخلف. ولما دمّرت أورشليم سنة ٧٠ ب. م، زالت المجموعة الصادوقيّة وسيطر الفريسيون على العالم اليهودي سيطرة لا ينازعهم فيها أحد.

عند ذاك حلّ محل علماء الشريعة (س ف ر ي م، يذكرهم الانجيل) «الردادين» (في الآرامية تنائيم، من ت ن ا، ردّد، كرّر) الذين كانوا يعلّمون في صفورية وطبرية (فلسطين)، فدونّت تعاليمهم في المشناة. ولقد أظهر النقد الأدبي، أنها عمل أربعة أجيال: النواة القديمة. رابي عقبية (الجيل الثاني ١٠٠ - ١٣٠ ب م). ورابي مئير ورابي يهودا (الجيل الثالث، ١٣٠ - ١٦٠) وغيرهما، الذين زادوا مواد جديدة. وفي النهاية جاء رابي يهودا هاناسي (أي

الأمير، وقد سمّي «رابي» فقط بدون زيادة، لأنه اعتُبر «المعلم»، ١٣٥ - ٢١٧ ب. م) فأعطى المشناة شكلها الرسمي والنهائي، فصارت قاعدة حياة وفكر.

تألفت المشناة من ستة أقسام أو نظم (س د ر ي م، ترتيب)، وتوزّعت على ستين (في النصوص المطبوعة: ٦٣) مقالاً، و٥٢٣ (هناك من يجعلها ٥٢٤ أو ٥٢٥) فصلاً، و٤١٨٧ مقطعاً. النظام الأول: «زرع ي م» (الزروع) ويعالج ثمار الحقل. فيه ١٢ مقالاً حول الزراعة والعشور.. النظام الثاني: «م وع د» أي الموعد والزمن المحدّد. نجد فيه ١٢ مقالاً حول السبت وأيام الأعياد خلال السنة. النظام الثالث: «ن ش ي م» أي النساء. وفيه سبعة مقالات حول الزواج والطلاق... النظام الرابع: «ن ز ق ي م» أو الأضرار والاساءات. هي عشرة مقالات حول الحقّ المدني والجنائي. النظام الخامس: «ق د ش ي م» أي المقدسات، الأمور المقدسة. فيه ١١ مقالاً عن الذبائح وشعائر العبادة. والنظام السادس والأخير: «ط ه ر وت» أي الطهارة في ١٢ مقالاً حول الطاهر والنجس.

وبعد المشناة «توسفتا» أي مجموعة تعاليم تنائية (دوّنها الردادون، تنائيم) تكمّل تعاليم المشناة. فالتوسفتا التي هي ستة أضعاف المشناة، تنقسم قسمات المشناة أي الزرع والموعد والنساء والأضرار والقدسيّات والطهارة. غير أن هناك برّانيات تزيد مواضيع على المشناة أو تحمل عناصر جديدة.

ما هو أصل توسفتا، ومن أين جاءت موادها؟ نسب التلمود (سنهدرين ٦١ أ) تدوين توسفتا إلى رابي نحميا، وأعلن أن المشناة هي عمل رابي مئير. إذا كان هذا القول صحيحاً، نجد تفسيراً للنقاط المشتركة العديدة بين توسفتا والمشناة، لأن الرجلين كانا تلميذي رابي عقيبة. ولكن لا شيء يبرهن على أن رابي نحميا هو الذي دوّن «الاضافات». رأى أخصّائيون أننا أمام مجموعة انتقائية فيها الأمور المختلفة، بل المتعارضة في بعض المرّات. فالتوسفتا شأنها شأن المشناة، تورد مراراً رأيين يتعارضان ولا تقدّم كلمة الفصل.

يبدو من البحث الحديث، أن التوسفتا كما نُقلت إلينا، لم يعرفها كتّاب تلمود بابل ولا كتّاب تلمود أورشليم، لأن التلمود يحاول أن يوضح مسائل سبق وأوضحتها توسفتا. ولكن من المرجّح أن كاتب أو كتّاب التوسفتا عاشوا في فلسطين، لأن الأسلوب والمضمون في الاضافات قريب جداً من تلمود أورشليم.

أمّا «البرانيّات» التي نجدها في «الاضافات» فتقدّم في أكثر المرّات نصاً مشابهاً لنص المشناة. ولكن قد تكون اختلافات على مستوى التعبير، بل على مستوى المضمون. وقد تكون مادة في توسفتا غير موجودة في المشناة. أما التلمود فيعتبر بشكل عام أن المشناة هي الينبوع الأول لكل تفسير، وحين لا تتوافق برانيّة ما مع المشناة، يستند الشارح إلى سلطة المشناة. أما إذا كان هناك فجوة في المشناة، فيؤخذ عادة نص البرانيّات.

ونصل إلى التلمود الذي يعود إلى «ل م د» درس (رج التلميذ في العربيّة). هو يعود بنا إلى آراء وتعاليم تلقّاها التلاميذ من معلّميهم ليعرضوها ويفسّروها (س د ر تنائيم وأمورائيم: نظام الردّادين والقوّالين). التلمود هو تفاسير وجدالات القوّالين (أمورائيم) حول مشناة يهودا هاناسي. هناك «شاس» أي ستة أنظمة المشناة. وهناك «جمارة» أو «غمارة». تواصلت دراسة المشناة في فلسطين وفي بابل، فتكوّن تلمودان: تلمود أورشليم (تسمية خاطئة) وتلمود بابل.

هذه المجموعة هي أساس سلطة الشرائع والتقاليد اليهوديّة، التي تجمّعت على مدى ٧٠٠ سنة، من ٢٠٠٠ سنة ق م حتى سنة ٥٠٠ ب م. وهي تضمّ المشناة وجدالات الرابينيين في الغمارة. إن الشريعة الشفهيّة التي أعطيت لموسى على جبل سيناء كما يقول التقليد، قد جُعلت قوانين في المشناة، وكانت الغمارة نتيجة المناقشات في هذه القوانين. وهكذا نقسم الحقبة التلموديّة حقبتين: حقبة المشناة وحقبة الغمارة. وحين نقوم بهذه القسمة، فنحن لا نقف فقط على المستوى الأدبي. فالهلكة (أو السلوك) التي هي مجمل الشريعة اليهوديّة تتأسّس على تراتبيّة المراجع. مهما كان المرجع قديماً كانت سلطته عظيمة. فالشرائع

التي عبّرت عنها التوراة بوضوح، لها سلطة تسمو على سلطة المشناة. وتتفوّق سلطة المشناة على سلطة الغمارة. والشرائع التي أعطتها غمارة لها سلطة لا تمتلكها القرارات السلوكيّة اللاحقة. لهذا سمّي معلّمو المشناة تنائيم أي الذين يعلّمون. أما سلطة الغمارة فسمّيت «أمورائيم» أي الذين يشرحون.

تكرّست المشناة بشكل شبه حصريّ للهلكة، وهي لا تتضمّن إلّا النتيجة الأخيرة لجدالات الرابينيّين. وغابت عنها براهين وجدالات طويلة حول النصوص البيبليّة. ولكن إذا كانت المشناة أعظم مجموعة لقرارات الرابينيين في القرن الثاني ب م، إلّا أنها ليست الوحيدة. فقد احتفظت لنا الكتب بالاسلوب القديم لدراسة الشريعة الشفهيّة في أربعة أجزاء المدراش السلوكي. فالمدراش يدلّ على كل تفسير رابيني للنص البيبليّ.

ومدراش هلكه يتضمّن تفاسير الرابينيين حول الشرائع البيبليّة. ولا ننسى «البرانيّات» التي جمعت في الاضافات، في توسفتا. غير أن توسفتا لا تتضمّن كل أعمال الردّادين التي غابت عن المشناة. فهناك برّانيّات عديدة حُفظت في القسم الثاني والأكبر من التلمود، الذي سمي «غمارة» أي ما نتعلّمه من التقليد. انطلق المعلّمون من نصّ المشناة ووسّعوه في صفحات عديدة. وهكذا كان لنا سنة ٤٢٥ ب م أول نسخة للتلمود (المشناة + غمارة). سمّي أولاً تلمود المغارب لأن أرض فلسطين تقع غربي بابل، ثم سمّته الأجيال اللاحقة تلمود أورشليم.

هذا التلمود ليس نتاج أكادمية أورشليم الرابينيّة. بل الرابينيين في قيصرية البحرية وصفورية وطبرية. يشكّل تلمود أورشليم ثلث تلمود بابل في عدد الصفحات. وهو لا يحوي «غمارة» على كل المشناة (قدشيم أو الشرائع المتعلّقة بالذبائح والهيكل، طهوروت أو الشرائع حول الطاهر والنجس).

دُوّنت غمارة تلمود أورشليم في الشكل الجليلي للآرامية الغربية. ووُجدت ألفاظ عبرية، كما وُجدت ألفاظ لاتينيّة ويونانيّة مشوهة. والجدالات هي بشكل

عام قصيرة وقاطعة. وثلث هذا التلمود لا يتعلّق بالسلوك، لأنه تأثّر بالمدراش الاخباري الذي اتّسع كثيراً في فلسطين.

ساءت الحالة في البلاد فأجبر الرابينيون في فلسطين على السرعة في العمل. أما المعلّمون في بابل، فواصلوا أبحاثهم. نشير إلى دور كبير لعبه يوحنان بن نفخة خلال القرن الثالث في جميع هذه العناصر العديدة. أما التدوين فقد تمّ بعد موته. بما أن «ج ي ون ي م» أو رؤساء الأكاديميات منذ القرن السادس حتى القرن الحادي عشر، أعلنوا سلطة تلمود بابل، لهذا أهمل تلمود أورشليم الذي لم يذكره سوى سعدية غاوون. غير أن المعلّمين في أفريقيا الشمالية وجنوبي إيطاليا ظلّوا يدرسونه. نشير إلى أن النسخة الفرنسيّة ظهرت في ستة أجزاء في باريس بعناية م. شواب Schwab ١٩٦٩ بعد أن كانت ١١ جزءاً سنة ١٨٧١ - ١٨٧٩، و١٢ جزءاً سنة ١٩٣٢. وهناك ترجمات انكليزيّة وألمانيّة. . .

أما تلمود بابل فهو يختلف كل الاختلاف عن تلمود أورشليم. دوّن نصف الغمارة في العبريّة، والنصف الآخر في الآراميّة. وتوسّعت الجدالات وطالت. كما أن الأمور السلوكيّة لم تأخذ سوى ثلث الكتاب. أما الثلثان الآخران فيتضمّنان المدارش الاخباريّة.

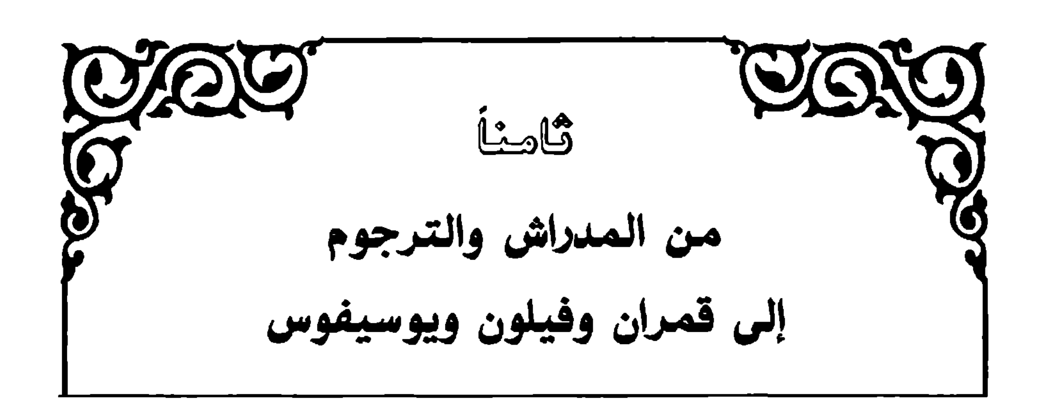
يعلن التقليد أن رابي عشي وربينا قد نشر تقليد بابل، ولكن رابي عشي قد يكون وضع الأسس، وتتابع العمل بعده أجيالاً عديدة. وانتهى حوالي ٥٠٠ ب م. ولم يكتف اليهود بهذا التلمود واتّساعه ولاسيّما تلمود بابل الذي ظهر في ٢٨ جزءاً. بل أخذوا يفسّرون التلمود. فقد فسّر راشي (١٠٤٠ - ١٠٥٠)، في تروا من أعمال شمبانيا في فرنسا، تلمود بابل، فجاء تفسيره واضحاً، وزاد تفاصيل عديدة. وفسّر سيريلو حوالي سنة ١٥٣٠ تلمود أورشليم، كما فسّره موسى مرغوليس (+ ١٧٨٠ ليتوانيا).

كان تأثير التلمود كبيراً جداً، وهو الذي امتدّ انتقاله من الحقبة الشفهيّة إلى

الحقبة الخطيّة قروناً عديدة، ولاسيّما على الممارسة الدينيّة في العالم اليهوديّ على مرّ العصور. وقد كان لدراسة التلمود من الأهميّة بحيث إن وصيّة دراسة التوراة في تث ٦:٧ (وكرّرها على بنيك وكلّمهم بها إذا جلست في بيتك) و١١: ١٩ (علموها بنيكم وتدارسوها إذا جلستم في بيوتكم)، فسّرت على أنها بشكل رئيسيّ وصيّة تدعو المواطن إلى دراسة التلمود. وحتى اليوم، ما زالت دراسة التلمود الاهتمام الرئيسي في الاكاديميات الرابينيّة في العالم.

وتلمود بابل هو بشكل خاص أكثر من مجموعة شرائع وفرائض. فهو يتضمّن كنزاً غنياً على مستوى الفكر والتاريخ والتأويل البيبلي والعادات اليهوديّة. لهذا طبع بطابعه العالَم اليهوديّ والهويّة اليهوديّة. وشرائعه حوّلت اليهوديّة إلى نمط حياة يشمل كل وجهات الحياة اليوميّة.





بعد التوراة التي امتدّ تدوينها عشرة قرون ونيّف، وبعد التلمود الذي بدأت أولى تمتماته في القرن الثاني ق م، ، انتهى تدوينه في القرن الخامس ب م، نودّ أن نتوقّف عند ثلاث ظواهر أدبية: المدراش والترجوم، مؤلفات قمران، يوسيفوس وفيلون الاسكندراني.

ما هو المدراش؟ تعود الكلمة إلى «درش»، تفحّص، شرح، فسّر، درس. المدراش هو تأويل الرابينيّين للعهد القديم. وإن يكن للمدراش شكل تفسيري يشرح النصّ الكتابيّ آية آية، إلّا أنه في أغلب الأحيان توسيع وإسهاب لهذا النصّ في طريقة تقويّة تبني المؤمنين، وتحمل غنى معطيات جديدة (بعضها خبر له أساس في التاريخ). هذا ما نسميه المدراش الاخباري (هاغاده). المدراش هو جمع مواعظ وخطب قيلت في المجامع ومدارس السبوت والأعياد، أو بمناسبة أحداث هامّة في الحياة العامّة أو الخاصّة (حرب، جوع، ختان، زواج، جنازة. .).

أما في ما يتعلّق بالنصوص التشريعيّة، فالمدراش يحاول أن يوضح تطبيقها في الحياة اليوميّة، أو أن يستنتج توجيهات جديدة عمليّة. هذا ما يسمّى المدراش السلوكي. أما أقدم المدارش (جمع مدراش) فهو ملكتا (قياس، أسلوب، شكل) رابي اسماعيل حول الخروج، وهو مدراش التنائيم (الردّادين) حول الخروج. يبدأ الكتاب في خر ١٢: ٢ ويمتدّ حتى النهاية. فيحتفظ بأخبار قديمة لا نجدها في موضع آخر. وهناك «سفرا» (كلمة آرامية تعني الكتاب) حول

سفر اللاويين. هو مدراش يضمّ مجموعة من «برانيات» التنائيم وهي تعود إلى القرن الثاني ب م. ونذكر أيضاً في الوقت عينه المدراش حول سفر العدد، والمدراش حول سفر التثنية. هنا يجدر القول إننا نجد «مدراش» على جميع أسفار التوراة.

والترجوم يعني «ترجمة» ونقلاً من العبرية إلى الآرامية. تعود اللفظة إلى «ت ر ج م» (شرح، نقل) (رج عز ٧: ٤)، إلى أصل أكاديّ أو حثّي. أما في الاستعمال الرابيني، فالفعل يدلّ على نقل النصّ العبريّ إلى أية لغة أخرى (تلمود أورشليم قدشيم ١: ٥٩ أ؛ مجله ١: ٧ ج). غير أن الكلمة (ترجوم) استعملت فقط لتدلّ على ترجمة البيبليا إلى الآرامية، أو على النصوص الآرامية التي نجدها بشكل خاص في دانيال وعزرا (المشناة، يديم ٤: ٤). يُقرأ النص العبري في ليتورجيّة المجمع، وينقله المترجم (متورجمان) للحاضرين الذين ما عادوا يفهمون العبرية.

بدأت «التراجيم» في القرن الأول ق م، إن لم يكن قبل ذلك. وقد اكتُشفت نصوص عديدة في قمران مثل ترجوم أيوب، ترجوم اللاويّين، ترجوم (أو أبوكريفون، منحول) سفر التكوين. هذا الترجوم لم يكن مكتوباً، بل كان قائله يتلوه غيباً. فإذا كان النصّ المقروء من أسفار الشريعة الخمسة، يترجم المترجم آية بعد آية. وإذا كان من أسفار الأنبياء يترجم كل ثلاث آيات معاً (المشناة، مجله ٤: ٤).

نحن نمتلك اليوم «ترجوم» جميع الأسفار البيبليّة ما عدا دانيال وعزرا ونحميا. وهي تتوزّع حسب توزيع الكتاب المقدّس في عهده القديم: التوراة (ت ور ه)، الأنبياء (نبييم)، الكتب (كتوبيم). تراجيم الكتب حديثة العهد. والترجوم الرسمي للأنبياء، قد نسبه التقليد (مجله ٣ أ) إلى يوناتان بن عزيئيل، أشهر تلاميذ هلّال. أصل هذا الترجوم فلسطيني، ولكنه نُشر في بابل، فصار توأم الترجوم الرسمي للبنتاتوكس، ترجوم أونكلوس. أما لغة ترجوم الأنبياء فتدلّ على أنه دوّن على أبعد حدّ حوالي سنة ١٣٥ ب م. أما تراجيم البنتاتوكس

فنجعلها في مجموعتين: ترجوم أونكلوس أو ترجوم بابل. ثم النسخات الفلسطينيّة.

أما ترجوم أونكلوس فهو النسخة الرسميّة والقانونيّة للتوراة، وقد اتّخذ مكانة خاصّة في التقليد اليهوديّ بجانب تلمود بابل الذي يسمّيه «ترجومنا» (قدشيم ٤٩ أ). يُقرأ اسم أونكلوس في مجله ٣ أ، ولكن المقطع الموازي في الترجوم الفلسطيني (مجله ١: ٧١ج) يدلّ على أننا أمام التباس مع اسم أكيلا الذي ترجم التوراة العبرية إلى اليونانيّة في القرن الثاني ب م. أما تلمود أونكلوس فهو نسخة تقليديّة لا نعرف اسم كاتبها، ولكنها تعود في الأصل، إلى فلسطين. هذا التلمود الذي انطلق من فلسطين إلى بابل، سيعود إلى فلسطين بعد الفتح العربي ويسيطر سيطرة تامّة على سائر التراجيم التي لم تعد تنسخ. وهكذا لا نملك منها سوى مخطوطين كاملين، الكودكس نيوفيتي (أو مدرسة المعمدين الجدد)، في المكتبة الفاتيكانيّة، والمخطوط البريطاني ٢٧٠٣١.

إن تراجيم فلسطين تمثّل نهاية المطاف لتقاليد مختلفة لترجوم شفهيّ لم يعرف يوماً نسخة رسميّة موحّدة. غير أن مضمون هذه النسخات هو واحد. نذكر منها نسخة تامّة «يوناتان المزعوم» أو الترجوم الأورشليمي الأول. ثم نسخة «نيوفيتي» التامة. وأخيراً الترجوم الاجزائي أو ترجوم أورشليم الثاني، الذي يتضمّن ٨٥٠ آية تقريباً تعود إلى اختلافات وُضعت في هوامش المخطوطات.

وفي نهاية هذا القسم نذكر ما ترك لنا الاسيانيون في قمران من مخطوطات ونتوقّف عند شخصين دوّنا ما دوّنا في القرن الأول المسيحيّ، فكان الأول ذاك المفسّر الذي استعمل لغة الرموز. . والثاني ذاك المؤرّخ الذي أعاد قراءة تاريخ شعبه ثم قدّم لنا معلومات عن التاريخ اليهوديّ حتى نهاية القرن الأول لا نجدها إلّا قليلاً في مراجع أخرى.

في بداية سنة ١٩٤٧، كان راع شاب من قبيلة تعميرة اسمه محمد الديب، يطلب خروفاً أضاعه وسط الصخور وشقوقها، فاكتشف على مسافة ١٣٠٠ م إلى

الشمال من خرائب قمران، المغارة الأولى بمخطوطاتها. نشير هنا إلى أن هذه الخرائب تبعد قرابة ١٢ كلم إلى الشمال من أريحا الحالية، وعلى الشاطئ الغربي للبحر الميت. لهذا سمّيت أيضاً مخطوطات البحر الميت. وتتابعت التنقيبات من سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٥٦، فكشفت إحدى عشرة مغارة مع ما يوازي ٦٠٠ مخطوطة دوّن أكثرها في العبرية أو في الآرامية، وكشفت لنا المغارة السابعة أجزاء من برديات دوّنت في اليونانيّة. وهكذا عرفنا أننا أمام مكتبة الجماعة الاسيانيّة.

ماذا تتضمّن هذه المكتبة؟ ١٢ لفيفة محفوظة، سبع من المغارة الأولى وخمس من المغارة الحادية عشر. نسختان من أشعيا، تفسير حبقوق، نظام الجماعة، نظام الحرب، المدائح، منحول التكوين (في الآرامية). وفي المغارة الحادية عشرة: سفر اللاويين. مجموعة مزامير تستعيد ٣٧ مزموراً من اللائحة القانونيّة وتضيف سبعة مزامير وجدت ثلاثة منها في اللغة السريانيّة، ترجوم أيوب، درج الهيكل. ووُجدت أجزاء عديدة، بل فتافيت ما زال الباحثون يتعاملون معها وكأنها لعبة معقدّة (بازل). رُبع هذه الأجزاء هو نسخات من أسفار التوراة، والباقي يقدّم لنا صورة عن حياة هذه الجماعة.

في هذا الاطار لا نستطيع إلّا أن نذكر الأسفار المنحولة أو المكتوبة التي سمّيناها «على هامش الكتاب». فاكتفي بذكرها: أخنوخ، وصيات الآباء الاثني عشر، مزامير سليمان، وصيّة موسى، استشهاد أشعيا، الأقوال السيبليّة، رؤيا باروك اليونانيّة، كتاب أسرار أخنوخ، كتاب العاديات (أو: القديميات) البيبليّة، سفر عزرا الرابع، رؤيا باروك السريانيّة، يوسف واسنات، وصيّة أيوب، وصيّة ابراهيم، رؤيا ابراهيم، أخبار إرميا، حياة آدم وحواء في اليونانيّة، رؤيا إيليا.

ونصل إلى كاتبين يهوديّين من القرن الأول المسيحي. الأول هو فيلون ابن الاسكندرية. وُلد بين سنة ١٥ وسنة ١٠ ق م من عائلة بورجوازية وقد لعب اخوته دوراً سياسياً بارزاً. أما هو فاختلفت حياته عن حياتهم فتكرّس للفلسفة واللاهوت، وهو اليهودي المتكلّم في اللغة اليونانيّة. وقد ترك لنا العديد من

كتب الشرح الكتابي والتفسير: أسئلة في سفر التكوين. أسئلة في سفر الخروج، الجبابرة، بلبلة اللغات، الاحلام. كما ترك كتباً لاهوتيّة مثل: وضع الكون، الوصايا العشر، الشرائع الخاصّة. وترك أيضاً كتباً دفاعية:

حياة موسى، حياة التأمل والمشاهدة.

أخذ لغته وأسلوب براهينه من مقولات الفلسفة اليونانيّة. ولكنه لم يتوقّف عند فيلسوف واحد أو تيّار فلسفي واحد. بل انتقى ما انتقى من الفلسفة الرواقيّة والفيثاغوريّة واللاأدريّة والارسطاطاليّة. كان كل ذلك أساساً ثقافياً، لا ارتباطاً بهذا النظام أو ذاك. فبالنسبة إليه، الفلاسفة بسفسطاتهم هم نسل قايين القاتل. والشرائع اليونانيّة بتعدّدها مملوءة بالتناقضات. أما شريعة موسى فهي شاملة لأنها ترتبط بالله. لهذا فهي توافق العقل. أما تفسير فيلون المستند إلى اللغة الاستعاريّة في الكتاب المقدّس، فقد فتح الطريق لاوريجانس وغيره من آباء الكنيسة.

ومع فيلون الفيلسوف اللاهوتي نذكر فلافيوس يوسيفوس المؤرّخ الذي كان قريباً من الحشمونيين بواسطة جدة جدّته. وُلد سنة ٣٧ ب م، ونال ثقافة واسعة انتهت به لدى الفريسيين. حارب مع اليهود ضد رومة. حاصره الرومان في يوتفتة. وحين سقطت المدينة، عزم الوجهاء على قتل أنفسهم. وظلّ يوسيفوس ورفيق له على قيد الحياة، فاستسلما إلى الرومان وصار هو صديق الرومان. قد يكون مات حوالي سنة ١٠٠ ب م.

تآليفه: الحرب اليهوديّة، العاديّات اليهوديّة، السيرة الذاتية، مقال ضد أبيون. دوّن الحرب اليهوديّة أولاً في الآراميّة، ثم عاد فكتبها في اليونانيّة، وجاءت العاديات اليهوديّة في عشرين كتاباً فروت تاريخ الشعب اليهودي منذ الخلق حتى سنة ٦٦ ب م.

في السيرة الذاتية حاول أن يدافع عن موقفه. وفي مقاله «ضد أبيون» ردّ على انتقادات الوثنيّين ضدّ اليهود.

كتب الحرب اليهوديّة في أيام وسباسيانس، فبدا قريباً من الرومان. ولكنه أحسّ بأنه مهدّد بالقتل. فقلّل من دوره في السيرة الذاتية. أما في العاديات اليهوديّة فتوخّى أن يعرّف المثقّفين اليونان بالتاريخ اليهوديّ. كما توخّى أن يعيد الأمل إلى شعبه المشتّت الذي يجب أن يعيش إيمانه بدون هيكل ولا ليتورجيا. فذكّرهم أن العالم اليهودي يغرز جذوره في تاريخ أقدم من تاريخ اليونان، وفي شريعة تامّة كاملة ترتبط بالله الواحد.



هوامش الفصل الأول

(١) راجع بتوسع: اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص١٤٠ - ١٥٥، ط/ مكتبة النهضة المصرية، (الخامسة) سنة ١٩٧٨ م.

(٢) دراسات في الأديان «اليهودية» د. أحمد غلوش، ص١٥، بتصرف.

(٣) الصهيونية العالمية للأستاذ عباس العقاد، ج ١٤، ص ١٤١، بتصرف من المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ العقاد، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

(٤) جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، للأستاذ محمد ندا، ص ٢٠٩، بتصرف، ط/ دار اللواء، أولى، عام ١٩٨٤م، بالسعودية/ الرياض.

(٥) جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، ص٢١١ - ٢١٢، بتصرف.

(٦) المرجع السابق، ص٢١٥.

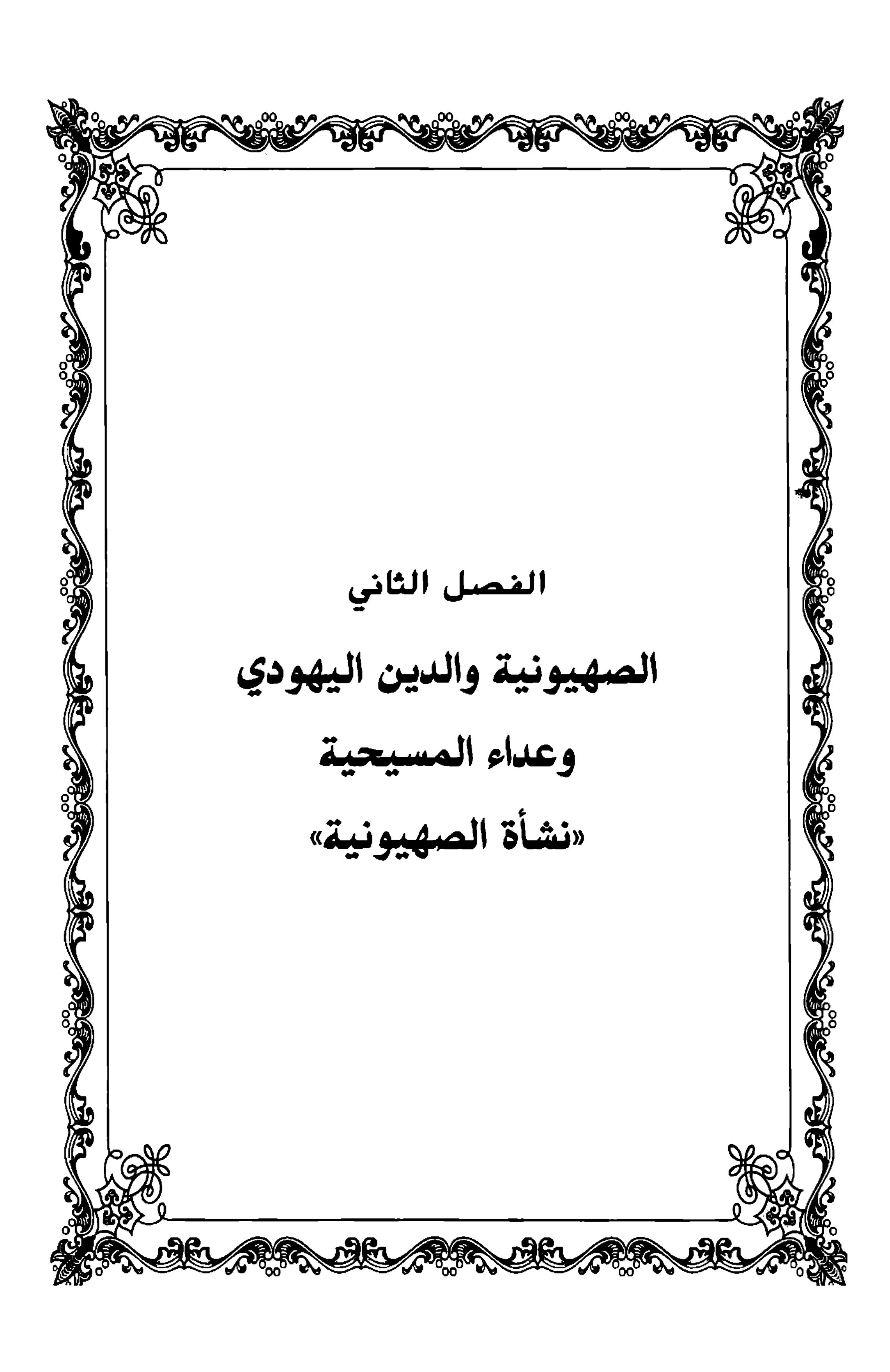
(٧) سفر ارمياء، اصحاح، (١٣).

(٨) مجلة لواء الإسلام، عدد شعبان، ١٣٨٧ هـ، ص ٧٢٢.

(٩) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لوبون، نقلاً عن: خطر اليهودية العالمية (عبد الله التل) ص ٢٢.

(١٠) العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح ٩ (٢٠ - ٢٧) بتصرف.

(١١) جذور الفكر اليهودي، تأليف/ داؤد عبد العفو سنقرط، سلسلة أبناء يهوذا في الخفاء (١) ص ١١ - ٥٣، باختصار، ط/ دار الفرقان، «الثانية» سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ م.

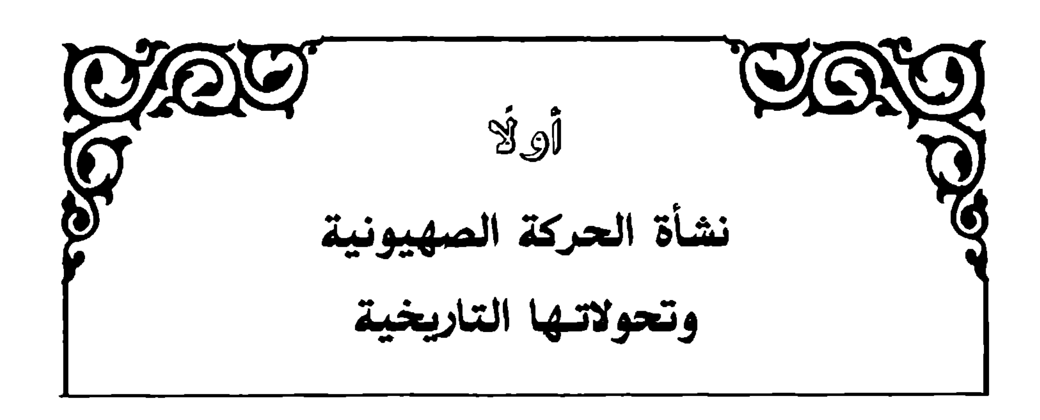


الفصل الثاني

الصهيونية والدين اليهودي

وعداء المسيحية

«نشأة الصهيونية»



أولاً

نشأة الحركة الصهيونية وتحولاتها التاريخية

من المعروف تاريخيا أن أكبر تجمع لليهود.. في القرن الثامن عشر والتاسع عشر.. كان موجودا في أوروبا.. وكان هؤلاء يعيشون في شبه عزلة عن العالم أو في إطار منعزل عن المجتمعات التي يعيشون فيها.. وكانت الجماعات اليهودية تعتبر هذا الانعزال نوعا من الحماية لها وليهوديتها..

لذا لم يكن ذلك الأمر بناء على قرارات رسمية صادرة عن الحكومات بقدر ما كان قرارا ذاتيا بالعيش في (الغيتو) فضلا عن الذهنية التي غذاها وسيج أسوارها الحاخامات والزعامات.. إذ أنه كان من نتيجة المعرفة التوراتية والتلمودية أن تكونت ذهنية تقوم على الاستعلاء من جهة والعزلة داخل أسوار الحي اليهودي «الغيتو» من جهة ثانية.

ومن هنا نجد أن كل من التوراة والتلمود قد نجحا في تسييج العزلة الوجدانية والعقلية حول اليهود بادعاءات التميز الحضاري والنقاء العرقي.. وبهذا قد ساهم بتعميق شعور العزلة والعيش في مناخ تسوده المفاضلة عن الآخر.. والإحساس بالمفاضلة عليه.. إذ أن عزلة اليهود الاختيارية هذه جعلتهم لا يشاركون في الحياة الاجتماعية العامة للأوطان التي عاشوا فيها.. ومن ثم حافظوا على تقاليدهم وأعراقهم وكانت لهم محاكمهم ومجالسهم ومدارسهم الخاصة.

على أن بقاء التوراة والتلمود قد لا يكون راجعا إلى حكمته بل إلى ضرورته في «حفظ النظام والاستقرار بين جماعات تعيش في خطر دائم وسط

عقائد معادية وشرائع أجنبية.. ففي الشتات كان على الكنيس/ ت (المجمع) أن يقوم بما تقوم به الكنيسة والحكومة.. وقد ربط الحاخامات بين أفراد شعبهم في وحدة متماسكة خلال جميع التقلبات والغير بإعطائهم بركة.. وأصبح التلمود المحكمة العليا.. لدولة غير منظورة».

ومن الناحية الأخرى نجد أن يهود أوروبا الغربية (السفارديم) ومع ظهور الحركة العلمانية أخذت الجماعات اليهودية تتحلل من هذا الانعزال.. كانوا على عكس اليهود في شرق أوروبا (الإشكناز).. فقد كانوا يعيشون بذلك الترابط العميق فيما بينهم على أن فكرة الاندماج بالشعوب الأخرى التي يعيشون بينها قد شاعت مع بدايات انتشار الحركة العلمانية وظهور ما يسمى بالقوميات.. وكانوا إلى جانب ذلك يعارضون فكرة أن اليهود في أوروبا يعيشون في منفى.. وأنه على العكس تماما من ذلك هو أن شعور المواطنة بينهم كان أقوة من أن تؤثر فيه مثل تلك الادعاءات والمزاعم المغلوطة.. ولعل عملية الذوبان الاجتماعي التي شهدها اليهود في أوروبا الغربية تعود في الواقع إلى طبيعة الحراك الاجتماعي التي شهدتها أوروبا في بدايات القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.. والتحول الاجتماعي والاقتصادي الذي كانوا يعيشون فيه.. خاصة وأن ظهور الحركات القومية في أوروبا أخذ على عاتقه تشكيل الأمة أو محاولة إعادة صياغة مفهوم جديد للأمة.. والسعي إلى التجانس المجتمعي لها.. لذلك لم يكن اليهود الغربيون مبالين بما اصطلح عليه (لإحياء القومي اليهودي) وهم يهود أوروبا الغربية (السفارديم).. على أنه وفي هذه الحقبة كان التحرير من الناحية الفكرية قد أخذ بشكل «(الهسقلة أو الهاسكالاه) وهي كلمة كانت تعني (الحكمة).. ولكنها أصبحت في هذا السياق تعني أو ترمز إلى التنوير اليهودي.. أو تمرد عدد متزايد من اليهود على سيطرة اليهود الأحبار والتلمود.. وتصميمهم على أن يندمجوا اندماجا نشيطا في تيار الفكر الحديث».. خاصة وأن نشاط (حركة التنوير اليهودي) كانت قد تمحورت حول دعوة اليهود إلى تحطيم أسوار الغيتو والاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها.. وذلك في

ظل التحولات العميقة التي كانت تشهدها أوروبا آنذاك على مختلف الأصعدة. .

ولقد لعبت هذه الدعوة استجابة من بعض النخب الثقافية اليهودية الرافضة لقبول الانعزال الغيتوي وأطلقت على هؤلاء صفة العلمانيين في مواجهة اتجاه الانعزال الذى رأى في الاندماج تبديدا للهوية اليهودية وتقويضا للانتماء أو هي في حقيقتها محاولة صريحة للقضاء على اليهودية في حقيقة الأمر.

من هنا. . «وقع انقسام بين اليهود المترددين المقبلين على الحداثة. . واليهود المحافظين الذي شعروا بأن الولاء للتلمود والمجتمع اليهودي هو الطريق الأوحد للحفاظ على الوحدة الدينية والعرقية والأخلاقية للشعب اليهودي». . ومن ثم فقد «أعانت التطورات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا الغربية على تحرير اليهود وظهور ما يسمى بالهسقلة. . أو التنوير اليهودي». . وهو الشيء الذي دفع إلى ظهور رفض واسع لدعوة المحافظين اليهود وفضلوا الاتجاه نحو تأكيد المواطنة والاندماج في المجتمعات. . خاصة وأن تيارات التغير والتطور التي نادت بها الثورة الفرنسية ومبادئ العدالة وحقوق الإنسان والحرية والمساواة والتي طرحتها على مستوى عالمي قد أثرت تأثراً كبيراً ومباشرا في حياة الجماعات اليهودية ودفعت من ثم بها نحو المزيد من الاندماج خاصة وأنها شملت جميع قطاعات المجتمع اليهودي. . خاصة وأنها أكدت على أن يكون الانتماء اليهودي انتماءا دينيا فقط إلى جانب أن التحرير السياسي النهائي للجماعات أو المجتمعات اليهودية «لم يأت إلا مع الثورة الفرنسية. . فقد احتواه ضمنا إعلان حقوق الإنسان الذي أذاعته الجمعية الوطنية في ٢٧/ ٨/ ١٧٨٩. . وفي ٢٧/ ٩/ عام ١٧٩١ وافقت الجمعية التأسيسية على إعطاء كامل الحقوق المدنية لليهود في فرنسا وجاءت جيوش الثورة أو جيوش نابليون بالحرية لليهود في هولندا في عام ١٧٩٦. وليهود البندقية عام ١٧٩٧. وليهود مابنز عام ١٧٩٨ وفرانكفورت عام ١٨١١. وهكذا اختتمت حقبة العصور الوسطى بالنسبة لليهود». . وقد كان موسى مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦) من أهم الشخصيات التي كان لها دورها العام والفعال في حركة التنوير. . إذ أنه ألف كتابا عام ١٧٨٣

أسماه (أورشليم) أو السلطة الدينية والديانة اليهودية. . «أعاد فيه تأكيد إيمانه اليهودي, أهاب باليهود أن يخرجوا عن عزلتهم وانطوائيتهم ويدلوا بدلوهم في الثقافة الغربية. . وحث على الفصل بين الكنسية والدولة. . وأدان أي إكراه في الدين. . وذهب إلى أن الحكم على الدول يكون بقدر اعتمادها على الإقناع لا القوة».

ومن أهم أقواله أيضاً «بأن اليهودية عقيدة دينية لليهودي أي يتبعها في حياته الخاصة. . ولكن عليه أن يندمج في الشعب الذي يعيش فيه. . وأن يأخذ بعاداته وثقافته». . مما تقدم يتضح لنا أن حركة التنوير اليهودية قد قامت بمحاولة إزاحة الدين اليهودي عن موقع كمحدد رئيسي في مسألة الانتماء بين اليهود. . محاولة منها لترسيخ صياغة جديدة لانتماء جديد.

أما يهود شرق أوروبا وهم (الإشكناز) على العكس من ذلك الاتجاه التحرري. . إذ أن زعماء اليهود في أوروبا الشرقية كانوا يسعون في اتجاه مقابل لليهود في أوروبا الغربية. . إلى مقاومة نزعة الاندماج والمواطنة. . وقد عملوا جاهدين على بعث النزعات العنصرية والانعزالية وذلك من خلال إحياء أو ترسيخ ما أسموه (الأمة اليهودية) واعتبار اليهودية (دينا إلى جانب القومية). . وأن الشعب اليهودي في حقيقته هو شعب مختلف عن غيره من الشعوب. . فهو فريد في نوعه. . ومقدسا في طبيعته. . فهم في الحقيقة (الشعب المختار).

وفي هذا المناخ المنشق والمنقسم. . ظهرت الحركة الصهيونية متمثلة في (أحباء صهيون). . وكان ذلك في ثمانينيات القرن التاسع عشر. . مركزة أهدافها الإستراتيجية على النقاط الثلاث وهي: محاربة الاندماج ومحاولة الإبقاء على التميز العنصري والنقاء العرقي. . إلى جانب السعي بجدية لخلق الشعور القومي والتأكيد على مفهوم الأمة اليهودية. . إلى جانب مخططها الأساسي وهو استيطان فلسطين. . وقد كان لهذه الحركة أو هذا الاتجاه أن يصطدم بشدة مع طرح الحركة التنويرية والإصلاح اليهودي التي كانت تنادي بنهضة اليهود وتطوريهم اقتصاديا واجتماعيا من خلال التأكيد على فكرة الاندماج داخل الدول التي

يعيشون فيها وتحديد انتماءهم بتبعية تلك الدول. من هنا كانت الحركة الصهيونية كرد فعل لتلك التحولات وعلى الأخص كرد صارم على طروحات حركة الاستنارة ومحاولة جادة لحل المسألة اليهودية في ظل التطورات الحديثة التي عايشتها الدول الأوروبية.. منطلقة من اعتبار اليهود عنصرا متميزا.. ومستقلا وغير قابل للاندماج أو العيش بسلام مع المجتمعات الأخرى. من ناحية أخرى قد نشأت الصهيونية مستندة إلى فيض الأساطير والميثولوجيا التي تأسست ذهنيا كنتيجة حتمية للتعامل مع التلمود الذي ملأ حياة اليهود بكثير من الرموز والعقائد ورسمت أيضا سلوكهم وجلبت عليهم عداء الشعوب الأخرى.. وقد كانت الصهيونية في بداياتها يغلب عليها الطباع الديني.. وهو ما يتقوم بالأمل اليهودي الكبير بعودة (الماشيح) في آخر الزمان ليعود بشعبه إلى أرض الميعاد ويحكم العالم من جبل صهيون.. وقد كانت الصهيونية الدينية.. وراء إيجاد ذلك التقليد الخاص بالحج إلى الأرض المقدسة في العصور الوسيطة. وقد استخدم مصطلح (الصهيونية) بمعناه الحديث عام ١٨٩٠ مع المفكر اليهودي النمساوي (ناثان بيرنباوم).. الذي رفض التعريف الديني التقليدي للجماعات اليهودية باعتبارها جماعة دينية.. وهو التعريف الذي كان سائدا بين يهود العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر.. وبدلا من ذلك تبنى بيرنباوم تعريفا علمانيا يماثل بين القومية والعرق مع استبعاد الجانب الديني تماما.. وأصبحت الصهيونية حسب هذا التعريف بمثابة حركة البعث القومي اليهودي الذي يهدف إلى إنهاء حالة المنفى والشتات وعودة اليهود إلى أرض أسلاف تاريخهم.. وقد ترجمت هذه الأطروحة إلى الشعار العنصري المعروف.. (أرض بلا شعب.. لشعب بلا أرض).

والصهيونية هي في أصلها كلمة مشتقة من لفظ (صهيون) وهو جبل يقع شرقي القدس وكان قد استولى عليه الملك داوود من اليبوسيين وأقام عليه قصره.. أما الصهيونية المصطلح.. فهو الصيغة السياسية المعاصرة لليهود والتي برزت بشكلها العلني أواخر القرن التاسع عشر.

والصهيونية كمفهوم فهي تتضمن مخزونا أيديولوجيا واستنهاضا تعبويا.. إنها إعادة أنتجا لليهودية في إطار صيغة مشروع وطن قومي لليهود.. وقد عبر (بن غوريون) عن ماهية الصهيونية فقال: «إن الصهيونية تستمد وجودها وحيويتها وقوتها من مصدر عميق عاطفي دائم مستقل عن الزمان والمكان.. وقديم قدم الشعب اليهودي.. هذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة».. هنا نجد أن المخيلة الجماعية اليهودية قد عملت على إيجاد وكن قومي يهودي يكون مؤهلا لتأسيس دولة يهودية.. هذا الوطن هو صهيون.. فلسطين. ومثلما توفر الوطن القومي لجميع القوميات الأخرى كانت المخيلة اليهودية تحاول أن توفر لليهود فكرة تاريخية عن وطن كانوا فيه من قبل.. وهو بالتالي يجب العودة إليه الآن.. وأنهم عندما يتوفر لهم الوطن القومي فهم بذلك يؤسسون وطنهم التاريخي المترسخ في وعيهم الديني وهو صهيون / فلسطين.. وبالتالي أيضا كان بروز الفكر القومي معتمدا على فكرة الوطن التاريخي.. وأنه آن الأوان أن يكون لهم حق الاستقلال والسيادة مثل كافة الشعوب والدول الأخرى.. لذا كان من الضروري وجود حركة تقوم بتنظيم وتوحيد الشعب اليهودي وتحرير الأرض في إطار مفهوم جديد عن الوطن القومي اليهودي.. وهذا ما كان بغير الخطوة الأولى والأساسية للحركة الصهيونية في حل المسألة اليهودية كحركة توحيد وتحرير ومن ثم قيام قومية يهودية.

وعلى الرغم من أن الحركة الصهيونية في بداياتها كانت تعتبر حركة قومية أوروبية.. إلا أن من أهم ما كان يميزها عن بقية الحركات القومية الأخرى.. هو أنها كانت تسعى لحل المسألة اليهودية وإيجاد وطن لهم خارج وطنهم.. بخلاف الحركات الأخرى التي كانت تسعى للتحرر على أرضها وخلق قومية جمعية تعمل على تأكيد مفهوم أمة لها تاريخها ولغتها وفكرها.. كما أن الحركة الصهيونية اعتمدت في مسيرتها أو تكونت على الرابط الديني والتمسك بالطقوس الدينية والقانون الديني اليهودي ووحدة الخبرة اليهودية المشتركة في جميع أنحاء العالم.. وهي خبرة تاريخية غنية بمعنى التمايز والتفرد عن عالم الأغيار.. كما

أن هذه الخبرة ما هي إلا خبرة شعب يعيش في عالم الغير.. ومن ثم فهو معرض للاضطهاد والتميز العنصري.. والقسوة والفناء..ومن ثم أيضا كانت الحركة الصهيونية تعتمد في أساس تكونها على هذه الخبرة التاريخية وهي المكون الأساسي الذي يعتبر بديلا مشروعا عن ضعف الروابط الاجتماعية والدينية الأخرى بين يهود العالم..في مختلف الأزمان والأمكنة.. لذا كانت الحركة الصهيونية تقدم مشروعها القومي في مواجهة صارخة مع حركة التنوير اليهودي (الهاسكالاه).. فقد كانت تهدف إلى تجميع (الغيتوات) المنتشرة في العالم أو ما يسمى عادة (الديسابورا) أو الشتات اليهودي في (غيتو) واحد كبير يكون فريدا في نوعه وهو على حد تسميتهم (إسرائيل الكبرى).

وفي مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ ظهرت الحركة الصهيونية رسميا وتم توحيد جميع بنودها مرتكزة على طبيعة النشاط التعبوي الذي كانت تقوم به الحركة الصهيونية وذلك باستنهاض الشعور القومي والعنصري لمنع اليهود من الذوبان أو الاندماج في المجتمعات التي تعيش فيها.. وربما كان لعدم وجود ما يوحد هؤلاء اليهود على مختلف أماكنهم اجتماعيا او/ واقتصاديا أو/ و ثقافيا أو/ و لغويا كان لا بد من وجود عنصر مشترك يعمل على توحيد هذا الشتات فكان لا بد من تشييد الانغلاق العنصري وادعاء التميز.. إذ انه كان لا بد من خطوة أولى وهي الانغلاق تليها خطوة تالية ألا وهي الاستنهاض والتحرك في طريق التأسيس والتمركز. كانت تلك هي البدايات الأولى لظهور الصهيونية على أنها كانت دائما هي المستفيد الأول من التحولات التاريخية.. وفي إطار رصد تاريخها نجد أنه من الضروري تحديد أهم التحولات التي عاينتها هذه الحركة.. وعملت على ترسيخها ونجاحها.. وصولا إلى المرحلة الأخيرة.

نقول ان البداية كانت في القرن التاسع عشر.. عندما كانت الحركات القومية في أوجها.. وعندما بادر ثيودور هرتزل بتقديم فكرته عن القومية اليهودية كان في ذلك متجانسا مع تلك الحركات القومية الأوروبية الصاعدة.. كما أنه ومن ناحية ثانية.. الحرب العالمية الثانية تعتبر من أهم العوامل المساعدة على

تأسيس الفكر الصهيوني والعمل على ترسيخ هذه الحركة كمشروع سياسي وذلك عندما نالت مشروعيتها الدولية من خلال وعد بلفور البريطاني وذلك عام ١٩١٧.. وما تناوله صك الانتداب البريطاني من تأكيد على حق اليهود في أرض فلسطين.. وحق الشعب اليهودي في إقامة دولته على أرض فلسطين.. وترسيخ قواعد الوطن القومي اليهودي.. إلى جانب ما حققته الحركة الصهيونية من الحرب العالمية الثانية بعد هزيمة ألمانيا.. وسقوط هتلر.. الذي كان المضطهد الأول لليهود ومن ثم كان هناك فرصة متاحة لمشروع الحركة الصهيونية والمطالبة بحق اليهود شرعيا في تأكيد قوميتهم... ومن ثم عاينت الحركة الصهيونية تحولا بيناً في توجهها.. إذ اعتمدت تحويل المعتقد الديني المتخيل في عودة اليهود جميعهم من الديسابورا إلى أرض فلسطين وتهجير كل من هو ليس بيهودي عن هذه الأرض.. نقول أنها حولت المعتقد الديني إلى «برنامج سياسي يلتزم بالضرورة بفكرة أساسية وهي أن اليهود يشكلون أمة متكاملة توجد في الشتات منذ تحطيم الهيكل على يد الرومان.. وهذه الأمة تنتظر الخلاص والعودة على يد المبعوث المنتظر الماشيح وهو الشرط التوراتي اللازم للعودة».. ومع التحولات التي شهدتها أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.. وهي تحولات سريعة إلى الرأسمالية التوسعية التي اعتمدت في تحقيقها من خلال سيطرتها على المواقع الإستراتيجية في شبكة المواصلات التي تربط بين أوروبا وآسيا وإفريقيا.. ازدياد الحاجة إلى فتح أسواق جديدة لتصريف الإنتاج.. في هذه الحالة «توافقت أهداف الظاهرة الاستعمارية والمخططات الصهيونية على فكرة الاستيطان.. وقد كان نابليون بونابرت أول من اقترح فكرة إقامة دولة لليهود خارج أوروبا ليكن في فلسطين»..

ولا يقل هذا عما حققته الصهيونية في الحرب الباردة أيضا.. حيث أصبحت هناك مركزية وشرعية دولة إسرائيل وتمكنت من ثم من تحقيق هدفها الأكبر وهو إفراغ المنطقة العربية من يهودها.. وفي نهاية الأمر أتت بالمهاجرين اليهود من روسيا والدول الأخرى. وقد فجر هذا الوضع الجديد لليهود قضية

كانت ومازالت من اخطر القضايا وهي مقولة الصهيونية بأن اليهود (أمة). . خاصة وأن الحركات القومية التي تفجرت في العالم الغربي كانت تطرح منظورها وأهدافها على أساس ارتكازها إلى القوم. . وهذا ما كانت تهدف إليه الحركات القومية وهي توحيد القوم أو الأمة. . فقد ظهر الفكر القومي الجديد ونشأ وتبلور في عصر الثورة الفرنسية وهي الثورة التي أكدت كما قلنا من قبل على حق الأمم في الاستقلال والسيادة وأن كل أمة أو كل شعب من حقه أن يستقل على أرضه وأن يمارس السيادة على هذه الأرض. . وهذا هو المعنى الحقيقي للحركات القومية. . على اعتبار أن هذه الحركة تعمل على إنشاء نطاق جيوسياسي مشروع لتأكيد معنى السيادة والولاء والانتماء لمن هم أحق بها. . لتحقيق عنصر التمايز والفصل بين الأمم والأقوام. والحركة الصهيونية كانت قد نشأت في ظل هذا التوجه العام ضمن نزعة تحررية عالمية النشأة. . ولذا فقد كان لها لتأخذ معنى القومية كان لابد من تحقيق مبدأ (الأمة). . أو أن اليهود يشكلون (أمة) حتى يمكن الاعتراف بها كحركة قومية. . لذا نجد أيضا أن الفكرة الأساسية للحركة الصهيونية هو أن اليهود يشكلون في الحقيقة (أمة). . وهذه الأمة مثلها مثل غيرها أو مثل كل الأمم أو الشعوب الأخرى لها الحق في تقرير المصير وأن يكون لليهود دولتهم الخاصة بهم. . وهذا في حد ذاته يشكل أهم الفروقات البينية التي تمايز بين هذه الحركة والحركات القومية الأخرى. . إذ أن الأخيرة كان الهدف منها هو التوحيد والاستقلال. . وإقامة دولة أو أمة ذات سيادة حرة وهو ما خلق نوعا من التطابق بين القومية والسيادة التي تمارسها جميع الأمم الآن.

من جهة أخرى نستنتج من ذلك لماذا سعى اليهود إلى التشديد على الانغلاق العنصري والتميز وادعاء التفوق. . ذلك أن الشعور بفقدان الأساس الشرعي أو المقوم الأساسي لقيام حركة قومية مشروعة قد عزز هذا لدى اليهود الشعور بضرورة الانغلاق على الذات وهذا مطلب أولي وضروري لكي يمكن فيما بعد تفعيل العمل الجمعي واستنهاض القوى ترسيخ الشعور القومي فيما بين اليهود وذلك من خلال عملية تعبوية حادة تؤكد على الفصل والتميز وتحقيق

الذات وليس الاندماج والمواطنة التامة اللتان تعنيان فقدان الهوية واضمحلال الشخصية اليهودية أو ذوبانها.

لذا كانت هناك ضرورة قوية لحركة تعمل على اتجاهين مترابطين متلازمين.. في ذات الوقت.. صهر كل التجمعات اليهودية في بوتقة واحدة تعمل على تشكيل وعي ووجدان موحد.. ثم عملية تهجير موسعة لكل اليهود في نختلف أنحاء العالم.. إلى أرض الميعاد المتمثلة في أرض صهيون أو فلسطين.

وهذه هي المرحلة الثانية بعد التعبئة والانغلاق والتمايز للصهيونية وكانت قد حددت الهدف المنشود وهو تحقيق دولة صهيون.. ليأتي بعد ذلك الخطوة الثالثة وهي أهم خطوة في المشروع الصهيوني.. وهي المرحلة التالية على الهجرة وتشكيل دولة إسرائيل.. وهي مرحلة لها توجهاتها الإستراتيجية الخاصة بها.. والمرتبطة بطبيعة المرحلة الجديدة.. وهو ضمان استمرار وجود اليهود وتأكيد البعد السياسي والسيادي لهذه الدولة.. ولئن كانت مقومات الدولة القومية هو وجود لغة واحدة وأرض واحدة وسلطة سياسية تؤكد الحق الشرعي في السيادة والحكم.. كان للحركة الصهيونية أن تعمل على إيجاد بدائل لهذه العناصر الضرورية لتشكيل دولة قومية.. فلم يكن من بديل سوى استخلاص عناصر تأكيدية من التقاليد اليهودية المتفرقة هنا وهناك.. فما كان منها إلا أن عملت على انتقاء عناصر حية من تواريخ اليهود لتشكيل كيان جماعي يهودي بداية في أوروبا (بلد الشتات) ثم بعد ذلك في دولة إسرائيل.. ثم إيجاد الأرض التي سوف تقوم عليها الدولة الموعودة.. فلم يكن سوى أن وظفت النص الديني في توحيد الوجهة نحو أرض فلسطين (أرض صهيون).. على اعتبار أنها أرض الميعاد وهي أرض إسرائيل الكبرى.

من هنا نجد أن الأرض كانت تشكل أحد ابرز المقومات المكونة للمشروع الصهيوني في مقدمة (آرتس يسرائيل) وهي أرض الرب لأن الله يقطن فيها.. وأرض الميعاد التي ستعود إليها تحت قيادة الماشيح.. ثم هي الأرض المختارة التي تفوق قدسيتها أي أرض أخرى.. لارتباطها بالشعب المختار.. وتعاليم

التوراة لا يمكن أن تنفذ إلا في (آرتس يسرائيل) والسكن فيها وهو بمنزلة الإيمان.. لذا فالاستيلاء عليها هو استرجاع وعملية تحريرية.. بل وفريضة إيمانية وعقيدة دينية. أما بالنسبة للغة فقد كانت اللغة العبرية.. هي اللغة المشروعة لتحقيق نوعا من التوحيد الديني في بداية الأمر.. لأنها لغة التوراة.. على أن تكون هذه اللغة هي اللغة الموحدة وهي اللغة القومية في البلاد.. والتي سوف تقوم بعملية صهر جماعي لكل اليهود على مختلف مشاربهم وجنسياتهم داخل مجتمع قومي كبير.

وكان بن جوريون (مؤسس الحركة الصهيونية) قد أكد على ثلاثة مطالب أساسية لتحقيق المشروع الصهيوني..:

أولاً: أن يكون هناك تعبئة عامة تشمل يهود العالم لأجل تحقيق هجرة واسعة إلى إسرائيل / فلسطين.

ثانياً: العمل على تطهير أرض الميعاد وتهجير كل من هو ليس بيهودي.. والعمل على تنشيط الاستيطان.. أو الشمولية.

ثالثاً: العمل على تفعيل النشاط القومي بين اليهود.. من خلال إيجاد وتطوير سياسة تشمل الاقتصاد والمعرفة والثقافة العبرية.. وتشكيل عقل جمعي.. يؤكد على وحدة الشعب اليهودي.. إلى جانب تثقيف الجالية اليهودية في المنفى من أجل دمجها

مستقبلا في إسرائيل.. وقد كانت الحركة الصهيونية موكول لها بأن تؤسس لهذه المخططات الثلاثة والعمل على تحقيقها على أرض الواقع.. لذا كانت الصهيونية ومازالت المدبر الأول والمشرف والراعي الرسمي للدولة اليهودية منذ بداياتها وحتى الآن.. على أن يكون من مهامها الرئيسية والأساسية الأخيرة.. هي ضمان استمرار هذه الدولة وتفعيل النشاط اليهودي على المستوى القومي والعالمي بشكل مستمر.

ثانياً

الصهيونية غير اليهودية

الصهيونية حركة غربية سياسية استعمارية نشأت في أوروبا تحت ستار ديني في القرن التاسع عشر استهدفت خلق كيان مفتعل في فلسطين العربية السورية. من شأنه أن يكون قاعدة متقدّمة للسيطرة على المناطق الاستراتيجية في الوطن العربي واستغلالها، ومنع أيّة محاولة وحدوية عربية من شأنها أن تقف في وجه المصالح الغربية.

منذ مطلع القرن السابع عشر حين أخذت الإمبراطورية البريطانية تتطلع إلى تأمين طرق تجارتها مع الهند ومع مستعمراتها في الشرق، وتتطلع إلى التحكّم في عقدة المواصلات العالمية ولدتْ فكرة توطين اليهود في فلسطين، مستغلة واقع الانغلاق الذي تعيشه العناصر اليهودية وتمسّكها بتراثها الديني الأسطوري الذي يتحدّث عن أرض الميعاد وصهيون وهيكل الرّب. لهذا ولأنّ الدول الأوروبية عموماً وبريطانيا خصوصاً كانت تطمع في استعمار الوطن العربي وتمزيقه واستغلال خيراته، بدأت تظهر في هذه الدول دعوات لإعادة اليهود إلى فلسطين تحت شعار ديني تراثي، ليكونوا حاجزاً بشرياً يربط آسيا بإفريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط فتشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوةٍ لسكان المنطقة. وفي هذا يقول الوزير البريطاني (آيمري) في مذكراته: «نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة، أنّ إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين سيدين بوجوده وفرصته في التطوير إلى السياسة البريطانية. كما أنّه سبب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السّويس من الشمال».

كانت أولى دعوات إعادة اليهود إلى فلسطين، دعوة المحامي الإنكليزي الشهير هنري فنش(١٦٢١) وذلك في مؤلّفه (العودة العالمية الكبرى) أو دعوة إلى اليهود. وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاماً عمل (كرومويل) على التقّرب من اليهود بهدف استخدامهم لمشروع استيطان فلسطين. فكان أن سمح بعودتهم إلى الجزر البريطانية سنة ١٦٥٥بعد أن كانوا قد طردوا منها قبل أكثر من ثلاثة قرون / ١٢٩٠/ لينافس الدول التجارية الأخرى التي تضمّ كل منها جماعة يهودية ثرّية لها دور بارز في توسيع التجارة الخارجية لتلك الدول.

خلال حملته على مصر وسورية نيسان ١٧٩٩ أصدر نابليون بونابرت إعلاناً دعا فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا للانضواء تحت لوائه من أجل إعادة تأسيس أورشليم القديمة. في تلك الفترة وحتى منتصف القرن التاسع عشر ظهر الاهتمام الفرنسي بمشروع توطين اليهود في فلسطين لتوظيفهم لصالح مخطّطاتهم التوسعية الاستعمارية في المشرق العربي. وكان الممثل الرئيسي لهذا المشروع (أرنست لاران) السكرتير الخاص لنابليون الثالث. حيث وضع سنة ١٨٦٠ كتاباً بعنوان (المسألة الشرقية وإحياء القومية اليهودية) أبرز فيه المكاسب الاقتصادية التي ستجنيها الدول الأوروبية في حال إعادة اليهود إلى فلسطين، داعياً أوروبا كلّها لانتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية ومنحها لليهود.. ويشير المؤرخ الصهيوني «ناحوم سوكولوف» إلى أنّ الحكومة الفرنسية نشرت رسالة بدون توقيع تحت عنوان «رسالة يهودي إلى إخوته» ظهرت مطبوعة في فرنسا وإنكلترا تتضّمن خطّطاً لبعث اليهود كأمّة. وقد تحدّثت هذه الرسالة عن حدود للدولة اليهوديّة المقترحة بعبارات تجارية أكثر منها توراتية».

إثر سيطرة محمد علي باشا على سورية أخذت فكرة توطين اليهود في فلسطين طابعاً عملياً متزايداً من قبل بريطانيا. وقد قام اللورد «شافتسبري» السياسي البريطاني الكبير بتقديم مشروعه لاستيطان اليهود في فلسطين تحت الحماية الأوروبية إلى اللورد «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانية. وتابع تقديم مشاريعه وطروحاته بهذا الخصوص حتى تمّ تعيين قنصل بريطاني في القدس. ثم

كتب عام ١٨٧٦ دراسة توّضح أهمية استيطان فلسطين والدور الذي يمكن أن يلعبه اليهود في التجارة العالمية. مؤكداً على ضرورة تنمية القومية اليهودية واستخدامها كقوّة تحويلية في تلك البلاد القديمة.

ثم أشار اللورد شافتسبري أنّ قومية اليهود موجودة وقد كانت موجودة لمدة /٣٠٠٠/ ثلاثة آلاف عام ولكن الإطار الخارجي وهو الرابطة المتوّجة له لا زالت ناقصة. وأكدّ أنّ الأمّة بحاجة إلى بلاد، الأرض القديمة، والشعب القديم، وهذا ليس تجربة اصطناعية إنّها حقيقة، إنّها التاريخ».

عام ١٨٤٥ وضع الكولونيل «جورج غاولر» حاكم أستراليا الجنوبية مشروعاً لاستعمار فلسطين مشيراً إلى مصالح بريطانيا في الصهيونية حيث يقول: «لقد وضع القدر سوريا ومصر في طريق بريطانيا إلى أهم مناطق تجارتها مع البلدان المستعمرة» الهند والصين والأرخبيل الهندي وأستراليا «وقدّر لبريطانيا أن تمارس نشاطاً كبيراً في تهيئة الظروف الملائمة في هاتين المقاطعتين. ويتعين على بريطانية أن تجدّد سورية بواسطة الشعب الوحيد القادر على تنفيذ هذه الرسالة والذي يمكن استخدام طاقته دوماً وبصورة فعّالة، أعني أبناء هذه الأراضي الحقيقيين، بني إسرائيل».

مع بدايات العقد الخامس من القرن التاسع عشر تحوّلت الدعوة إلى توطين اليهود في فلسطين إلى سياسة رسمية يجري البحث عن وسائل تنفيذها، كما روجت الصحافة البريطانية في تلك الفترة لهذه الدعوة فظهرت مقالات عديدة في صحيفة «التايمز» وصحيفة «جلوب» تحثُّ على تنفيذ مشروع توطين اليهود في فلسطين ثمّ نشطت في تلك الفترة الإرساليات والجمعيات البريطانية العاملة لتحقيق هذا الغرض فتأسّس في لندن صندوق (اكتشاف فلسطين) بهدف تمويل دراسات وأبحاث عن فلسطين كما قام السير «جين هنري دونانت» مؤسس الصليب الأحمر الدولي بتأسيس (جمعية استعمار فلسطين) ولعب «دونانت» دوراً أساسياً في تأسيس وتمويل جمعية (أحباء صهيون) التي نشطت بين يهود أوروبا الشرقية ونظّمت منهم أول هجرة صهيونية إلى فلسطين عام ١٨٨١.

عام١٨٧٠ تأسّست أيضاً في بريطانيا جمعية (الآثار التوراتية) وكان من أهدافها «البحث عن الآثار والتسلسل الزمني والتاريخ القديم والحديث لبلاد آشور والجزيرة العربية ومصر وفلسطين» وغيرها من المناطق التوراتية كما تراها.

ثم تأسست جمعيات أخرى في فرنسا وألمانيا مثل (المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية) التي تأسست في فرنسا .١٨٩٠ أمّا في ألمانيا فكانت (الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية) التي تأسست في سنة ١٨٩٧ وأيضاً (الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية) التي تأسّست في سنة .١٨٧٧ وغيرها من الجمعيات الأخرى التي كان هدفها بشكل عام بعث التوجه اليهودي نحو فلسطين ودفعهم عمليّاً باتجاه استيطانها.

حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر لم يكن ثمّة تنظيمات يهودية ذات طابع صهيوني والتنظيمات السّابقة على ذلك كانت ذات منشأ ودعم حكومي فرنسي، بريطاني، ألماني. وغير يهودية في أغلب الأحيان. نظراً لأنّ اليهود أحجموا عن الاستيطان في فلسطين وامتنعوا عن الهجرة إليها. فقد كان سيرهم نحو اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها يخطو خطوات سريعة. والمهاجرون منهم كانوا يفضّلون الولايات المتحدة على الرغم من أنّ فلسطين كانتْ مفتوحة أمامهم، فكانت أمريكا بالنسبة إليهم هي أرض الميعاد. لهذا كانت المذابح المنّظمة والشّاملة ضدّ اليهود ضرورية لقطع الطريق عليهم وتحويل هجرتهم إلى فلسطين. مذابح ١٨٨١ في أرجاء الإمبراطورية الرّوسية لدفع اليهود إلى الانخراط في صفوف الصهيونية. وبدأت الجمعيات الصهيونية منذ ذلك التاريخ تتشكّل بين أوساط اليهود في المدن الرّوسية المختلفة وتحديداً بين الفقراء والمعوزين والمضّطرين والمضطهدين الذين يبحثون عن مكانٍ يهاجرون إليه هرباً من معاناتهم وهو ما أشار إليه «تيودور هرتزل» في كتابه المشهور (الدولة اليهودية): «سيذهب أولاً أولئك الذين في حالة يأس ومن ثمّ يتبعهم الفقراء».

على الرغم من هذه المحاولات الصهيونية المكثفّة فقد فضّل هؤلاء اليهود

في روسيا وشرق أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة بدلاً من فلسطين حيث وصل منهم ثلاثة ملايين يهودي إلى الولايات المتحدة. والذين فرضت عليهم الهجرة إلى فلسطين وقد بلغ عددهم مع بداية الحرب العالمية الأولى (٨٥) خمسة وثمانون ألفاً في فلسطين هاجروا ثانية إلى الولايات المتحدة تاركين وراءهم كل مزاعم الصهيونية».

وفيما بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٣ لم يأت إلى فلسطين سوى (٣٥) ألف يهودي من أصل مليون وأربعمائة ألف يهودي روسي. و بين عامي ١٩٢٤ - ١٩٣١وصل إلى فلسطين (٨٢) ألف يهودي من بولونيا التي كانت تجتاز أزمة حادّة في تلك الفترة وتطّبق على اليهود قيوداً كثيرة. وفي الأساس كانت الولايات المتحدة وجهةُ هؤلاء إلّا أنّ تلك الدولة أصدرت في تلك الفترة تشريعات وضعتْ حدّاً لقدوم المزيد من المهاجرين من شرق أوروبا. مّما أغلق الباب في وجوههم وأرغمهم على التوجه إلى فلسطين.

لقد شاركتْ الصهيونية مشاركة فعّالة في تدبير المؤامرات ضدّ اليهود لدفعهم إلى الهجرة نحو فلسطين، وخير مثال على ذلك اليهود العرب الذين تمّ تهجيرهم بمؤامرة صهيونية اشترك فيها بعض الحكام العرب، كيهود المغرب والعراق واليمن مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء حين كان الخيار متروكاً لهم اختاروا طريقاً غير فلسطين، كما حدث ليهود الجزائر، فقد كان عددهم (١٣٠) ألفاً، هاجر منهم إلى فرنسا (١٢٥) ألفاً ولم يذهب إلى الكيان الصهيوني سوى خمسة آلاف فقط.

في الواقع لم تظهر النزعات الصهيونية العملية بين اليهود أنفسهم إلّا أواخر القرن التاسع عشر، أي بعد قرنين ونصف من المحاولات الغربية الاستعمارية المستمّرة والتي شارك فيها بعض الأثرياء اليهود من ذوي المصلحة في تسييس اليهود وصهينتهم من أمثال مونتغيوري، وهيرش، وروتشليد وغيرهم.

من المفيد الإشارة أيضاً إلى أنّ الدول الأوروبية الغربية إضافة لرغبتها في

خلق كيان مفتعل في فلسطين يكون اليهود مادته الرئيسية، كانت تسعى لإفراغ أوروبا الغربية من اليهود، وتحديداً يهود الشرق الذين بدأوا يهاجرون من شرق أوروبا إلى غربها.

لقد ساءَ يهود الغرب شبه المندمجين بمجتمعاتهم رؤية هذه الجحافل المهاجرة بلحاها الطويلة وأرديتها الغريبة وعاداتها المتخلفة ولغتها اليديشّية وكان لا بدّ من العمل على وضع حدّ يضمن لهم الاستفادة من هذه الجحافل بعيداً عن أوروبا الغربية. فيهود شرق أوروبا كانوا مؤهلين لتقّبل أفكار الدولة اليهودية وأرض الميعاد والأماكن المقدّسة أكثر من الغربيين وكانوا أكثر معاناة منهم أيضاً فاستغلت الدول الغربية هذه الظروف ووجدت في هذه الكتل البشرية جيشاً مؤهلاً ليكون قاعدة في الشرق هذا من جهة، ومن جهة ثانية، رأت ضرورة التخلّص من هذه العناصر المتخلفة من هذه العناصر المختلّفة والفقيرة وإبعادها عن أيّة مشاريع اندماجية، خاصّة وأنّ يهود الغرب قد خطوا خطوات سريعة في طريق الاندماج، وباتت أفكار التخلّي عن القوقعة والانعزال قاب قوسين أو أدنى. فمنذ أوائل القرن الثامن عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر أخذ وضع اليهود في معظم أوروبا الغربية بالتحسّن والاستقرار حيث بدأت كثير من الدول الغربية تصدر التشريعات المختلفة التي أدّت إلى عتق اليهود ومساواتهم بسائر المواطنين، ثم شهدت هذه المرحلة بدايات حركة استنارة بين اليهود كانت تهدف إلى دمجهم في مجتمعاتهم عن طريق تخلّيهم عن رؤيتهم الغيتوّية الضيّقة.

من الواضح أنّ الحركة الصهيونية جاءتْ كثمرة من ثمار الفكر الاستعماري الغربي وتعبيراً عن حاجة من حاجاته. فقد أرادت الإمبريالية تجمعاً بشرّياً يشكّل حاجزاً وجيشاً تستخدمه في استراتيجيتها تجاه الوطن العربي، وكانت الصهيونية جهازها العملي والموضوعي، وكان اليهود هم الأدوات العاملة لهذا المشروع. وقبل ظهور المفكرين الصهاينة اليهود كانت الصياغات الأساسية لمشروع الاستيطان والتهجير جاهزة تماماً.

فخلال هذا العمل المتواصل من قبل القادة الأوروبيين الغربيين تمكنّوا من

استقطاب عددٍ من اليهود الأثرياء المستفيدين من حركة الاستيطان والتوسع وهؤلاء أخذوا يتّبنون المقولات والممارسات التوسعّية الأوروبية وبلورتها في اتجاه برنامج عمل شامل لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، والأصح لإقامة قاعدة متقدّمة للغرب الإمبريالي الاستعماري تمزّق وحدة العرب والإسلام. وهكذا انتقلت الفكرة من التربة الأوروبية غير اليهودية صهيونية الأغيار إلى التربة اليهودية. وأخذ هؤلاء المنتفعون من المشروع الصهيوني في تحريك مشاعر اليهود وحثّهم على العمل من أجل العودة إلى فلسطين بالترّغيب والترّهيب منذ أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر حيث تأسّست حركة أحباء صهيون في روسيا وبولونيا ورومانيا من أجل تمويل تهجير اليهود إلى فلسطين ومساعدة الذين هاجروا منهم على الاستيطان هناك، ثم امتدتْ إلى أوروبا الغربية وخاصة بريطانية.



ثالثاً

الصهيونية اليهوديّة

خلال التحرك الصهيوني الغربي المكثّف للاستفادة من اليهود في تحقيق الأهداف التوسعية والاستغلالية لعب الأثرياء اليهود المستفيدين والمتأثرين بالأفكار الاستعمارية الأوروبية دوراً هاماً في التحضير لبلورة الحركة الصهيونية، ونقلها من مجرد أفكار وطروحات إلى حركة منظمة سياسية يقودها الأثرياء والحاخامون اليهود، المتشبعون بالأفكار التوسعية والنفعيّة، وهذا ما كان صهاينة الغرب يرغبون به.

كان هناك روادّ يهود بحثوا قضية العودة وتحدّثوا عن الدولة اليهودية ودعوا إلى إحياء (أرض إسرائيل). وهؤلاء الرّواد كانوا متأثرين بالأفكار الاستعمارية، ومصلحتهم تقتضي العمل على الاستفادة من العناصر اليهودية المنتشرة في أكثر بلدان العالم، وتحديداً يهود شرق أوروبا الذين كانوا في وضع اقتصادي سيء. حيث كانوا يتعرضون لعمليات الاضطهاد السياسي والتضييق الاقتصادي.

يُعتبر البريطاني اليهودي الثّري (موسى مونتغيوري) أول من أبدى اهتماماً ملموساً في فلسطين، حيث زارها سبع مرات في الفترة ما بين ١٨٢٧ - ١٨٧٥ وقدّم مساعدات مالية، وبنى مدارس وعيادات واستأجر أراضي زراعية ليعمل فيها اليهود، وبنى مساكن شعبية سنة ١٨٥٩ خارج أسوار مدينة القدس. وبحلول سنة ١٨٩٢ أنشأ أيضاً /٨/ ضواحي أخرى.

وأنشأ الأثرياء اليهود الفرنسيون سنة ١٨٦٠ (الاتحاد اليهودي العالمي) الذي ساهم في مجال الاستعمار الزراعي، حيث أسّس سنة ١٨٧٠ أوّل مدرسة

زراعية يهوّدية في فلسطين باسم (مكفيه يسرائيل) أي (رجاء إسرائيل). وذلك على مساحة قدرها (٢٦٠٠ دونم) تابعة لقرية (يازور). بالقرب من يافا، وقام بتمويل المشروع البارون «روتشليد» والبارون «هيرش».

وكان من أوائل اليهود الذين نادوا بإقامة دولة يهودية في فلسطين الحاخام (يهودا القلعي) ١٨٧٨ - ١٧٩٨ حيث نشر كتاباً دعا فيه اليهود إلى بذل نشاط خاص لإعادتهم إلى فلسطين وإحياء لغتهم المقدّسة. وقد اعتبر عودة اليهود الجماعية بداية الخلاص الذي وعد به جميع الأنبياء، وأشار إلى أنّ المسيح سيظهر بين المهاجرين الرّواد.

وأصدر اليهودي الصهيوني (تشفي هيرش كاليشر) ١٧٩٥ - ١٨٧٤كتاباً بعنوان: «البحث عن صهيون» بالعبرية سنة ١٨٦٢. أكدّ فيه أنّ الخلاص لا يحتاج إلى مجيء المسيح، ودعا إلى عقد مؤتمر للأثرياء اليهود بهدف تأسيس جمعية لاستيطان «أرض إسرائيل»، تقوم بعملية تمويل الاستيطان اليهودي لفلسطين. ودعا الفقراء اليهود للمبادرة إلى استيطان فلسطين، وقد ساهم كاليشر في تأسيس جمعية استيطانية يهودية في فرانكفورت وأُخرى في برلين ١٨٦٤جمعية (استعمار أرض «إسرائيل»).

كما أصدر اليهودي (موسى هس) سنة ١٨٦٢ كتاباً باللغة الألمانية أسماه «بعث إسرائيل» دعا فيه إلى قومية يهودية لتحرير القدس وعودة اليهود إلى وطنهم القديم، وإقامة المستوطنات في فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين تحت الحماية الفرنسية. وفي هذا يقول: «إنّ الأمم المسيحية لن تعارض إطلاقاً إنشاء وطن لليهود في فلسطين، طالما أنّ ذلك يضمن لها التخلص من شعب غريبٍ شاذ يسبب لها المشاكل الكثيرة. إنّ من مصلحة فرنسا أن يستوطن الطريق التجاري المؤدي إلى الهند والصين شعب موال تماماً لمصالحها الاقتصادية والحضارية، وستكون فرنسا صديقتنا المخلصة التي ستعيد لشعبنا مكانته في تاريخ العالم».

ثم صدر كتاب لليهودي الصهيوني (ليوبنسكر) سنة ١٨٨٢ بعنوان «التحرر الذاتي» دعا فيه إلى إقامة الأدوات التنفيذية المباشرة لبناء الوطن القومي لليهود. مع الإشارة إلى أنّ ليوبنسكر كان في بداية حياته من أنصار الاندماج في المجتمعات الأوروبية. ولكن بعد زيارة قام بها إلى لندن تنّكر لفكرة الاندماج تلبية لرغبة البرجوازية اليهودية في دول أوروبا الغربية، وقد انتخب لبنسكر سنة ١٨٨٤ رئيساً لحركة «أحباء صهيون».

ومن بين الرّواد الأوائل أيضاً اليهودي (بيريز سمولينسكين) ١٨٤٣ - ١٨٨٥ الذي كرّس جهده للدعوة إلى بعث القومية اليهودية، فكتب مقالات متعددة تشير إلى ضرورة عودة اليهود إلى وطنهم القديم وحلّ المسألة اليهودية، داعياً إلى بعث القومية اليهودية في أرض الشتات بإقامة منظّمة يهودية عالمية وتوسيع قاعدة الثقافية اليهودية للأبناء على أمل الخلاص لليهود. واعتبر بيريز دعوة الاندماج انحرافاً وخيانة للتراث اليهودي، مؤكداً على أنّه بدون العبرية لا وجود للتوراة وبدون التوراة لا وجود لشعب «إسرائيل»، ولقد انضمّ إلى حركة أحباء صهيون.

وظهر أيضاً في هذه المرحلة اليهودي «موشيه ليلينلوم» ١٨٤٣ - ١٩١٠، الذي دعا إلى هجرة اليهود الروّس إلى فلسطين لإقامة المستوطنات فيها تمهيداً لإقامة دولة يهودية. وفي عام ١٨٨٤. جمع مقالاته وأعاد طباعتها ونشرها في كرّاس دعا فيه إلى بعث الشعب اليهودي في أرض أجداده المقدّسة، وقد انضّم إلى حركة أحباء صهيون وأصبح عضواً في لجنتها التنفيذية ونشط في دعم وتطوير مستوطناتها في فلسطين.

كما كان من هؤلاء الرّواد «أليعازر بن يهودا» ١٨٥٨ - ١٩٢٢ وهو يهودي روسي تبنىّ الحلّ القومي للمسألة اليهودية بإعلانه أنّ اليهود ظلّوا يشكّلون وحدة قومية متكاملة بفضل ديانتهم وعزلتهم، ودعا إلى إنشاء جمعية استيطان يهودية لشراء أرض فلسطين لتوطين اليهود فيها.

نتيجة لهذا النشاط الفعّال الذي مارسه هؤلاء الرّواد اليهود من خلال كتاباتهم الكثيرة وجولاتهم المستمرة التي تستهدف الحثّ على العودة إلى فلسطين والتمّسك بالعزلة، وضرورة بعث القومية اليهودية، ظهر عدد من المفكرين اليهود الجدد، رفدوا التّيار الأقدم ونشطوا في إبراز الجوانب النفعية لمشروع العودة والاستيطان، وقد أخذوا على عاتقهم مهّمة السعي المستمر لزرع الأفكار الصهيونية في عقول العناصر اليهودية ودفعها إلى الانخراط في الحركة الصهيونية السياسية التي عقدتْ مؤتمرها الأول سنة ١٨٩٧في مدينة بازل بسويسرا. فكان (آحاد هاعام) ١٨٥٦ - ١٩٢٧ من أبرز هؤلاء الجدد، وهو يهودي روسي ومن أهم مفكرّي الصهيونية الثقافية الروحية، وقد دعا اليهود أن يعودوا إلى طبيعتهم السابقة. وإنجاز هذا الهدف بعودة اليهود مرّة أخرى كشعب عضوي باعتبار أنّهم كانوا كذلك عبر تاريخهم ويؤكد آحاد هاعام أنّ العقيدة اليهودية هي التي خلقتْ الإطار الفكري والرمزي الذي جعل بوسع اليهود أن يحتفظوا بوحدتهم العضوية وتماسكهم الإثني عبر القرون. ويرى أن اليهودية دين يؤكد أهمية العقل والجماعة، والدين عنده ليس سوى شكل من أشكال التعبير عن الرّوح القومية الأزلية.

وقد اقترح آحاد هاعام إنشاء مركز ثقافي في فلسطين تستطيع الهّوية اليهودية أن تنمو وتستمر من خلاله، وسيصبح هذا المركز بمرور الزّمن مركزاً للأمّة تستطيع روحها أن تظهر فيه، وتتطور من خلاله لتصل إلى أعلى درجات الكمال التي بوسعها الوصول إليها، وستشّع من هذا المركز الرّوح القومية اليهودية العضوية على أعضاء الأقليات في العالم، فتبعث فيهم حياة جديدة تقوّي وعيهم القومي وتوطّد أواصر الوحدة بينهم».

كما صاغ آحاد هاعام دعوته الصهيونية في مقالته «طريق الحياة» التي استعرض فيها ظروف اليهود في العصر الحديث، واستخلص منها أنّ الموت والاندثار أصبحا يهدّدان الشعب اليهودي بالذوبان التام في المجتمع المعاصر، وبمحاذاة هذا الطريق هناك طريق ثانٍ هو طريق الحياة الذي يضمن لليهود البقاء

عبر بناء بيت جديد في أرضهم القديمة تركّز فيه كل الطاقات الرّوحية والمادّية لإعادة بعث هذا الشعب».

أمّا المؤسّس الحقيقي للصهيونية اليهودية السياسية فهو (تيودور هرتزل ١٨٦٠ - ١٩٠٤)، الذي كان منهجه يكمن في توظيف اليهود لحلّ مشاكل الغرب والنظر إلى المسألة اليهودية كمشكلة سياسية دولية غربية تجتمع كل الأمم المتحضّرة أي الغربية لمناقشتها وإيجاد حلّ لها، والحلّ هو ببساطة «الخروج» كالخروج من مصر. لكن هذه المرّة سيتّم بمراقبة الرأي العام الغربي وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنّية».

لقد دعا هرتزل إلى هجرة يهودية علنية بمساعدة دولة أوروبية كبرى معتمداً على فقراء اليهود الذين يشكلّون قوة عاملة رخيصة، مشجعاً البرجوازية اليهودية على الهجرة، لأنّها ستجد في الوطن الجديد مجالاً لممارسة حرّيتها بعيدة عن منافسة البرجوازية الأوروبية».

ويعتبر كتاب هرتزل «دولة اليهود» الذي صدر سنة ١٨٩٦ ذا أثرٍ كبير في تشكّل الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها وقبل أن ينشر كتابه قام بنشاط فعّال التقى خلاله شخصيات يهودية ثريّة بحث معها مشروع الدولة اليهودية، مثل المليونير الشهير (البارون هيرش) كما التقى مع عدد من القادة البريطانيين الصهيونيين في لندن سنة ١٨٩٥، منهم (صموئيل منونتامو) الثري اليهودي والنائب في مجلس العموم عن حزب الأحرار، ودوّن إثر لقائه معه بعض الأفكار المتعلّقة بفلسطين الكبرى بدل القديمة. وحاول مراراً الاتصال بالسلطان العثماني لحثّه على منح اليهود فلسطين وفي هذا قال: «إذا منحنا جلالة السلطان العثماني فلسطين يمكننا بالمقابل تنظيم مالية تركيا بأكملها، وسنشكّل هناك جزءاً من متراس أوروبا باتجاه آسيا وقاعدة أمامية للمدنية ضدّ البربرية. وسنظل كدولة محايدة على اتصال مع أوروبا كلّها التي يتعيّن عليها أن تضمن وجودنا».

لقد قاد هرتزل المنظمة الصهيونية باتجاه نوعين رئيسيين من النشاط «بناء

المؤسسات الصهيونية المختلفة الضرورية لوضع الأفكار الصهيونية التوسعية موضع الممارسة وإجراء الاتصالات مع كبار المسؤولين في الإمبراطوريات القائمة بهدف الحصول من إحداها على الدعم الكامل لمشروع استعمار واستيطان فلسطين وإقامة الدولة اليهودية».

نتيجة لهذه الجهود المكثّفة التي قام بها هرتزل، تمّ عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧. وقد حدّد المؤتمر هدف الصهيونية الأساسي وهو: «إقامة وطن لليهود في (أرض إسرائيل) معترفاً به وفقاً للقانون العام وذلك عن طريق إجراءات أولها» تطوير أرض (إسرائيل) بشكل منظّم بواسطة توطينها باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين. كما قرّر المؤتمر إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية، وأقرّ لوائحها التنظيمية وانتخب هرتزل رئيساً لها وللجنتها التنفيذية.

لقد انخرط في الحركة الصهيونية تيارات صهيونية متعدّدة، دون أنّ يكون لهذا التعدّد أيّ تأثير على الأهداف الجوهرية المتمثّلة بإنشاء الدولة اليهودية، العميلة الموالية للغرب. فكلّها كانت تسعى لحلّ المسألة اليهودية ولو على حساب اليهود أنفسهم، وجميعها كانت استجابة للممارسات الاستعمارية الغربية، وكان التّيار الديني أشدّ التّيارات رغبة في تغليف الأطماع التوسعية بالنّصوص التوراتية والتفسيرات المعطاة لهذه النصوص. وقد عبرّ عن وجهة نظر التّيار الديني داخل الحركة الصهيونية الحاخام (صموئيل هليل إيزاكس) ١٨٢٥ - ١٩١٧الذي كتب عن الحدود الصحيحة للأرض المقدّسة، وعن وجود دلائل تبشّرُ باقتراب رجوع جزئي لليهود إلى الأرض المقدّسة في مستقبل قريب منها: «نشوء الحكم الدستوري - الاهتمام المتزايد بالأرض المقدّسة - ازدياد خطورة المسألة اليهودية - تعاظم الحركة الصهيونية». أمّا أرض الميعاد فيحدّدها بالاعتماد على سفر العدد الإصحاح الرابع والعشرون - الآيات من / ١ - ١٢/ باعتبار تلك الحدود منحة أعطاها الرّبّ ميراثاً لليهود.

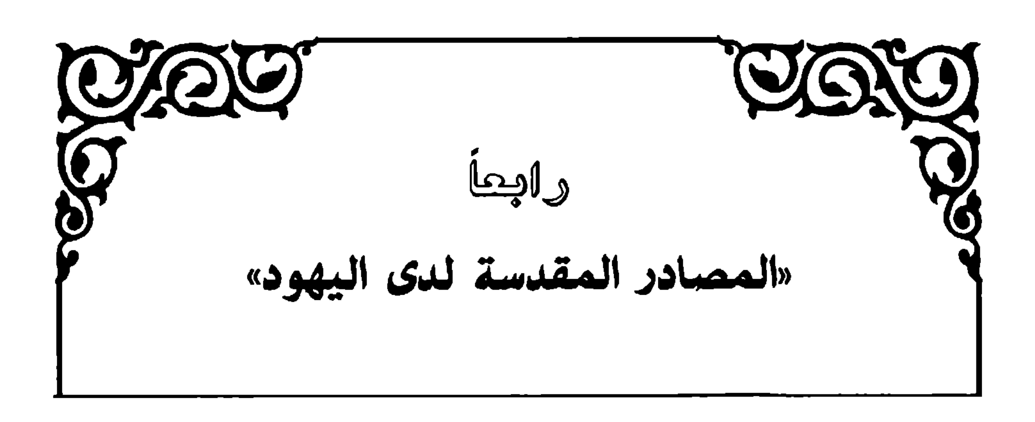
وكانت هناك تيارات واتجاهات تدعو إلى التركيز على فلسطين الكبرى أو

فلسطين والبلدان المجاورة. وكان يمثلّ هذا التّيار (ديفيز تريتش) ١٨٧٠ - ١٩٣٥ الذي عالج هذا الموضوع مع هرتزل، ليُصار إلى تضمين برنامج بازل عبارة فلسطين الكبرى، أو فلسطين والبلدان المجاورة لها».

كما ظهرت تيارات أخرى متعددة منها التّيار الإقليمي الذي كان يتزعمّه (إسرائيل زانغويل) ١٨٦٤ - ١٩٢٩ وكانت أهدافه استيطانية استعمارية شأنه شأن كلّ التّيارات الصهيونية.

واعتباراً من المؤتمر الصهيوني الثامن ١٩٠٧ تبلور نوع من الفكر الهجين الصهيوني يجمع بين التّيارات المختلفة لخدمة المشروع الصهيوني حيث أطلق شعار (الصهيونية المركّبة) الذي أطلقه (حاييم وايزمن) الذي تزّعم المنظمة الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى وأقام حلفاً مع بريطانيا لإقامة ما اعتبره (ونستون تشرشل) دولة عازلة من النمط الأوروبي في فلسطين من أجل الحفاظ على الوجود البريطاني في الشرق الأوسط عامة ومنطقة قناة السوّيس خاصّة.





رابعاً

«المصادر المقدسة لدى اليهود»

مصادر المنظمات اليهودية: أو منابع الفكري اليهودي :للفكر اليهودي منبعان رئيسان: هما «التوراة والتلمود» والعديد من روافد خرجت منهما أو تأثرت بهما مثل «بروتوكولات حكماء - حمقاء - صهيون» وكتاب «الدولة اليهودية» لهيرتزل، وكتاب «الأمير» لميكافيللي، وغيرها، فمعظم كتاب اليهود والمتهودين القدامى منهم والمحدثين - فيما عدا من كتب منهم في العلوم البحتة - قد تأثروا بالتوراة والتلمود تأثرا عظيماً، لأنهم يربون عليهما صغاراً، وقلما تجد كاتباً يهودياً أو متهوداً لا يضع التوراة والتلمود نصب عينيه عند ما يكتب، فهما المنبع والمصب لكل يهودي أو متهود.

ونأخذ إشارات سريعة حول أهم هذه المصادر، وفيما يرتبط بموضوع بحثنا، لبيان المصدر العقدي الذي ترتب عليه الجانب العملي فيما قام به اليهود - ويقومون به - من أدوار مع غيرهم، لا تنحصر في المسيحية والمسيحيين وحدهم، بل مع العالمين.

---

١ - (التوراة) أو العهد القديم:

التوراة لفظة مأخوذة من تورة - بالعبرانية - معناها: الهدى والإرشاد،

والتوراة الحقيقية هي الصحف التي أنزلت على موسى، وقد ضاعت في ثنايا التوراة المحرفة التي بين يدي اليهود، وأما ما جاء قبل صحف موسى وما

جاء بعدها من رسالات الأنبياء والرسل فإنها ليست من التوراة في شيء. فهل التوراة التي بين أيدي اليهود هي صحف موسى؟ وهل هي صوت السماء إلى الأرض؟ إن من يطلع على التوراة التي بين أيدي اليهود يجدها جمعاً لكل ما زعم اليهود أنه أنزل على جميع الأنبياء والرسل منذ آدم وحتى ظهور المسيح».

ويفجع دارس التوراة للوهلة الأولى بما يرى فيها من سخافات وأخيلة ومخازي وخرافات. يفجع وهو يراها تتكلم عن الله، وكأنها تتكلم عن شخص عادي، يخطئ ويصيب، ويتعب ويجهل ويحزن، ويأكل ويشرب، وينام ويمشي.. الخ

لقد أنزل اليهود الله من عليائه ووضعوه في مرتبة البشر، كي يحطموا الحواجز بينهم وبينه، ويحملوه من آثامهم وشرورهم ما يشاءون.

و«يهوه» إله قبلي متوحش، متعطش لشرب الدماء، إنه إله أناني متحيز يعمل لمصلحتهم وحدهم، والإضرار بغيرهم من الشعوب، وهم شعبه المختار، وحتى بقية البشر لم يخلقهم «يهوه» على صورتهم التي هم عليها إلا لخدمة شعبه المختار.

إنه إله جشع طماع، يحب الذهب والمال، ويأمر شعبه المختار بجمعه واقتنائه بأية وسيلة.

لقد ندم - رب التوراة - حين سمح بتشتيت شعبه، وتدمير هيكله، فبكى وصاح ولطم خديه، لقد وعد (يهوه) من زعموا أنهم أجدادهم «إبراهيم وإسحاق ويعقوب» بملك فلسطين، ملكاً لهم ولأبنائهم وأحفادهم من بعدهم، ليس أرض فلسطين وحدها، بل وما بين النهر الكبير (الفرات) ونهر مصر (النيل)، وليس هذا فحسب بل وكل أرض تدوسها بطون أقدامهم!!.

هذا بعض ما جاء في توراة اليهود عن إلههم(يهوه) إنه عبد ذليل لهم، ليس له عمل إلا خدمتهم وتنفيذ أغراضهم، إنه يسكت عن جرائمهم، بل يحثهم عليها، إنه يخشاهم ولا يخشونه، ولا يتراجع لهم وهم ثبت في جرائمهم وسخائمهم ومخاذيهم!!.

ولهذا حرصت أسفار العهد القديم منذ البداية على تميز الكهنة على سائر الناس حتى يحملوا «التلمود» ما ناءت «التوراة» بحمله، فأعفوهم من القتال ودفع الضرائب، ومنحوهم من الامتيازات والحقوق ما لم يمنحه الله لنبي من أنبيائه، وذلك كي يكون عندهم الوقت والجهد للخلط والتزييف والتضليل.

إن قارئ التوراة يفجع أيضاً وهو يراها تتكلم عن الأنبياء، وكأنها تتكلم عن مجرمين سفاحين، وزناة قوادين، يشربون الخمر، ويعبدون الأصنام، ويحبون الدسائس والمؤامرات. ولو شئنا أن نعد المخازي والجرائم التي ألصقها الأحبار في توراتهم بالأنبياء والرسل وبغيرهم من الناس لضاق بنا المجال.

فمدونوا التوراة كان لهم ولع خاص بالحض على سفك الدماء وهتك الأعراض واغتصاب الأموال، والحديث عن الزنى، خاصة بالمحارم، وكذا اللواط والمساحقة ومواقعة البهائم، حتى خلطوا الملاذات بالطقوس الدينية، وغدت ضروب البغاء لوناً من التكريم، وغدا السكر نوعاً من العبادة!!.

وإن من يقرأ التوراة يفجع كذلك وهو يراها تتطاول على الشعوب وتطالب بالانتقام منهم، بينما تزهو بشعب الله المختار!!

يفجع وهو يراها تزيف التاريخ، فتقلب الحقائق أو تزورها، وتتغاضى عن أبسط قواعد العقل والمنطق، فتسطر التوراة الآتي: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، وإن لم تسالمك وعملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك إلهك الرب نصيباً فلا تستبق منهم أحداً، بل تحرمها تحريماً: الحثيين، والعموريين، والكنعانيين،

والفرزيين، والحوريين، واليبوسيين. . كما أمرك الرب إلهك»[1].

وكذلك «وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت سائر إليها لترثها،

واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك وضربتهم، فأبسلهم إبسالا، لا تقطع معهم عهداً، ولا تأخذك بهم رأفة، ولا تصاهرهم، بل كذا تصنعون بهم: تنقضون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون غاباتهم، وتحرقون بالنار تماثيلهم»(٢).

وتقول: وأهلكوا جميع ما في المدينة (أريحا) من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد، فاجعلوها في خزانة الرب(٣).

«وقال يشوع لقواد رجال الحرب الذين ساروا إلى مصر: تقدموا، وضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك»(٤).

«وكلم الرب موسى قائلاً: وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم، ومناخس في جنوبكم»(٥).

فأين هذا من النصائح الغالية التي أوصى بها «أبو بكر الصديق رضي الله عنه» الجيوش التي سيرها لتحرير العراق وبلاد الشام من الفرس والروم، بألا يقتلوا النساء والشيوخ والأطفال، وألا يبقروا البطون ويقطعوا الأشجار، ويقتلوا الحيوان.. وأن يعاملوا شعوب البلاد المفتوحة بالحسنى؟!!

إن ما زعموه في التوراة يذكرنا بمذابح اليهود في دير ياسين، وناصر الدين، والجورة، والطنطورة، وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا.. وأخيراً - وليس آخرا - جينين.!!.

هذا.. ولقد بُدئ بتدوين التوراة بصورة متصلة جادة في الأسر البابلي في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده، حين كان اليهود يعيشون عيشة أسر ونفي وذل، فأراد أحبارهم وحاخاماتهم بذلك إذكاء روح المقاومة والحمية فيهم، وبعث الأمل بالخلاص والعودة في نفوسهم، فخلعوا عليهم من الصفات ما ليس فيهم، ووعدوهم بما ليس لهم، وصبوا جام غضبهم على أعدائهم، واستمطروا اللعنات على مضطهديهم ومبغضيهم.. وهكذا كتبت التوراة بأقلام حاقدة، وحبر مسموم، وصدور تغلي بالكراهية والحقد، فبعدوا بذلك كثيراً عن جادة الصواب، وحلت رقاعات الأحبار محل رسالات الأنبياء، وهكذا كان.

عندما بدأ أحبار اليهود يدونون التوراة كانوا أمام ثلاثة حوافز نفسية:

الحافز الأول: أنهم كانوا في الأسر جماعة مضطهدة معزولة، بحاجة إلى تعبئة روحية عالية تمسح عن جباههم ذل العبودية، وترفعهم إلى مصاف الشعوب الحضارية.

الحافز الثاني: إرجاع انتمائهم إلى شخصية محترمة في المنطقة، هي شخصية «إبراهيم الخليل» يغطون بها سخائمهم وسخافاتهم، مع أن «إبراهيم الخليل» سليل إحدى القبائل الآرامية العربية، ولا علاقة له بأخلاط هؤلاء «الخبيرو» فهو جد بني إسرائيل، وليس جد كل هذه الأخلاط من «الخبيرو» وغيرهم ممن تمسحوا بنبله وأصالته.

أما الحافز الثالث: فهو إعطاء أنفسهم صفة الشجاعة والرجولة بانتمائهم إلى موسى، مع أن قوم موسى كانوا أخلاطا من بقايا بني إسرائيل، الذين قدم بهم «يعقوب» عند أخيهم «يوسف» ومن الهكسوس والمصريين الذين فروا مع «موسى» أيضاً، هرباً من ظلم فرعون واضطهاده، ناجين بكرامتهم وأرواحهم.. كل ذلك ليحقق كتبة التوراة لليهود قوة الاله ومكانة النبوة، ورفعة الأصل والجاه، والعودة إلى أرض الميعاد.. وهكذا اتخذوا من «يهوه» إلهاً، ومن «إبراهيم» أباً، ومن «موسى» قائداً وزعيماً!!.

لقد اتخذت التوراة من بني إسرائيل الموضوع الرئيس لها، وكأن الكون فعلاً ما خلق إلا لهم، وكأن التاريخ لا يعرف أحداً غيرهم!!

لقد حرمت التوراة على اليهودي أن يستعبد يهودياً، أو أن يستغله..

فاليهودي مثلاً إذا زنى بغير يهودية فلا يعد زانياً لأنها من الأغيار، والأغيار في عرفهم نوع من الحيوان الأعجم!!.

واليهودي إذا سرق شيئاً من يهودي يعد سارقاً، أما إذا سرق من غير يهودي فلا يعد كذلك، لأنه من الأغيار، ومال الأغيار في عرفهم هو مال يهودي نهبه الأغيار منهم، ويجب استرداده وارجاعه لأصحابه بأية وسيلة، لأن الأرض

ومن عليها وما عليها إنما خلقت لهم لتخدمهم، وتسبح بحمدهم!! وهكذا.. فإسحاق حين بارك يعقوب، باركه بقوله: «يستعبد لك شعوب»(٦).

وداود يقول في ترنيمة له من مزاميره: «على أدوم أطرح نعلي» أي كل نفيس وغالى إنما هو تحت قدميه!!

ومن ثم فإن اليهود يستحلون ذبح الأغيار في عيدي «كيبور، والبوريم»، واستخدام دمائهم في صنع الخبز المقدس، مع أن أكل الدم حرام على اليهود؟!!

ويعدون كل عقود زواج الأغيار لاغية، وأن كل أولادهم أولاد سفاح وزناً، لأن هذه العقود أبرمت بين حيوان وحيوان؟

إنهم يعتبرون أن الله هو إلههم فقط، إله إسرائيل، وشعب إسرائيل، وأن الأغيار لا إله لهم؟!! وتقول التوراة: «للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا»(٧).

«وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث رجل، تستعبدونهم أبد الدهر، وأما أخوتكم بنو إسرائيل، فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف»(٨).

وهكذا استطاعت تلك التوراة المحرفة أن توجد هذا الشعب اليهودي بتلك النفسيات المعقدة، والمنظمات الحاقدة، والأفكار المعاندة، والسلوكيات المتطرفة المتعصبة، مع كل شعوب الأرض، وخاصة أصحاب الرسالات التي جاءت بعدهم من أتباع عيسى عليه السلام، وأتباع «محمد».

وإذا كان هذا بعض ما جاء في التوراة - فيما يخص التعامل مع الناس- فما بالك بغيرها؟!!(٩).

لقد حفلت التوراة - ولا شك أنها المحرفة - بنماذج من التعصب، بصورة فاقت كل حد من الوحشية والشراسة، وتشعرك أنك أمام «تركيبة» بشرية مزعجة غاية الإزعاج. وفائقة القدرة على الالتواء والتحريف، والافتراء الفاحش على كل شيء، حتى الله عز وجل وملائكته، ورسله، والناس أجمعين!!

فقد زعمت التوراة أن إسرائيل سأله إلهه: لم خلقت خلقاً سوى شعبك

المختار؟ فقال له: «لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم»(١٠).

والوحي الإلهي - بداهة - يبرأ كل البراءة من هذه الأساطير، ولكنها الطبيعة اليهودية المتوحشة تتبدى وتتجدد في هذه النصوص فتقول: «وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمرهم في أتون الآجر» [وهكذا نرى أن إحراق الشعوب في الأفران هو اختراع يهودي قديم، وهم يشنعون به على النازية زوراً!!]

«وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم»(١١).

وجل شأن ربنا عن هذا البهتان المستطير، وتنزهت كتبه ورسله عن هذا الإفك المبين!!.

إنه أمر بعيد عن كل معالم الرحمة والإنسانية، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وهكذا، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن التوراة التي بين يدي اليهود تختلف اختلافاً بينا عن التوراة المنزلة التي ذكرها القرآن، وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس!! ليست المذكورة في القرآن بحال، وإن كانت تحتوي على نبذ منها مع الخطأ والتحريف والتبديل أيضاً. وفي الأرض أكثر من توراة بينها فروق واختلافات، وقد علم أيضاً، أن التوراة التي أنزلت على موسى قد فقدت منذ حرق «بختنصر» الهيكل، بعد حرق أورشليم، وسبي اليهود إلى بابل.

ويؤيد الدكتور «هربري لوي» اليهودي - صاحب كتاب «أديان العالم الكبرى» أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها في اليهودية بالذات، وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد فيها شيء

عن الخلود، ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا، وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض..

ويلاحظ الباحثون أن رائحة الوثنية الخالصة واضحة في العقيدة الجديدة (الهيكل - التابوت - الطقوس) ومن ذلك كله يتبين أن التوراة الحالية زائفة، وأنها كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم، ورسمت طريقتهم في الحياة إلى آخر الدهر؛ وأبرز أهدافهم من حيث امتيازهم الخاص الذي يتميزون به عن غيرهم من سائر الأمم، وتبريرهم جرائمهم على أنها أخلاق فاضلة[١٢].

٢ - **(التلمود):**

« يزعم اليهود أن الله قد بلغ موسى شريعة مكتوبة، وبلغ اللاويين رسالة مكتومة، وبناء على ذلك فإن أحبار اليهود لم يكتفوا بالتوراة؛ وينفثون فيها عقدهم وحقدهم، وسخافاتهم، وإنما ثنوا بالتلمود ليكملوا به ما كان قد فاتهم في التوراة، وكأن عقدهم وسخافاتهم لا حد لها فأحبوا أن يكون لهم كتاب مفتوح، يحمّلونه متى شاءوا ما شاءوا من جرائمهم ورقاعاتهم ثم يضفون على ذلك صفة القداسة.

هذا.. ولقد كتب التلمود - في الأصل - لذم المسيح وأمه وتلامذته، والتهجم على المسيحية وإفسادها بكلام بذيء لم تقله التوراة.

و(التلمود) معناه - باختصار - كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، فهو بالنسبة للتوراة يكون شرحاً وتفسيراً وتعليقاً، ولا شك أن هذا حق الحاخامات والكهنة في الديانة الكهنوتية.

والتلمود - بصورة عامة - هو مجمل القواعد والوصايا والشرائع والتقاليد الدينية والأدبية والشروح والتفاسير والروايات المختلفة المتعلقة بدين وتاريخ وجنس بني إسرائيل.

وكان اليهود حتى كتابة التلمود، يتناقلونه مشافهة، إلا أنه بعد أن تعاظم

شأنه، وتراكم شحمه، لدرجة عز على النقل، قرر أحبارهم تدوينه خوفاً عليه من النسيان والضياع، أو اختلاطه بغيره، وكذلك ليسهل عليهم نشره، وهكذا برز التلمود إلى الوجود، في وقت لا يعرف تاريخه بشكل محدد[١٣].

ويرجح بأن عملية تدوين التلمود قد بدأت مع بداية عملية تدوين التوراة في بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وظلت ممتدة بعد رجوع اليهود من الأسر البابلي سنة ٥٣٩ ق. م. في عدة مدن من فلسطين كالقدس وأريحا وطبرية.. ويقال بأن أول من جمع التلمود في كتاب هو الحاخام (يوضاس) وأنه قد سماه (المشنا) ثم زيدت عليه - في القرون اللاحقة - متون وحواشي وشروح كثيرة، بما يعرف ب (الجمارا) فالتلمود إذن مقسم إلى قسمين: المشنا، والجمارا. أما (المشنا) أي (المتن) فإنها تعني الدرس أو الشريعة وهي عبارة عن مجموعة من التعاليم والقوانين الدينية والمدنية والسياسية التي أقرها أحبار اليهود في العصور المختلفة[١٤].

وهي مقسمة إلى عدة أقسام منها ما يختص بالزراعة، ومنها ما يختص بالصلاة والدعاء، ومنها ما يختص بالأعياد والسبوت والمواسم، ومنها ما يختص بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، ومنها ما يختص بالأحوال المالية،والجنح والقرابين والذبح والختان والطهارة، وما إلى ذلك.

وأما (الجمارا) أي (الشرح) فإنها تعني الإتمام أو الإكمال، وهي تقوم على جملة من الأحاديث والروايات المسموعة من كبار الحاخامات على مدى أجيال متعددة، ولهذا فإن الجمارا تفسر المشنا، كما تفسر المشنا التوراة، وتحتوي الجمارا أيضاً على خلاصة الأبحاث والدراسات والمجادلات التي يكثر تداولها في المعابد، ولهذا فإنها تشتمل على أمثال وحكم وأخبار ومعلومات تتعلق بالأمور العامة والصناعات الطبية والفلكية والحرفية، وما إلى ذلك، وتكاد تكون الجمارا موسوعة تشمل كل حياة اليهود بأدق تفصيلاتها.

هذا.. ويزعم اليهود أن موسى كان قد شافه قومه بالتلمود، وهو على جبل

طور سينين، وأن اخاه «هارون» قد تداوله من بعده، ثم أخذه عنه «يشوع» «فاليعازر»، إلى أن تسلمه أنبياء بني إسرائيل على التوالي منه ومن بعضهم، حتى وصل في القرن الثاني بعد الميلاد إلى الحاخام الأكبر(يهوذا) الذي دونه بشكله الحالي(١٥).

وهناك ما يؤكد أن عملية التدوين والإضافات ظلت سائرة حتى القرن السادس بعد الميلاد على الأقل، عند ظهورالإسلام.

هذا.. والتلمود تلمودان: تلمود بابلي، وتلمود أورشليمي، وحجم التلمود البابلي أكبر من حجم التلمود الأورشليمي بأربعة أضعاف، وهما مختلفان في اللغة والمحتوي، فلغة التلمود البابلي هي الآرامية الشرقية (آرامية العراق)، وأما لغة التلمود الأورشليمي فإنها شبيهة بالآرامية الغربية (آرمية سوريا) وفيها مصطلحات وألفاظ سريانية ولاتينية.

والتلمود - كما هو الآن - بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته يبلغ ٣٦ (ستة وثلاثين) مجلداً، مطبوعة باللغة الإنجليزية، وأول طبعة ظهرت للتلمود في البندقية «فينسيا» سنة ١٥٢٠م، تلتها طبعة أخرى سنة ١٥٥٠م، كانت في اثني عشر مجلداً(١٦).

«وحين وقع التلمود في أيدي الناس تعرض اليهود إلى اضطهاد ومذابح بسبب ما جاء فيه من ذم للمسيح وأمه وحوارييه، وتهجم على الكنيسة ورجالها والدين المسيحي، مما أجبر أحبار اليهود على إعادة طباعة التلمود للمرة الثالثة في مدينة «بازل» في سويسرا، سنة١٥٨١م، مع حذف كثير من الفقرات والصفحات التي تفضح نوايا اليهود وطواياهم الشريرة الخبيثة، إلا أن اليهود احتفظوا لأنفسهم - سراً - بما هو محذوف، وكانوا يضيفونه إلى نسخهم الخاصة التي يقتنونها، ولكنهم حينما اكتشف أمرهم لجأوا إلى أسلوب آخر أكثر خبثاً ودهاء، وهو ترك مكان خال للفقرة المحذوفة، يكتبونها بخط أيديهم، أو يلقنهم إياها الحاخامون شفهيا عند وصولهم إليها»(١٧).

«ومع هذا، فما يزال التلمود، بالرغم مما طرأ عليه من تبديل وتغيير وحذف كي يبدو مقبولاً للأغيار، زاخرا بالفضائح والمخازي والجرائم التي يندي لها جبين البشرية خجلاً، ولا يرف لها جفن يهودي واحد»(١٨).

٣ - منزلة التلمود عند اليهود

يزعم اليهود أنه كتاب منزل من عند الله مثل التوراة، واليهود يقدمون التلمود على التوراة، وهو موقف ينفرد به اليهود من دون سائر حملة الرسالات، فليس من المعقول أن يكون الفرع أثبت وأفضل من الأصل، ومع ذلك فقد ورد في التلمود ذاته من الأقوال ما يدل على ذلك ويحث على اتباع التلمود، ومن ذلك:

« إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق علها مكافأة، ومن درس التلمود استحق أحسن الجزاء، ومن احتقر أقوال التوراة فلا جناح عليه، ومن احتقر التلمود استحق الموت.

«اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، فهي كالشريعة، وهي مثل قول الله الحي، فمن يجادل حاخامه فكأنه يجادل العزة الإلهية».

وكذلك «إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله!!»

ويضربون لذلك مثلاً توضيحياً فيقولون: «إن التوراة كالخبز، والإدام كالتلمود، وإن المرء لا يعيش بالخبز فقط».

لأن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة، لا يمكن حلها في السماء، ولذلك «يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى»، ولأنه «إذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب، لأن الذي يخالف شريعة موسى فهي خطيئة قد تغفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل».

وقد أمر مؤلفو التلمود بما يأتي: «إن الحاخامات الذين ألفوا التلمود

يأمرون بالطاعة العمياء لهم فيخطئ من يجادلهم وهم لا يخطئون أبداً، وإن تناقضت أقوالهم».

وقد قيل: «إن حمار الحاخام لا يأكل شيئاً محرماً، والحاخام معصوم من كل خطأ، فيجب على اليهود تصديقه، والعمل بأوامره مهما كانت».

واليهود يصفون التلمود أنه فوق التوراة، والحاخام فوق الله، والله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الله (الشريعة) والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي أعظم من المقترفة ضد التوراة.

ويقولون أيضاً: «نعترف جهاراً بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية»

ولقد ضمن اليهود تلمودهم من السخافات ما لا يمكن أن يصدقه عقل سليم متزن[١٩].

٤ - الله في التلمود

يروي التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود عن الله قوله: تباً لي، لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي.

وليست العصمة من صفات الله - في رأي التلمود - لأنه غضب مرة على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

ويصف الله بالجهل، فقد زعموا فيه: أن خلافاً كان قد وقع بين الله وبين أحبار اليهود يوماً، وبعد أن طال الجدل بينه وبين هؤلاء في ذلك، تقرر إحالة المشكلة برمتها إلى أحد الحاخامين الربيين، وحين عرضت عليه المشكلة، حكم

هذا لصالح الأحبار، مما اضطر الله إلى أن يعتذر للأحبار عن خطئه!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والنهار - في عرف التلمود - اثنتا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى منها، يجلس الله يطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يتفرغ فيها لحكم الكون، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وأما في الثلاث الأخيرة فإنه يتفرغ لنفسه، يلاعب الحوت، ويداعب التمساح، ويستريح من عناء العمل.

إلا أنه بعد أن أخطأ وصرح بهدم الهيكل، وندم على فعلته هذه، فبكى لذلك ولطم خديه، أصابه اكتئاب عظيم فحرم على نفسه مثل هذه المتع، تكفيراً عن خطيئته التي لا تغتفر!!

هذا.. ويزعم التلمود أن الله كثيراً ما يطلب من الأحبار الربيين أن يغفروا له أخطاءه، كلما أخطأ، وهو كثيراً ما يخطئ، فهو طلب منهم - مثلا - أن يغفروا له خطيئته عندما خلق القمر أصغر من الشمس، كما طلب أن يذبحوا له قرباناً يكفر به عن خطيئته تلك!!.

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه، وبين الشريعة المرسومة له، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله «أوريا» واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب في كل ذلك.

٥ - الأنبياء في التلمود:

يقول التلمود عن بعض الأنبياء كلاماً أشنع مما في التوراة - أعني المحرفة، ومنه على سبيل المثال: بعض الشياطين نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله أبى أن يجامع زوجته «حواء» حتى لا تلد له نسلاً تعيساً فحضرت له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما، فولدتا شياطين، وكانت حواء أيضاً لا تلد إلا شياطين في هذه المدة، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين!!.

فهذا اتهام لنبي الله «آدم» بالزنا، وهو اتهام لحواء كذلك، وأنه ملعون من الله، ومن ذريته شياطين!

يقول التلمود أيضاً: كان سليمان الحكيم يستخدم أمهات الشياطين المشهورات، وهن أربع، ويجامعهن بما له عليهن من سلطان.

كان إبراهيم الخليل يتعاطي السحر، ويعلمه، وكان يعلق في رقبته حجراً ثميناً يشفي بواسطته جميع الأمراض، وإذا مس هذا الحجر طيراً أو سمكاً ميتاً تعود إليه الحياة(٢٠).

ويقول التلمود في خلق آدم «أخذ الله تراباً من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة وخلقها جسماً ذات وجهين ثم شطره نصفين، فصار أحدهما آدم، وصار الآخر حواء، وكان آدم طويلاً جداً، رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، وإذا نام كانت رأسه في المشرق ورجلاه في المغرب، ولما عصى آدم نقص طوله حتى صار كبقية الناس».

ويزعم التلمود أن إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلاً(٢١).

٦ - اليهود في التلمود:

تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه. ويزعم التلمود أنه في ليلة كل سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وذلك باعتبار أرواح اليهود جزء من روح الله، أما أرواح الأغيار فإنها أرواح شيطانية، ففي كل ليلة جمعة يخلق عدد من الشياطين الآدمية!!

ولهذا فإن التلمود يطمئن أتباعه بأن إلههم «يهوه» يغفر لهم في عيد كيبور «الغفران» كل الأعمال السيئة التي أنزلوها بالأغيار، ولا يغفر لهم الأعمال السيئة التي أنزلوها ببعضهم، وهو غافر لهم مقدماً كل ما سيفعلونه من جرائم في العام القادم، فلا حرج عليهم إذن من ارتكاب الجرائم مقدماً على الحساب!!

والنعيم مأوي أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين، والمسلمين، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعقوبة والطين.

والتلمود يزعم أن اليهود أفضل عند الله من كل الملائكة وكل الأنبياء والرسل، لأن الكون إنما خلق لليهود وحدهم، وأنه لولا وجودهم لأنعدمت البركة من على وجه الأرض، ولحبس المطر، ولما كان هناك حياة وأحياء!!

كما يزعم التلمود أن الله خلق الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا بخدمة اليهود، الذين من أجلهم خلقت الدنيا، والشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، أما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير أو مثل الكلاب. لأن سفر الخروج يقول: «إن الأعياد المقدسة لم تجعل للكلاب أو الأجانب»

ومن سخافات التلمود أنه ذكر بأن أحد الحاخامين كان بإمكانه أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل آخر، وأن هذا الحاخام كان يخلق كل ليلة عجلا، عمره ثلاث سنين، بمساعدة حاخام آخر، وأنهما كانا يذبحان العجل بعد ذلك ويأكلانه معاً، وكذلك فإن أحد الحاخامين كان بإمكانه أن يحول بالسحر الذي يعرفه الماء إلى عقارب، وأنه قد سحر امرأة يوماً، وجعل منها أتانا ركبها، ونزل بها إلى السوق!!.

يكفي في شريعة التلمود أن يظهر اليهودي بشكل الحمل الوديع تقية وخداعا ثم ليعتقد ما شاء، وليفعل ما شاء، فيقول: «إن الإنسان مهما كان شريراً في الباطن، وأصلح ظواهره يخلص».

ينص التلمود على أنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باق الأمم في الأرض، لتصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تكن لهم السلطة غدوا كأنهم في حياة النفي والأسر، ويعيش اليهود في حرب مع باقي الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع، وحينئذ يدخل الناس أفواجا في دين اليهود، ويقبلون جميعاً ما عدا المسيحيين، لأن هؤلاء من نسل الشيطان!!

والذي يرتد عن الدين اليهودي يعامل معاملة الأجنبي، غير أنه إذا فعل ذلك من أجل خداعهم فلا جناح عليه، لأنه إذا أمكن لليهودي أن يغش أجنبياً ويوهمه بأنه غير يهودي، فهو مسموح به، أما من اختلط بالمسيحيين وعبد مثلهم الأصنام فهو منهم، وينطبق عليه ما ينطبق عليهم[٢٢].

٧ - غير اليهود في التلمود:

غير اليهود - في نظر واضعي التلمود - حمير خلقوا ليركبهم شعب الله المختار، فيقول التلمود: إن الأمميين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، فإذا نفق منهم حمار، ركبنا منهم حماراً. ولأن إبراهيم الخليل حين توجه ليذبح ابنه «إسحاق»!! كان يصحبه خدمه، فقال لهم: امكثوا هنا والحمار، بينما أذهب أنا وولدي إلى الامام!! ومن هنا عرف أن غير اليهود حمير!!

ولهذا «إذا قصد يهودي قتل حيوان فقتل شخصاً خطأ، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودياً، فخطيئته مغفورة، ومن يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة، أما من يقتل يهودياً فكأنه قتل الدنيا كلها».

«من سفك دم الكافر (الأممي) فإنه يقرب إلى الله قرباناً»

إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة - المسلمون والمسيحيون معدودون عندهم من الوثنيين - وجب على الإسرائيلي أن يسد بابها بحجر وقال: اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود، اقتل الصالح من غير اليهود، على اليهودي أن يطعم الكلاب ولا يطعم الأغيار، إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأممي ماله المفقود.

مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانا كاذبة، وغير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بربا.

إن لليهود الحق في اغتصاب غير اليهوديات، فإتيان زوجات الأجانب جائز، لأن المرأة غير الإسرائيلية بهيمة ولا عقد للبهائم!!.

ويصرح التلمود لليهودية أن تزني غير آثمةبغير اليهودي، كما يصرح للزوج أن يزني حتى في بيت الزوجية، فيلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين.

لا يسمح لليهودي أن يكون مؤدباً مع الكافر، أو يدعي محبته، إلا إذا خاف أذاه.

ولا يجوز له أن يلقى عليه السلام إلا إذا خاف ضرره، وإذا سلم كان هزءاً وسخرياً، ولا يمدحهم أو يصفهم بالحسن، ويجوز استعمال النفاق مع غير اليهود، ولا يجوز تقديم صدقة لغير اليهود. ولا يعطي شيئاً لغير اليهود بدون ثمن، فلا يجوز أن يهبهم شيئاً.

وينص التلمود على أن اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تعتبر يميناً، إذ كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يميناً، ويجوز لليهودي الحلف زوراً إذا حول اليمين لوجهة أخرى، وبخاصة إذا كانت إجبارية كأن تكون أمام المحاكم أو أمام خصم قوي.

وإذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي أن يحلف اليمين حلف زوراً، ويعين التلمود يوماً كل فترة يسمى يوم الغفران العام، وفيه يمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب، ومن بينها الأيمان الزور. والوصية الجامعة عندهم)اهدم كل قائم، لوث كل طاهر، إحرق كل أخضر، كي تنفع يهودياً بفلس) [أين هذا من قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] قارن بين نظرة إنسانية شاملة وبين نظرة أنانية ضيقة].

إذا سرق غير اليهود شيئاً ولو كانت قيمته تافهة جداً، فإنهم يستحقون الموت لأنهم خالفوا الوصايا التي أوصاهم بها الله، وأما اليهود فلا شيء عليهم لأنه جاء في الوصايا «لا تسرق مال القريب» والأمي ليس بقريب.

لا تظلم الشخص الذي تستأجره لعمل ما، إذا كان من إخوتك، أما الأجنبي فمستثنى من ذلك.

وفي القضاء: إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك في دعوى وأمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحاً فافعل وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتنا، وهذا إذا كان في مدينة يحكمها اليهود - وإذا أمكنك ذلك وفق شريعة الأجنبي، فاجعل الإسرائيلي رابحاً، وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن في الحالتين فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي.

إن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري، فالمرأة اليهودية التي تخرج من الحمام عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودي والجمل والخنزير والحصان والأبرص!!.

- إن عبدة الأوثان الذين لا يعتقدون الدين اليهودي، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح، والمسلمين التابعين للنبي محمد - هم في نظر اليهود - أعداء الله وأعداء اليهود.

ومن هنا نستخلص ان العالم كله بما فيه من مسلمين ومسيحيين في نظر اليهود وتعاليمهم أعداء لهم.

- يسمح التلمود لأصدقاء الله وأقاربه في أن يضلوا الأشرار ولأنه مكتوب: كن تقياً مع الأتقياء وشريراً مع الأشرار.

- إلعن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات في كل يوم.

- يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش، ولكن إذا بعت أو اشتريت لقريبك «اليهودي» فلا يجوز لك أن تساومه أو تراوغه.

إذا رد أحد إلى غريب ما أضاعه، فالرب لا يغفر له أبداً، ممنوع عليك رد ما فقده الغريب ولو وجدته.

- إذا أعطى اليهودي معلومات عن يهودي هارب من وجه غريب له، عليه دين مستحق، فالهارب لا يستوجب الإدانه أكثر من أخيه الذي سعى به، وعلى هذا بسبب الوشاية أن يعوض أخاه مخسره.

- محرم على اليهودي أن ينقذ أحداً من باقي الأمم من هلاك.

- جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، بل الأرض وما فيها وما عليها ملك لليهود وحدهم ولهم التصرف الكامل فيها، فقد سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم.

- كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها هكذا أبناء بني إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحملوا عناء العمل.

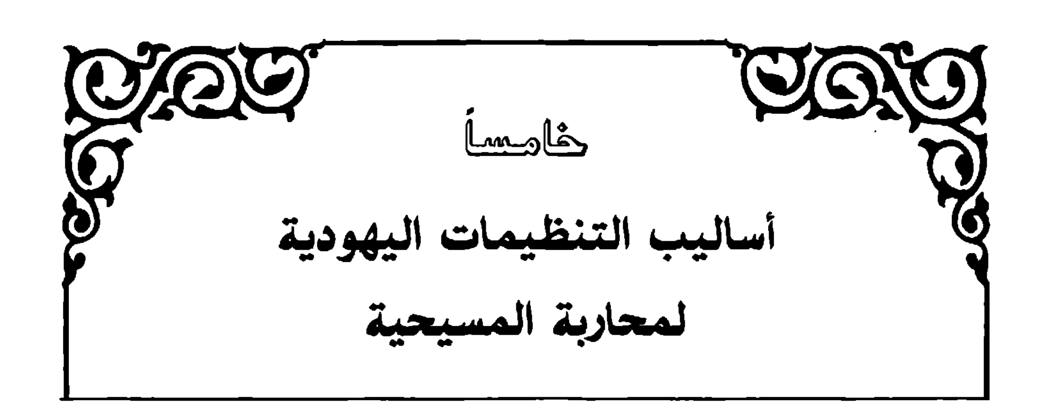
- قريب اليهودي هو اليهودي فقط، يلزم بغض غير اليهود سراً.

إنه مصرح لليهود أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يستطع مقاومتها بشرط أن يكون ذلك سراً، ولم سراً؟ أتخجلون؟!

- الغاية تبرر الوسيلة، يجوز استعمال النفاق مع الكفار.

● والكفار - في نظر اليهود - هم غير اليهود، ومن هنا يدرك سر فلسفة اليهود في ظلمهم وعداوتهم للناس جميعاً، إن نفاق اليهود معروف، وكبرهم مألوف، يجرون وراء مطامعهم، لتحقيق مطالبهم، واليهود قوم كالأرانب إذا خافوا، ذئاب إذا قدروا، يتباهون بالشر متى قدروا، ويتوارون عن العيون متى جبنوا، يقابلون النعمة بالنقمة، والجميل بالجحود، ويسخرون من المؤمنين ويسارعون بالأذى إلى المتقين، يختلفون مع غيرهم حباً في الخلاف، ورغبة في النزاع، وأملا في إشعال نار الفتن، إذا قدروا سفكوا الدماء، وعكروا الصفاء، وإن تمكنوا قتلوا الأبرياء، وامتدت أيديهم إلى الشرفاء، وتطاولوا على الأنبياء، وظلموا الضعفاء، وإن جد الجد فهم الجبناء، وأهل النفاق والرياء، فهم بين وحشية اليهود، وغطرسة التلمود، وخيانة الحقود، واجتماع جرائم الوجود[٢٣].





مدخل: «الجمعيات السرية»

الجمعيات السرية الخطيرة كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم والوصول إلى أهدافهم، وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض، أو يوعزون بإنشائها لغيرهم، وقد يجد اليهود جمعيات قامت لغرض أو لآخر فيندسون فيها، وينفثون فيها سمومهم، ويوجهون أتباعها وجهتهم التي يريدونها، ولا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا كان اليهود يعيشون فيها خلف الستار.

والمراجع العديدة التي اعتمدنا عليها في هذا الباب توحي بأن اليهود كانوا خلف الحركات التي هبت في وجه المسيحية والإسلام، فقد كانوا خلف جمعية «فرسان المعبد» وجمعية: القداس الأسود «وجمعية الصليب الوردي»، وجمعية «البنائين الأحرار» التي تسمى «الماسونية» وغيرها من الجمعيات التي وجهت نشاطها للنيل من المسيحية.

وكانوا خلف القرامطة، وغلاة الشيعة، وغيرهما من الجمعيات التي ناصبت المسلمين العداء، رغبة النيل من الإسلام.

وفي مكان آخر - يقول الدكتور أحمد شلبي: «لم أقبل تعبير غلاة الشيعة» وقلت: إن هؤلاء ليسوا شيعة، وليسوا مسلمين، وإنما هم جماعة من أعداء الإسلام تظاهروا بالدخول فيه وتظاهروا بالتشيع، فجعلوا من اسم الشيعة ستارا

لهم، ونسجوا خلفه ألواناً من الترهات والأباطيل بقصد الكيد للإسلام والمسلمين.

وينبغي لي أن أوضح شيئاً خطيرا يصنعه أعداء الإسلام للنيل منه، ذلك أنهم على اختلاف مشاربهم أدركوا أن من العسير جداً أن يرتد المسلم عن الإسلام إلى سواه من الأديان، وأن محاولة ذلك تكلفهم جهدا كبيراً ومالا ضخماً دون أمل، ومن هنا اكتفى هؤلاء من المسلم بتضليله، ودفعه إلى الانحراف والبعد عن الإسلام الصحيح إن لم يعتنق ديناً سواه. ومن وسائلهم لذلك أن يكلموه عن الإنسانية والعمل لخيرها مع الإيمان بالله وتوحيده، ويجعل هؤلاء شعارهم «الله» أو «الإنسانية».

ومن وسائلهم أن يصوروا له أن الأديان «أفيون» الرعاع، فينحدروا به إلى اللادينية، ومنها أن يزجوا به إلى مذهب منحرف من المذاهب التي تربط نفسها بالإسلام، كالأحمدية، والإسماعلية، والبهائية، والبابية. . .

واليهود خلف هذه الطرق جميعاً بطريق مباشر، كأن يؤسسوا هذه الجمعيات أو ينضموا إليها، وبطريق غير مباشر،كأن يدفعوا الاستعمار إلى تأييد مثل هذه الجمعيات، والهدف واحد هنا وهناك.

وإذا تركنا الماضي وعنينا بالحاضر وجدنا اليهود خلف كثير من الجمعيات السرية الخطرة، يوجهوها للنيل من الإسلام في أرض الإسلام، ومن المسيحيين في بلاد الغرب،ومن كل دين وخلق(٢٤).

فمما لا شك فيه - وهذا أمر ثابت تاريخياً أنه ظهر خلال حقب التاريخ المختلفة «جمعيات سرية» كانت تغرق في السرية، والرمزية، كلما ازداد أعداؤها في اضطهاد عناصرها وظلمهم.

وكثيراً ما تعرضت هذه الجمعيات لافتضاح أمرها،أو اعتقال أفرادها، ومن ثم شيوع طرق تنظيمها وإفشاء أسرارها.

ومن الطبيعي أن التنظيمات اللاحقة تستفيد من أخطاء التنظيمات السابقة،

وتتأثر بها وتتحاشى هناتها ولو تغيرت الغايات والأهداف، فإذا ما تشابهت الأهداف، فمن الطبيعي أن تتشابه «الرموز» و «الطقوس» وربما التسميات.

ومن المعروف تاريخياً أنه كان لبني إسرائيل دولة بمعنى الدولة في زمن النبي «سليمان عليه السلام» فقط، ومنذ سنة ٥٨٧ قبل الميلاد، حينما أغار بختنصر على مملكة يهوذا، وساق أهلها أسرى إلى بابل، لم يستطع اليهود إقامة دولة رغم محاولاتهم المتكررة التي كان يعقب كلاً منها تشتت جديد، وتشرد في مختلف أنحاء العالم، وهناك في «بابل» - في الأسر - اخترع زعماؤهم فكرة «الوعد»، ورسخوا في أذهانهم خرافة «شعب الله المختار» ليحافظوا على وحدة الشعب وصفائه العنصري ويعيدوا إليه ثقته بنفسه.

لذا لا يستبعد عقلياً أن يعمد اليهود إلى تأسيس جمعية سرية تعمل على تحقيق أهدافهم، بل أكثر من ذلك ولا يستبعد تشكيلهم لحكومة عالمية سرية، تتألف من قادتهم ذوي الأطماع الكبيرة في السيطرة على شعوب العالم التي يسمونها «غوييم»، وهم الذين يعتقدون أن اليهود «شعب الله المختار».

وهذا ما يجعلنا لا نستغرب، بل نميل إلى الاعتقاد بأنه يوجد لليهود «حكومة عالمية سرية» لا وطن لها ولا أرض ولا سلطات، وهم الذين قضت عليهم طبيعتهم أن لا تكون لهم حكومة فعلية أو وطن أو أرض أو دولة. لكن يجدر بنا أن نتساءل: ما هو مدى سيطرة هذه المنظمة السرية، أو «الحكومة الخفية» على الحكومات الحقيقية، وعلى التنظيمات العالمية خاصة تلك التي ارتبط اسمها بالصهيونية العالمية وأخص بالذكر «الماسونية»[٢٥].

والحقيقة التي لا مراء فيها أن جذور الماسونية إنما هي جذور توراتية تلمودية، بدليل أن جميع الرموز والإشارات والأسماء المستخدمة في جميع درجاتها مأخوذة من التوراة والتلمود. كما أنها تخدم مخططات اليهود، بدليل أن الأعضاء المتقدمين فيها يقسمون عند التكريس للدرجات العليا على التوراة، بعد أن يختفي القرآن والإنجيل اللذان كانا يظهران في الدرجات الدنيا إلى جانب

التوراة، ويقسمون على ماذا؟ يقسمون على العمل لبناء الهيكل وقيام إسرائيل، وحمايتها بالوسائل كافة عند قيامها[٢٦].

فاليهود يعتمدون اعتماداً كبيراً في بلوغ غايتهم ونشر مفاسدهم على الجمعيات السرية، والحركات الهدامة، والمنظمات الخفية.

وإن الدور الذي قام به اليهود في بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية، وإثارة الحركات الهدامة عظيم جداً، وإن كان من الصعب أن نعينه بالتحقيق، فمنذ أقدم العصور نرى أن أثر التعاليم اليهودية الفلسفية السرية ظاهر في معظم الحركات الثورية والسرية. والمصدر الذي تجتمع فيه التقاليد اليهودية السرية إنما هو فلسفة «الكابالا» وهي كلمة عبرية معناها «ما يتلقى» أعني التقاليد.

و«الكابالا» هي مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والشعوذة والسحر المتعارف عليه عند اليهود عند أقدم العصور، والواقع أن الدور الذي لعبه اليهود - عن طريق الجمعيات السرية - في الثورات الحديثة ظاهر لا سبيل إلى إنكاره، وبالبحث والاستعراض نرى أنه دور مزدوج فهو يستند إلى المال والخفاء معاً.

ذلك أن اليهود منذ العصور الوسطى امتلكوا ناصية الشؤون المالية في معظم الجمعيات الأوربية، وسلطوا عليها في نفس الوقت سيلاً من ضروب السحر والخفاء.

وإذا عرفنا أن هذه الجمعيات والحركات الهدامة ترمي إلى سحق نظم المجتمع الحاضر من دينية وسياسية وأخلاقية، ذكرنا في نفس الوقت أن هذه هي الغاية الأساسية التي تعمل لها اليهودية العالمية منذ عصور»[٢٧].

هذا وإن الجمعيات السرية اليهودية تتطور بتطور العصر، وتتزايد بتزايد الأيام، ومن الجمعيات السرية زيادة على ما ذكر، أندية الروتاري، والأنرهيل والروتراكت، والليونز. . الخ

ذلك فضلاً عن اختلاط الأنساب والصلات المحرمة بين الصهيونية

والصليبية التبشيرية، والشيوعية، والرأسمالية، والعلمانية، واليهودية، والبهائية، والقاديانية، والإبراهيمية ودعاة السلام العالمي، وتوحيد الأديان واللغات وأندية البحر المتوسط، وغيرهم[٢٨].

وإذا افتضح أي أسلوب لتلك الجمعيات السرية، بحثوا عن ثوب جديد يسترون به سوآتهم وحقدهم وخبثهم ومكرهم للأديان، يدعون كسر الحواجز العقدية كلها بين البشر، فاخترعت أندية «شهود يهوه» و «بناى بريث» و «مدارس الإليانس» و «مدارس سان جورج» و «التسلح الخلقي» و «الاتحاد والترقي» و اليوجا «و» المتفائلات «و» محفل الفاهمين «و» السوروبتسمت «و غير ذلك مما تعرفه حكومات الشرق والغرب»[٢٩].

«وإن حديث هذه الجمعيات هو عن الخدمات التي تقدمها للبشرية والسلام بين الشعوب، ونبذ العنصريات والعصبيات لجنس أو لون أو دين، وأن الميادين التي تدعوإليها هي «الإخاء - الحرية - المساواة»[٣٠].

والذي يجب أن معرفة أن وجود ناد واحد من هذه الأندية في بلادنا يحدد بوضوح وجلاء ملامح علاقة أعضاء هذه الأندية بالنشاط الدولي والخفي للصهيونية العالمية، وإن خفي ذلك على «عميانا» فلن يخفى على ذوي الأنوف السليمة»[٣١].

« هذا. . ولقد لعب العمل السري المنظم دوراً كبيراً، بل وهاما في تاريخ البشرية، ولقد أثر العمل السري أعظم الأثر في توجيه تطورات كثيرة في حياة المجتمعات في السلم والحرب على حد سواء، بل كان من أقوى الوسائل إلى الإعداد لقيادة التغيير بهدف الإصلاح والعمران والتطور، أو بقصد الاستغلال والهدم والتدمير في حياة المجتمعات الآمنة والمستقرة، وذلك بالعمل على هز أركانها، وزعزعة مقومات الأمن وعوامل الثقة بين أبنائها بتفكيك روابطها والعمل على مسخ الغايات المثلى لأبنائها.

ومن عجب أن تاريخ الجمعيات السرية يفيض بسحر خاص، وجاذبية قوية

تشد فريقاً من الناس للعمل السري، ولقد بلغ سحر التعلق بالانخراط في عضوية العمل السري إلى نوع من المجازفة والمخاطرة، وتنفيذ غرائب الأعمال، بل القيام بأعظم التضحيات الشخصية وذلك في ظل طاعة عمياء، واستسلام مطلق لمصادر وقيادات التوعية لمهام العمل السري في ضوء مخططه العام.

وتاريخ الجمعيات السرية يقول لنا: إنه كلما كان العمل المنوط به العضو محاطاً بأسلوب من السرية. وجو من الكتمان، وكلما كانت المهام المكلف بها العضو ستمثل لغزاً شخصياً له نتيجة إعداده التنظيمي، كان ارتباط العضو بالعمل قوياً وشديدا».

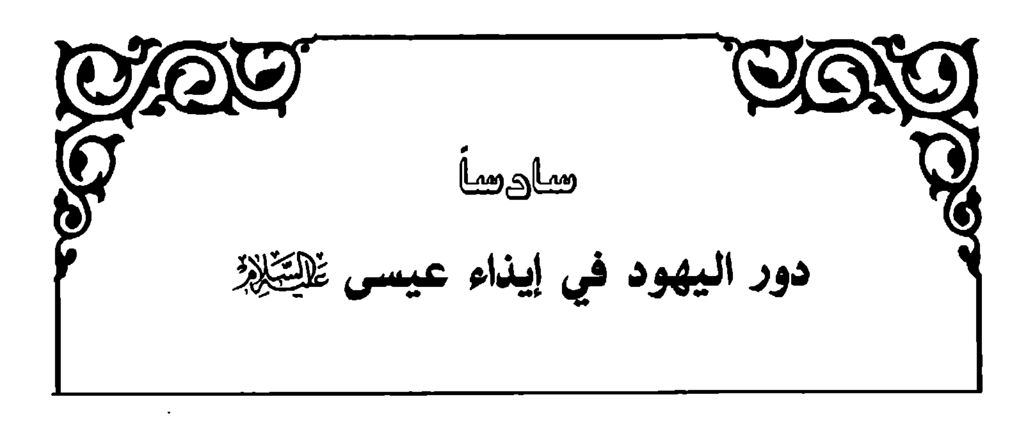
والجمعيات أو التنظيمات الماسونية كمذهب «سري» يقوم على أساس من تراث ديني وسياسي متوارث عند اليهود، لتعبر هذه الجمعيات والتنظيمات عما يؤمن به أولئك الغلاة من المتطرفين الذين يرون في أنفسهم: أنه عن طريق اصطفائهم وانتقاء عنصرهم هم الصفوة المنتقاة من البشر الذين من حقهم أن يصنعوا بالمثل العليا للإنسان والقيم والمعتقدات، ما يرونه كفيلا بتهيئة الأرض السياسية والدينية التي يقوم عليها سلطان الجنس اليهودي المدعى، وسيادة الشعب المختار!!

حتى ولو كان الأسلوب أو التنظيم الذي تراه القوى اليهودية جيلاً بعد جيل مسخاً وتشويهاً لكل قيم الوجوه الإنساني، وذلك بهدم الأديان ورفض القيم والأخلاق وإنكار الرسالات والتجرد من كل عرف أو مألوف إلا ما يساعد على نشر سيادة عقيدة الجنس اليهودي، والتمكين لأطماعه في الأرض والبشر، وذلك بفرض أساليب الغزو الفكري والوجداني للبشر قبل فرض السيادة المدعاة.

والجمعيات الماسونية، أو التنظيم الماسوني هو من أدق وأعقد الأساليب الخفية والمستترة في استقطاب حركة المجتمعات وتوجيهها، إلى حيث تريد لها القوى اليهودية في مخططها العالمي الذي يتمثل في الحركة العنصرية التي تقيم دعواها على أساس من معتقد مصطنع، وتاريخ مزيف في السيطرة على العالم

وعلى مقدراته، وانطلاقا متعاقباومتواليا عبر مراحل التاريخ، من أرض الدين والتاريخ، المدعى لبني إسرائيل من فلسطين كبداية للسيطرة على العالم ومقدراته(٣٢).





مدخل: السيد المسيح عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم:

مولد المسيح عليه السلام:

المسيح عيسى ابن مريم، من آل عمران عليهم السلام الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

حملت به أمه «مريم بنت عمران» بنفخة الملك، فكان حمله ومولده آية للناس ومعجزة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. خلق الله عيسى عليه السلام بكلمة «كن»، وكان مولده في بيت لحم، وهي على بضعة كيلو مترات من بيت المقدس، ولما كان مولد المسيح على غير المألوف عند الناس تعرضت أمه العذراء للوم اللائمين ورميت بالفاحشة، بهتاناً وظلماً، لكن الله تعالى تولى الرد عنها، بأن أنطق وليدها بالحق فـ: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾.

وذلك بعد أن أمسكت أمه عن الكلام مع القوم حين سألوها، فلما نطق وليدها صدق به قليلون، وتمادى الآخرون في الغي والضلال فاتهموها بالفاحشة(٣٣).

وقد علم الله تعالى المسيح عليه السلام التوراة، وآتاه الكتاب والحكم والنبوة،

وبعثه نبياً على رأس ثلاثين من عمره - كما جرى على ذلك علماؤنا فيما يخص عيسى، وإن قالوا بالنبوة بعد الأربعين لغيره.

لقد جاء المسيح فدعا إلى التوحيد الخالص، وإلى الإيمان باليوم الآخر وهذا ما قرره القرآن الكريم، يقول الله تعالى على لسان عيسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

كما قال أيضاً ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وكان من معجزاته (إحياء الموتى) لهذا المعنى، وهو الإيمان بالآخرة التي أنكرها اليهود أو تناسوها، ولمحاربة المادية اليهودية حيث عكف اليهود على المادة واستغرقتهم واستولت على أهوائهم ومشاعرهم.

كما كان من أصول دعوته: التبشير برسول يأتي من بعده، والتبشير بدينه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

والذي عبر عنه عيسى - كما في الإنجيل - باقتراب ملكوت السماوات. [محاضرات في النصرانية، ص٢٢، ١٣ - ٢١، وقصص الأنبياء للنجار، ص٤٧٣ - ٤٧٤].

وأما رسالته فكما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] وقال: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] فالقرآن يثبت أنه رسول، وأن ما جاء به وحي، والكفر به كفر بجميع الأنبياء والمرسلين»[٣٤].

ولقد نص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل، التوحيد بكل شعبه، التوحيد في العبادة فلا يعبد إلا الله، والتوحيد في التكوين، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في

الذات والصفات، فليست ذاته بمركبة، وهي منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى.

فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

فهذا نص يفيد بصراحة أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعد، وما كان عيسى إلا رسول الله رب العالمين.

ولقد نزل على السيد المسيح عليه السلام كتاب هو الإنجيل، وهو مصدق للتوراة، ومحيي لشريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو مشتمل على هدى ونور، وهو موعظةٌ للمتقين، وأنه كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

دعوة المسيح عليه السلام:

ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما، وليس شخص - مهما تكن منزلته

أو قداسته أو تقواه - وسيطا بين العبد والرب في عبادته، ونعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ(٣٥).

كما كانت دعوته عليه السلام دعوة إلى المحبة والسلام، والرفق بالضعفاء والبر بالفقراء والمساكين والمضطهدين، والتنوية إلى التسامح والتقوى والتواضع وسائر المكارم الأخلاقية والشخصية والاجتماعية والنفسية، ونهي عن التكالب على الدنيا، والغل والحقد والحسد والكبر والأنانية والنفاق وسائر المنكرات والفواحش، وأيد الوصايا والتشريعات التوراتية مع تخفيف من التكاليف، واهتمام بالجوهر دون العرض، ونعى على اليهود - ورؤساء الدين منهم خاصة - ما ارتكبوا من انحرافات وآثام دينية وخلقية، وما دأبوا عليه من استغلال الدين والاتجار بة لمآربهم بأسلوب حكيم نافذ ممتزج بالموعظة الحسنة والأمثال البليغة بحيث كانت دعوته وبشارته معدلة ومصلحة للرسالة الموسوية.

وأضاف إلى الشريعة اليهودية أمره إلى الناس بأن يستعدوا للدخول في الملكوت بأن يحيوا حياة العدالة والرأفة والبساطة، وزاد الشريعة صرامة في مسائل الجنس والطلاق، ولكنه خففها بأن كان أكثر استعداداً للعفو، وخفف الشروط الموضوعة على الطعام والشراب، وحذف بعض أوقات الصوم وأعاد الدين من المراسم والطقوس إلى الصلاح والاستقامة، وندد بالجهر بالصلوات، والتظاهر بالصدقات، والاحتفالات الفخمة بالجنازات وترك الناس أحياناً يظنون أن الشريعة اليهودية سوف تمحي حين يحل الملكوت.».

هذه التعاليم والمبادئ التي نادى بها المسيح وأعلنها في بني إسرائيل مثلت اتجاها معاكسا لكثير مما كان عليه القوم من تعاليم وأفكار وقيم.

وبما أن دعوات الحق المعلنة وسط مجتمع قائم على الصراع والاستغلال تجد دائماً من يناوئها، ويسعى في مقاومتها واستئصال شأفتها، وخاصة من أولئك الذين تسلبهم هذه الدعوة متكآت الاستغلال والسيطرة والنفوذ، حيث تكشف زيف أعمالهم وتسفر عن قبح وجوههم، وتجلى خبث طويتهم.

ولما كانت دعوة عيسى عليه السلام واحدة من دعوات الحق فقد شكلت خطرا على قوى الاستغلال اليهودي فدخلوا معها في معركة من أخطر المعارك التاريخية التي تعرضت لها دعوات الحق، كما نال عيسى في هذه المعركة ما ناله، وكذا دعوته وأتباعه.

ولما كانت دعوة عيسى عليه السلام تمنع هؤلاء اليهود من السلطان الكاذب، وذلك بكشف زيفهم وريائهم، كما كانت رادة لهم عن الشره المادي المستنزف لأموال الناس باسم الدين والهيكل.

وحاولت خلق إنسان يستشعر وجوده من أعماقه فيتحول بفعلها إلى إنسان لا تحول بين يقظة ضميره وبين سلوكه في الحياة عوائق من زيف الهوى وعمل المصلحة، وعملت على خلق ترابط اجتماعي من خلال العون والمعونة بأسلوب أخلاقي لايعرف المنة والاستعلاء.

ثم إن المسيح في دعوته ربطهم ببشرى أن لهم ميراث الأرض وملكوت السماوات، ما إن أدرك سادة اليهود أن هذه الدعوة الجديدة ابتدأت تطور الأرواح وتنقي القلوب وتشفي الأمراض وتخلق في الشعب الأمل لليوم والغد، وتجمعهم وتلم شملهم إلا وقد ملأهم الخوف والفزع من أسلوب المعلم ومن إمكانية تأثيره في قلوب الجماهير المحرومة والمكافحة والمضيع جهدها ما بين تضليل السادة من قومهم واستنزاف الدولة السيدة والمسيطرة واستغلال الوسطاء والمرابين.

ملأ هذا الخوف قلوب هؤلاء وخاصة لما أعلن المسيح تجريد بني إسرائيل من ميراثهم بقوله: «أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره»(٣٦).

وبهذا الإعلان وبقبول بعض الأفراد هذه الدعوة وجهت الحرب للداعي والمعلم المسيح عليه السلام بصور متنوعة.

ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام كما ورد في بعض الآثار، وكما تضافرت

عليه أقوال المؤرخين - تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا، إذ الدنيا ليست إلا طريقاً غايته الآخرة، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية.

ولماذا كانت دعوة المسيح عليه السلام إلى الزهادة في الدنيا، والابتعاد عن أسباب النزاع، والعكوف على الحياة الروحية؟

الجواب عن ذلك: أن اليهود الذين جاء المسيح مبشراً بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزاعات المادية، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هي غاية بني الإنسان، بل إن التوراة التي بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر، ونعيمه أو جحيمه، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذي أوعد به العاصين وثوابه الذي وعد به المتقين، إنما زمانه في الدنيا لا في الآخرة.

كما كانت دعوة المسيح عليه السلام تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود، هما:

١ - شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم.

٢ - ادعاؤهم أنهم شعب الله المختار، وادعاء أحبارهم الصلة بين الله والناس، وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق.

ولشد ما كان ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا يسوع يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين، وأن ليس هناك شعب مختار، وأن لا أحظياء في مملكة السماء، وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء، وأنه لا يخص جنساً برعاية، فالخلق عنده سواء.

وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى إلى عداء بني إسرائيل وسخطهم، ولم يؤمن به إلا قليلون منهم، فقد انتظروه مسيحاً يبسط سلطان بني إسرائيل على العالم أجمع، ولكن خابت آمالهم فيه، ثم عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه، ورأوا أن دعوته تتجه ضد الكهنة خافوا أن تنتشر مبادئه، فأغروا به الحاكم الروماني، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ولم يكونوا على استعداد للدخول في

الخلافات الدينية بين اليهود، ولم تكن دعوة المسيح التي أعلنها إلا اصلاحا خلقيا ودينيا فلم تتصل دعوته بالسياسة، ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد، ولذلك لم يستحق غضب الرومان، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلهم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان، فلما لما يجدوا تقولوا عليه وكذبوا، فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى، فأصدر أمره بالقبض عليه، وحكم عليه بالإعدام صلبا. وكان الكهنة وغوغاء أورشليم المتمسكون بعقيدتهم السابقة أكبر المتهمين ليسوع[٣٧]

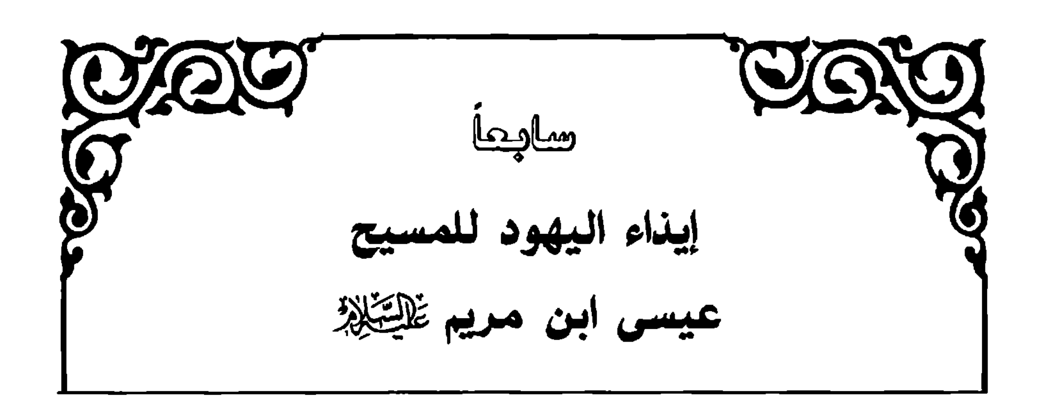
لقد عانى السيد المسيح أشد عناء من طوائف اليهود، ومع الخلاف بين هذه الطوائف (الكهنة والفريسيون والصدّيقيون) فإنهم جميعاً اتفقوا على محاربة دعوة المسيح والوقوف منها موقف هجوم وصراع، ولذلك هاجمهم السيد المسيح عدة مرات، وأبرز انحلال أخلاقهم وبعدهم عن جادة الصواب، ومن بين ما قال لهم في هذا المجال:

« قالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، فافرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء من قبل»[٣٨]

- احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة[٣٩]

- يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار. جيل شرير وفاسق، أنتم أيها الكتبة والفريسيون[٤٠]

- ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون للقادة العميان، أيها الحيات أولاد الأفاعي[٤١]



سابعاً

إيذاء اليهود للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

لقد كان إيذاء اليهود - عليهم لعنة الله - للمسيح عليه السلام كثيراً ومتنوعاً، وسنكتفي هنا بذكر أهم نقاط الإيذاء التي أشرنا إليها إجمالاً في بداية هذا الباب:

١ - اتهام عيسى بأنه ابن زنا:

لقد زعم اليهود وبئس ما زعموا - أن عيسى ابن مريم عليه السلام ابن زنا، وأنه من سفاح، وأشاعوا ذلك فيما بينهم، وكان ذلك منذ ولدته أمه، ثم سكتوا عنه، حتى قام فيهم بدعوته، - نبياً ورسولاً - فلم تعجبهم دعوته، إذ أرادوه ملكاً، يعيد إليهم ملكهم المفقود، ومجدهم التليد، ودولتهم السليبة، فإذا به يدعوهم إلى الدار الآخرة، بدعوة روحانية، بعيداً عن الماديات التي طغت عليهم، لتكون دعوته علاجا لما هم فيه، ودواء لما أصابهم من أدواء، فتردهم إلى الجادة، وتعود بهم إلى الصراط المستقيم، لقد أرادوه مسيحاً مخلصاً لهم، وانتظروه فلما جاء المسيح تأهبوا لتنصيبه ملكاً عليهم، فلما أحس عيسى عزمهم على هذا تركهم إلى الجبل، فإذا بهم ينكرون دعوته، ويناصبونه العداء، ثم أرادوا تشويه صورته أمام الناس ليرفضوا رسالته، فزعموا زعمهم القديم بأنه ابن زنا، وأن أمه لم تتزوج، وإنما حملت به من سفاح، من «باندارا العسكري» أو من «يوسف بن النجار»!!

وأنه لا يعلّم سوى الهرطقة والكذب التي يستحيل على العقل إدراكها، وإذا كان المسيح كافراً مرتدا فإن تعاليمه - بناء على ذلك - لا تعدوا إلا أن تكون

كذباً وتلفيقا لا يصح التعبد بها[٤٢]. وعجباً لأمر المسيح بين اليهود والنصارى، فاليهود قالوا عنه - وبئس ما قالوا - «ابن زنا»! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف، ٥] والنصارى قالوا عنه - وكبر ما قالوا - «ابن الله»!! ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر، ٤].

وكبر ما قالوا: «ابن الله»!! ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر، ٤].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)﴾ [الزخرف: ٨١-٨٢].

وأكرم بالإسلام من دين، اختص بالوسطية، فبرأ ساحة «عيسى» من الزعمين، ونزهه من الاتهامين، وقال عنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف، ٥٩].

كما قال أيضاً: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة، ٧٥].

كما قال أيضاً: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)﴾.

كما طعن اليهود في أمه مريم رضي الله عنها: لما جاء عيسى عليه السلام إلى الدنيا على خلاف ما جرت به عادة النساء غير أمه عليها السلام حيث ولد بلا أب، كان هذا أمراً عجيباً وخاصة بين هؤلاء الماديين. فاتخذ اليهود من مولده - الذي لم تستطع عقولهم القاصرة وقلوبهم المنكرة أن تستوعبه مدعاة للطعن في أمه فرموها بالزنا وارتكاب الفاحشة وهي البتول الطاهرة.

واعتقدوا أن المسيح عليه السلام ولد من الفحشاء، وأن مريم خانت حياءها

وعفتها فيه، وأتت به بطريق بشري غير شرعي أثناء الحيض، وهذا الأمر ليس غريباً على اليهود الذين تطاولوا على خالقهم، وقتلوا أنبياءهم ورموهم بأفحش الفري.

ولعل الذي دفع اليهود إلى هذا الاعتقاد هو أنهم لبذاءة في أنفسهم جبلوا عليها ينظرون إلى جانب الشر دون الخير فيميلون دون شعور منهم إلى تصديق الجانب الشرير في الإنسان ويرجحونه على جانب الفضيلة. [الجدل اليهودي في مواجهة العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير د/ عثمان علام، أصول الدينن فرع الزقازيق، مصر، ص٢٣٦، بتصرف].

لقد واجه اليهود نبيهم عيسى - تلميحا - بهذا الطعن، يظهر ذلك من قولهم له «نحن لم نولد من زنا»(٤٣).

تلميحا له أنه هو الذي ولد من الزنى - وحاشا لله - أن يبعث رسولاً يدعو إليه، وقد تدنس نسبه بالفاحشة.

ولما عرض عيسى عليه السلام دعوته على القوم «استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا: جاء الساحر ابن الساحرة، الفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه»(٤٤).

ولا يتصور منهم أن يؤمنوا به وهم يظنون به هذا الظن، ويعتقدون فيه هذا الاعتقاد، واستبدلوا احترامه بالازدراء والاحتقار، فسموه أسماء صريحة أحياناً، وأحياناً أخرى غير صريحة، لكن يفهم منها أنه هو المراد، وتشير هذه الأسماء إلى احتقارهم له.

وذلك كما جاء في كثير من فقرات التلمود - كما سبق أن ذكرنا - تحتوي على اسم المسيح بغير صراحة حقداً وحسداً، فمثلا يقول: «ذاك الرجل»، أو «الرجل الذي شنق» أو «ابن النجار» ويصفونه بالساحر، المشعوذ، المجنون، المخبول، روح شيطان، ومضلل، مدفون في جهنم، لأنه وثن. إنه يسوع المسيح الذي ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان(٤٥).

ومعلوم أن التلمود كتاب مقدس يؤمن اليهود بتعاليمه، وهو أساس تربيتهم

الدينية مع التوراة، كما سبق بيانه، وبهذا كفر اليهود بعيسى بحكم نظرتهم إليه من ناحية المولد[٤٦].

وأيضاً فالمسيح عيسى ابن مريم عند اليهود يشار إليه بكلمة «يشو» العبرية، ويشار إليه في التلمود بوصفه «ابن العاهرة» كما يشار إلى أن أباه جندي روماني حملت منه مريم العذراء سفاحاً، أما كلمة «ماشيح» فإنها تشير إلى المسيح المخلص اليهودي الذي سوف يأتي في آخر الأيام. ويشير التلمود إلى أن صلب المسيح تم بناء على حكم محكمة حاخامية «السنهدرين» بسبب دعوته اليهودية إلى الوثنية، وعدم احترامه لسلطة الحاخامات، وكل المصادر الكلاسيكية اليهودية تتحمل المسؤولية الكاملة عن ذلك، ولا يذكر الرومان بتاتا في تلك المصادر.

وظهرت كتب مثل «توليدوت يشو» (ميلاد المسيح) وهي أكثر سوءا من التلمود نفسه وتتهم المسيح بأنه ساحر.

واسم المسيح نفسه (يشو) اسم مقيت ولكن يفسر على أنه كلمة مركبة من الحروف الأولى لكلمات أخرى.

وقد أصبحت الكلمة عبارة قدح في العبرية الحديثة، فيقال «ناصر يشو» وهي تساوي «ليفن اسم ناصر، ولتفن ذكراه» وهكذا.

ولا تساوي اليهودية الحاخامية المسيحية بالإسلام، فهي تعتبر أن المسيحية شرك ووثنية، ولكنها لا تري أن الإسلام كذلك.

و(توليدوت يشو) عبارة عبرية تعني (حياة المسيح) وهي عنوان كتاب كان متداولا بين أعضاء الجماعات اليهودية في العصور الوسطى في الغرب، ويقدم هذا الكتاب التصور اليهودي لمولد وحياة المسيح. وقد تداخلت عدة عناصر لتكون هذه الصورة من بينها بعض أقسام التلمود. ويقدم الكتاب أحياناً صورة إيجابية إلى حد ما للعذراء مريم أم المسيح، فهي من عائله طيبة وتعود جذورها لبيت داود، أما أبو المسيح فهو رجل شرير قام باغتصابها ثم هرب.

وبين الكتاب أن المسيح شخص يتمتع بذكاء عال ولكنه لا يحترم شيوخ البلد وحكماءها.

وهو يتمتع بمقدرات عجائبية لأنه سرق أحد الأسماء السرية للإله من الهيكل، ومع هذا ينجح أحد فقهاء اليهود في إبطال سره، وتوجد تفاصيل أخرى في الكتاب أكثر بشاعة وقبحاً. ويهدف الكتاب إلى تفريغ قصة المسيح من أي معنى روحي. كما أنها تحاول تفسير المعجزات التي تدور حول المسيح بطريقة تكشفها وتنزع عنها أي سحر أو جلال أو هالات دينية.

وهذا الكتاب يسبب كثيراً من الحرج للجماعات اليهودية حينما تكتشف السلطات أمره، ولذا كان بعض الحاخامات يحرصون على تأكيد أن يسوع المشار إليه في الكتاب ليس المسيح وإنما هو شخص يحمل هذا الاسم عاش قرنين قبل الميلاد(٤٧).

ولم يكتف اليهود بالزعم أن عيسى عليه السلام ابن زنى، حتى اتهموه هو أيضاً بالزنا، ففي كتاب يسمى «إنجيل الشيطان» اتخذه عبدة الشيطان كتاباً مقدساً لهم، نجد في هذا الكتاب - فضلاً عما فيه من إنكار وجود الله والتصريح بأن الأنبياء والرسل كذابون، وأنه لا قيامة ولا دينونة.. وأن عباد الشيطان هم الغالبون الفائزون إلى الأبد، وأن الحياة مال وجنس.. هو يسخر كثيراً من المسيح وأمه.

هذا.. وقد نشرت «دار النشر في» نيويورك كتاباً عن المسيح بعنوان «التجربة الأخيرة للمسيح» ومما جاء في هذا الكتاب صفحة٨٦: «وكانت المجدلية ابنت خالة عيسى ابن مريم - مستلقية على ظهرها في الفراش عارية، مبللة بالعرق.. وكان شعرها الفاحم منشوراً على وسادتها، وكانت يداها متشابكتين تحت رأسها، وكانت منهوكة القوى، لأنها كانت تضاجع الرجال، منذ الظهر، وخفض ابن مريم نظره، ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة».

ثم جاء في صفحة ٤٥٠ من الكتاب نفسه ما يلي: «.. وأمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة فامتقع لونها واصطكت ركبتاها، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة، وأخذا يتدحرجان على الأرض حتى طلعت الشمس، ووقفت

بينهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين فضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسدها بجسده».

وفي صفحة ٤٨٢ يقول الكتاب، على لسان يهودا الإسخريوطي: «وعندما واجه المسيح الصلب داخ، وأغمي عليه فأمسكت به نسوة كن موجودات فأسعفنه وضاجعنه كي ينجبن أولاداً».

وبذكر الأستاذ عبد الله التل أن هذه الدار تصدر في كل عام عدة كتب من هذا النوع، وتذيل كل كتاب بعبارة: «إذا استمتعت بقراءة هذا الكتاب، فعندنا عدد كبير من الكتب الأخرى في انتظارك»(٤٨).

٢ - موقف القرآن من مولد عيسى عليه السلام:

الله سبحانه وتعالى يصطفي رسله من بين خلقه، هذا الاصطفاء يقتضي أن يكون الرسول أشرف الناس نسباً وأطهرهم قلباً، وأزكاهم نفساً، وأرجحهم عقلاً، بحيث يخلو من أي خلل ينتقص به أو أمر يعاب عليه.

وحديث القرآن الكريم عن مريم – وهي أم نبي من أنبياء الله تعالى - حديث مفعم بالأدب، فهو يتحدث عن عفتها وبراءتها التامة مما رماها به اليهود.

أما عن الاصطفاء والطهارة فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمران: ٤٢].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل]، عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٧٦٩) وأما عن عفتها وبراءتها من الفاحشة فيقول تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وقال أيضاً: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١].

ويلعن اليهود بكفرهم وافترائهم على مريم البهتان، فيقول: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦].

فقد استحقوا اللعنة بكفرهم وافترائهم على السيدة العذراء بهتاناً عظيماً، وهو الزنا(٤٩).

٣ - الحمل بالمسيح وولادته

حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام وهوالأمر الذي اجتباها الله له، واختارها لأجله، ولقد فوجئت به، إذ لم تكن به عليمة، فبينما هي قد انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا، أرسل الله إليها ملكاً تمثل لها بشراً سوياً كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ١٦-٢٣].

حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب، ثم ولدته ولم تبين الآثار مدة الحمل، ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف، لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام، لأنه عند المفاجأة تذهب الرؤية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر،

وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم، وقرينته أمر عادي لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة،

فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله، ويأتي على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذي لايأتيه الريب، ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه من نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام، وهو قريب عهد بالولادة، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ [مريم: ٢٩-٣٣].

- ومع ذلك أكثر اليهود فيه وفي أمه القول وكانوا يسمونه ابن البغية!

ومع أن العهد القديم بشر بالمسيح لكن لما بعثه الله إلى اليهود كفروا به وكذبوه واتهموه وحاربوه(٥٠).

ولكن السمو الذي يتحلى به الإسلام انتصارا للحق في الدفاع عن السيد المسيح وأمه مريم مما ألصق بهما اليهود زوراً وبهتاناً، لذلك أورد القرآن الكريم كل هذه الآيات في حق عيسى وأمه مما أشرنا إلى بعضها.

فهذه مريم ذكرت ٣٧ سبع وثلاثون مرة، والمسيح وقد ذكر أكثر من «٥٠» خمسين مرة.

ومكانة «عيسى» عليه السلام وأمه في الإسلام معروفة، لا يصح إيمان عبد إلا بالشهادة له، كما قال النبي: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». [متفق عليه].

فما معنى الروح التي ذكرت في الآيات، أو الأحاديث؟ في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] فهي هنا بمعنى (جبريل) وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] بمعنى: القوة التي تحدث الحياة في الكائنات.

وهي التي عناها الله سبحانه بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]

فهي من علم الله وأن الله سبحانه خص نفسه بمعرفة كنهها وهو وحده الذي يمنحها القوة فتدب الحياة في أصحابها، أو يأخذها فتصبح الأجسام هامدة.

وهذه القوة التي أودعها الله عز وجل في آدم، وهي بلغة القرآن «النفخ فيه من روح الله» قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

أي أودعته القوة التي لا يعرفها ولا يسيطر عليها سواه، فجاء آدم.

وأودع هذه القوة رحم مريم العذراء التي أحصنت فرجها والتزمت العفاف وعدم مخالطة الرجال، ونتيجة لنفخ روح الله في رحم مريم، أي إيداع الله القوة التي تخلق الكائن الحي في رحم السيدة العذراء، جاء السيد المسيح، ومن هنا تجيء الآية الكريمة ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] كما قال الله تعالى عن جنس الإنسان: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وأيضاً فإن الله تعالى أعطى لعيسى عليه السلام هذه القوة ليستعملها- كمعجزة أمام بني إسرائيل - في هيئة الطير التي صنعها من الطين، ثم نفخ فيها فأصبحت طيراً بإذن الله كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وما معنى النفخ - الوارد في الآيات؟ قال الباحثون المسلمون: إن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح، أي أن تدب الحياة في الأجساد، ويقولون: إن منح الله القوة في كل الأرحام ضروري للحمل والحياة، وأن كثيراً من الأزواج

يلتقون بزوجاتهم، ولا يحصل حمل مدة من الزمن، لان الله سبحانه لم يمنح هذه القوة التي يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة ثم يتفضل الله عندما يشاء، فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل، ومعنى هذا أن نفخ الروح في الأرحام ضروري لكل البشر، وإنما ورد النص في حالتي آدم وعيسى، لأن الخلق في آدم، والحمل في عيسى جاءا بغير الطريق الطبيعي، ولكن بالنسبة لله سبحانه وتعالى تستوي كل الطرق.

ولعله يرتبط بهذا ما ذكره ابن هشام حول تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦].

فإنه يذكر أن عيسى عليه السلام كان ممن صور في الأرحام كما صور غيره من بني آدم[٥١].

وعلى هذا فكلمة النفخ التي تكرر ورودها في القرآن الكريم متصلة بخلق آدم، أو بخلق عيسى، أو بخلق طير من الطين، أو متصلة بالنفخ في الصور، نذكر أن المفسرين يرون أن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح، أي أن تدب الحياة، فهو تسلط الإرادة بالحياة في حالة آدم وعيسى وهيئة الطير التي أعدها عيسى، وتسلط الإرادة بالبعث يوم القيامة، وكلمات المفسرين التفصيلية هي: أصل النفخ: إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب، وتفيض به القوة الحيوية فيسري حاملاً لها في تجويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل التعلق بالبدن نفخاً، والمقصود تعلق الإرادة على كل حال.

وعلى هذا فخلق عيسى على هذا النمط هو على نمط خلق آدم، وخلق الطائر من الطين الذي جعله عيسى على هيئة الطير وهو تصرف لا يحتاج لجهد، ولكن المسيحيين عندما اتخذوا ذلك وسيلة لتأليه «عيسى» عقدوا الأمور، وصوروا عيسى ابن الله، والله سبحانه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»[٥٢].

وأين هذا من قدرته تعالى؟ القائل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ولذلك فكما بينا معنى «الروح» و «النفخ» نذكر معنى الكلمة التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

والكلمة هي كلمة التكوين، أن يقول للشيء «كن» فيكون.

وهذا استئناس بالإنجيل في موقفه الذي يتفق مع القرآن في قصة مولد عيسى عليه السلام، حيث يشترك الإنجيل مع القرآن، في تبرئة أم عيسى مما رماها بها اليهود، من فاحشة وخيانة، فتذكر الأناجيل أن أم عيسى قد حملت به قبل أن تتصل بيوسف النجار، وأن حملها تم وهي ما زالت بكراً لم يقربها إنسان.

يقول متى: «أما يسوع المسيح فقد تمت ولادته هكذا: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا معاً، وجدت حبلى من الروح القدس، وإذ كان يوسف خطيبها باراً ولم يرد أن يشهر بها قرر أن يتركها سراً، وبينما كان يفكر في الأمر إذا ملاك من الرب قد ظهر له في حلم يقول يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأتي بمريم عروسك إلى بيتك، لأن الذي هي حبلى به إنما هو من الروح القدس، فستلد ابناً وأنت تسميه «يسوع» لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم، حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً . . .، ولما نهض يوسف من ونومه فعل ما أمر به الملاك الذي من الرب، فأتى بعروسه إلى بيته ولكنه لم يدخل بها حتى ولدت ابناً فسماه يسوع»(٥٣).

وكذلك نص إنجيل لوقا على براءة مريم بكلام قريب المعنى من هذا، لكن فيه تفصيل كثير(٥٤).

فالأناجيل كلها تتفق على براءة مريم العذراء مما افتراه اليهود. وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

إن من يرى قدرة الله تعالى في خلق آدم عليه السلام من تراب، ومن غير أب ولا أم، لا يتعجب من خلق عيسى من أم دون أب، فإن الذي خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من غير أم، قادر على أن يخلق عيسى من غير أب، وما العجب في ذلك، وقد تنوعت دلائل قدرته تعالى، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر دون أنثى، وخلق عيسى من أنثى دون ذكر، وخلقنا جميعاً من ذكر وأنثى، فتمت دلائل قدرته - سبحانه وتعالى - وذلك كله ليس بشيء إذا قيس إلى قدرته تعالى في خلق السماوات والأرض، كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

ودلائل قدرته تعالى في سائر المخلوقات والأشياء: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وإن خلق عيسى من غير أب ليس بأعجب من خلقنا نحن من نطفة أو من ماء مهين. فسبحان الله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] إن خلق عيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر معجزة إلهية، اراد الله تعالى أن يعلم بها بني إسرائيل - وغيرهم - أن قدرته لا تتوقف في الخلق على تزاوج ذكر وأنثى، ولا تتوقف على الأسباب المادية، وإنما الله تعالى قادر على أن يخلق بأسباب، وبغير الأسباب، بل وبضد الأسباب، فسبحان من أمره بين الكاف والنون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

٤ - زعموا عليه في دعوته مزاعم

منها: أنه قال لهم: إنه ابن الله، وأنه ما جاء من هذا العالم، وإنما جاء من السماء، وأنه سيكون ملكاً عليهم، وأنه لن يموت وإنما سيجلس عن يمين الرب!!

أنه سينقض الهيكل ثم يبنيه..

ولما كان بناء هيكل سليمان - بيت إله بني إسرائيل في أورشليم - هو أهم مخططاتهم ومعتقداتهم، وقد جاء المسيح عليه السلام فوجد اليهود يزعمون بأن العبادة لا تقبل إلا في الهيكل، على أساس أنه بيت الرب، أي مسكنه الذي يسكن فيه، فصحح المسيح لهم هذا الزعم، وذكر لهم أن الله تعالى أجل من أن يسكن هذا المكان، وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض، وبين لهم بأن عبادته سبحانه في كل مكان، جائزة في كل الأرض وفي كل البيوت، وبهذا أنهى المسيح دور الهيكل في حياة اليهود، فحقدوا عليه لذلك وحاربوه[٥٥].

ولذلك زعموا ضده مزاعم عند الوالي الروماني، بأنه ملك اليهود، وبأنه ابن الله.. الخ

وكانت محاكمة ملفقة، ولم تكن سوى مواقف المهاترة التي أرادها القوم في حوارهم مع السيد المسيح، التي ضللت الجماهير اليهودية، وجعلتهم في موقف رفض وثورة وتمرد وسخط على المعلم، حتى صارت كأنها تظاهرة ضد المسيح. إنها غوغائية الشعب اليهودي، وبهيمية طبعه واندفاعه الأعمى والأحمق وهو يطارد في النهاية داعي الحب والسلام، لماذا؟

لقد رفض السيد المسيح عليه السلام كل ما كان عليه الإسرائيليون وما يحملونه من ميراث مدعى يحوي دعوى العنصرية، والانغلاقية والتي بها استطاعت فئات أن تكون لنفسها مجتمع السادة الذين يحيون الحياة بكل إمكانيات الاستغلال والسيطرة، لقد رفض السيد المسيح حياة النفاق في مجتمع إسرائيل. لقد رفض التناقضات التي تضج بها آيات العقيدة الدينية عند القوم، وما أكثر الاضطراب والخلل بين كل ما ساقه القوم من آيات العقيدة، وزيف ميراث التاريخ المدعى.

ومن ثم فإن اليهود - بعد أن كشف المسيح عوراتهم وأظهر سوءاتهم وفضح أحوالهم، ووصفهم بالخراف الضالة - رفضوا دعوته، ولم يستأنسوا، ولم يتقبلوا آيات الدعوة، وإنما انتقل الطبع الملتوي والخلق النهاز إلى توحش

حيواني مفترس لا يعرف في اندفاعه الحيواني - بعيداً عن دنيا الروح ونقاء الضمير - الفرق بين طبيعة الخلق السوي والرفض العنصري الشاذ، ولا الفرق في طبيعة الحياة بين ما هو إنساني، وبين ما هو ضد الطبيعة الإنسانية، فأمام ضرورة أن يتخلص القوم الثائرون المتمردون الساخطون على تعاليم المعلم ومنهجه، فإنهم لم يكونوا بقادرين على أن يدركوا خطر الجهال عليهم والأدعياء بينهم والقوى المستغلة لقدراتهم وحياتهم، ومع كل ذلك فإنهم قد قرروا التخلص منه والقضاء عليه»!!.

لقد جاءت القوى المتربصة الشريرة، وقد انعدمت منهم أدنى أعمال العاطفة أو الخلق أو الضمير من أجل القبض على المسيح الذي لم يدع إلا إلى القيم والحب والتطهر والنقاء، والذي أراد أن يحيي الأمل في قلوب الحزانى والجياع والمساكين، ولكنه في نظر اليهود من الخطاة والمجرمين!!.

وفي مشهد الغوغائين اندلعت المؤامرة وظهرت السخرية، وبدا التلفيق يوجه ضد السيد المسيح، بأنه تعرض لسلطان الدولة، وجرح قداسة الدين، وأنه قال: إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه(٥٦).

«ولقد قال لهم يسوع: - من قبل - أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البناءون ها هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه».

وبهذا التصور العظيم الذي ساقه السيد المسيح وهو يقدم لقوى التناقض الاجتماعي اليهودي نهايتها التي كانت خاتمة لمرحلة طويلة لم يستطع فيها الإنسان الإسرائيلي أن يتجرد أو يتخلص من طبع الأنانية والجحود والكفران، ولم يتقبل فيها دعوة من دعوات الحق والعدل، بل كان أسلوب الوشاية والاستغلال والسيطرة والاستعلاء هو أداة الذين يقدرون، وأمل ومطمع الذين لا يقدرون، حتى إذا ما أتيح لهم أن يتمكنوا أو يقدروا، كانوا كما ضرب لهم السيد

المسيح المثل الذي كان فيه صاحب الكرم قد ائتمن مجموعة من الكرّامين، فأكلوا الثمر وقتلوا الوارث، وأصبحت الضرورة بتغييرهم وإهلاكهم هي المخرج والخلاص.

وفي قول السيد المسيح: «إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» أكبر تأكيد بأن الميراث المدعى لبني إسرائيل في النبوة والهداية قد انتهى تماماً حين رفضت دعوة السيد المسيح وطوردت.. ومن هذا الموقف العظيم الذي أعلن فيه السيد المسيح تجريد بني إسرائيل من كل ما يمكن أن يدعوه دينياً أو تاريخياً بهذا الأسلوب العف العظيم الذي ساقه السيد المسيح، فإن القوى اليهودية التي رأت في هذا الدين خطراً عليها قد دخلت في معارك صريحة مع الدعوة ومع صاحبها عليه السلام.

الدعوات إلى الحق والعدل دائماً وأبداً في تاريخ الحركات الاجتماعية والدعوات الدينية والإلهية في المجتمعات القائمة على الصراع وعلاقات الاستغلال، مثل مجتمع الجماعات اليهودية المستغلة على ضوء قيم وعلاقاتها الاجتماعية فيما بينها، والمضيعة تحت أسر وسيطرة الدولة الرومانية وصاحبة السيادة المطلقة، كانت توجد دائماً بجانب الذين يرون في الدين الجديد أو الدعوة إلى قضية الحق والعدل مخرجاً لهم، وأداة في التخلص من جو الظلم والجور والعنف الذي يكبلون به، والمحروق جهدهم وعرقهم في ظله،أولئك الذين تسلبهم الدعوة إلى الحق والعدل كل متكآت استغلالهم وسيطرتهم،ثم تعريهم - في الوقت نفسه - أدوات الدعوة إلى الحق والعدل، من مظاهر نفاقهم وفراغهم وريائهم، ثم قساوة قلوبهم.

ومن هنا فإنه من بين جماعات بني إسرائيل واليهود قد أدركت قوى الاستغلال اليهودي التي كانت تسيطر عليهم، أن دعوة السيد المسيح تشكل خطراً عليهم فدخلوا معها ومع المؤمنين بها معركة كانت من أشق المعارك التي خاضتها الدعوات إلى الحق والعدل مع قوى التناقض الاجتماعي والاستغلال الطبقي التي كانت دائماً تعلن الحرب في وجه الدعاة إلى قضايا الحق والعدل

والمساواة، ذلك أن أولئك الذين قال فيهم وعنهم السيد المسيح بأنهم «الحيات أولاد الأفاعي» وأبان حالهم من الداخل من طوية النفس وسريرتها، ومن الخارج من مظاهر النفاق، والحس المتبلد بأنهم كالقبور المبيضة، خارجها طلاء جميل، وداخلها عظام نخرة، قد ذهبوا صراحة في معركة مكشوفة قوية وعنيفة ضد صاحب الدعوة إلى القيم الجديدة والدين الجديد، ضد السيد المسيح عليه السلام، وكان ذلك على حد الرواية التي تسوقها الأناجيل فيما يرويه «متى» من الإصحاح السادس والعشرين، أنه عقب عدم إمكانية مواجهة قوى التناقض لأصالة دعوة السيد المسيح ونقائها، ثم عجزهم عن أن يقاوموا منهجه وحججه، حين كان يكشف كل يوم عوراتهم وسيئاتهم، ويهدم زيف نفاقهم، إنهم - على حد تعبير متى - قد قرروا أن يضعوا للمعلم ولأسلوب دعوته حداً للتخلص منه، «.. حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب لكي يمسكوا «يسوع» بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس في العيد، لئلا يكون شغب في الشعب»(٥٧).

٥ - تحليل نفسي للموقف اليهودي ضد المسيح عليه السلام

لقد عرف القاصي والداني أن الكثيرين ممن تشكل عليهم قيم الدعوة إلى الحق والعدل خطراً، وتهدد مصالحهم أو امتيازاتهم أوتقفل عليهم أبواب التسلق، ومحاولات السيطرة والنفاذ إلى مقدرات الإنسان والحياة بقصد الاستغلال لمتطلبات الحس وحاجة الهوى والمصلحة الخاصة، فإنهم يرفضون تلك الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، وما استطاعوا من سبل.

بعكس الذين يريدون الإصلاح وينشدون الطهر والنقاء، فهؤلاء تكون لهم لهفة وسرعة استجابة. وأمر دعوة السيد المسيح التي تنشد الصلاح والخلاص مع اليهود لم تصادف أهلها، حيث حاول المسيح عليه السلام أن يستأنس الخراف الضالة من بني إسرائيل، لكنه تحرك في مجتمع متعفن التقاليد، جامد العواطف تسيطر

عليه الطبقية المستغلة من تجار الحكم، وتجار المال، وتجار الدين، ووسط صراع وتناقضات مجتمع العشارين والمرابين والفريسيين والصدوقيين، وكل هذه القوى التي كانت تسيطر على المجتمع الذي بدأ فيه المعلم العظيم الدعوة والعمل إلى قيم التطهر والنقاء، كان هذا وحده كفيلا بأن يعرضه للمشقة وللمخاطر. وبأن يقضى عليه وعلى دعوته منذ البداية الأولى قبل أن يشكل خطر الدعوة على الذين تهدد الدعوة امتيازاتهم وتسلبهم أدوات استغلالهم، والذي عرف نفسية اليهود، وخباياهم يدرك هذا المعنى الذي يمكن أن يعجز القلم عن تصويره، والعقل عن تصوره، بل وربما عجز الخيال أيضاً عن تخيله، والوهم عن توهمه، لما له من أغوار بعيدة العمق، عميقة البعد، ما يعرفها الإنسان السوي، ولا يتخيلها الإنسان المجرد، لأنها مجردة عن الإنسانية، قد تجرد صاحبها من كل معنى إنساني أو ديني أو خلقي، بل تدني إلى درك لا ترتضيه البهائم لها، لما أودع الله فيها من صفات، قد يضرب بها المثل في عالم الإنسانية، كما يقال: فلان كالكلب في وفائه، وكالأسد في شجاعته، وكالجمل في حلمه، والحمار في صبره.. الخ

إن هؤلاء اليهود - الذين قام فيهم المسيح عليه السلام بدعوته - فقد عرفوا بالطبع الملتوي، والخلق النهاز، شعب صلب الرقبة، فيهم الغدر والجبن والخيانة فهم ذئاب إذا قدروا، وأرانب إذا خافوا.

وعليه.. فإن القيم الجديدة التي تمثلها دعوة السيد المسيح بقدر ما كانت عمليات رفض لمظاهر الاستغلال الصارخة، فإنها أيضاً كانت خطراً على كل عفن ديني، وكل كهانة أخلاقية، وكل جمود على العرف والتقاليد.

وليس من العجب أو غير المألوف أن خطر الدعوة - أخلاقياً - سرى إلى سلطان الدولة الرومانية نفسها في أورشليم «القدس» وامتدادها، مهددا النظام الغاشم القائم على القهر والاستعباد، رغم أن الدعوة المسيحية - على حد روايات الأناجيل - لم تتعرض للدولة الرومانية صراحة في ثورة دين، بهدم أو بناء.

وأمام كل ما تمثله الدعوة الجديدة على يد معلمها العظيم، فليس غريبا أن تتكتل الجهود، جهود كل قوى التناقض اليهودي الطبقي، ثم تتعاون قوى السلطان الرومانية مع التحالف اليهودي، ويصبح موقف الوالي سلبياً متميعاً، كي يكون بالسلبية دون التدخل المباشر من قبل الدولة،وإنما بالتحالف غير المباشر وبالمؤامرة والخداع، يصبح المجال ميسراً ومهيئا لامكانية التخلص من خطر الداعي الجديد.

ولقد بذل القوم جميعاً في تحالف وارتباط وتآمر جهوداً قوية ومضنية في التخلص من المعلم الجديد(٥٨).

«ولما كانت آيات الأناجيل - وهي في جملتها وتفصيلها - تمثل موقف رفض وسخط بل وحرب لكل ما خلفه مجتمع إسرائيل عبر التاريخ، ولكل ما كان عليه مجتمع إسرائيل في عصر الميلاد، وتقرر علاقتها بشعب إسرائيل خاصة وأنها قد أصبحت - منذ عصر الميلاد - آيات عقيدة لمن آمن من بني إسرائيل بالسيد المسيح أن يقطع كل صلة له ببني إسرائيل وتاريخهم ومعتقداتهم وميراث أخلاقهم وكل ما كانوا عليه في حالة من عقيدة الرفض لكل مظاهر الزيف والنفاق والوثنية متحلياً بقيم النقاء الديني والتطهر الروحي الذي دعا إليه المعلم العظيم، فكل هذه الفروق بين تصورهم ومعتقداتهم بين الأمس واليوم على حياة السيد المسيح يجعلهم يرفضون دعوته(٥٩).

أيضاً. . كما أشرنا من قبل - لقد أرادوا المسيح ملكاً وليس نبياً، أرادوه للدنيا ولم يريدوه للدين، ولا للآخرة، أرادوه لإعادة مجدهم وملكهم أرادوه، للمادة لا للروح. فلما لم تكن دعوته كذلك، كان - بالطبع - لا بد وأن يرفضها العنصر الشاذ، والطبع الملتوي، والخلق النهاز، والحيوان المتوحش، والهمجي الوحشي.

ولو كانوا خرافا لاستأنسوا هذه الدعوة، ولذا قرر القوم الثائرون المتمردون الساخطون على تعاليم المعلم ومنهجه، التخلص منه والقضاء عليه، وأمام هذه

النهاية المفجعة ابتدأ المعلم العظيم على حد روايات الأناجيل - يحزن ويأسف لأن تكون النهاية هكذا وتمنى في ابتهال صادق وصدق عظيم، صدر من دعوة نبي مع فدائية بطل أيضاً، ألا تكون النهاية هكذا على أيدي قاتلي الأنبياء وراجمي المرسلين، وأعتقد يقيناً أن الله تعالى قد استجاب دعوته[٦٠].

٦ - السيد المسيح والمؤامرة اليهودية:

ما إن أدرك السيد المسيح عليه السلام أن قوى الخطيئة، ابتدأت تطارده في عنف وقسوة، وأنهم يودون النّيل منه قتلا وتعذيبا، وخاصة بعد القرار الخطير الذي اتخذه رئيس الكهنة الذي يدعى «قيافا» بمطاردة السيد المسيح والإمساك به، حتى قد ظهرت بوادر النهاية لدور المعلم العظيم في مجتمع الخراف الضالة.

ويبدو أن الإمساك بالسيد المسيح وتنفيذ ما يريد القوم الثائرون عليه الرافضون لدعوته، كان قد أدركها السيد المسيح، وأنهم في العيد الذي كان قد حل واقترب يودون أن يجعلوا التخلص منه في عيدهم، فقالوا فيما يرويه إنجيل «متى» من الإصحاح السادس العشرين.. «ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها، قال لتلاميذه تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب».

وعلى ضوء آيات الأناجيل فإن السيد المعلم العظيم قد قصد أن يهيئ النفوس ويشعر القلوب أن القوم جميعاً يقبلون على خطر محقق، وأن شيئاً غير طبيعي يوشك أن يحل بالجميع، وفي الوقت نفسه كأن السيد المسيح أراد أن يترك سلوة عزاء، ودفقة إيمان من نفسه للجماعات الذين يحيطون به في موقف تضحية، ففي يوم العيد الذي يسمى «عيد الفطير» طلب السيد المسيح من تلاميذه أن يذهبوا ليخبروا واحداً من المؤمنين، بأن المعلم يرغب في قضاء العيد عنده، كي يكون في هذا اللقاء فرصة من أمان يلتقي فيها مع تلاميذه ومريديه، ومن عجب أن قوى الخطيئة التي تتابع السيد المسيح بالمرصاد، كان أمرها قد شاع في أنها تريد التخلص من السيد المسيح، وحول تقرير مثل هذا المعنى الذي

يلقي أضواء على هذا الموقف، يقول إنجيل «متى» في الاصحاح السادس والعشرين. . .

«. . وفي أول أيام الفطير،تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له:أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح؟ فقالوا اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له: المعلم يقول إن وقتي قريب، عندك اصنع الفصح مع تلاميذي، ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح». وهنا في هذا اللقاء تتضح جوانب المعجزة، وتؤدي دورها العظيم في كشف خيوط المؤامرة التي تحاك ضد السيد المسيح، وفي هذا الدور الذي تؤديه المعجزة، تتوعد جميع أطراف المؤامرة وتطلب من جماعات المؤمنين بالمعلم أن يظلوا على إيمانهم، ويرتبطوا به، وأن يعملوا ما أمكنهم العمل والبذل والتضحية في سبيل إيمانهم، فيقول «متى»: «. . لما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر،وفيما يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني، فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يا رب؟ فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني،إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مسلمه وقال: هل أنا هو يا سيدي؟ قال له أنت قلت. .».

وبهذا فإن السيد المسيح كان على علم تام بكل صنيع المؤامرة والخداع ضده، وبالمعتقد الإنجيلي فإنه يبدو أن دور المعلم كان قد استنفذ المرحلة التي كانت تطلب هذا الدور ولا تتحمل غيره، وبالشكل الذي تعبر الآيات الإنجيلية عنه فإنه يبدو أيضاً أن خطر المطاردة لم يجعل من المتيسر أن يفكر التلاميذ في مقاومة قوى التآمر، خاصة وبعد أن كشف السيد المسيح عن بداية خيوط المؤامرة، حين قال لهم: «الذي يغمس يده في الصحفة هو يسلمني»، ولقد كان الحال النفسي الذي عليه السيد المسيح، كما تصوره الأناجيل حين أفصحت صراحة أن بداية النهاية بهذا الشكل الآثم الذي تتكالب عليه قوى الخطيئة – من جماعات اليهود لا يرضيه، بل يغضبه ويؤذيه، فقال «متى» في الإصحاح السادس

والعشرين عن الموقف الذي سبق بداية النهاية المؤلمة - «. . نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس».

وأمام هذا المطلب الرهيب من داخل هذا الموقف العميق والتعنيف الذي أدرك فيه المعلم أنه محاصر ممن يودون قتله والتخلص منه فإنه يعبر عن الجانب البشري والنفسي، ولكن عوامل الإعجاز في المعلم العظيم على ضوء الوحدة الموضوعية لآيات الأناجيل تقول على الفور وتفصح «. . إن أمكن أن تعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت».

ومع كل ذلك أقام مواجهاً الخطر، فإن السيد المسيح هو الذي قال بالأمر الواضح منفذاً للمشيئة «. . هو ذا الذي يسلمني قد اقترب»[٦١].

٧ - المطاردات اليهودية ضد السيد المسيح

ولهذه الحرب الكافرة ضد المسيح - على حد رواية الميراث الديني الذي بين أيدي قارئ الأناجيل وأيدى المؤمنين - أعدوا عدتهم، وعبأوا أنفسهم في معركة كانت - من جانبهم دنسة وملوثة بسلوك الوشاية والوقيعة وأعمال التجسس والقتل، وكان ذلك حين استطاعوا أن ينفذوا إلى صفوف أتباع السيد المسيح، ويرتبطوا في وقيعة وتجسس بواحد من الأتباع الذين أتيح لهم أن يلازموا السيد المسيح، وأن يتعرفوا أخباره عن قرب، ولقد جعلوا من أنفسهم ومن صنيع مؤامراتهم ضد صاحب الدعوة كل مسببات الاغراء والاندفاع الأحمق والأهوج في أن يتخلى واحد من غير المؤمنين الصادقين عن سيده ومعلمه إلى الحد الذي بلغ فيه تأثيرهم عليه - كما تعبر الأناجيل - أنه كان يسعى بنفسه لمقابلته القوى المتآمرة كي يعرض عليهم نفسه وخدماته في أن يكون أداة لهم بالإمساك بالسيد المسيح والإيقاع به حتى يتم القضاء عليه[٦٢].

ولقد كان الحس المتبلد بالطبع والسجية عند جماعات اليهود - والذين

كان «يهوذا الإسخريوطي» واحداً منهم - قوياً للغاية، فالرجل لم تصل إلى قلبه أعماق آيات المعلم ولم تنفعل به مشاعره حتى يظل بإيمانه أمام الضغوط وأساليب الإغراء، كباقي الذين تحملوا عبء الإيمان والالتزام به حتى عندما قاومهم السلطان والطواغيت من جماعات اليهود، وحملوا على الأخشاب ونشروا بالمناشير، فذهب بنفسه إلى الذين يطلبون السيد المسيح ليريقوا دمه!!.. ذهب واحد من الأثني عشر الذي يدعى «يهوذا الأسخريوطي» إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه[٦٣].

وهكذا من قديم الزمان.. فإن الخلق اليهودي وأسلوب التعامل اليهودي يستغل في الفرد الإنسان جوانب من شخصيته قد تكون غير سوية هزيلة أو مريضة أو مترددة، ويضغط عليها بما يشتهي حتى ولو كان صاحب مبادئ، فبالمطاردة والإلحاح قد يأتي صنيعتهم من بين من كانوا من يتصور عنهم أنهم من أصحاب المبادئ، كما أمكن لهم صنع واحد من التلاميذ الذين كانوا حول المعلم العظيم[٦٤].

٨ - جذور العداء اليهودي للمسيحية

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٦٥].

ليس من ريب أن اليهودية التلمودية فرضت نفسها على المسيحية الغربية. منذ وقت باكر، عن طريق التفسيرات التى قدمها «بولس» - اليهودي الأصل - لتدميرها من الداخل، ثم كان الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد ذلك حتى استطاعت اليهودية التلمودية أن تحدث تلك الثغرة الضخمة في الجدار العريض[٦٦].

إنه خلاف عميق الجذور، وقد كان للقديس «بولس» الدور الأكبر في

احتواء المسيحية وإخراجها عن رسالتها الحقة التى جاءت بها وتبديل الناموس، وإدخال مفاهيم الصلب،و الخطيئة، والتثليث، إليها. كما قال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، واختراع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر.

إنه «بولس» الذي طمس معالم رسالة المسيح وغَيّر المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير، متعاونا في ذلك مع أبناء دينه اليهود في القضاء عليها. ولقد تعرض المسيحيون إلى جميع أنواع العذاب والظلم والقسوة والإبادة.

وقد بدأ اضطهاد المسيحية منذ عهد مبكر، وكان المسيح أحد ضحايا هذا الاضطهاد، وقد نزل بأتباعه في عهده وبعده، مثل ما نزل به من العسف والظلم، وكان اليهود مصدر هذه القسوة، ولكن المسيحية ثبتت في المعركة، وانتصرت على دسائس اليهود ومؤامرتهم للقضاء عليها في مهدها، وبدأت تنتشر على الرغم من اليهود وغلبتهم على أمرهم، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحية، وذلك لأن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون من أمر الدين الجديد إلا أنه امتداد لليهودية، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنيين على غير ما جرى العرف من إباحة الحرية الدينية لسكان الإمبراطورية، وذلك لأن اليهودية أثارت بتعصبها الحقد في القلوب، وكان الأباطرة - قبل المسيح - يقومون بحماية السكان من ضراوة هذا الحقد حتى إذا أحسوا بأنها ستبدو في ثوب جديد هو «المسيحية»، وتجذب كثرة من الأنصار الجدد، يشيعون تعصبها، ويثيرون حقد الناس عليها، أخذوا في مقاومة تعاليمها واضطهاد أتباعها(٦٧).

هذا وإن اليهودية لتنظر إلى المسيحية نظرة أشد عنفاً، تتمثل في وصف «كارل ماركس» للمسيحية، حين قال: «إنها ديانة الكلاب الذليلة الضائعة»(٦٨).

وإن العداء الذي أضمرته اليهودية للمسيحية ظل مستحكماً في نفوس اليهود منذ عشرين قرناً إلى يومنا هذا، وذلك بفعل الحقد اليهودي المبني على التعاليم التلمودية التى حقرت المسيح والمسيحية، وشنت عليها حرباً شعواء، استخدمت

فيها شتى الوسائل الدنيئة المخربة، ومن أشد تلك الوسائل خطورة، تلك التي سعت إلى تخريب المسيحية من داخلها، وبذرت فيها بذور ضعفها وانحلالها، بعد أن عجزت عن القضاء عليها في الحرب السافرة، ولا ينكر دور شاول اليهودي - المدعو «بولس الرسول» بعد ذلك - في هذا الجانب.

- وسنفرد الكلام عنه في بحث خاص به - الذي عجز عن القضاء على المسيحية، فآثر الانتساب إليها ليعمل على تحقيق غايته من داخل المسيحية نفسها.

ولم يكن «شاول» وحيداً في هذا الميدان، بل إن كثيراً من اليهود تظاهروا باعتناق المسيحية، منذ عصر الإصلاح الديني الذي ظهرت فيه آثار تعاليمهم ودسائسهم وفتنتهم.

وتظاهر اليهود باعتناق المسيحية كان ولا يزال سلاحاً خطيراً، يستخدمونه للوصول إلى غايتهم الرامية إلى هدم الأديان والتقاليد والأخلاق.

فاليهودي الذي «يتعمد» ظاهراً ويحمل اسماً مسيحياً، ثم يلتحق في خدمة «الكليروس»، يستطيع أن يعمل بحرية تامة على بث الفتن والشكوك، يحميه رداء الكهنوت المزيف، واليهودي الذي يعتنق المسيحية كاذباً، ويصل إلى مناصب الدولة العالية أو مناصب الجيش أو التعليم أو الفن، يستطيع أن يبث سمومه المخربة، وينفذ خطط اليهودية العالمية، بالاسم المسيحي الذي يحمله.

ودين اليهود وعاداتهم وأخلاقهم تساعد، بل تأمر بالتقية، وأن يظهروا غير ما يبطنون، إذا كان في ذلك خدمة لدينهم وشعبهم[٦٩].

ونفاق اليهود أمر يضرب به المثل، وقد طفح منهم مع الدعوة الإسلامية في أول عهدها، بعد هجرة النبي إلى المدينة، وإقامة دولة الإسلام الفتية، وإلى الآن.

ولكن غزو اليهود للديانة المسيحية أسهل عليهم من غزوهم للإسلام، لأن المسيح ظهر فيهم، ولأن الديانتين: اليهودية والمسيحية ديانتان كهنوتيتان، بمعنى

أن للكهنة ورجال الدين فيهما التاج والصولجان، ولقد حارب اليهود المسيح ودعوته، كما حاربوا «محمدا - صلى الله عليه وسلم -» ودعوته، وقد كان لهم عند ظهور المسيح شيء من النفوذ لدى ولاة الرومان مما حملهم على إغرائهم بالمسيح فقام الرومان بتسليمهم إياه، ليحاكموه في «السنهدرين».

وبقى اليهود يحاصرون دعوة المسيح، ويلاحقون دعاة المسيحية و معتنقيها نيفاً وثلاثة قرون، كانوا خلالها يغرون أباطرة وولاة الرومان بهم، يقدمون لهم أجسادهم يصلبونها على أخشاب أوثانهم، أو يلقون بهم إلى أشداق السباع وهم على مدرجات ملاهيهم يقهقهون. ويقول القديس باسيل - في القرن الرابع الميلادي: «وكان الوثنيون واليهود يقتتلون مع بعضهم فيما مضى، أما اليوم فكلاهما يحارب المسيحية»(٧٠).

٩ - التظاهر باعتناق المسيحية:

وحين تخطت المسيحية النطاق الذي حاول اليهود أن يضربوه حولها و وانتشرت في العالم، لجأ اليهود كعادتهم - إلى ضربها بعصا القوة الخفية من الداخل بالتظاهر باعتناقها وتحويلها عن مجراها الطبيعي(٧١).

ومن الأمثلة على ذلك - على المستوى الجماعي - : أنه في ١٣ يناير سنة ١٣٨٩ م كتب «شامور» حاخام يهود مدينة «أرل» من أعمال مقاطعة «بروفنس» بفرنسا، إلى المجمع اليهودي العالى في الأستانة، يستشيره في بعض المسائل الحرجة، ومنها أن الفرنسيين في «أكس» و «أرل» و «مرسيليا» يهددون معابد اليهود، وطلب الحاخام رأى رؤسائه، فأتاه الجواب التالي:

أيها الإخوة الأعزاء بموسى: تلقينا كتابكم وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع الخبر هذا شديد الوطأة علينا، وإليكم رأي الحكام والربانيين:

بمقتضى قولكم: إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي،

فاعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم.

بمقتضى قولكم: إنهم يأمرونكم بالتجرد عن أملاككم فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم.

بمقتضى قولكم أنهم يتعدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء و صيادلة ليحرموا المسيحيين حياتهم.

بمقتضى قولكم: إنهم يهدمون معابدكم، فاجعلوا أولادكم كهنة و إكليريكيين ليهدموا كنائسهم.

بمقتضى قولكم: إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة، فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى كتبة عدل، وليتداخلو دائماً في مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم، فتستولوا على زمام السلطة العالمية. وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم من ذلكم وضعفكم تتوصلون إلى ذروة القمة والقوة العظمة.

في ٢١ نوفمبر ١٤٨٩ كاسلو التوقيع v. s. s. v. F. F

أمير اليهود «القسطنطينية»(٧٢).

وهكذا بذر اليهود في المسيحية عوامل ضعفها وخرابها. وأفسد المتمسحون الجدد العقيدة المسيحية.

لقد علموا المسيحيين القسوة والوحشية، بأصولها الواردة في التوراة التلمود. مع أن المسيحية - فيما جاء به «عيسى» عليه السلام كانت متسامحة، وفيها «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر».. «ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين». وعلموهم حب المال، وحب المادة وتقديسها، بما يتعارض مع تعاليم المسيحية ويناقضها، والتى فيها «إن الغنى لا يدخل ملكوت السموات» وفيها «اعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله».

وعلموهم الحقد وحب الانتقام، مع أن المسيحية في حقيقتها تدعو إلى المحبة والخير وفيها «أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم».

لقد علموهم الجشع والطمع واستعمال الربا والمضاربات التجارية غير الشريفة، وأدخلوا فنون تكديس المال وجمعه بالطرق غير المشروعة في الكنيسة نفسها، وفي أعلى هيئة دينية مسيحية، في الصرح البابوي، ولم تكن فكرة صكوك الغفران - وجعلها وسيلة شرهة لجمع المال - إلا فتنة يهودية، لعبها اليهود الخبثاء الذين اعتنقوا المسيحية كذباً ولبسوا مسوح الرهبان، وشرعوا في رسم خطط تخريبها، بعد أن أتيحت لهم فرصة تولي أعلى المناصب الكهنوتية المسيحية. ولم يكن من المسيحية وتعاليمها السامية أن يبيع البابا ورجاله المنتشرون في أنحاء أوربا «صكوك الغفران»، كما تباع أسهم الشركات التجارية المساهمة أو كما تباع أوراق اليانصيب، فصكوك الغفران ليست سوى أسهم ومستندات مالية، معجلة الثمن، مؤجلة التسليم، تباع في بورصة الأطماع والشهوات والجشع، إنها لعبة يهودية لفساد الناس وإفسادهم، لأن من اشترى الجنة بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لا يتورع عن ارتكاب أكبر المعاصي والذنوب، بما قدمت يداه من مال، لا من أعمال.

أو ليس اليهود هم الذين بثوا في الأديان عموماً أنه على المرء أن يخطئ حتى يتمكن من طلب غفران الله[٧٣].

وتبدو روح اليهودية التجارية البشعة المخربة واضحة حين نقرأ صيغة «صك الغفران» الذي كان من أهم عوامل انقسام الكنيسة في القرن الخامس عشر، يقول:

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا.. (فلان).. ويحلل باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن

كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التى كانت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر الذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين طويلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتيك ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس.».

واستغل اليهود فساد الكنيسة وهم الذين وضعوا أصول ذلك الفساد، وشرعوا في محاربة كنيسة روما، وإبراز العهد القديم الذي كان حتى آواخر القرن الرابع عشر حبيس الأديرة والصوامع لا يطلع عليه إلا قلة من رجال الأكليروس الذين يعرفون العبرية واللاتينية.

كما تظاهرت جماعة «شهود يهوه» بالمسيحية، فلبسوا مسوح الرهبان، كما تظاهر الدوتمة بالإسلام، فلبسوا العمامة والجبة والقفطان، بل ولبسوا أيضاً ملابس الدراويش[٧٤].

وهكذا فإن جل المذاهب والفرق المسيحية ما عدا الكاثوليكية والأرثوذكسية - قد نشأت في أحضان اليهودية بفعل يهود متمسحين، أو مسيحيين متهودين، وكلاهما يؤمن بالتوراة قبل الإنجيل، هذا إذا كان فيهم من يؤمن بالإنجيل حقيقة[٧٥].

واستشرى الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت يغذيه مكر اليهود وخبثهم وعطفهم على البروتستانت الذين آمنوا بنبوءات التوراة المزيفة ونشروها، وألحوا على مسيحيي أوروبا لتصديقها، ووقعت الحروب الدينية، وعقدت محاكم التفتيش، ودستورها جميعاً الروح التى تمليها التوراة وتعاليم اليهود التلمودية، وسالت دماء مئات الألوف من النصارى في حرب طاحنة ابتلعت أكثر من نصف مليون مسيحي.

وابتعدت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية عن تعاليم المسيح السمحة، ولعبت بهما أصابع اليهود التي لو أزيلت لكان الاختلاف بين الكنيستين واهيا وطفيفا لا يستحق أن يراق في سبيله دم أي مسيحي[٧٦]. وقد بينا أن اليهود عمدوا في أزمنة متصلة من التاريخ إلى التظاهر باعتناق المسيحية من أجل محاربة المسيحية والمسيحيين في مأمنهم، واليهودي لا يغير دينه أبداً مهما تظاهر بعكس ذلك، واليهودي الذي ينبث في الأوساط غير اليهودية يتظاهر دائماً بالإلحاد ليشجع غيره على الإلحاد والتنكر للأديان، بينما يظل في قرارة نفسه متديناً متعصباً لدينه. وعندنا أحسن مثل على هذه الخدعة اليهودية الماكرة - على المستوى الفردي - «درزائيلي أو اللورد بيكونسفيلد» الذي تظاهر باعتناق المسيحية، ووصل إلى منصب رئيس الوزارة البريطانية زمن الملكة «فكتوريا» سنة ١٨٧٥ م، وغرس في عهده جذور الاستعمار البريطاني لا لخدمة الإنجليز والمسيحية، وإنما لخدمة اليهود واليهودية وعمل طوال حياته على إحياء آمال الشعب اليهودي وتجديد نشاطه وتقوية أحلامه[٧٧].

وأنقل للقارىء رأي مؤرخ يهودي في مسألة إعتناق «دزرائيلي» المسيحية يقول:

فإذا أراد الإنسان سبر غور عواطف «بيكو نسفيلد» وجس نبض نزعاته وميوله لمعرفة ما إذا كان هذا الرجل بقي يتغذى خفية بلبان عقيدته الأولى. وإذا كان اتخذ المسيحية ذريعة توصله لاكتساب المعالي وتسنم ذرى المجد، وتحقيق المطامع الكبرى التى كان يصبو إليها وهو في ريعان شبابه فعليه بمطالعة تاريخ حياته فهو المرجع الوحيد الذي لا يوارى ولا يداجي وهو بمأمن من الروح الحزبية والأغراض الدينية، فالحوادث التي تخللت حياته أبانت لنا أن روح هذا الرجل كانت تحوم دائماً حول اليهود، و تفيض بالعطف عليهم، وكانت الأوتار الحساسة الكامنة أبداً في مزاجه وطبيعته تهتز لهم اهتزازا شديداً، و كان يرقب حركاتهم وسكناتهم في غدوه ورواحه، إلا أن ذلك ما كان ليمنعه من تأدية فرائضه الدينية المسيحية[٧٨].

«وهذا اعتراف صريح من مفكر يهودي، يثبت أن اليهودي حينما يتنصر تظل أعماله وعواطفه وروحه مع اليهود، ولا يمنع ذلك من أداء الفرائض المسيحية، أي أنه يذهب كل يوم أحد إلى الكنيسة ويتظاهر أنه يصلي صلاة مسيحية»

و«دزرائيلي» هذا هو الذي قال عن شعبه اليهودي في مقال نشره بكتاب «حياة لورد جورج بنتنك سنة ١٨٥٢م» ما يلي: «شعب الله يتعاون مع الكفرة الملحدين، أمهر الناس في جمع المال يتحالفون مع الشيوعيين، الجنس المختار يصافح يد الجنس الواطي من حثالات البشر في أوربا، وكل ذلك من أجل تحطيم المسيحية الناكرة للجميل والتى تدين لليهود حتى باسمها، والتي لم يعد بالامكان تحمل طغيانها».

وعن اعتناق اليهود لدين غير دينهم، قال البروفسور اليهودي الكبير «البرت انشتاين» في مجلة «الكولير» الأسبوعية، عدد ٢٨ نوفمبر ١٩٣٨م : «إن اليهودي الذي يغير دينه يظل يهودياً».

واعترف اليهودي «ماركيوس الرفاجي» من رومانيا، في مقال نشره في يناير سنة ١٩٢٨م، بالتغلغل اليهودي السري في الكنائس والمدارس المسيحية، وقال مخاطباً الكفار (جنتايلز) أي المسيحيين، «إنكم تثيرون الضجة عن تغلغلنا في مسارحكم وفي صناعة السينما، وهذا أمر نسلم به وتعترف، ولكن ما قيمة ذلك حين تقارنونه بسلطاتنا المذهلة في كنائسكم ومدارسكم وقوانينكم وحكوماتكم وتفكيركم وثقافتكم»(٧٩).

الحقد المكشوف: ولم يقتصر نشاط اليهود في حربهم على مسيحية على تغلغلهم السرى واعتناق المسيحية كذباً ورياءً، بل رافق ذلك عداء سافر وقح نظمته الماسونية بعد انتصارها في الثورة الفرنسية وتسلطها على الحكومات الأوربية العلمانية طوال القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين(٨٠).

ويقول «شيريب سبيريد وفيتش» : «أي معتوهين أو مجرمين أولئك المسيحيين الذين يقبلون حكم الملوك المسيحيين خدماً لليهود».

وفي كتاب «حقيقة بروتوكولات صهيون» صور الكاتب السلافي غويغوري بوستونيش «الأفعى الشيطانية الرمزية، وقد أحاطت بأوروبا، فرأسها في أوربا، ونظرها إلى القسطنطينية جنوباً، وقد طرد البطريرك عن القسطنطينية بعد إقامة دامت ١٠٠٠ سنة، ولم يكن نجاح حركة الأفعى الشيطانية لأن تركيا يحكمها العثمانيون، وإنما يعود الفضل في نجاحها إلى دكتاتور تركيا الفعلي مصطفى كمال «اليهودي المغولي».

كذلك فإن أميركا في خطر كبير، وهي تواجه كارثة مؤكدة، إلا إذا نظرت إلى اليهود من خلال الصورة التى وصفهم بها المسيح.

إن أسوأ أنواع اليهود المغول تتدفق على الولايات المتحدة ليل نهار في كتل بشرية متتابعة. واليد الخفية تساعد كل يهودي أو عميله ممن يعملون ضد تعاليم المسيح في أمريكا (مثل العقلانيين الذين أسس مدرستهم الفكرية اليهودية (سبينوزا) ويعتبر فضحهم من الأمور الخطرة، لهذا ليس بمستغرب أن يخفي أو يتجاهل رجال الدين وأساتذة الجامعات والكتّاب والسياسيون الحقيقة فيسهمون في تقوية «الجنون المزمن»[٨١].

١٠ - دور بولس في تغيير المسيحية.

من أهم معالم إيذاء اليهود للمسيح ودعوته «الدور الذي قام به بولس»:

«حيث كان أفراد طائفة يسوع من الحواريين يقومون بالدعوة بعد عيسى - عليه والسلام - ويقومون بمعجزات الشفاء من الأمراض، ويدلون بالنبوءات، ويرون الرؤى، فاجتذبت الطائفة عدداً من المؤمنين يبعث على الدهشة، ثم اعترف المجلس بها آخر الأمر باعتبارها حركة يهودية أصيلة، بناء على طلب أحد البارزين من الفريسيين واسمه «غما لائيل» (أعمال الرسل ٥/ ٣٤ بتصرف)، والمؤكد أن تلاميذ يسوع لم يكونوا يعتقدون أنهم قد أسسوا ديناً جديداً، بل واصلوا حياتهم باعتبارهم يهودا يقيمون الشعائر كاملة غير منقوصة، وكانو

يترددون على المعبد معاً كل يوم للصلاة، وأطلقوا على أنفسهم اسم «الفقراء» مثلما فعلت طائفة «قمران»، فتنازلوا عن ممتلكاتهم وعاشوا حياة جماعية، يتوكلون فيها - في رزق الكفاف - على الرب، مثل طيور الجو وزنابق الحقل، وكان ورعهم ذا جاذبية شديدة، وكان يحظى بإعجاب الكثيرين من زملائهم اليهود، كانوا يؤمنون بأن يسوع لا بد أن يرجع عما قريب بمجد السماء، وعندها سيتضح للجميع أن مملكة الله قد جاءت آخر الأمر.

وقد أطلق على أتباع يسوع في أنطاكية اسم «المسيحيين» لأول مرة بسبب تأكيدهم أن يسوع هو المسيح، أي الذي مسح عليه بالزيت المقدس، أو «المسيا» والتحق بالمسيحيين في أنطاكية - في نحو عام ٤٠م يهودي من يهود الشتات، كان أول الأمر يبدي التعصب في معارضة الحركة المسيحية، ولكنه اعتنق الدين الجديد على أثر رؤيا قاهرة ليسوع - كما أخبر أو زعم - رأها أثناء سفره إلى دمشق لمواصلة اضطهاده للكنيسة هناك، ألا وهو «بولس الطوسوسى» الذي سرعان ما أصبح أحد القادة المسيحيين لأنطاكية.

كان مفهومه للمسيحية يختلف اختلافاً كاملاً عن مفهوم «أعمدة أورشيلم».

وعلى ندرة المعلومات المتوافرة عن بواكير حياة «بولس»، فيبدو أنه كان كأنما يبحث عن شيء جديد، كان قد درس التوراة على أيدي «غمالائيل» والتحق بالطائفة الفريسية، [أشهر فرق اليهود انعزلوا عن الشعب واتخذوا معالم خاصة لسلوكهم، يؤمنون بقدسية التوراة، ويضيفون إليها مكونات التلمود من روايات شفوية ووصايا وتفاسير، ويسمون أنفسهم الأحبار أو الربانيين، عاصروا المسيح وعارضوه في كثير من مبادئ دعوته، وأبرزها قضية فصل الدين عن السياسة التي صرح بها المسيح، استهوتهم الدنيا فأقبلوا على الشهوات واستنزاف أموال الناس فاختلت منزلتهم وتخلى عنهم كثير من أتباعهم، سماهم المسيح المرائين، ويقولون بالمحافظة على الشريعة مع التقاليد اليهودية المتوارثة من قبل الأسر، يؤمنون بالمسيح المخلص، والبعث، وقيامة الأموات، واليوم الآخر].

وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: كان بين اليهود قوم يقال لهم «الفريسيون» وحقيقة هذا الاسم أنهم قوم تجردوا لطاعة الله تعالى وملك عليهم حبه مشاعرهم، فتفرغوا للعبادة وانقطعوا عن العباد وزهدوا في حطام الدنيا الفانية، وأقبلوا بكليتهم على الآخرة، ولكنهم من قبل زمن المسيح ﷺ قد انحرفوا عن سنن أسلافهم، وألهتهم الحياة الدنيا بزبرجها وزخرفها، وأقبلوا على الشهوات يستسرون بها، وهم في عملهم يراءون الناس استدراجاً لهم ليوقعوهم في مخالبهم ويبتزوا أموالهم، فكان ظهورهم بمظهر الزهد شركاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار، وكان هناك الكتبة ومن وظائفهم الوعظ وكتابة الشريعة لمن يطلبها وكانوا في شؤونهم يشبهون الفريسيين في تصيد أموال الناس، وكان هناك الكهنة وخدمة الهيكل، وكانوا قد صاروا إلى حال رديئة ويحرفون كلام الله ويتهالكون على الحطام الفاني، وفي قاموس الكتاب المقدس: وقيل بمعنى أنه صار ذا رأي وعلم بالأمور، فهو فارس أي عالم بالامر وهم فوارس، فريسي، فريسيون، الكلمة من الآرامية ومعناها (المنعزل) وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخرين، فئتي الصدوقيين والآسينيين، وكانت أضيقها رأياً وتعليماً.

ويرجح أن يكون الفريسيون خلفاء الحسيديين المتظاهرين بالتقوى «القديسيين» المذكورين في «المكابيين» والذين أشتركوا في الثورة المكابية ضد انطيوخوس ابيفانيس.

وقد ظهر الفريسيون باسمهم الخاص في عهد يوحنا هركانوس، وكان من تلامذتهم فتركهم والتحق بالصدوقيين وسعى ابنه «اسكندرينايوس» من بعده إلى إبادتهم، غير أن زوجته «الكساندره» التي خلفته على العرش سنة ٧٨ق. م. رعتهم فقوي نفوذهم على حياة اليهود الدينية وأصبحوا قادتهم في الأمور الدينية.

أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة، بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها.

غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية، وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى تناقله الخلف عن السلف وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة أو أهم منها، فجاء تصريح المسيح بأن الإنسان ليس ملزما بهذا التقليد.

وكان الفريسيون في أول عهدهم من أنبل الناس خلقاً وأنقاهم ديناً، وقد لاقو التقليد أشد الاضطهاد، غير أنه على مر الزمن دخل حزبهم من كانت أخلاقهم دون ذلك، ففسد جهازهم واشتهر معظمهم بالرياء والعجب، فتعرضوا عن استحقاق للانتقاد اللاذع والتوبيخ القاسي «فيوحنا المعمدان» دعاهم والصدوقيين «أولاد الأفاعي» كما وبخهم «السيد المسيح» بشدة على ريائهم وادعائهم البر كذباً وتحميلهم الناس أثقال العرضيات دون الاكتراث بجوهر الناموس. وكانت لهم يد بارزة في المؤامرة على حياة المسيح.

ومع هذا فكان في صفوفهم دوماً أفراد مخلصون أخلاقهم سامية منهم «بولس» في حياته الأولى، ومعلمه «غمالائيل»[٨٢].

للشيخ عبد الوهاب النجار، ص ٤٦٩، وقاموس الكتاب المقدس، ص٦٧٤، ٦٧٥: ولكنه كان يحس أن التوراة تمثل عبئا مدمرا لحريته الشخصية، وأنها عجزت عن توفير الخلاص له أو السلام أو التوحيد مع الله.

بل أصبح بولس يعتقد بعد الرؤيا التى رآها في طريقه إلى دمشق أن يسوع قد حل محل التوراة باعتباره التجلي الأول لله في العالم، إذ كانت وفاة يسوع وبعثه يمثلان فاتحة مرحلة جديدة في تاريخ الخلاص، إذ أصبح من الممكن الآن لليهودي وغير اليهودي الدخول على حد سواء في إسرائيل الجديدة عن طريق طقوس التعميد التأهيلية، والتي تستطيع ادماج كل منهما على حد سواء على المستوى الروحي في المسيح، ولم تكن ثمة حاجة بالمسيحيين إلى مراعاة قوانين الطعام، أو إلى الانفصال عن الأمم الأخرى، أو إلى ممارسة الختان، لأن هذه جميعاً كانت من سمات العهد القديم الذي تجاوزه الزمن، بعد أن أصبح كل من يعيش «في المسيح» من أبناء الرب وأطفال إبراهيم مهما تكن أصولهم العرقية.

كانت إعادة تفسير بولس لسنن الدين تتضمن تنقيحا مذهلا، وقد تقبلها الناس في الشتات ليس بسبب إمكان إثبات صحتها عقلانيا، وليس لأنها كانت تتسق مع الحقائق التاريخية عن حياة يسوع وموته، ولكن جاذبية نظرة «بولس» إلى «يسوع» كانت ترجع إلى تناغمها تناغما عميقا مع التطورات الدينية الأخرى في العالم اليوناني الروماني في تلك الفترة.

ورأينا أيضاً أن هذا الاتجاه كان قد بدأ ظهوره في اليهودية الفلسطينية، فكان الفريسيون وطائفة قمران يعتبرون أن رابطتهم الدينية بمثابة معبد جديد، وكان المسيحيون آنذاك قد بدأوا الانتقال من مرحلة المعبد إلى الرجل المقدس، وحلت محل طقوس الحج والتطهير القديمة طقوس مسيحية جديدة تتمثل في اعتناق الدين ومراسم الدخول فيه، والتوحد مع يسوع الإنسان، الذي اكتسب منزلة مقدسة عندما رفعه الله من الموتى.

وهكذا يتجه «بولس» إلى تعليم المسيحيين أن يسوع هو مركز الخلاص، وأنه سوف يخلصهم لا من العماء الأولى بل من قوى الخطيئة والموت وهي القوى الشيطانية(٨٣).

فمن بولس؟ إنه صاحب ١٤ رسالة من رسائل الرسل التي هي (٢٢رسالة).

ولد بولس في طرسوس وتربى في أورشليم، واسمه الأصلي «شاؤل» واختلف في أمر جنسيته، هل هو من الفريسيين الذين يقولون: «إن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح في الدنيا، أم لا؟ وهل هو من الرومان؟ أم من اليهود، وإن كنا نرجح أنه من الفريسيين اليهود لقوله عن نفسه: «أنا يهودي فريسي بن فريسي، على رجاء قيامة الأموات»(٨٤). وأن ادعاءه الرومانية كان حيلة لينجو بجلده، وقد تم له ما أراد، كما ذكر ذلك في سفر أعمال الرسل، في آخر الإصحاح الثاني والعشرين.

١١ - قصة دخوله المسيحية

كان بولس هذا في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً لها، وأكثرهم إمعانا في أذى معتنقيها، كما قال عن نفسه أيضاً: «سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله، بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي»[٨٥].

ويقول لوقا عنه - في أعمال الرسل: «وكان شاؤل راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءا ويسلمهم إلى السجن ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءاً يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[٨٦].

ولكنه انتقل إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات، قدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مهدت له، غير أنه زعم أنه في ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: «شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل».

وفي لوقا: فقال له قم وكرز بالمسيحية، وفي ختام هذه القصة يقول لوقا جملة ذات بال، غيرت وجه التاريخ، وهي: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيحية أن هذا هو المسيح ابن الله»[٨٧]. «ودخل بولس في المسيحية - وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح، ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه - وحق لهم - ولكن شهد له «برنابا» فصدقه الآخرون، وإن كان «برنابا» لما عرف حقيقة أمره، تخلى عنه بعد أن ظهرت اتجاهاته، وانفض عنه فيمن انفضوا»[٨٨]. هذا.. وفي حكاية إيمان «بولس» وقصة الرؤية التي رأها من

الاختلاف بين الإصحاحات ما يجعلها باطلة كاذبة[٨٩]. وبهذه الخطة الماكرة استطاع هذا الرجل أن يحرف في جوهر الديانة المسيحية، دون أن يستطيع أحد معارضته، لأنه زعم لهم أنه يتلقى التعاليم من المسيح تلقياً إلهاميا روحياً، وصدقوه في ذلك، وأدخل في المسيحية ما أدخل، وحرف فيها ما حرف، وكاد لدين الله أيما كيد[٩٠].

ولقد تعجب دارسو الأديان فقالوا: كيف ينتقل رجل من كفر بدين، مع اضطهاد أتباعه إلى الاعتقاد الشديد به طفرة من غير سابق تمهيد، ولو كان الانتقال مقصوراً على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان - فإن لذلك نظائر وأشباها - لزال العجب، ولكن العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدينه إلى الرسالة في الدين الذي كفر به، فإن ذلك ليس له نظير، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط!!.

وليذكر لنا المسيحيون مثالاً على ذلك، ليذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها.

ولكن بولس - أبا العجب - استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض على المسيحيين آراءه من بعده، وأن يحكم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه.

ومن يومها استطاع بولس أن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة، زاعمين أنه رسالة أرسل بها حتى صارت المسيحية الحاضرة منسوبة إليه، فهو المؤسس الحقيقي لها.

وقد ساعده على القيام بدوره عدة صفات امتاز بها، هي:

١ - أنه كان نشيطاً دائم الحركة، ذا قوى لاتكل، وذا نفس لا تمل.

٢ - أنه كان ألمعياً شديد الذكاء، بارع الحيلة، قوي الفكر، يدبر الأمور

لما يريدها بدهاء الألمعي، وذكاء الأروعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيد بها.

٣ - أنه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير، قوي السيطرة على أهوائهم، قديراً على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه(٩١).

وكان التحول الذي حدث لبولس وهو في طريقه إلى دمشق تحولاً مثيراً، وكان مثالاً للمعنى الذي رآه المسيحيون الأوائل في اعتناق المسيحية، كان يمثل انقلاباً، وقلباً للقيم المقدسة القديمة رأساً على عقب، وهو ما بدأ الكثيرون يرون فيه وسيلة للتحرر.

ومنذ هذه اللحظة أصبحت المسيحية لا تضرب بجذورها في مكان معين.

وأصبح البطل الجديد للمسيحية هو «بولس» الرحالة، الذي لا يقيم في مدينة معينة في هذا العالم، بل يشار إليه دائماً في صورة المسافر، ومع ذلك فقد كان الانفصال عن أورشليم مؤلماً.

ولقد وقع صدام مرير بين بولس والكنيسة الأم بعد أن اكتشف «يعقوب» أن المسيحيين في أنطاكية لايأكلون طعام اليهود الخاص، ويختلطون دون قيود مع أبناء الأمم الأخرى، وتوصل الطرفان إلى حل وسط، عين بموجبه «بولس» مسؤولاً عن البعثة للأمميين(٩٢).

لقد اقترح بولس صورة جديدة للسيد المسيح،وهي صورة قلبت الفكر الذي ينسب للمسيح، لقد ترك «بولس الرسول»، عن المسيح رسماً واضح القسمات وإن اختلفت ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل، فمسيح «بولس» هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ، ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل، فمسيحه هو ابن الله) [روما: ٨/ ٣ - ٢٣، غلاطية، ٤: ٤.] له طبيعتان: إلهية وإنسانية، تجسد واتخذ صورة عبد. [فيلبي: ٢: ٧.] وتحدر من ذرية إبراهيم حسب الجسد. [غلاطية: ٣: ٥.] ومات مصلوباً، وقبر وقام من بين الأموات. [كورنثوس الأولى، ١: ٢٤، ٢٧، وفيلبي

. ١٥] نعم ذلك هو مسيح بولس وليس عيسى ابن مريم عليه السلام [٩٣]. كيف تعلم شاؤول المسيحية؟ أو من هم أساتذته في المسيحية؟ إن شاؤل قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية، فهي إما أن تقبل وإما أن ترفض ولكنها على كل حال لا تناقش، قال: أعرفكم - أيها الأخوة -، الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ،لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته من إنسان، بل بإعلان يسوع المسيح[٩٤] وهكذا أخذ شاؤول الذي أصبح يدعى «بولس» بعد دخوله المسيحية الزمام، فهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يتكلم، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح، صلة أدخلته المسيحية وسكبت في نفسه تعاليم جديدة، وبهذه الدعوة لم يعد لأحد الحق في أن يناضله فيما ينشره من تعاليم، مادام يقول إن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح، وراح «بولس» يعلم ديانة استمد لها عناصر من الثقافات الأجنبية التي كان بولس على علم واسع بها. فأخذ يعلم الناس أن «عيسى» لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة لبشر، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية[٩٥].

فما بشر به «عيسى» كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أما ما البشر به بولس فكان الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الإلهة، كان «عيسى» في نظره «حمل عيد الفصح»، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة، وقد أدخل «بولس» على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب أتباعاً له من اليونان، فبدأ يذيع أن «عيسى» منقذ ومخلص وسيد، استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة،وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق، فانحاز أتباعها إلى ديانة بولس، وعمد كذلك - ليرضي المثقفين اليونان - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله أو الروح القدس، من هنا جعل» بولس «المسيحية ديناً عالميا، وليس ديناً لبني

إسرائيل فقط، وقال بالتثليث، وتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، وجعل عيسى ابن الله نزل ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر، وقيامة عيسى من الأموات وعودته ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر»[٩٦].

لقد وصف بولس بأنه استهدف غاية اليهودية في الدخول إلى المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير، متعاوناً في ذلك مع أبناء دين اليهود في سبيل القضاء عليها[٩٧].

فبولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية السائدة، وقد طور فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية، وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة، فقدم آداباً مستحدثة في طابع قديم مألوف، وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية، ولم ينفر «بولس» من الطقوس الوثنية، بل على العكس اقتبس كثيراً من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها، وليبعد ديانته أيضاً عن أن تذوب في اليهودية.

ومن الصور التي حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد، متبعاً في ذلك تقاليد «Mithras» وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود.

واقتبس بولس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السنة، وعيد القيامة، وعيد الغطاس، وأطلق عليها مسميات جديدة، فعيد الربيع عند «Ostara» أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر Easter وطقوس السر المقدس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود، وعيسى أصبح «ابن الله» حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حوروس وأوزيرس Hurus and osiris ووضعتا في كل الكنائس وأما المعابد ذات الأهمية الكبيرة فكانت تذكارا للأحراش والغابات ذوات الأشجار الكثيفة التي كانت مكاناً للعبادة لدي الأمم القديمة.

تلك أمثلة مما اقتبسته المسيحية من الوثنية، ولكن يجب ألا ننسى أنه على الرغم من كثرة ما أخذت المسيحية من الوثنية لم تعد المسيحية وثنية في روحها، بل ظلت متمسكة بتحفظها الديني الذي ورثته من اليهود، كما حافظت على ابتعادها عن الناحية الجسمانية الشهوانية.

وقد ظلت المسيحية كذلك طالما كانت مضطهدة تحارب لتعيش، فلما أصبحت أقوى من أعدائها تغيرت الأحوال فقل صفاؤها وضعف، وظهرت بها الفرق والأحزاب التي استقلت كل منها بتنظيم وأصبح رؤساؤها رجال سياسة وقادة دينيين في نفس الوقت.

وعند نهاية القرن الثاني كان أتباع المسيحية أكثرمن أتباع أي دين آخر، وكان الرومان مع تسامحهم تجاه كل الأديان يضطهدون المسيحيين لأسباب ثلاثة:

١ - اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن لتنبئهم بسقوط الإمبراطورية، ولأنهم امتنعوا عن الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف.

٢ - اعتبرهم الرومان غير متجاوبين مع الاتجاه الاجتماعي في الامبراطورية، لأنهم لم يشتركوا في الأعياد العامة.

٣ - اعتبرهم الرومان أميل للفجور وسوء الأدب، لأن أغلب الأسر التي تنصرت كان مصيرها الفرقة والانحلال»[٩٨].

فمما لاشك فيه أن بذور الضعف في المسيحية زرعها - بحسب رأي كثير من العلماء - بولس (شاؤل) الرسول، يوم أن عجز عن القضاء على المسيحية فآثر الانتساب إليها ليعمل على تحقيق غايته من داخل المسيحية نفسها[٩٩].

وهذا التحول الذي أعلنته المسيحية من التسامح والرضا بالضيم، إلى الحقد والثأر يمثل التحول من أفكار عيسى إلى أفكار بولس[١٠٠].

هوامش الفصل الثاني

(١) العهد القديم، سفر التثنية،الإصحاح (٢٠).
(٢) سفر التثنية، الإصحاح، ٧ (١ - ٦) بتصرف.
(٣) سفر يشوع: الإصحاح ٦ (٢١،٢٢).
(٤) سفر يشوع: الإصحاح (٦).
(٥) سفر العدد: الإصحاح (٣٣).
(٦) سفر التثنية: الإصحاح (١٧).
(٧) سفر التثنية: الإصحاح (٢٣).
(٨) سفر اللاويين: الإصحاح (٢٥).
(٩) جذور الفكر اليهودي، ص٥٧ - ٨١، بتصرف.
(١٠) سفر المكابيين الثاني، ١٥ (٢٤).
(١١) سفر صموئيل الثاني، ١٢ (٣١).
(١٢) المخططات التلمودية الصهيونية للأستاذ أنور الجندي، ص٢٠ - ٢٤، بتصرف، ط/دار الاعتصام، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
(١٣) الماسونية والصهيونية والشيوعية، صابر عبد الرحمن طعيمة، ص ١٦٥، بتصرف، نقلاً عن «جذور الفكر اليهودي»، ص ٨٨ - ٩١، بتصرف.
(١٤) خطر اليهودية العالمية، عبد الله التل، ص ٦٩، بتصرف.
(١٥) العرب واليهود في التاريخ، د/أحمد سوسة، ص١٨٤، بتصرف.
(١٦) اليهودية، د/أحمد غلوش، ص ٥٦ - ٥٧.
(١٧) خطر اليهودية العالمية، عبد الله التل، ص ٧٠، بتصرف.
(١٨) جذور الفكر اليهودي ،ص ٩٤.
(١٩) راجع بتوسع كتاب؛ - اليهود بين القرآن والتلمود، الأستاذ عادل هاشم موسى، ص ٦١- ٦٢، بتصرف، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد ١٢٤ بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ج/٤، ص ١٧٠، ط/طلاس/دمشق - فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية، اعداد زهدي الفاتح، ص ٢١، ط/دار النفائس، - همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا سعد، ص١١، بيروت ١٦. - اليهودية ١٠. د/محمد إبراهيم الجيوش، ص٥٥. - اليهودية 1. ، د/أحمد شلبي، ص ٢٧٣ - ٢٧٥.
(٢٠) راجع بتوسع: اليهود بين القرآن والتلمود، ص ٦٣، ٦٤، وبروتوكولات حكماء صهيون ج ٤، ص ١٧٤، ١٧٥. التلمود شريعة إسرائيل، ص١٧ - ١٩، وهمجية التعاليم الصهيونية،

ص٢٤. جذور الفكر اليهودي، ص١٠٠ . واليهودية، د/أحمد شلبي، ص ٢٧٥.

(٢١) همجية التعاليم الصهيونية، ص٣١ - ٤١، بتصرف.

(٢٢) راجع بتوسع: إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية، د/إبراهيم خليل أحمد، ص٦٠، ط/مكتبة الوعي العربي، عام: ١٩٦٧ م.

الكنز المرصود في قواعد التلمود، د/حسن طاظا، ص١٩٠ - ١٩٥، ترجمة: يوسف نصر الله، ط/دار القلم، دمشق، (الأولى) عام: ١٩٩٠ م. اليهود بين القرآن والتلمود، ص ٦٣، ٦٤، وهجمية التعاليم الصهيونية، ص ٢٤. اليهودية، د/أحمد شلبي، ص٢٧٦ - ٢٧٨.

اليهود تاريخ وعقيدة، د/كامل سعفان، ص١٤٨، ١٤٩. ط/دار الاعتصام، بدون ذكر تاريخ الطبعة.

(٢٣) راجع بتوسع: جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، محمد ندا، ص ٢٤٢ - ٢٤٤، همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، ص٥٤ - ٨٨، نقلاً عن: برتوكولات حكماء صهيون ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٦.

(٢٤) اليهودية، د/أحمد شلبي، ص ٣٣١، ٣٣٢، بتصرف.

(٢٥) حكومة العالم الخفية، شيريب سبيريد وفيتش، ترجمة: مأمون سعيد، ص ٩ - ١١، ط/دار النفائس (السادسة)، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

(٢٦) القوى الخفية لليهودية العالمية، «الماسونية» ص ٩.

(٢٧) الجمعيات السرية والحركات الهدامة للأستاذ محمد عبد الله عنان، ص١١٥، بتصرف.

(٢٨) الروتاري في قفص الاتهام، أبو إسلام أحمد عبد الله، ص ١٦، بتصرف، دار الاعتصام (الأولى).

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٥٨، بتصرف.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٢٠٦، بتصرف.

(٣١) المرجع السابق، ص ٢٢٣، بتصرف.

(٣٢) الماسونية ذلك العالم المجهول «دراسة في الأسرار التنظيمية اليهودية العالمية» د/صابر طعيمة، ص ٧ - ٩، بتصرف.

(٣٣) انظر بتوسع: المسيحية، أحمد شلبي، ص ٣٤ - ٣٧، قصص الأنبياء للنجار، ص ٤٥٢ - ٤٥٤، قصص الأنبياء لابن كثير، ص ٣٥١ - ٣٩٦، محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص ١٤ - ١٨، ط/ دار الفكر العربي، الثالثة، سنة: ١٣٨١ هـ ١٩٦٦ م، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١، ص ٣٦٧.

(٣٤) محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص ١٢، بتصرف.

(٣٥) محاضرات في النصرانية، للإمام محمد أبي زهرة، ص ١٢، ١٣، بتصرف.

(٣٦) متى، إصحاح، ٢١، فقرة ٤٣.

(٣٧) المسيحية، د/أحمد شلبي، ص ٤٦ - ٤٧، بتصرف.

(٣٨) إنجيل متى، ١١ - ١٢.

(٣٩) متى ٧: ١٥.
(٤٠) متى ١٢: ٣٤، ٣٨.
(٤١) متى ٢٣ : ١٢ وما بعدها. المسيحية، د/أحمد شلبي، ص ٣٨، ٣٣، بتصرف، ط/مكتبة النهضة المصرية، (العاشرة) سنة ١٩٩٣ م.
(٤٢) راجع بتوسع: فضح التلمود، ص ٥٥ - ٥٧، الكنز المرصود في فضح التلمود، ص ٢٥٨ - ٢٦٠، جذور الفكر اليهودي، ص ٨٦، جنايات بني إسرائيل، ص ١٥٦ - ١٦٠.
(٤٣) إنجيل يوحنا، إصحاح ٨ (٤١).
(٤٤) فضح التلمود، ص ٥٥ - ٥٧، الكامل لابن الأثير ج ١، ص ١١٠١، ط/الخمسة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م. إسرائيل والتلمود، ص ٦٠ - ٦١.
(٤٥) راجع بتوسع: فضح التلمود، ص ٥٧ - ٨٤، اليهود تاريخ وعقيدة، ص ١٥١.
(٤٦) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص ١٠٨، بتصرف.
(٤٧) انظر: يسوع والأناجيل تأليف جون ودرين، ج ٥، ص ٣٤٠ - ٣٤١.
(٤٨) خطر اليهودية العالمية، عبد الله التل، ص ٣٤ - ٣٥، بتصرف، نقلاً عن كتاب القوى الخفية، ص ١٥٩ - ١٦١.
(٤٩) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص ١٠٩ - ١١٠، بتصرف.
(٥٠) معالم النصر على اليهود، د/سعد المرصفى، ص ٥٢، بتصرف.
(٥١) سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٦١، نقلاً عن كتاب المسيحية د/أحمد شلبي، ص ٣٩.
(٥٢) المسيحية، د/أحمد شلبي، ص ٣٨ - ٤١.
(٥٣) متى، إصحاح، ١ (١٨ - ٢٥) بتصرف.
(٥٤) لوقا، إصحاح، ٢ (١ - ٤٠).
(٥٥) القوى الخفية، ص ٤٣، (هامش) وجذور الفكر اليهودي، ص ١٦١، بتصرف.
(٥٦) التاريخ اليهودي العام، د/صابر طعيمة، ص ٣٥٩ - ٣٥٦، ط/دار الجيل، بدون ذكر التاريخ والطبعة.
(٥٧) المرجع السابق، ص ٣٣٨، ٣٣٩، والنص من إنجيل متى، الإصحاح، ٢٦ (٣ - ٥).
(٥٨) التاريخ اليهودي العام، ص ٣٥٠ - ٣٥٢، بتصرف.
(٥٩) اليهودية واليهودية المسيحية للأستاذ الدكتور/فؤاد حسنين على، معهد البحوث والدراسات العربية، عام ١٩٦٨م القاهرة.
(٦٠) التاريخ اليهودي العام ص٣٥٢ - ٣٥٤، بتصرف.
(٦١) التاريخ اليهودي العام، ص ٣٤١ - ٣٤٤، بتصرف.
(٦٢) انظر في هذا: الكنز الجليل في تفسير الأناجيل، تأليف الدكتور وليم أدي الأمريكي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨ م، بتصرف.
(٦٣) الإنجيل متى، إصحاح ٢٦ (١٤ - ١٦).
(٦٤) التاريخ اليهودي العام، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٦٥) راجع بتوسع: اليهودية، د/أحمد شلبي، ص ٢١٦ - ٢٢٥.
(٦٦) المخططات التلمودية، ص ٣٩ - ٤٠، بتصرف.
(٦٧) المسيحية، د/أحمد شلبي، ص ٥٧، ٧١، ٧٢، بتصرف.
(٦٨) المخططات التلمودية، ص ٦٢، بتصرف وما تزال اليهودية منذ ظهور المسيحية وهي في حرب معها. المرجع السابق، ص ٦٠.
(٦٩) الأفعى اليهودية، ص ٥٢، ٥٣ بتصرف.
(٧٠) القوى الخفية، ص ٧٣ - ٧٤، بتصرف، نقلاً عن: مؤامرة اليهود على المسيحية، إميل الخوري، ص ٣١.
(٧١) القوى الخفية، ص ٧٤.
(٧٢) حكومة العالم الخفية، ص ٢٦، ٢٧، الأفعى اليهودية، ص ٥٤، ٥٥، والمخططات الماسونية العالمية، ص ٩٨ - ١٠٠.
(٧٣) القوى الخفية، ص ٧٥، ٧٦، بتصرف، الأفعى اليهودية، ص ٥٥، بتصرف، والمسيحية د. احمد شلبي، ص ٢١٣، ٢١٤، بتصرف.
(٧٤) حكومة العالم الخفية، ص ١٥١ بتصرف.
(٧٥) القوى الخفية، ص ٧٤، بتصرف.
(٧٦) الأفعى اليهودية، ص ٥٨.
(٧٧) الأفعى اليهودية، ص ٥٩، ٦٠ بتصرف.
(٧٨) ليفي أبو عسل، ص ١٩٤، بتصرف، نقلاً عن الأفعى اليهودية ص٦٠.
(٧٩) الأفعى اليهودية، ص ٦٠ - ٦٢، بتصرف.
(٨٠) المرجع السابق، ص ٦٤ بتصرف.
(٨١) حكومة العالم الخفية، ص ٤٣ - ٤٥، بتصرف، ويقصد بالجنون المزمن حالة أولئك الذين لا يعرفون ماهية الحكومة العالمية.
(٨٢) انظر في هذا: اليهودية، د/أحمد شلبي، ص ٢٢٦ - ٢٣٣، والفكر الديني اليهودي، د. حسن ظاظا، ص٢١٠ - ٢١٣، وقصص الأنبياء.
(٨٣) القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، تأليف كارين أرمستزونج، ص ٢٤٦ - ٢٥٠ بتصرف.
(٨٤) أعمال الرسل، إصحاح ٦: ٢٣.
(٨٥) غلاطية، ١: ١٣، ١٤.
(٨٦) أعمال الرسل، ٩: ١، ٢.
(٨٧) أعمال الرسل، إصحاح، ٩: ٣ - ٦، ٦٠.
(٨٨) المسيحية، ص ١٠٦، بتصرف.
(٨٩) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، ج ١، ص ١٢٨، بتصرف، ط/دار التراث العربي.
(٩٠) مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٣٤ - ٣٦.
(٩١) محاضرات في النصرانية، ص ٨١ - ٨٧ بتصرف.

(٩٢) القدس مدينة واحدة، ص ٢٥١ بتصرف.

(٩٣) يسوع المسيح الأب بولس إلياس، ص ١٧ - ١٨، نقلاً عن: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٩٣ - ٩٤، بتصرف.

(٩٤) أعمال الرسل، ٩: ٢٦ - ٢٧.

(٩٥) المسيحية، ص ١٠١ بتصرف.

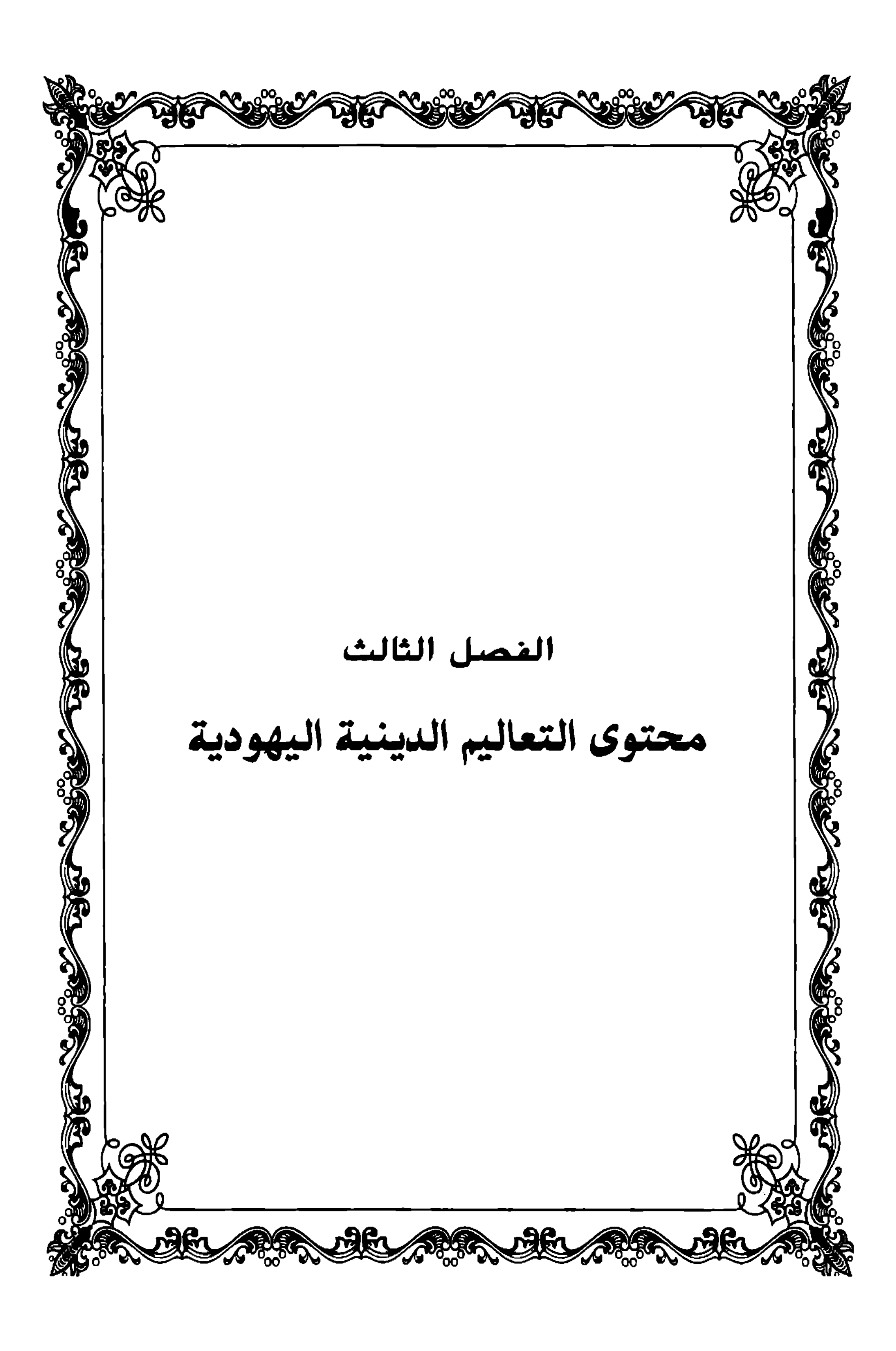
(٩٦) راجع بتوسع: المرجع السابق، ص ٩٨ - ١١٤.

(٩٧) المخططات التلمودية، ص ١١٨.

(٩٨) المسيحية، د/أحمد شلبى، ص ٨٢ - ٨٣.

(٩٩) المرجع السابق، ٥٧.

(١٠٠) المرجع السابق، ٧٢.



الفصل الثالث

محتوى التعاليم الدينية اليهودية



أولاً

«النزعة العدوانية»

إنّ روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل تطغى على كلّ ما يرد في النصوص التوراتية والتلمودية المتداولة حالياً، وهي لاتخلو من الغدر والخيانة والحضّ على الاستعلاء والعدوان والتسّلط والعزلة وضرورة التوّجس من الأغيار والتّرفع عنهم، وهو ما اتخذته الصهيونية منهجاً رئيسياً وأعادت تشكيله بما يتّفق والواقع الراهن.

هذه الروايات التوراتية تنسب تلك الروح العدوانية إلى «يهوه» الإله المسّمى «ربّ الجنود»، فهي تؤكد على مشاركته في كلّ عدوان، فتغدو الحرب حربه والثأر ثأره والانتقام انتقامه حتى على شعبه المقدّس إن تردّد في تنفيذ مخّططاته العدوانية أو استنكر.

نستشّف من هذه الروايات أنه ليس هناك سبب منطقي لهذه الروح العدوانية إلّا الروح العدوانية نفسها ورغبة يهوه أن تعرفه الشعوب والأمم على أنّه القادر القوي المتّميز الحامي لشعبه المقّدس.

وحسب الرواية التوراتية نجد أنّ الإله اليهودي ومنذ بدء الخليقة مّيز بين الإنسان وأخيه الإنسان، فخلق من هذا التمييز ذلك الحقد المشبع بالعدوان والانتقام، فنقرأ أنّه تقّبل قربان هابيل ولم يتقّبل قربان أخيه قابيل، فاغتاظ الأخير وحقد على أخيه وقتله وكانت النتيجة أن لعنه الإله يهوه إلى الأبد.

ثم جاءت لعنة نوح الناطق باسم يهوه لحفيده كنعان بن حام وبعد ليلة سكر وتعرٍّ، بداية لطوفان جديد لا يزال مستمراً، تمثّل في تقسيم العائلة البشرية بين

سادة وعبيد، فأرسى هذا التقسيم العداء الأبدي، وولّد لدى اليهود نزعة الاستعلاء والتسّلط والعدوان تجاه الشعوب الأخرى، نظراً لأنّهم نسبوا أنفسهم إلى النّسل المبارك والزرع المقّدس.

إنّ ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية تعتبر بطولات وأمجاداً وعلى كل يهودي أن يلتزم بسلوكية هؤلاء الأسلاف، وأن يكوّن من هذه السلوكية شخصيته المتمّيزة والمترفّعة والمشبعة بالتوجس والعدوان. ولهذا فإنّ نظام التعليم اليهودي يرتكز على تعريف الطفل في سّن الرابعة على هويته وأسلافه ويدّرب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم، وزرع فكرة القداسة والاختيار في عقله الباطن.

في نصوص التّوراة نقرأ كثيراً من أعمال العنف والعدوان، وهي كما يزعم اليهود، بطولات قام بها أسلافهم التزاماً بأوامر الرّب يهوه، كما نقرأ أوامر وأحكاماً تؤكد على التسّلط والتوّجس والاحتراز والعدوان والعزلة وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى نظراً لنجاستها ودونيتها، ونجد الروح العدوانية واضحة تماماً في السلوك والأفكار.

إنّ سفر التكوين عبارة عن معمعة من أعمال العنف والغدر والقتل والرذيلة أراد منها الأحبار اليهود أن تكون منهجاً وسنة يقتضي اتباعها في كل زمان وأوان.. حيث إرادة الإله يهوه كما يزعمون.

ففي الإصحاح الرابع والثلاثين نقرأ عن اعتداء أبناء يعقوب بن إسحق «إسرائيل» على سكان منطقة شكيم التي كانوا يسكنون فيها ويلقون كلّ الاحترام والمحبة منهم. فقد أحبَّ «شكيم» بن حمور زعيم المنطقة ابنة يعقوب، وأرادها زوجة له وقد طلبها من والدها وأخوتها، لكنّ أولاد يعقوب غدروا بشكيم ووالده وبسكان المنطقة جميعهم، بعد أن احتالوا عليهم وتمكنّوا منهم وقتلوهم، ثم هربوا من المنطقة بعد أن نهبوا البيوت جميعها وسبوا النساء والأطفال.

لقد كان موقف المصريين من بني إسرائيل موقفاً إنسانياً معبراً عن كرم

الضيافة والمروءة والمحبة والنظرة الشمولية للإنسان والإله.. فخيّر فرعون يوسف وأهله في اختيار المكان الذي يرغبون السكن فيه قائلاً له: «أبوك وأخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك». لكنّ بني إسرائيل ومنذ أن دخلوا مصر فضّلوا بدافع من عنصريتهم وتعصّبهم الانعزال عن المصريين وعدم الاختلاط معهم، فاختاروا أرض جاسان المستّقلة والبعيدة من أجل هذا الهدف. وعاشوا فيها بهناءٍ فتكاثروا وأثمروا وأمضوا أكثر من أربعمائة عام باطمئنان في ظّل الاحترام المصري.

لقد غدر بنو إسرئيل بالمصريين وتجاهلوا كل هذا التكريم الذي غمرهم به فرعون وشعبه، وجاءت هذه الأحكام العجيبة العظيمة كما يسّميها محرر سفر الخروج لتدفع بالمصريين إلى التهلكة، ويهرب بنو إسرائيل بعد أن يسرقوا حلّي وأمتعة النساء المصريات باحتيال مدروس ومخطط له من الإله يهوه.

إنّ كتّاب الأسفار التوراتية الذين يدفعون بيهوه لأن يكون وراء هذا الحقد والتشّدد والرؤية الضيّقة كانوا هم من يعاني من هذه النزعات الّلاإنسانية، وحّملوا يهوه كلّ التبعات فغدا العدوان عدوانه الذي يخطط له ويحضّ على تنفيذه وهذا العدوان لا يجوز إلّا أن ترافقه أعمال القتل والحرق والتدمير والسبي دون رحمة أو رأفة لا بالنساء ولا بالأطفال ولا بالشيوخ الكبار.

في سفر الخروج نجد كثيراً من وصايا الإله يهوه إلى شعبه المختار المقّدس محذراً ومتوعداً ومنذراً: «ها أنا مرسلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كلّ ما أتكلم به أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك. فإنً ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والغرزيين والكنعانيين والحوّيين واليبوسيين فأبيدهم».

إنَّ موسى كما يصّوره كاتب سفر الخروج كان قاسياً متشدداً إلى الدرجة التي لم يكن ليتوانى عن تنفيذ أيّة عقوبة حتى على شعبه المميّز المختار من الإله

يهوه، فقد كانت نزعته العدوانية متفوّقة على النزعة الإنسانية، والأصح فإنّ كاتب السفر محا تماماً كل ما يتعّلق بالإنسانية. فهو انعزالي تسّلطي، مقدّس متميّز، مختار.

لهذا كان موسى ينظّم جماعته تنظيماً خاصّاً على أنّهم الشعب المقّدس المختار صاحب الإله الخاص. الذي لا يريد لهذا الشعب أن يختلط بالأمم الأخرى لأنّه الأطهر والأنقى والأخّص. كان يغذي فيهم عقيدة التفوق والعنصرية والانعزالية والحقد تجاه كل الشعوب والأمم الأخرى. وكونه كان ناطقاً باسم يهوه فقد كانت وصاياه مبرمجة ومنظّمة ولا مجال للنقاش فيها، إنّها أوامر صارمة صادرة عن الإله بالذات. فهو الذي يرغب في إبادة الأمم والشعوب التي خلقها أو ربما خلقها إله غيره. فنقرأ مثلاً في سفر الخروج: «أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحوّيين والكنعانيين والحثيين من أمامك».

فخلال الفترة التي أمضاها موسى في الصحراء يدرّب جماعته تدريباً يتناسب وأفكاره العدوانية العنصرية، كان دوماً يشير إلى ضرورة الانعزال وإبادة الآخرين من الأمم الأخرى والتمسك بمبادئ يهوه الناطق باسمه. وقد نجح موسى في زرع النزعات العدوانية في نفوس جماعته كما نستشّف من خلال ما أورد كاتب سفر العدد. الذي يروي عن غزو مديان والمجزرة التي ارتكبها أتباع موسى في هذه المنطقة والتي يعتبرها كاتب السفر بطولات وواجباً دينياً وتنفيذاً لأوامر الإله يهوه. حيث نقرأ: «وكلّم الرّب موسى قائلاً انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضّم إلى قومك: فكّلم موسى الشعب قائلاً جرّدوا منكم رجالاً للجند فيكونون على مديان ليجعلوا نقمة الرّب على مديان».

«فتجنّدوا على مديان كما أمر الرّب وقتلوا كل ذكرٍ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم آوي وراقم وصور وحور ورابع، خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم

وجميع مواشيهم وكلّ أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنّار. وأخذوا كلّ الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى وأليعازر الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحّلة إلى عربات موآب التي على أردّن أريحا فخرج موسى وأليعازر الكاهن وكلّ رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحّلة فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حيّة. إنّ هؤلاء كنَّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرّب في أمر فغور فكان الوباء في جماعة الرّب. فالآن اقتلوا كلّ ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها».

إنّها مجزرة تقشّعر لها الأبدان وسببها أنّ رجلاً من بني إسرائيل تزوج بامرأة مديانية، فاعتبر موسى أنّ هذا العمل بمثابة خرق للشريعة والقوانين التي تحرّم الزواج بأجنبيات وتحضّ على العزلة وضرورة الحفاظ على الزرع المقّدس. وعلى الرغم من أنّ الكاهن الشّاب فينحاس بن ألعاز بن هرون وثب على الرجل الإسرائيلي وعلى المرأة المديانية وقتلهما فوراً، إلّا أنّ هذا لم يشف غليل موسى ولا يهوه فأمر أن تحرق مديان وأن تسبى النساء وتقتل وأن يقتل كل ذكرٍ وكلّ طفل كما مّر معنا. مع الإشارة إلى أنّ مديان، كانت الملجأ الذي التجأ إليه موسى عندما هرب من مصر بعد أن قتل مصرّياً دفاعاً عن عبراني من بني جلدته حسب ما يروي كاتب سفر الخروج، وقد أمضى في مديان مدة تترواح بين أربعين إلى خمسين سنة، تزوّج خلالها من ابنة كاهن مديان «صفّورة» وأنجب منها ولديه «جرشوم وأليعازر».

إنّ موسى وكما نستشّف من الرواية التوراتية لم يحترم أنّه كان نزيلاً لدى المديانيين وأنّ زوجته مديانية «صفورة ابنة كاهن مديان يثرون» وأنّ المديانيين احتضنوه وعاش في كنفهم معزّزاً مكرّماً. وكان حماه يحبّه وينتصر لآرائه وأفكاره وقد وقف إلى جانبه مؤيداً دعوته، وعندما خرج موسى بجماعته من مصر وعلم بذلك حماه يثرون خرج لملاقاته، وكان قد نزل موسى وجماعته في التربة في

مكان يدعى «جبل الله» وقد رافقته زوجة موسى وولديه والتقيا هناك حيث أثنى ثيرون على موسى وقدّم له نصائح ومعلومات هامة ساهمت في تنظيم دعوته وقد أخذ بها موسى وطبّقها.

لقد نسي موسى أو تناسى كل هذا فكانت مجزرة مديان تأكيداً واضحاً على سياسة الانغلاق والعنصرية والغدر والعدوان، وطريقاً سار عليه أتباعه فيما بعد، ولا يزال حتى الآن المنهاج الرئيسي للحياة اليهودية. وكان تعقل «بلعام بن بعور» نبيّ الموآبيين تأكيداً آخر على أنّ الكاتب التوراتي كان يرغب أن تكون الروح العدوانية منهجاً دائماً حتى مع الذين يتحالفون مع بني إسرائيل وينتصرون لهم. فالزرع المقّدس ينبغي أن لا يدّنس برجاسات الأمم والشعوب. ولو استدعى ذلك مزيداً من الغدر والخيانة ومقابلة الإحسان بالإساءة.

فعندما نزل بنو إسرائيل في عربات موآب خشي ملك موآب منهم فأرسل وراء «بلعام بن بعور» وكان نبياً للموآبيين، وهم يعتقدون أنّ من يباركه بلعام يغدو مباركاً ومن يلعنه يغدو ملعوناً. فأراد ملك موآب «بالاق بن صفور» أن يلعن له بني إسرائيل حتى يتمكّن من محاربتهم وطردهم من المنطقة. لكنّ النبّي بلعام رفض ما أمره الملك بالاق بن صفور ملك موآب، بل بارك بني إسرائيل وأثنى عليهم.

نستشّف من الرواية التوراتية أنّ موسى يسعى دوماً لأن يجمع أتباعه في إطار الوحدة السياسية - الدّينية، أي وحدة سياسية يجمع شملها الّدين، ووحدة دينية هدفها تحقيق الأغراض السياسية، ولهذا كانت وصاياه دوماً متشدّدة في قضية الرأفة والشفقة فالإنسانية لا وجود لها في برنامجه، وأيّة شفقة أو رحمة لطفل أو شيخ تكون بمثابة مخالفة صريحة لتشريعاته المستمدة حسب الرواية التوراتية من الإله يهوه.

ففي عربات موآب أشار قائلاً لجماعته: «إنكّم عابرون الأردّن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون

كل أصنامهم المسبوكة وتخربّون جميع مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنّي قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم».

ثم يتابع نصائحه قائلاً لجماعته بصيغة الأمر الحتمي: «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين يستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أنّي أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم».

ونقرأ أيضاً «قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأموريّ وأرضه ابتدئ تملك وأثر عليه حرباً في هذا اليوم أبتدئ أجعل خشيتك وخوفك أمام وجوه الشعوب تحت كل السماء الذين يسمعون خبرك يرتعدون ويجزعون أمامك».

لقد نجح موسى في أسلوب الحضّ على العدوان والقتل والإبادة وتمكن جماعته من سحق سيحون وجماعته فقتلوا ونهبوا وحرقوا وسبوا النساء والأطفال كما يرد في سفر التثنية: «فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه وأخذنا كلّ مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرّجال والنّساء والأطفال. لم نبق شارداً. لكنّ البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا من عروعير التي على حافّة أرنون والمدينة التي في الوادي إلى جلعاد لم تكن قرية قد امتنعت علينا الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا».

ثم قاموا باعتداء آخر على منطقة باشان فقتلوا ملكها «عوج» وجميع قومه وأخذوا كل مدنه ونهبوا وسبوا النساء والأطفال، وفعلوا في باشان كما فعلوا في شيحون. وقبل أن يبدأ العدوان على كنعان جمع موسى أتباعه وقام فيهم خطيباً وناصحاً وآمراً أن يلتزموا بتعليماته وقراراته التي كان وراءها يهوه، وجميعها تحضّ على العدوان والعنصرية والتسّلط والعزلة فنقرأ: «متى أتى بك الرّب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيّين

والجرجاشيين والأموّريين والكنعانيين والغرزيين والحوّيين واليبوسيين سبعة شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرّب إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرّمهم. لا تقطع عهداً لهم ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم».

ثم يتابع موسى مؤكداً على أن الخوف لا مكان له وأنَّ العدوان مآله النصر نظراً لأنّ الإله يهوه شخصياً يحارب معهم وينتصر لهم ويخطط لهم وهو الذي يريد إبادة الشعوب والأمم الأخرى من أجل أن يسود شعبه الخاص المقّدس على كل الشعوب. ولذا لا داعي أبداً للتردّد أو الخوف من هذه الشعوب مهما كانت وهو ما ينبغي أن تأخذ به كلّ الأجيال اللاحقة. فنقرأ: «إن قلت في نفسك هؤلاء الشعوب أكثر مّني كيف أقدر أن أطردهم فلا تخف منهم، أذكر ما فعله الرّب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرّب إلهك هكذا يفعل الرّب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجهها والزنابير أيضاً يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك لا ترهب وجوههم لأنّ الرّب إلهك في وسطك إله عظيم ومخوّفٌ. ولكنّ الرّب إلهك مطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرّية. ويدفعهم الرّب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء».

كما يؤكّد لجماعته أنَّ يهوه نفسه سيعبر أمامهم ليبيد الشعوب ويذّلهم، وعلى كلّ فرد أن يأخذ هذا بعين الاعتبار فيخاطبهم قائلاً: «اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابرٌ الأردّن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصّنة إلى السّماء قوماً عظاماً وطوالاً بني عناقٍ الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بني عناق. فاعلم اليوم أنّ الرّب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويذّلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلّمك الرّب».

ولم يكن موسى لينسى أن يشير أنَّ الروح العدوانية ينبغي أن تستّمر وأن لا تتوقف عند حدٍّ معيّن، والعدوان المقرّر على منطقة كنعان ليس هو العدوان

الأخير، بل هو مقدّمة وعلى الجماعة أن تخّطط لعدوان آخر وآخر كما وعد بذلك الرّب يهوه لكن هذا مرهون بحفظهم للوصايا والقرارات التي تؤكّد على العدوان والعزلة والتسّلط والغدر، فنقرأ: «وإن وسّع الرّب إلهك تخومك كما حلف لآبائك وأعطاك جميع الأرض التي قال إنّه يعطي لآبائك إذا حفظت كلّ هذه الوصايا لتعملها كما أنا أوصيك اليوم لتحبّ الرّب إلهك وتسلك في طرقه كلّ الأيام فزد لنفسك أيضاً ثلاث مدنٍ على هذه الثلاث».

وأيضاً لم يكن لينسى أن يوّضح لهم كيفية العدوان وأسلوبه واستمراريته وضرورة التشدّد والجرأة نظراً لأنّ يهوه معهم دوماً ولن يترك للأعداء أيّة فرصة للتفّرد بهم والانتصار عليهم طالما أنهم متمسّكون بنزعتهم الضيّقة التي ترفض الاندماج والاختلاط والرحمة، . فنقرأ قوله: «إذا خرجت للحرب على عدوّك ورأيت خيلاً ومراكب قوم أكثر منك فلا تخف منهم لأنّ معك الرّب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر، وعندما تقربون من الحرب يتقّدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع يا إسرائيل أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم لا تضعف قلوبكم، لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم لأن الرّب إلهكم سائرٌ معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخّلصكم».

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكّل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرّب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة كلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرّب إلهك».

هكذا أراد الكاتب التوراتي أن يؤكد لهذه المجموعة التي تخصّه أنّ الإله يهوه الذي هو إلههم الخاصّ لا يرضى أبداً بأن تتساوى الشعوب بشعبه الخاص المقّدس، ولذا كلّ الشعوب والأمم عدوة لبني إسرائيل وليس هناك من أملٍ في أن تتحول هذه العداوة إلى محبة خاصة وأنّ كافة الأمم ستغدو بمثابة العبيد لبني

إسرائيل إن هادنت ورضيت بالصلح أو ستباد من الوجود إن رفضت المهادنة أي على جميع الأمم أن تكون مستعبدة ومسّخرة لخدمة بني إسرائيل أو تباد من الوجود، القريبة منها والبعيدة على السواء، وليس هذا وحسب، بل من الضرورة إبادة الشعوب القريبة دون قيد أو شرط فنقرأ: «هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست في مدن هؤلاء الأمم هنا، وأمّا مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرّب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرّمها تحريماً، الحثيّين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرّب إلهك».

لقد أراد موسى أن يغذّي في نفوس جماعته عقيدة العدوان الدائم ضد الشعوب والأمم الأخرى، «القتل، التدمير، الإبادات، القسوة، التسّلط والتوّجس». لذا كان دوماً يحذّرهم من التردّد والشفقة ويدفع بهم إلى الحرب والعدوان. وقد نجح في مسعاه وورث عنه يشوع بن نون تلك النزعة بعد أن توفي موسى وقاد الجماعة إلى مزيد من المجازر الوحشية في المدن الكنعانية الآمنة راح ضحيتها آلاف الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم. إنّ ما حضَّ عليه يشوع بن نون وما سلكه أتباعه صوّره لنا كاتب سفر يشوع على أنّه بطولات وأمجاد ومنهاج رئيسي سار عليه اليهود فيما بعد ولا يزالون حتى الآن. لقد افتتح يشوع بن نون أعماله العدوانية بمجزرة في أريحا اتسمت بالوحشية فنقرأ: «وصعد الشعب إلى المدينة كلّ رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجلٍ وامرأة من طفلٍ وشيخٍ حتى الغنم والبقر والحمير بحدِّ السيف».

وهكذا فعلوا بمدينة «عاي» بعد أن أكّد يهوه ليشوع أنّه سيدفع عاي بيده حتى يفعل بها كما فعل بمدينة أريحا فنقرأ: «فقال الرّب ليشوع لا تخف ولا ترتعب خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاي. أنظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها».

نفذ يشوع خطط يهوه لمهاجمة عاي وهاجمها بخدعةٍ رسمها له يهوه وتمكن من الانتصار فنقرأ: «وضربوهم حتى لم يبق منهم شارداً ولا منفلتاً، وأمّا

ملك عاي فأمسكوه حيّاً وتقدّموا به إلى يشوع وكان لمّا انتهى إسرائيل من قتل سكان عاي في الحقل في البرّية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدِّ السّيف حتى ظنوا أنَّ جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحدِّ السيف».

لقد أحرق يشوع مدينة عاي وعلّق ملكها على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة.

واستمرَّ الحضّ على العدوان والقتل والتدمير من قبل يهوه ليشوع والجماعة، وماحدث في أريحا وعاي لم يشف غليل رّب الجنود فأمر يشوع أن يضرب المدن الأخرى «أورشليم، حبرون، يرموت، لخيش، عجلون» حيث نقرأ: «فقال الرّب ليشوع لا تخفهم لأني بيدك قد أسلمتهم، لا يقف رجلٌ منهم بوجهك».

التزم يشوع بأوامر يهوه وبدأ في الاعتداء على هؤلاء ومحاربتهم وضربهم ضربة عظيمة كما يروي كاتب السّفر. وهرب ملوك هذه المدن «أدوني صادق ملك أورشليم، هو هام ملك حبرون، فرآم ملك يرموت، يافيع ملك لخيش، دبير ملك عجلون». واختبأوا في مغارةٍ في مدينة مقيّدة، فأمر يشوع جماعته أن يغلقوا المغارة بحجر كبير حتى يموتون وقد فعلوا ما أمر ومن ثمّ فتحوا المغارة وأخرجهم أحياء. لأنّ يشوع أراد أن يذّلهم فأمر عدد من رجاله أن يضعوا أرجلهم على أعناقهم ففعل الرجال ذلك، ثمَّ قتلهم يشوع وعلقهم على الخشب وبقوا معّلقين حتى المساء حيث أنزلوا ووضعوهم في المغارة التي اختبأوا فيها لتكون قبراً دائماً لهم. ووضعوا حجراً كبيراً على فم المغارة.

وتابع يشوع عملياته العدوانية بمهاجمة مدينة مقيّدة حيث نقرأ: «وأخذ يشوع مقيّدة في ذلك اليوم وضربها بحدِّ السّيف وحرَّم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شارداً وفعل بملك مقيّدة كما فعل بملك أريحا».

«اجتاز يشوع من مقيّدة وكلّ إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة فدفعها الرّب هي أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفس بها لم يبق بها

شارداً وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها فدفع الرّب لخيش بيد إسرائيل فأخذها في اليوم وضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفسٍ بها حسب كلّ ما فعل بلبنة، حينئذٍ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحدِّ السيف وحرَّم كلّ نفسٍ بها في ذلك اليوم حسب كلّ ما فعل بلخيش، ثم صعد وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحدِّ السيف مع ملكها وكلّ مدنها وكلّ نفس بها لم يبق شارداً حسب كلّ ما فعل بعجلون فحرّمها وكلّ نفس بها. ثم رجع يشوع وكلّ إسرائيل معه إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكلّ مدنها وضربوها بحدِّ السيف وحرّموا كلّ نفسٍ بها لم يبق شارداً كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها وكما فعل بلبنة وملكها».

واستمّر يشوع في تنفيذ خطط يهوه العدوانية فحارب ملوك «حاصور ومادون وشمرون واكشاف وغيرهم» وتمكّن من سحقهم وإبادتهم واحتلال مناطقهم وحرق مدنهم ومركباتهم لم يبق شارداً منهم. فالإله يهوه أراد ذلك وعلى يشوع أن يحضّ جماعته كما حضّه يهوه على العدوان والقتل فنقرأ: «فقال الرّب ليشوع لا تخفهم لأنّي غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار. فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتةً وسقطوا عليهم. فدفعهم الرّب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت ما يم وإلى بقعة مصفاة شرقاً. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارداً ففعل يشوع بهم كما قال الرّب عرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنّار».

«ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف لأنّ حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك. وضربوا كلّ نفس بها بحدِّ السّيف حرّموهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنّار».

وهنا يحضرني هذا السؤال: من هو بطل التوراة؟.. أهو موسى أم يشوع أم يهوه؟.. إنّ بن غوريون في الخمسينات من هذا القرن كان يرى أن يشوع بطل التوراة. أمّا التوراة نفسها فيروي لنا بوضوح أنّ البطل الحقيقي هو الإله يهوه، وهو ما نستشفه في كل النصوص التوراتية. فهو الذي يخطط ويحضّ ويوجه ومن ثم ينّفذ بواسطة موسى أو يشوع. فالبطولات الحقيقية كانت ليهوه والآخرون عبارة عن دمى تتحرك كما يريد يهوه.

إنّ يهوه هو المحارب الحقيقي وهو الذي دمّر وأباد وحرق وهو الذي حضّ على العدوان وافترض أنّ جميع الشعوب والأمم أعداء بني إسرائيل، ولم يكن موسى إلا أداة نفّذ من خلالها يهوه أعماله العدوانية التي مرّت معنا. ولّما مات موسى تسّلم يشوع هذه المهّمة وكان بارعاً في التنفيذ، وعندما حضرته الوفاة أشار للجماعة عن رغبات ومواقف يهوه وما فعله طيلة هذه الأيام التي مرّت منذ الخروج من مصر مؤكداً على أنّ يهوه هو الذي كان يحارب عنهم وهو الذي كان يبيد الشعوب والأمم. فنقرأ: «فدعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه وقال لهم أنا قد شخت تقدّمت فيَّ الأيام وأنتم قد رأيتم كلّ ما عمل الرّب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم. انظروا قد قسّمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردّن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس. والرّب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرّب إلهكم فتشددوا جداً».

بعد موت يشوع استّمرت العمليات العدوانية الوحشية على يد القضاة كما يّسميهم كاتب سفر القضاة، فقد تشرّب بنو إسرائيل الروح العدوانية تماماً وغدت الأعمال العدوانية العسكرية غاية بالنسبة إليهم. لكّنها في عصر القضاة اختلفت بعض الشيء نظراً لأنّ كلّ سبطٍ سكن في منطقةٍ فلم تعد هناك وحدة تربطهم وصار لكلّ سبط رئيساً أو قاضياً كما يسّميه كاتب السفر.. وكان على كلّ سبط أن يسعى للحصول على المنطقة التي حدّدت له من قبل يشوع قبل وفاته وقد

وزّعت الحصص بالقرعة كما يرد في سفر يشوع.

في سفر القضاة الإصحاح الأول نقرأ: «وكان بعد موت يشوع أنّ بني إسرائيل سألوا الرّب قائلين من مّنا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم فقال الرّب يهوذا يصعد يهوذا قد دفعت الأرض ليده. فقال يهوذا لشمعون أخيه اصعد معي في قرعتي لكي نحارب الكنعانيين فأصعد أنا أيضاً معك في قرعتك. فذهب شمعون معه فصعد يهوذا ودفع الرّب الكنعانيين والفرزّيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل».

وعلى الرغم من أنّ بني إسرائيل لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على المنطقة كما أراد يهوه وتفرقوا في عدة مناطق بين أكثرية كنعانية. لم يتخّلوا عن الروح العدوانية التي تربوا عليها ونمت مع نموهم. كان لابدَّ أن يقوموا بأعمال عدوانية عسكرية ضد الآمنين من سكان المنطقة. وقد أخذت هذه الأعمال العدوانية طابع العصابات المجرمة الخارجة على القانون. وكانت تستخدم الحيلة والغدر من أجل تنفيذ العدوان وقتل الأبرياء. ودوماً كان رئيس هذه العصابات قاضِياً كما يسّميه كاتب سفر القضاة، ووراءه كاهن يحضّه على العدوان مشيراً إلى أنّ هذا الأمر من قبل يهوه ومن الضروري الالتزام بأوامر وقرارات يهوه.

فقد كانت النسبة الكبرى من هؤلاء القادمين من الصحراء قد ذابت فى المجتمع الكنعاني الحضاري وتركت يهوه لصالح آلهة الكنعانيين. وهذا ما أغاظ الكهنة أصحاب المصلحة في البقاء على يهوه وقرابين يهوه وتقدماته. فكان لابدَّ من استخدام المتمرّدين واللصوص لخلق جو مشحون بالتوتر والرّعب في نفوس الصّحراويين وذلك عن طريق التأكيد على أنَّ يهوه غاضبٌ من سلوكهم وتركهم إيّاه. ولا يمكن أن يكونوا في مأمن. إلّا إذا تخلّوا عن آلهة الكنعانيين وانعزلوا عن المجتمع الكنعاني وقدّموا القرابين والتقدمات ليهوه.

إنّ كاتب سفر القضاة يصّور لنا الأحداث تصويراً مسرّحياً، ففي كلّ إصحاح بشكل عام نجد أنّ بني إسرائيل يعملون الشّر في عيني الرّب ويعبدون

آلهة الكنعانيين فيدفعهم الرّب بأيدي ناهبين ربيعهم لأعدائهم ويسّلط هؤلاء الأعداء عليهم. وبعد سنوات يصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب ويستنجدونه فيقيم لهم مخلصاً بعد أن رأف بحالتهم ويخلصهم من أعدائهم، والطريقة التي يخلصهم فيها من أعدائهم لا تخلوا من الغدر والخيانة والخدعة والقتل.. إلخ. وبعد فترة يعاودون الكرّة ويعملون الشّر في عينّي الرّب فيغضب ويسّلط عليهم الأعداء مدة ثم يصرخون فيرسل لهم مخلصاً يخلصهم. فنقرأ: «وفعل بنو إسرائيل الشرّ في عينّي الرّب وعبدوا البعليم وتركوا الرّب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرّب. تركوا الرّب وعبدوا البعل وعشتاروت فحمي غضب الرّب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم. حيثما خرجوا كانت يد الرّب عليهم للشر كما تكلم الرّب وكما أقسم الرّب لهم فضاق بهم الأمر جداً. وأقام الرّب قضاةً فخلصوهم من يد ناهبيهم. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهةٍ أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرّب. لم يفعلوا هكذا. وحينما أقام لهم الرّب قضاةً كان الرّب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كلّ أيام القاضي لأنّ الرّب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها».

أمّا القضاة الذين أقامهم الرّب ليخلصوا بني إسرائيل فقد كان أكثرهم من المتمردين وقاطعي الطرق واللصوص الخارجين على القانون يتبعهم ثلة من العاطلين في المنطقة.. وكان أوّل هؤلاء القضاة «غينيئيل بن قناز» وجماعته وقتها كانت تحت سلطة الملك «كوشان رشعتايم» ملك آرام النهرين. فنقرأ: «فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنوات وصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب فأقام الرّب مخلصاً لبني إسرائيل فخلصهم، غينثيل بن قناز أخا كالب الأصغر. فكان عليه روح الرّب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب. فدفع الرّب ليده كوشان

رشعتايم ملك آرام واعتزّت يده على كوشان رشعتايم. واستراحت الأرض أربعين سنة ومات غينثيل بن قناز».

وكان المخلص الثاني أو القاضي «إهود بن جيرا» البنياميني الذي كان محترفاً الغدر والقتل، وقد أقامه يهوه ليخلص الإسرائيليين من تسّلط عجلون ملك موآب. وتمكّن إهود من إنقاذ بني إسرائيل بعد أن قتل الملك عجلون غدراً ومن ثمّ هاجم وجماعته الموآبيين وقتلوا نحو عشرة آلاف رجل، كما يروي كاتب سفر القضاة: «وصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب فأقام لهم الرّب مخلصاً إهود بن جيرا البنياميني رجلاً أعسر فأرسل بنو إسرائيل بيده هدّية لعجلون ملك موآب. فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراعٌ وتقلّده تحت ثيابه على فخذه اليمين. وقدّم الهدية لعجلون ملك موآب وكان عجلون رجلاً سميناً جداً. وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدّية. وأمّا هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال. لي كلام سر إليك أيّها الملك. فقال صه. وخرج من عنده جميع الواقفين لديه. فدخل إليه إهود وهو جالس في عليّة برودٍ كانت له وحده وقال إهود. عندي كلام الله إليك. فقام عن الكرسي. فمدَّ إهود يده اليسرى وأخذ السّيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه».

لقد تابع إهود عدوانه على الموآبيين فأمر جماعته بعد أن قتل الملك عجلون أن يتبعوه لإبادة الموآبيين فراح ضحية هذا العدوان عشرة آلاف رجل حسب ما يروي كاتب سفر القضاة.

«وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خلص إسرائيل».

ثمّ أقام بعده يهوه إمرأة تدعى «دبورة» وذلك بعد أن باعهم الرّب بيد يابين ملك كنعان لأنهّم عملوا الشرّ بعد وفاة شمجر بن عناة. فقامت «دبورة» تحضّ على العدوان وتخطط لضرب الكنعانيين وملكهم يابين وقائده سيسرا. وقد استخدمت لأجل هذا العمل العدواني رجلاً مغامراً متمرّداً معه ثّلة من العاطلين

من سبط نفتالي في قادش وكان يدعى «باراق بن أبنيوعم»، وحسب الرواية فإنّ باراق بن أبنيوعم وجماعته أبادوا كل جيش سيسرا بحدِّ السيف ولم يبق ولا واحد. وأمّا سيسرا قائد الجيش فقد هرب والتجأ في خيمة امرأة تدعى «ياعيل» وهي امرأة حابر القيني لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. ولكن ياعيل وكأيّ يهودي لم ترع العهد ولا الميثاق ولا الصلح فاحتالت على سيسرا وقتلته غدراً حيث نقرأ: «وأمّا سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل إمرأة حابر القيني. لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدي مل إليَّ لاتخف. فمال إليها إلى الخيمة وغطّته باللحاف. فقال لها اسقيني قليل ماءٍ لأنّي قد عطشت. ففتحت وطب اللبن وأسقته ثمّ غطته فقال لها قفي بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحدٌ وسألك أهنا رجلٌ أنّك تقولين لا. فأخذت ياعيل إمرأة حابر وتد الخيمة وجعلت المبتدة في يدها وثارت إليه وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض وهو متثقّلٌ في النوم ومتعبٌ فمات».

إنّ ما قامت به ياعيل صار مفخرة كبيرة، . لدى اليهود. ومثلاً سار عليه الخلف. . وقد ترّنمت دبورة بهذا السلوك واعتبرته من الأعمال الصّالحة التي يباركها الرّب يهوه فنقرأ: «تبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القيني على النساء في الخيام تبارك. طلب ماءً فأعطته لبناً في قصعة العظماء. قدّمت زبدةً مدّت يدها إلى الوتد ويمينها إلى مضراب العملة وضربت سيسرا وسحقت رأسه شدّخت وخرّقت صدغه».

وبعد وفاة «دبورة» عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيّني الرّب فغضب الرّب، وسّلط عليهم المديانيين سبع سنين، وقد عانى الإسرائيليون منهم معاناة كبيرة كما يروي كاتب سفر القضاة حتى صرخوا إلى الرّب مستنجدين فأقام لهم قاضياً جديداً يدعى «جدعون بن يوآش الأبيعزري» الذي كان مزارعاً يعمل مع والده حسب الروّاية. حيث أتاه ملاك الرّب وأمره ملاك الرّب أن يتجهز ليشن

عدواناً على المديانيين مشيراً إلى أنّ الرّب سيكون معه فنقرأ: «فقال له الرّب إني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد».

لقد اجتمع لجدعون عدد من العاطلين الخارجين على القانون وقدرهم كاتب السفر بثلاثمائة رجل. وبهم بدأ جدعون أعماله العدوانية هنا وهناك ضدّ المديانيين وقتل أميري المديانيين آنذاك وذئباً وقطع رأسيهما.

إنّ جدعون هذا كان خارجاً على القانون، والسلطات المحلية تطارده ومن معه، فكان يلجأ من مكان إلى مكان ويستخدم العنف والغدر للحصول على الطعام من السكان الآمنين في المنطقة. فهو وبعد أن نجح في قتل «غراب وذئب» بحيلة دبرها وجماعته، هربوا إلى الأردّن. ووصل سكّوت فطالب سكانها أن يعطوه خبزاً ليتابع عدوانه فرفض أهل سكوت فهم يعرفون أنّه خارج على القانون والسلطات المحلية تلاحقه، لهذا هدّدهم جدعون قائلاً: «عندما يدفع الرّب زبح وصلمناع بيدّي أدرس لحمكم مع أشواك البّرية بالنوارج».

وكذلك فعل معه أهل فنوئيل، فوعد بهدم برج فنوئيل، وتابع سيره إلى أن وصل إلى منطقة تدعى «قرقر» حيث يعسكر هناك ملكاً مديان «زبح وصلمنَّاع» ومعهما جيش يقدره كاتب السفر بخمسة عشر ألفاً، وقد تمكن جدعون من القضاء على هذا الجيش وأسر الملكين المديانيين زبح وصلمناع، ثم جاء إلى سكُّوت كما وعد فنقرأ: «ودخل إلى أهل سكُّوت وقال هوذا زبح وصلمناع اللذان عيرتموني بهما قائلين هل أيدي زبح وصلمنَّاع بيدك الآن حتى نعطي رجالك المعيين خبزاً. وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلَّم بها أهل سكُّوت. وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة».

إنّ جدعون هذا الذي كلّفه الرّب شخصياً ليكون قاضياً على إسرائيل ومخلصاً لبني إسرائيل من سطوة المديانيين، تخلى عن هذا الإله بعد أن حقّق انتصاراته على الآمنين وسرق منهم أقراط الذهب والفضة بالإضافة إلى الأهلَّة والحلق وأثواب الأرجوان والقلائد التي في أعناق جمالهم. فصنع في مدينته

عفرة أقوداً حيث نقرأ: «فصنع جدعون منها أقوداً وجعله في مدينته في عفرة وزنى كلّ إسرائيل وراءه هناك فكان ذلك لجدعون وبيته فخّاً».

ونقرأ أيضاً في سفر القضاة عن «يفتاح الجلعادي» الذي أقامه يهوه ليكون قاضياً على إسرائيل وكيف قام بأعماله العدوانية ضدّ السكان الآمنين في عبر الأردّن في أرض الأموريين في جلعاد. وهذا القاضي كان ابن امرأة زانية حسب الروّاية التوراتية، وكان خارجاً على القانون ومعه عدد من الرّجال البطالين الذين التفّوا حوله.

قام يفتاح الجلعادي بأعمال عدوانية متعددة ضدَّ عمون كما يروي كاتب سفر القضاة حيث نقرأ: «ثم عبر يفتاح إلى بني عمّون لمحاربتهم فدفعهم الرّب ليده. فضربهم من عروعير إلى مجيئك إلى منّينت عشرين مدينة وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جداً».

ومن القضاة أيضاً «شمشون» الذي كان جبّاراً كما يصفه كاتب السفر، وتزوّج من امرأة فلسطينية. وقد قام شمشون بأعمال عدوانية كثيرة ضدّ الفلسطينيين، فنقرأ أنّه قتل في مدينة أشقلون ثلاثين رجلاً وأخذ سلبهم.

ونقرأ أيضاً أنّه أمسك ثلاثمائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ثمّ أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزّرع وكروم الزيتون.

كان شمشون مطارداً من قبل السلطات المحلية لأنّه كان من الخارجين عن القانون وشرساً إلى الدرجة التي لم يكن فيها قادراً على العيش دون أن يقتل ويسلب ويغزو السكان في المنطقة، فالعدوان في عروقه، وقد راح ضحية هذه الرّوح العدوانية آلاف الفلسطينيين كما يرد في الرواية التوراتية.

وفي الإصحاح الثامن عشر من سفر القضاة، نقرأ عن عدوانٍ بشع قام به أفراد عشيرة «الدّانيون» بنودان أحد أسباط بني إسرائيل، ضدّ سكان منطقة «لايش» الذين كانوا يعيشون حياة هانئة مطمئنة حيث نقرأ: «فأرسل بنو دان من

عشيرتهم خمسة رجالٍ منهم بني بأس من صرعة ومن أشتأول لتجسّس الأرض وفحصها. فذهب الخمسة الرجال وجاءوا إلى لايش ورأوا الشعب الذي فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس في الأرض مؤذٍ بأمرٍ وارثٌ رياسة وهم بعيدون عن الصيدونيين وليس لهم أمرٌ مع إنسان.

فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول ستمائة رجل متسّلحين بعّدة الحرب. وصعدوا وحلّوا في قرية يعاريم في يهوذا».

«وجاءوا إلى لايش إلى شعبٍ مستريح مطمئنٍ وضربوهم بحدِّ السيف وأحرقوا المدينة بالنّار. ولم يكن من ينقذ لأنّها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمرٌ مع إنسان. وهي في الوادي الذي لبيت رحوب. فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل وأقام بنودان لأنفسهم التمثال المنحوت».

وفي سفر صموئيل الأوّل نقرأ من الحضّ على العدوان والسلوك العدواني الذي نفّذه شاول وجماعته بتوجيهات من صموئيل النبّي أو الكاهن الذي كان يؤكد دائماً أنّ الإله يهوه يرغب في ذلك، وهذه الرغبة هي قرار ثابت لا مجال للتخّلي عنه أو التردّد في تنفيذه. «فيهوه» منتقم، مرعب، غيور، يغضب فوراً يسير أمام جنوده، يحارب عنهم ويأمر بذبح البشر وتدمير المدن وقتل الشيوخ والأطفال، هكذا كان يصّوره صموئيل أو يريده، إلهاً غاضباً، قاسياً متعطشاً للعنف والقتل والدماء، وهو في حمأة غضبه يضرب بالوباء، أو يشقّ الأرض لتبتلع الناس أو يصعق بالموت. أو يسّلط النار لتلتهم النّاس وتأكلهم أو يضرب الناس بالبواسير.

إن شاول الذي مسحه لاحقاً صموئيل ملكاً على إسرائيل كما يروي كاتب سفر القضاة، كان متمرداً وخارجاً على القانون ومعه عدد من العاطلين المتمردين أيضاً لا هم لهم إلّا العدوان والسلب والنهب، وقد تبنّاه الكاهن الحاقد صموئيل ودعمه مشيراً إلى أنّ يهوه وراءه، فنقرأ: «وقال صموئيل لشاول إيّاي أرسل الرّب

لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل والآن فاسمع صوت كلام الرّب. هكذا يقول ربّ الجنود. إنّي قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له بالطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كلّ ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً. فاستحضر شاول الشعب وعدّه في طلايم مائتي ألف راجلٍ وعشرة آلاف رجل من يهوذا».

فالسلطة المحّلية كانت تلاحق هؤلاء العصاة المتمردين الذين كانوا يختبئون في المغاور والكهوف خلال النهار ويتحركون ليلاً يقطعون الطرق ويسلبون الناس الآمنين. فنقرأ: «وقال شاول لننزل وراء الفسطينيين ليلاً وننهبهم إلى ضوء الصباح ولا نبقي منهم أحداً».

وفي نفس الفترة التي كان فيها شاول متمرداً وخارجاً على القانون ويقف وراءه الكاهن صموئيل، كان داود يظهر على السّاحة شيئاً فشيئاً، يقضي أيامه في الغزو والسّطو بتوجيهات من الرّب يهوه مباشرة فنقرأ: «فقال الرّب لداود اذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة».

وكان داود يسأل الرّب ليتأكد إن كان بمقدوره ضربهم والانتصار عليهم ويجيبه الرّب مؤكداً على أنّه سيدفعهم إلى يده وسيتمكن منهم فنقرأ: «فعاد أيضاً داود وسأل من الرّب فأجابه الرّب وقال قم انزل إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين فإني أدفع الفلسطينيين ليدك، فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلّص داود سكان قعيلة».

«وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأنّ هؤلاء من قديم سكّان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. وضرب داود الأرض ولم يستبقِ رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش».

لقد خلت السّاحة لداود بعد أن مات شاول ونشط في عملياته العسكرية ضد السكان من الفلسطينيين والموآبيين والكنعانيين بشكل عام. ولم يكن هناك

من يقف في وجهه لأنّ الرّب معه، وهو الذي يحضّه ويدفعه لأن يغزو ويحارب عنه حسب ما يرد في سفر صموئيل الثاني، حيث نقرأ: «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ زمام القصبة من يد الفلسطينيين وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبلٍ للاستحياء».

«وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرّد سلطته عند نهر الفرات فأخذ داود منه ألفاً وسبعمائة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مائة مركبة».

«وقتل داود من آرام سبعمائة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك».

إنّ الأنبياء أو الكهنة أو رجال الله الناطقون باسم يهوه كانوا دوماً وراء كل الأعمال العدوانية والانغلاق والتعصّب والحقد تجاه الشعوب والأمم الأخرى. لا نقرأ عن أي واحد منهم كان يحضُّ على السلام والمحبة والتآخي والعفو عند المقدرة والتسامح.. جميعهم يحضّون على العدوان والإبادة والقتل وعدم الرأفة، والتمّسك بالإله يهوه ربّ الجنود هذا الإله الحاقد الذي لا يرتاح إلّا بمنظر الدماء، والقتل والتحريم والقطع، وحرق المدن. في سفر الملوك الثاني مثلاً نقرأ أنّ يهورام ملك إسرائيل ويهو شافاط ملك يهوذا اتفقا على محاربة موآب، وقرّرا استشارة نبّي ليسأل لهم الإله يهوه إن كان سيدفع ليدهم موآب أم لا. فأحضرا أليشع بن شافاط وكان نبيّاً آنذاك فقال لهم: «هكذا قال الرّب اجعلوا هذا الوادي جباباً لأنّه هكذا قال الرّب لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً وهذا الوادي يمتلئ ماءً فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم. وذلك يسيرٌ في عيني الرّب فيدفع موآب إلى أيديكم فتضربون كل مدينة محصّنة وكلّ مدينة مختارة وتقطعون كلّ شجرة طيبة وتطمّون جميع عيون الماء وتفسدون كلّ حقلة جيدة بالحجارة».

وفي سفر أشعيا، نجد أنّ هذا النّبي «أشعيا» يشعر بالكآبة والإحباط من

التقصير الذي يراه من بني إسرائيل، فهو يريدهم أن لايستريحوا من أعمال العدوان، نظراً لأنّ الإله يهوه يبغض الأمم الأخرى ويحقد عليها ويرغب في سحقها وإبادتها من أجل شعبه الخاصّ المقّدس. لهذا فإنّ سفر أشعيا عبارة عن دروس في الحقد والعنصرية والعنف، يحذّر فيها اليهود من التخلّي عن أعمال العدوان والتسّلط والقتل حتى لا يغضب الإله يهوه وتنفيذاً للشريعة التي بنيت على التحريم والقطع والحضّ على العدوان والفوقية والعنصرية. فنقرأ: «اقتربوا أيّها الأمم لتسمعوا وأيّها الشعوب أصغوا. لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكلّ نتائجها. لأنّ للرّب سخطاً على كلّ الأمم وحموّاً عل كل جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفنى كلّ جند السماوات وتلتف السماوات كدرجٍ وكلٌ جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسُّقاط من التينة. لأنّه قد روي في السماوات سيفي هو ذا على أدوم ينزل وعلى شعبٍ حرّمته للرّب سيفٌ قد امتلأ دماً طلي بشحم بدم خرافٍ وتيوسٍ بشحم كلى كباشٍ لأنّ للرّب ذبيحة في بُصرة وذبحاً عظيماً في أرض أدوم. وسقط البقر الوحشيُّ معها. والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدّم وترابهم من الشحم يسمَّن. لأنَّ للرّب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون».

ونقرأ في موضع آخر: «ولكن هكذا يقول ربّ الجنود لا تخف من آشور يا شعبي الساكن في صهيون. يضربك بالقضيب ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر. لأنّه بعد قليل جداً يتُّم السّخط وغضبي في إبادتهم. ويقيم عليه ربُّ الجنود سوطاً كضربة مديان».

«هوذا السيد ربّ الجنود يقضب الأغصان برعبٍ والمرتفعو القامة يقطعون. والمتشامخون ينخفضون. ويقطع غاب الوعر بالحديد ويسقط لبنان بقديرٍ».

ثم نقرأ في الإصحاح الثالث عشر: «وحيٌ من جهة بابل رآه إشعيّاء بن آموص. أقيموا رايةً على جبل أقرع. ارفعوا صوتاً إليهم أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة. أنا أوصيت مقدَّسِي ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخري عظمتي

صوت جمهورٍ على الجبال شبه قومٍ كثيرين صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. ربّ الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض بعيدةٍ من أقصى السماوات. الرّب وأدوات سخطه ليخرب كلّ الأرض».

«هوذا يوم الرّب قادم قاسياً بسخطٍ وحموّ غضبٍ ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها».

إنّ كافة الأمم والشعوب في نظر إشعيا خطاة وبالتالي فإنّ يهوه سيبيدهم من الوجود قتلاً ليبقى شعبه الخاصّ المقدس فقط فنقرأ: «وأعاقب المسكونة على شرّها والمنافقين على إثمهم وأبطل تعظّم المستكبرين وأضع تجبّر العتاة. وأجعل الرجل أعزّ من الذّهب الإبريز والإنسان أعزّ من ذهب أوفير لذلك أزلزل السّموات وتتزعزع الأرض من مكانها في سخط ربّ الجنود وفي يوم حموّ غضبه ويكون كظبي طريدٍ وكغنمٍ بلا من يحميها يلتفتون كلّ واحد إلى شعبه ويهربون كلُّ واحد إلى أرضه. كلُّ من وجد يطعن وكلّ من انحاش يسقط بالسّيف. وتحطّم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم».

لقد تعمد إشعّياء أو كاتب سفر إشعيّاء أن يحسم موضوع التهاون في مسألة الاندماج والمساواة والإنسانية، فاليهود هم الأخيار، هم النخبة والزرع المقدس، هم الأسياد، وهذا ما ينبغي، أن يفهمه كل يهودي ويغدو منهجاً وطريقاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك. وهذا يستدعي دون شّك استخدام العنف والقسوة. فنقرأ: «لأنّ الرّب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمثلكم بيت إسرائيل في أرض الرّب عبيداً وإماءً».

وفي الإصحاح الثلاثين نقرأ: «هوذا اسم الرّب يأتي من بعيد غضبه مشتعلٌ والحريق شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنارٍ آكلةٍ ونفخته كنهرٍ غامرٍ يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السّوء وعلى فكوك الشّعوب رسنٌ مضلٌّ».

ونقرأ في الإصحاح التاسع والأربعين: «هكذا قال السيد الرّب ها إنّي أرفع

إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أنّي أنا الرّب الذي لا يخزي منتظروه».

ويستُّمر إشعيّاء في التأكيد على أنّ كافة الأمم سوف تكون في خدمة إسرائيل حيث نقرأ: «لأنّه تتحوّل إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم». . «وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك. وتنفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق. ليؤتىّ إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأنّ الأمّة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم».

«ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أمّا أنتم فتدعون كهنة الرّب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون».

كما نجد هذه النزعة العدوانية في سفر إرمّيا أيضاً. وكاتب هذا السفر يركز على ضرورة التمسّك بالرّوح العدوانية تجاه كافة الشعوب وهو يحذر من مغبة التخّلي عن هذه الرّوح، لأنّ غضب يهوه سريعٌ وتعطشه للدماء لاحدود له. فنقرأ: «الرّب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزأر زئيراً على مسكنه بهتافٍ كالدّائسين يصرخ ضدّ كلّ سكان الأرض بلغ الضجيج إلى أطراف الأرض لأنّ للرّب خصومة مع الشّعوب هو يحاكم كلّ ذي جسدٍ يدفع الأشرار للسّيف يقول الرّب. هكذا قال رب الجنود. هوذا الشّر يخرج من أمّةٍ إلى أمّةٍ وينهض نوءٌ عظيمٌ من أطراف الأرض. وتكون قتلى الرّب في ذلك اليوم من أقصاء الأرض إلى أقصاء الأرض. لا يندبون ولا يضّمون ولا يدفنون. يكونون دمنةً على وجه الأرض».

فإرميّا النبي، الناطق باسم يهوه لاينسى أبداً أن يؤكد لبني إسرائيل أنّ يهوه ورغم ما يحمله من حقدٍ تجاه كل الأمم وتجاه من يتخّلى عن شريعته وقراراته

فإنّه سيعيد لبني إسرائيل أمجادهم حتى لو أفنى كل الأمم الأخرى. لكن بشرط أن لا يندمجوا بالشعوب، وأن لايتخلوا عن العدوان بأشكاله المختلفة. فنقرأ: «أمّا أنت ياعبدي يعقوب فلا تخف يقول الرّب ولا ترتعب يا إسرائيل لأنّي ها أنذا أخلصّك من بعيدٍ ونسلك من أرض سبيه فيرجع يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مزعج. لأني أنا معك يقول الرّب لأخلّصك وإن أفنيت جميع الأمم الذين بدّدتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحقّ ولا أبّرئك تبرئةً. لأنّه هكذا قال الرّب كسرك عديم الجبر وجرحك عضالٌ. ليس من يقضي حاجتك للعصر. ليس لك عقاقير رفادةٍ. قد نسيك كلُّ محبيك. إياك لم يطلبوا لأني ضربتك ضربة عدوٍّ تأديب قاسٍ لأنّ إثمك قد كثر وخطاياك تعاظمت قد صنعت هذه بك. لذلك يؤكل كلّ آكليك ويذهب كلُّ أعدائك قاطبة إلى السَّبي ويكون كلُّ سالبيك سلباً وأدفع كلُّ ناهبيك للنهب».

«هوذا زوبعة الرّب تخرج بغضبٍ. نوءٌ جارفٌ على رأس الأشرار يثور. لا يرتدُّ حموُّ غضب الرّب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه».

إنّ إرميا، يصبّ جام غضبه وحقده على كلّ الشعوب والأمم مؤكداً أن يهوه سوف يفني هذه الأمم وسيبيدها ويقتل شبانها وأطفالها وشيوخها ويحرق مدنها من أجل شعبه الخاصّ المقدس. فيبدأ بمصر ويصّب لعنته عليها ويدفعها ليد نبوخذ نصر ملك بابل فيضرب جيشها ويبيده وينتقم يهوه من المصريين فنقرأ: «فهذا اليوم للسيد رب الجنود. يوم نقمةٍ للانتقام من مبغضيه فيأكل السّيف ويشبع ويرتوي من دمهم. لأنّ للسّيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات».

ويتابع إرميّا إلى بابل، مؤكداً على فنائها وعودة اليهود منها إلى أورشليم، بأمانٍ واطمئنان. ثمّ يركز على أنّ الفلسطينيين سيهلكون، هكذا قال له الرّب فنقرأ: «كلمة الرّب التي صارت إلى إرميّا النبي عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة».

«بسبب اليوم الآتي لهلاك كلّ الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كلّ بقيةٍ تعين لأنّ الرّب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور».

ويتوعد أيضاً بضرب موآب وتخريبها وإبادتها من الوجود. حيث نقرأ: «قريبٌ مجيء هلاك موآب وبليتها مسرعةٌ جداً. اندبوها يا جميع الذين حواليها وكلّ العارفين اسمها قولوا كيف انكسر قضيب العزّ عصا الجلال. انزلي من المجد اجلسي في الظّلماء أيتها الساكنة بنت ديبون لأنّ مهلك موآب قد صعد إليك وأهلك حصونك. قفي على الطريق وتطلعي يا ساكنة عروعير. اسألي الهارب والناجية قولي ماذا حدث. قد خزي موآب لأنّه قد نقض. ولولوا واصرخوا أخبروا في أرنوب أنّ موآب قد أُهلك».

كما يتوعّد بني عمّون قائلاً: «ها أيامٌ تأتي يقول الرّب وأسمع في ربّة بني عمّون جلبة حربٍ وتصير تلاً خرباً وتحرق بناتها بالنّار فيرث إسرائيل الذين ورثوه يقول الرّب».

أمّا عن أدوم فيقول: «لأنّي بذاتي حلفت يقول الرّب بصرة تكون دهشاً وعاراً وخراباً ولعنة وكلّ مدنها تكون خرباً أبديةٍ».

«وتصير أدوم عجباً كلُّ مارٍّ بها يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها كانقلاب سدوم وعمورة ومجاوراتها يقول الرّب لايسكن هناك إنسان ولا يتغرب فيها ابن آدم».

وعن دمشق: «خزيت حماة وأرفاد. قد ذابوا لأنهم قد سمعوا خبراً رديئاً. في البحر اضطراب لا يستطيع الهدوء. ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق والأوجاع كما خضٍ كيف لم تترك المدينة الشهيرة قرية فرحي. لذلك يسقط شبانها في شوارعها وتهلك كلّ رجال الحرب في ذلك اليوم يقول ربّ الجنود».

كما يعرج على قيدار وممالك حاصور قائلاً: «وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة إلى الأبد، لا يسكن هناك إنسان ولا يتغرّب فيها ابن آدم».

وأيضاً يتوعد عيلام قائلاً: «كلمة الرّب التي صارت إلى إرميّا النبي على عيلام. في ابتداء ملك صديقيا ملك يهوذا قائلة. هكذا قال ربّ الجنود. هاأنذا أحطم قوس عيلام أول قوتهم وأجلب على عيلام أربعة رياحٍ من أربعة أطراف السماء وأذريهم لكل هذه الرياح ولا تكون أمة إلا ويأتي إليها منفيو عيلام. وأجعل العيلاميين يرتعبون أمام أعدائهم وأمام طالبي نفوسهم وأجلب عليهم شرّاً حموَّ غضبي يقول الرّب. وأرسل وراءهم السّيف حتى أفنيهم».

وأخيراً يتناول بابل وأرض الكلدانيين متوّعداً أيضاً ومشيراً إلى أنّ الهلاك آت والخراب كبيرٌ، وأنّ يهوه سيسّلط على البابليين شعباً كبيراً جباراً يأتي من الشمال فيدمر ويحرق ويقتل ويسبي دون رحمة أو شفقة وينتقم له منهم لأنّهم سبوا شعبه الخاصّ المدلل. فنقرأ في عدة مواضع ضمن الإصحاح الخمسين: «ها أنذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوبٍ عظيمةٍ من أرض الشمال فيصطفون عليها. من هناك تؤخذ. نبالهم كبطلٍ مهلكٍ لا يرجع فارغاً وتكون أرض الكلدانيين غنيمة. بكل مغتنميها يشبعون يقول الرّب».

«بسبب سخط الرّب لا تسكن بل تصير خربةً بالتمام كل مارٍّ ببابل يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها. اصطفوا على بابل حواليها يا جميع الذين ينزعون في القوس. ارموا عليها لا توفروا السهام لأنّها قد أخطأت إلى الرّب. اهتفوا عليها حواليها. قد أعطت يدها. سقطت أسسها. نقضت أسورها لأنّها نقمة الرّب هي فانقموا منها».

«هكذا قال الرّب. ها أنذا أوقظ على بابل وعلى الساكنين في وسط القائمين عليَّ ريحاً مهلكة. وأرسل إلى بابل مذرين فيذرونها ويفرغون أرضها لأنهم يكونون عليها من كلّ جهة في يوم الشرا. على النازع في قوسه فلينزع النازع وعلى المفتخر بدرعه فلا تشفقوا على منتخبيها بل حرموا كل جندها. فتسقط القتلى في أرض الكلدانيين والمطعونون في شوارعها».

ويتابع إرميّا مواعظه لبني إسرائيل متوعداً كالمعتاد ومهدداً بربّ الجنود يهوه

المنقذ الوحيد لهم وقضيب الميراث الأوحد الذي يجعل منهم قوة ضاربة قادرة على سحق كل الأمم. بسكانها ومدنها وأطفالها وشيوخها.. فنقرأ: «أنت لي فأسٌ وأدوات حربٍ فأسحق بك المركبة وراكبها. وأسحق بك الرجل والمرأة وأسحق بك الشيخ والفتى واسحق بك الغلام والعذراء. وأسحق بك الراعي وقطيعه. وأسحق بك الفلاح وفدانه. وأسحق بك الولاة والحكام. وأكافئ بابل وكلّ سكان أرض الكلدانيين على كلّ شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم يقول الرّب».

«لذلك هكذا قال الرّب. ها أنذا أخاصم خصومتك وأنتقم نقمتك وأنشف بحرها وأجفف ينبوعها. وتكون بابل كوماً ومأوى بنات آوى ودهشاً وصفيراً بلا ساكنٍ».

وكما كان إرميّا متشدداً في أمر التمسّك بالروح العدوانية والسلوك العدواني، فإنّ حزقيال النبي أيضاً رفع راية الحقد والعدوان محذّراً ومهدداً ومتوعداً بأنّ يهوه لن يسمح أبداً بالتخلي عن هذه النزعة، وسيصب جام غضبه حتى على شعبه الخاص المقدس إن تردد أو تجاهل هذا الأمر.. فنقرأ في سفر حزقيال مزيداً من أفكار الحضّ على العدوان والسلوك العدواني بلسان النبي حزقيال الناطق باسم يهوه.

وأيضاً اتبع حزقيال نفس الأسلوب الذي اتبعه إرميّا في صبّ جام غضبه على الشعوب والأمم مؤكداً على أنها ستباد وستدمر وستحرق لأنّها رأت مذّلة إسرائيل وفرحت حسب رأيه فنقرأ: «وكان إليَّ كلام الرّب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو بني عمون وتنبأ عليهم. وقل لبني عمون اسمعوا كلام السيد الرّب. هكذا قال السّيد من أجل أنك قلت هه على مقدسي لأنّه تنجس وعلى أرض إسرائيل لأنّها خربت وعلى بيت يهوذا لأنهم ذهبوا إلى السبي. فلذلك ها أنذا أسلمك لبني المشرق ملكاً فيقيمون صيرهم فيك ويجعلون مساكنهم فيك. هم يأكلون غلتك وهم يشربون لبنك وأجعل ربة مناخاً للإبل وبني عمون مربضاً للغنم فتعلمون أني أنا الرّب. لأنّه هكذا قال السّيد الرّب. من أجل أنك صفقت

بيديك وخبطت برجليك وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل فلذلك ها أنذا أمد يدي عليك وأسلمك غنيمة للأمم واستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأراضي. أخربك فتعلم أني أنا الرّب.

وهذا ما جرى على موآب وسعير فنقرأ: «من أجل أنّ موآب وسعير يقولون هو ذا بيت يهوذا مثل كلّ الأمم. لذلك ها أنذا أفتح جانب موآب من المدن. من مدنه من أقصاها بهاء الأرض بيث بشيموت وبعل معون وقرتيايم. لبني المشرق على بني عمون وأجعلهم ملكاً لكيلا يذكر بنو عمون بين الأمم وبموآب أجري أحكاماً فيعلمون أني أنا الرّب».

ولم تنجُ أدروم من العدوان فكانت من المناطق التي رأى حزقيال ضرورة إبادتها والانتقام من سكانها وهو ما أشار إليه السّيد الرّب فنقرأ: «من أجل أنّ أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرّب وأمدُّ يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خراباً من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي فيعرفون نقمتي يقول السيد الرّب».

ثمّ نقرأ عن توعده لاستئصال الفلسطينيين من الوجود، فيقول: «من أجل أنّ الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام وانتقموا نقمةً بالإهانة إلى الموت للخراب من عداوةٍ أبديةٍ فلذلك هكذا قال السّيد الرّب ها أنذا أمدُّ يدي على الفلسطينيين وأستأصل الكريتيين وأهلك بقية ساحل البحر. وأجري عليهم نقماتٍ عظيمةٍ بتأديب سخطٍ فيعلمون أنّي أنا الرّب إذ أجعل نقمتي عليهم».

ويتابع حزقيال ما قاله الإله يهوه بشأن الأمم والشعوب ويتحدّث عن صور بلسان يهوه مهدّداً ومتوّعداً بتخريب أسوارها وأبراجها وقتل سكانها بالسيف ونهب ثرواتها. فقط لأنّها قالت على أورشليم «هه». فنقرأ بعضاً من هذا التوّعد: «ها أنذا عليك ياصور فأصعد عليك أمماً كثيرة كما يُعلّي البحر أمواجه فيخربون أمواج صور ويهدمون أبراجها وأسحي ترابها عنها وأصيّرها ضحَّ الصخر. فتصير مبسطاً

للشّباك في وسط البحر لأنيّ أنا تكلّمت يقول السّيد الرّب وتكون غنيمةً للأمم وبناتها اللواتي في الحقل تقتل بالسّيف فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ثم يتحدّث عن صيدون قائلاً: «ها أنذا عليك ياصيدون وسأتمجد في وسطك فيعلمون أني أنا الرّب حين أجري فيها أحكاماً وأتقدّس فيها وأرسل عليها وباءً ودماً إلى أزّقتها ويسقط الجرحى في وسطها بالسّيف الذي عليها من كل جانبٍ فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ويتحدّث أيضاً عن مصر قائلاً: « ها أنذا أجلب عليك سيفاً وأستأصل منك الإنسان والحيوان وتكون أرض مصر مقفرة وخربةً فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ويبدو أنّ حزقيال مستاءٌ من سكان جبل «سعير». فهو يكرّر توعّده لهم نقلاً عن السّيد الرّب فيقول: «ها أنذا عليك يا جبل سعير وأمدُّ يدي عليك وأجعلك خراباً مقفراً. أجعل مدنك خربةً وتكون أنت مقفراً وتعلم أنّي أنا الرّب. لأنّه كانت لك بغضةٌ أبدّيةٌ ودفعت بني إسرائيل إلى يد السّيف في وقت مصيبتهم وقت إثم النهاية. لذلك حيٌّ أنا يقول السّيد الرّب إني أهيئُك للدَّم والدّم يتبعك. إذ لم تكره الدَّم فالدَّم يتبعك فأجعل جبل سعير خراباً ومقفراً وأستأصل منه الذَّاهب والآئب.. وأملأ جباله من قتلاه. تلالك وأوديتك وجميع أنهارك يسقطون فيها قتلى بالسّيف وأصيّرك خرباً أبدّيةً ومدنك لن تعود فتعلمون أني أنا الرّب».

ثم يذكر أرض ماجوج ورئيسها «جوجٍ». فهي من المناطق المعادية لبني إسرائيل وينبغي سحقها وعبادتها أيضاً حتى يرتاح شعب يهوه الخاص المقدّس. فنقرأ: «ها أنذا عليك ياجوج رئيس روشٍ ماشك وتوبال. وأردّك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشّمال وآتي بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت. وكلّ جيشك والشعوب الذين معك أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كلّ نوعٍ ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط لأني تكلّمت يقول السّيد الرّب. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أنيّ أنا الرّب».

ويتابع بهذه اللغة الحاقدة القاسية المليئة بالرّوح العدوانية قائلاً: «قل لطائر كل جناحٍ ولكلّ وحوش البرِّ اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كلّ جهةٍ إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم. ذبيحةً عظيمةً على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً. تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم رؤساء الأرض. كباشٌ وحملانٌ وأعتدةٌ وثيرانٌ كلّها من قسّمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشّبع وتشربون الدَّم إلى السُّكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم. فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكلّ رجال الحرب يقول السّيد الرّب».

وفي الأسفار التوراتية الباقية «هوشع، يوئيل، عاموس، يونان، عوبديا، ميخا، ناحوم، حبّقوق، صفنيا، حجّي، زكريّا، ملاخي» في هذه الأسفار نجد أيضاً تلك الرّوح العدوانية، التي لا تتحدث إلّا عن القتل والتدّمير والاستئصال والقطع والتحريم والسّبي وغضب رّب الجنود يهوه وتوعّده الدائم بالإبادة وتهديده المستمر لشعبه الخاص إن حاول أن يتخّلى عن هذه الرّوح العدوانية. وكلّ نبيّ من هؤلاء يشير في سفره أنّ يهوه سيفني الشعوب والأمم من أجل بني إسرائيل، سيدّمر المدن ويقتل النساء والأطفال والشيوخ وأورشليم وحدها هي الباقية ويسكب الرّب روحه على كل واحد من بني إسرائيل، ويحاكم جميع الأمم والشعوب بعد أنّ يردّ سبي يهوذا وإسرائيل. فنقرأ: «لأنّه هوذا في تلك الأيام وفي ذلك الوقت عندما أردُّ سبي يهوذا وأورشليم أجمع كلَّ الأمم وأنزلهم إلى وادي يهو شافاط وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل».

«وماذا أنتّن لي يا صور وصيدون وجميع دائرة فلسطين. هل تكافئوني عن العمل أم هل تصنعون بي شيئاً. سريعاً بالعجل أردُّ عملكم على رؤوسكم لأنكم أخذتم فضتي وذهبي وأدخلتم نفائسي الجيّدة إلى هياكلكم. وبعتم بني يهوذا وبني أورشليم لبني اليادانيين لكي تبعدوهم عن تخومهم. ها أنذا أنهضهم من الموضع الذي بعتوهم إليه وأردُّ عملكم على رؤوسكم. وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسَّبائيين لأمّةٍ بعيدةٍ لأنّ الرّب قد تكلّم».

أمّا عاموس النّبي فهو يدعو إلى معاقبة الشعوب والأمم جميعها والرّب هو

الذي أخبره بذنوب هذه الأمم والشعوب. وهو الذي سيعاقبها قتلاً وتدميراً وإبادةً فنقرأ: «هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب دمشق الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد. فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور بنهدد وأكسر مغلاق دمشق وأقطع السآكن من بقعة آون وماسك القضيب من بيت عدنٍ ويسبى شعب آرام إلى قير قال الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب غزَّة الثلاثةِ والأربعةِ لا أرجع عنه لأنّهم سبوا سبياً كاملاً لكي يسّلموه إلى أدوم فأرسل ناراً على سُورِ غزّة فتأكل قصورها. وأقطع السّاكن من أشدود وماسك القضيب من أشقلون وأردُّ يدي على عقرون فتهلك بقّية الفلسطينيين قال السيد الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهّم سلّموا سبياً كاملاً إلى أدوم ولم يذكروا عهد الأخوة. فأرسل ناراً على سور صور فتأكل قصورها».

«هكذا قال الرّب. من أجلِ ذنوب أدوم الثلاثة والأربعة لا أرجع لأنّه تبع بالسيف أخاه وأفسد مراحمه وغضبه إلى الدّهر يفترس وسخطه يحفظه إلى الأبد فأرسل ناراً على تيمان فتأكل قصور بصرة».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب بني عمّون الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم شقّوا حوامل جلعاد لكي يوسّعوا تخومهم. فأضرم ناراً على سور ربّة فتأكل قصورها. بجلبةٍ في يوم القتال بنوءٍ في يوم الزّوبعة. ويمضي ملكهم إلى السّبي هو ورؤساؤه جميعاً قال الرّب».

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب موآب الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم أحرقوا عظام ملك أدوم كلساً. فأرسل ناراً على موآب فتأكل قصور قريوت ويموت موآب بضجيج بجلبةٍ بصوت البوق وأقطع القاضي من وسطها وأقتل جميع رؤسائها معه قال الرّب».

وفي سفر عوبديا نقرأ: «هكذا قال السّيد الرّب عن أدوم: سمعنا خبراً من

قبل الرّب وأرسل رسولٌ بين الأمم. قوموا ولنقم عليها للحرب. إنّي قد جعلتك صغيراً بين الأمم. أنت محتقرٌ جداً».

كما نِقرأ في سفر ميخا: «قومي ودوسي يا بنت صهيون لأنّي أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأحرّم غنيمتهم للرّب».

وهذا ناحوم النّبي أيضاً يصُب جام غضبه على نينوى فيتوّعد ويتهّدد ويزمجر غاضباً متأثراً بالإله يهوه فنقرأ: «الرّب إله غيورٌ ومنتقمٌ. الرّب منتقمٌ وذو سخطٍ. الرّب منتقمٌ من مبغضيه وحافظٌ غضبه على أعدائه».

«من يقوم أمام سخطه ومن يقوم في حموٌ غضبه، غيظه ينسكب كالنّار والصخّور تنهدم منه».

«قفوا قفوا ولا ملتفت انهبوا فضةً انهبوا ذهباً. فلا نهاية للتّحف للكثرةِ من كلّ متاعٍ شهيٍّ».

«ها أنا عليك يقول رّب الجنود. فأحرق مركباتك دخاناً وأشبالك يأكلها السّيف وأقطع من الأرض فرائسك ولا يسمع أيضاً صوت رسلك».

ثمّ يصف لنا «صفنيا» النّبي المآسي التي ستعاني منها الشعوب والأمم من جرّاء غضب يهوه وسخطه عليهم لأنّهم لا يؤمنون به فنقرأ: «لأنّ غزّة تكون متروكةً وأشقلون للخراب. أشدود عند الظهيرة يطردونها وعقرون تستأصل. ويل لسكّان ساحل البحر أمّة الكريتيين. كلمة الرّب عليكم ياكنعان أرض الفلسطينيين إنّي أخربك بلا ساكنٍ ويكون ساحل البحر مرعىً بآبارٍ للرعاة وحظائر الغنم. ويكون الساحل لبقية يهوذا عليه يرعون في بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأنّ الرَّبَّ إلههم يتعهَّدهم ويردُّ سبيهم».

«حيٌّ أنا يقول ربُّ الجنود إله إسرائيل إنَّ موآب تكون كسدوم وبنو عموّن كعمورة ملك القريص وحفرة ملحٍ وخراباً إلى الأبد. تنهبهم بقيّة شعبي. وبقيّة أمتّي تمتلكهم». «وأنتم أيّها الكوشيون. قتلى سيفي هم. ويمدّ يده على الشمال ويبيد آشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقفر».

«لذلك فانتظروني يقول الرَّبُّ إلى يوم أقوم إلى السّلب لأنَّ حكمي هو بجميع الأمم وحشر الممالك لأصبَّ سخطي كلَّ حمُّو غضبي لأنّه بنار غيرتي تؤكل كلُّ الأرض».

ويرى النبّي حجّي. في سفره أنّ يهوه سيمحو الأمم كلها ويبقى فقط على بني إسرائيل شعبه الخاص فنقرأ: «وأزلزل كلَّ الأمم ويأتي مشتهى كلّ الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال ربُّ الجنود. لي الفضة ولي الذّهب يقول ربُّ الجنود».

«وأقلب كرسّي الممالك وأبيد قوّة الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحطَّ الخيل وراكبوها كلٌّ منها بسيف أخيه».

ولا يختلف عنه النبي زكريا في هذا الأمر. فهو يرى أن يهوه غار على أورشليم وغضب من الأمم والشّعوب ورأى ضرورة العدوان عليها وسحقها وإبادتها فنقرأ: «هكذا قال ربَّ الجنود. غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرةً عظيمةً وأنا مغضبٌ بغضبٍ عظيم على الأمم المطمئنين».

كما يرى أنَّ الأمم كلّها ستخضع لرَّبِّ الجنود ويسجدوا له مخافة غضبه وقسوته وقدرته. وستغدو أورشليم المقرَّ الرئيسي للأمم والشعوب تأتي إليها قبائل الأرض وتسجد للملك ربّ الجنود. فنقرأ: «وهذه تكون الضربة التي يضرب بها الرَّب كلَّ الشعوب الذين تجندوا على أورشليم. بحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم. وعيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه».

«ويكون أنَّ كلّ الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك ربِّ الجنود وليعّيدوا عيد المظال. ويكون أنَّ كلَّ من لا يصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك ربّ الجنود لايكون عليهم مطرٌ. وأن لا تصعد ولا تأتي قبيلة مصر ولا مطرٌ عليها تكون عليها الضربة التي يضرب بها الرّبّ الأمم الذين لا يصعدون ليعيّدوا عيد المظال. هذا يكون قصاص مصر وقصاص كلّ الأمم الذين لا يصعدون ليعّيدوا عيد المظال».

ثانياً

العبرانيون واليهود

في القرن الثامن عشر ق. م. انطلقت عشيرة صغيرة من سومر بقيادة شخص اسمه ابراهيم. وسارت بمحاذاة الفرات ثم العاصي، وجاءت تقيم في أرض كنعان التي تقابل في المعنى الحصري: فلسطين. فقد سكن بنو ابراهيم بين الأردن وساحل البحر المتوسط، وامتدّوا بعض الامتداد إلى شرقي النهر مع قبيلة منسّى التي أقامت في جلعاد. وكانت لهم علاقات مع جيرانهم من مصريين وأشوريين وبابليين وفينيقيين وفلسطيين. . .

أما التوراة فتحدّثنا عن العبرانيين الذين جاءوا من بلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين. عاشوا مع الآباء قبل أن يقتلعهم الجوع ويرسلهم إلى مصر فيصبحوا عبيداً هناك. خرجوا حوالي القرن الرابع عشر ق. م. وخيّموا في سيناء حيث تسلّموا شرائع خاصة بهم، هي التوراة بالمعنى الحصري، أو ما نجده في الأسفار الخمسة من فرائض وأحكام. دخلوا إلى فلسطين في قبائل قبل أن يكون لهم ملك اسمه سليمان (٩٧٠ - ٩٣٠). ولكن مملكته انقسمت بعد موته: مملكة إسرائيل في الشمال بعاصمتها الأخيرة السامرة، ومملكة يهوذا في الجنوب بعاصمتها أورشليم. دمّرت السامرة سنة ٧٢٢/ ٢١ ق. م. ، فصارت مملكة الشمال مقاطعة أشوريّة بانتظار أن تصبح بابليّة، فارسيّة. . ودمّرت أورشليم سنة ٥٨٧/ ٨٦ وذهب شعبها إلى المنفى. ولكن عاد الشعب العبراني يعيش في ظلّ الامبراطوريات الكبرى من فارسية وهلنستيّة أو رومانيّة. وسيظلّ كذلك حتّى الثورة الأولى على يد رومة، وقد انتهت بدمار أورشليم سنة ٧٠ ب. م. ، والثورة الثانية التي قادها ابن الكوكب وانتهت بتشتّت اليهود سنة ١٣٥.

وقبل أن نقسم هذا التاريخ إلى ثلاث حقبات، اثنتان تسبقان التشتّت من أورشليم، وثالثة تصل بنا إلى العصور الحديثة، قبل ذلك نتعرّف إلى الأسماء التي تسمّى بها هذا الشعب: عبري، اسرائيل، يهودي.

إن لفظة «ع ب ر ي» هي مشتقّ يُنسب إلى «ع ب ر» الذي يدلي على الجهة المقابلة لنهر (تك ١٠:٥٠ ي)، أو واد (١ صك ٧:٣١)، أو بحر (إر ٢٥: ٢٢)، أو حدود (١ يش ٢٢: ١١). أمّا المعنى الاشتقاقي للفظة «عبري» فهي قريبة من لفظة «ن ك ري» (الغريب، النكرة). وهكذا قد نجد معنى أول في فعل «ع ب ر» الذي نقرأه في تك ١٢:٦؛ قض ٩:٢٦؛ أش ٨:٢١، والذي يعني انتقل عبر «حدود»، هاجرَ، صار غريباً.

هناك محطّة هامة هي زمن المنفى سنة ٥٨٧/ ٥٨٦. ماذا عن العبريين أو العبرانيّين قبل هذه المحطّة وبعدها؟ قبل المنفى، يتكلّم الكتّاب عن العبريّين في حالات محدّدة جداً. فالمصريون أو الفلسطيون (غير الفلسطينيّين. أقام الفلسطيون في خمس مدن على الشاطئ المحاذي لمصر: غزة، جت، عسقلان..) هم الذين سمّوا هذه القبائل بهذا الاسم. هذا ما يجعلنا قريبين من (ع ب ي ر و «المذكورين في النصوص القديمة. أما النصوص الأربعة والثلاثون التي تُذكر فيها لفظة» ع ب ر ي «في التوراة، فهي تدلّ على حال من العبوديّة عاشوها مع المصريّين (خر ٣:١٣، ١٤؛ ٢: ٢٠. تسمّى مصر أرض العبودية) أسيادهم (في تك ٣٩: ٧ نقرأ: الخادم العبري)، أو مع الفلسطيّين (١ صم ٦:٤ - ٩؛ ٣:١٣، ٧، ٩). نجد في تث ١٢:١٥:» «أذكر أنك كنت عبداً في مصر».

إذن، دلّت لفظة «ع ب ر ي» قبل المنفى على اسرائيليّ من وضع دنيء، لا يرتبط بقبيلة من القبائل، ويمكن أن يُستعبَد بشكل نهائي (خر ٢:٢١ - ٦؛ تث ١٥: ١٢ - ١٨). مثل هذا الوضع الاجتماعي قريب ممّا نجده في وضع «ع ب ي ر و» في الألف الثاني ق. م.

ماذا نعرف عن «عبيرو» هؤلاء؟ هم أناس يعيشون على هامش المجتمع القبليّ، على حدود المدينة. أو هم خلاصة قبائل تفكّكت، فجمعوا أنفسهم في قبيلة. في أيام السلم يمارسون السلب والنهب. وفي أيام الحرب يصبحون جنوداً مرتزقة في خدمة هذا الحاكم أو ذاك. نجدهم في كل الشرق القديم من بلاد الرافدين حتى بلاد الأناضول ومصر. ولكننا نجدهم بشكل خاص في بلاد سورية وفلسطين. قد يعود إسمهم إلى الغبار أو التراب، فيدلّ على وضع اجتماعي أو طريقة حياة. هل نستطيع أن نقابل «عبيرو» هذا مع «ع ب ي ر ١ ي و» الذي نجده في النصوص البابليّة، أو مع «ع ب ر ي» الذي يدلّ على جماعة إثنية ترتبط بمكان محدّد؟ ربما.

وماذا عن لفظة «ع ب ر ي» بعد المنفى؟ لقد اتّخذت معنى آخر في النصوص المتأخرّة: هو اليهوديّ الذي يعيش في مقاطعة عبر الفرات (أو غربي الفرات) التي كانت فلسطين جزءاً منها، فيتميّز عن البابلي وهو الآراميّ الذي يقيم في مقاطعة بابل (المشناة، بابا مصيا ٧: ٩).

أما لفظة اسرائيل فهي اسم انسان عرفه العالم السامي الغربيّ وقد رأيناه في إبله في الألف الثالث، وهو يعني «بدا الله قوياً» (رج تك ٢٩:٣٢؛ هو ١٢: ٥). فإسرائيل كشعب لا يدخل في التاريخ إلّا مع نصب الفرعون منفتاح (١٢١٢ - ١٢٠٢) الذي يعود إلى العام الخامس لعهده (١٢٠٧ ق. م) فيروي نصره بشكل نهائيّ على إسرائيل: «دُمّر اسرائيل بحيث لم يعد لزرعه من وجود» (صور الشرق القديم ٣٤٢ - ٣٤٣). فحربُ اسرائيل ضدّ مركبات فرعون، قد صُوّرت على جدار في هيكل آمون في الكرنك (الأقصر)، وهي حرب جرت في سهل كنعان الساحلي. ينتج عن هذا أن اسرائيل كيان يعيش في قلب الضفّة الغربيّة ويشكّل وحدة إثنيّة واجهت الجيوش المصرية في أرض مكشوفة لا في الأدغال. هذا لا يعني أن امتصاص إسرائيل لبني يعقوب الذي يشير اليه تك ٢٨:٣٢ - ٢٩، كان قد تمّ في القرن الثالث عشر ق. م. فإذا كانت اللائحة البيبليّة لقضاة إسرائيل الصغار كاملة، وإذا كان تنظيمهم يقع حالاً بعد زمن يشوع، فتكوين

الاتحاد (أو الحلف) بين قبائل إسرائيل بما فيها بني يعقوب، قد تمّ في شكيم (يش ٢٤) في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ساعة بدأ الانحطاط يعمل عمله في القوّة المصرية، بعد حملات رعمسيس الثالث (١١٨٢ - ١١٥١).

وهناك أخيراً لفظة «يهودي» التي تعني في الأصل سكان مملكة يهوذا (٢ مل ١٦: ٦؛ ٢٥: ٢٥)، أو مقاطعة يهودا الفارسيّة (نح ١: ٢؛ ٣: ٢٢). وبما أن يهوذا ويهودا (أو اليهوديّة) احتلّتا موقعاً متقدّماً في شعب إسرائيل، صار اليهودي كل إنسان ينتمي إلى شعب إسرائيل، وإن أقام خارج يهودا أو اليهوديّة.

بعد هذا المدخل، نبدأ بدراسة التاريخ اليهوديّ. الحقبة الأولى، منذ البداية حتى سنة ٥٨٧ ق. م وانهيار مملكة يهوذا الداوديّة بصورة نهائيّة. الحقبة الثانية، من المنفى (٥٨٧ ق. م) حتى الثورة اليهوديّة الثانية. والحقبة الثالثة، من سنة ١٣٥ ب. م إلى أيامنا.



ثالثاً

من البدايات حتى المنفى إلى بابل

نبدأ هنا تاريخ الشعب العبراني منذ ابراهيم الذي يعتبر أبا الشعب العبراني الروحي، بل أبا المسيحيين والمسلمين أيضاً، ونصل إلى سنة ٥٨٧ ق. م، ساعة ذهب المنفيّون إلى بابل، فكان لهم هذا الذهاب نهاية حقبة وبداية حقبة. انتهت الملكيّة، وما عادت «أرض الموعد» مستقلّة وصارت أورشليم «مدينة الله» في أيدي الممالك الغريبة. وبدأ الشعب يتطلّع إلى انطلاقة جديدة ينعشها روح الله لا الأحلام الذهبيّة بملك يعيد المجد الغابر. بل سيكون الصراع دائماً بين الوجهة الروحيّة التي فيها يكون الشعب العبراني خادم سائر الشعوب، فيحمل إليها خبرته عن الله، وبين الوجهة السياسية المنغلقة التي تعتبر الانفتاح على الآخرين موتاً.

تقول التقاليد العبريّة إن أصل ابراهيم العبري هو أور في بلاد الرافدين. هجر آباؤه تلك الحاضرة السومريّة المزدهرة (تقع أور بين المقير والعُبيد في جنوبي العراق) التي أصابها الانحطاط على أثر أزمة اقتصاديّة طويلة. ترك تارح والد ابرام (أو ابراهيم) أور إلى حاران على الفرات الأعلى (تك ١١ : ٣٠).

ومن هناك ارتحل ابراهيم إلى أرض كنعان أو ما يسمّى اليوم فلسطين. هكذا اعتاد البدو أن يفعلوا كما تقول نصوص ماري الواقعة على الفرات.

أقامت عشيرة ابراهيم في شكيم (نابلس) وحبرون وبئر سبع وجرار. مناطق واسعة وسكان قليلون. وأول ما اقتناه ابراهيم كان مغارة يدفن فيها امرأته بانتظار أن يُدفن هو فيها، مغارة المكفيلة القريبة من حبرون (تك ٢٧: ١٣ - ٢٠).

كانت العشيرة تتألّف من بضع عشرات من الرجال، بمن فيهم العبيد. وعلى خطى ابراهيم سار إسحادتي ويعقوب ثم سائر الآباء. كانوا ينتقلون مع قطعانهم من موضع إلى آخر طلباً للماء والكلأ. وكانت علاقاتهم ثلاثاً: مع البدو الرعاة الذين يسالمونهم تارة ويناوئونهم تارة أخرى ولاسيّما على المياه. وكان خلاف أول بين رعاة ابراهيم ورعاة لوط ابن أخيه بسبب ضيق المكان (تك ٢٠٥: ٢٦)، وكان كل واحد يقوله: «هذا الماء لنا». منذ ذلك الوقت بدأوا يحفرون الآبار من أجل حياة نصف بدويّة. وارتبط الآباء بأهل المكان. وبدأوا يتزوّجون ببناتهم ويزوّجونهم بناتهم. فيهوذا بن يعقوب تزوّج من الكنعانيات على خطى عيسو، أخي اسحاق. وأعطى بنو بعقوب اختهم دينة لشكيم بن حمور (تك ٣٤). لكنهم اختلفوا عنهم في عباداتهم. فالآباء لا يرتبطون بمكان. أما أهل فلسطين فإلههم هو إيل بيت إيل مثلاً. أو عليون إله شليم التي ستسمّى فيما بعد أورشليم. والعلاقة الثالثة كانت مع أهل حاران من حيث جاء الآباء. من هناك جاءت رفقة امرأة اسحاق (تك ٢٤). وإلى هناك ذهب يعقوب فتزوّج، وجمع ثروة كبيرة من العبيد والاماء والمواشي. كما حملوا معهم آلهة تلك الناس على مثال ما فعلت راحيل حين «سرقت» آلهة أبيها (تك ٣١: ٣١ - ٣٥).

نودّ أن نقول إن ما سمّي الأسباط الاثنا عشر الذين هم أخوة من أب واحد وأربع أمهات، إنما هو نظرة أدبية انطلقت من واقع ديني وسياسيّ قبل أن تصل إلى مستوى القرابة. في الأصل، أقامت عدد من القبائل حول معبد من المعابد. وكانت اثنتي عشرة قبيلة بحيث تؤمّن كلُّ قبيلة خدمة هذا المعبد، شهراً في السنة. هذا في الجزيرة العربية، ولدى العبرانيّين ولدى الأدوميّين، بني عيسو، ولدى اليونان في معهد دلفس. وانتقلت القرابة الدينيّة إلى قرابة سياسيّة ولاسيّما في أيام داود وسليمان. وبعد ذلك، تحدّث الكاتب عن قرابة الدم، فجمع عدداً من القبائل وربطها بأجدادها. بل نودّ القول إن بلهة وزلفة وليئة وراحيل اللواتي يسمّين نساء يعقوب، إنما هنّ في الأصل قبائل ابتلعها يعقوب قبل أن يبتلعه إسرائيل. ففي مرحلة أولى تكوّن ما سمّي «بني يعقوب». ويحدّثنا تك ٣٢ في لغة

سريّة عن تحوّل آخر: «لا يُدعى اسمك يعقوب بعد الآن، بل إسرائيل» (تك ٣١: ٣٩).

أما عدد القبائل التي ألّفت هذا الحلف والتي لم تذهب كلها إلى مصر، بل ذهب يهوذا ويوسف (بابنيه افرائيم ومنسّى) ولاوي، فنجده في نشيد دبّورة حوالي سنة ١١٠٠ ق. م. هي تذكر: افرائيم، بنيامين، ماكير، زبولون، يساكر، نفتالي، رأوبين، جلعاد، دان، أشير، ميروز (قض: ١٤ - ١٨، ٢٣). غاب يهوذا وشمعون ولاوي. وزيدت أسماء مثل ماكير وميروز. وسيأتي يوم فيه يبتلع يهوذا شمعون. كل هذا يفهمنا أن التوراة التي هي المرجع الأهمّ في تاريخ الشعب اليهوديّ، يجب أن تقرأ أولاً على المستوى الروحي، وبعد ذلك على المستوى السياسيّ والتاريخي. ونحن لا نصل إلى عمق الموضوع إلّا إذا عدنا إلى الوثائق المجاورة في مصر وبلاد الرافدين مع الشعوب الذين أقاموا بينهم فأخذوا بحضارتهم وغناهم. يكفي أن نذكر هنا أن الفلسطيين الآتين من عالم اليونان هم الذي علّموا العبرانيّين صنع الحديد. ففي القرن الحادي عشر، في أيام شاول، أوّل ملك رسمي في إسرائيل، نقرأ: «لم يكن في كل أرض إسرائيل حدّاد. . فكان على كلّ واحد من بني إسرائيل أن ينزل إلى الفلسطيّين ليحدّد سكينه أو منجله أو فأسه أو معوله» (١ صم ١٣: ١٩ - ٢٠). كان الفلسطيّون هم الأقوياء، فما أرادوا أن يصنع العبرانيون سيفاً أو رمحاً. وهكذا، لما بدأت الحرب بين العبرانيّين والفلسطيّين، «لم يكن سيف ولا رمح في أيدي جميع الذين يحاربون مع شاول ويوناتان، ما عدا شاول ويوناتان» (١ صم ١٣: ١٩ - ٢٢). سيفان ورمحان: كيف يتوافق هذا مع النصوص التي تتحدّث عن الحرب المفاجئة وعن قتل المئات والألوف؟

هنا يجب أن نستعيد قراءة التاريخ العبراني من جديد. فإذا قرأنا سفر يشوع بشكل حرفيّ، نتخيّل العبرانيّين وكأنهم الجيش الأشموريّ الذي يضع الرعب في الأماكن التي يمرّ فيها فلا يقف في وجهه حاجز. يقول النص: دخل يشوع وجيشه في وسط البلاد، فقطع «العدو» قسمين. ثمّ احتلّ الجنوب واحتلّ

الشمال. وأجمل ما في هذا الخبر هو أن أريحا سقطت دون أن يرفع أحد سلاحاً ولا مترسة. تطواف أول وثان. . تطوافات سبعة، فسقطت المدينة بضربة ساحر (يش ٦). ولكننا نعلم كل العلم أن الشعب العبراني الآتي من مصر، لم يستول على أريحا ولم يهدمها. فقد هُدمت قبل مجيئه بثلاث مئة سنة، أي سنة ١٥٥٠ على يد تحوتمس الثالث. أما أريحا التي يعود اسمها إلى الإله القمر «ي ر ح» فقد أقام فيها «بنو يميناً» الذين يذكرهم أرشيف ماري سنة ١٨٠٠، الذين كانوا نصف رعاة أقاموا في وادي الاردن قبل أن يبتلعهم إسرائيل.

حين نقرأ النصوص، يجب أن نفهم مغزاها وزمن تدوينها. دوّنت في شكل نهائي بعد العودة من المنفى، وفي ظل الحكم الأجنبي. وبما أن العبرانيّين يقيمون فيها الآن بأمان، فلأن الله أعطاهم إياها بدون أن يرفعوا يداً. بل منذ بداية المسيرة وعبور مستنقعات البحيرات المرّة، ما كان على العبرانيّين أن يفعلوا شيئاً سوى أن ينظروا عمل الرب وخلاصه (خر ١٣ : ١٤). بل لما احتاجوا إلى بعض الوقت، طال النهار، توقّفت الشمس والقمر. . مع أن المعركة دامت بضع ساعات وانتهت قبل طلوع الفجر (يش ٩ : ١٠ - ١٠ . هنا انتهت المعركة). ولكن الكاتب أراد أن يبيّن أن الفضل كلّ الفضل يعود إلى الله الذي رمى العدو «بالحجارة» (يش ١٠ : ١١)، أي بالبرد، فهلكوا. هكذا يجب أن يهلك العالم الوثني فلا يبقى سوى الذين يعبدون الله الواحد.

بالاضافة إلى بنيامين الذي أقام في أريحا منذ سنة ١٨٠٠ على الأقل، فقبائل أشير وزبولون ويساكر ونفتالي لم تنزل يوماً إلى مصر رغم ما يقوله التقليد الكهنوتي مشدّداً على المسيرة الروحيّة الواحدة لدى جميع القبائل. فأبناء أشير مثلاً (عد: ١: ٣، ٤٠ - ٤١؛ ٢: ٢٧؛ ٧: ٧٢ - ٧٧)، لم يكونوا مع القبائل العبرانيّة حين «فتحت» الأرض المقدسة، ولم يعطهم يشوع حصّة بين القبائل (يش ١٩:٢٤ - ٣١). فهم يقيمون منذ زمن بعيد وسط الكنعانيّين والفينيقيّين شمالي الكرمل في منطقة من الخصب. ولم يشاركوا في أحداث سفر القضاة. تحالفوا مع داود وسليمان (١ مل ٤: ١٦)، ولكنهم ظلّوا على استقلالهم عن

أورشليم في أيام ملوك يهوذا.

نقول هذا لنبيّن أن العبرانيّين، أنّ بني إسرائيل، لم يكونوا يوماً وحدهم في أرض فلسطين. كانوا تارة أقوياء ولاسيّما في أيام داود وسليمان. وكانوا طوراً ضعفاء ولاسيّما في أيام صموئيل وشاول حين سيطر عليهم الفلسطيون. وسيصبحون أجزاء في مقاطعات مختلفة مع الأشوريّين والبابليّين والفرس والاسكندر الكبير والرومان. لقد تمازجوا مع السكان تمازجاً كاملاً فأخذوا منهم أعيادهم (عيد الفطر، عيد الحصاد، عيد القطاف) وشعائر عبادتهم ولاسيّما عبادة البعل بل تفاعلوا مع أبعد من «فلسطين» فمدّوا يدهم إلى فينيقية في الغرب وأرام في الشرق ومصر في الجنوب وبلاد الرافدين في الشمال. أخذوا الكثير من الأدب المجاور، فصارت التوراة عصارة ما في الشرق من فكر دينيّ أخذوا الكثير من الأدب المجاور، فصارت التوراة عصارة ما في الشرق من فكر دينيّ. أخذوا المزمور ٢٩ من فينيقية والمزمور ١٠٤ من مصر. كما أخذوا حكمة امينوفي من مصر وجعلوها في سفر الأمثال. وحكمة احيقار «العالميّة» جعلوها في سفر طوبيا. هذا عدا عن نظرة «متشائمة» إلى الإنسان حملوها معهم من بلاد الرافدين التي اعتبرت أن الإنسان خُلق للشغل والتعب والألم والموت.

أما علاقة العبرانيّين بمصر، فهي بعيدة الغور جداً. تعود أقلّه إلى سنة ٣٠٠٠ ق. م. وما يدلّ على ذلك آنية وُجدت في عراد وتل عيراني، وفخاريّات مصريّة. وقد تمّ التغلغل المصري إلى فلسطين عبر طريق سيناء الشماليّة وتل عيراني الواقع على بعد ٤٥ كلم إلى الجنوب الغربي من أورشليم. كان هذا المكان مركز نشاط تجاري وحربي أقامه المصريون في جنوب كنعان.

نتذكّر دخول الهكسوس إلى مصر. هل دخلت معهم بعض القبائل التي ستعود إلى فلسطين فيما بعد؟ ويوسف الذي صار وزير الفرعون، كان في الواقع، إن كان الخبر تاريخياً، وزير ملك «أسيوي» على أرض مصر. وفي أي حال، اعتاد الفراعنة منذ المملكة الوسطى أن يلجأوا إلى خدمة موظفين من آسية. ولكن عمليّة التضخيم التي تدوّن لمجد الله، جعلت من يوسف الموظّف

في منطقة من المناطق (رئيس بيت فوطيفار، أو رئيس أحد السجون أو مسؤول عن التموين) الشخص الثاني بعد فرعون، وكل ذلك لأن الله كان معه.

طُرد الهكسوس من مصر حوالي سنة ١٥٧٠، وقد يكون عاد معهم بعض القبائل المقيمة في فلسطين. ولكن حين يتحدّث الكاتب الملهم عن خروج العبرانيّين بقيادة موسى، فهو يشير إلى هرب بعض القبائل إما عن طريق الجنوب مثل يهوذا التي ابتلعت بني كالب المقيمين قرب حبرون (يش ١٥: ١٣ - ١٩؛ ١ أخ ٢: ٤٢ - ٥٠) والقنزيين (عد ٣٢: ١٢) والقينيّين، أبناء قايين (قض ١: ١٦). وإما عن طريق الشرق مثل قبيلة افرائيم التي عبرت سيناء ودخلت عبر أدوم إلى الأرض المقدّسة. وهكذا أخذ الآتون الجدد يتغلغلون في البلاد، حيث المكان فارغ من السكان، وكانوا هناك يقيمون في سلام أو خلاف مع جيرانهم كما يقول سفر القضاة في الفصل الأول. وامتدّت هذه الحقبة حتى زمن الملوك.

ذكر الكتاب المقدّس ثلاثة ملوك بدأ معهم النظام الملكي يسيطر على القبائل العبرانيّة التي اتحدت في أمفيكتيونيّة حول معبد شكيم كما يقول سفر يشوع (ف ٢٤). شاول (١٠٣٠ - ١٠١٠ تقريباً) بن قيش من قبيلة بنيامين المقيمة بين الكنعانيّين والفلسطيّين والعمونيّين. وداود (١٠١٠ - ٩٧٠) بن يسّى من قبيلة يهوذا المقيمة قرب بيت لحم، الذي عاش في بلاط شاول، كما يقول تقليد أول، الذي قتل جليات ممثّل الفلسطيّين في المبارزة، كما يقول تقليد آخر. وسليمان (٩٧٠ - ٩٣١) الذي ثبّت دعائم الملك الذي هيّأه له أبوه داود. وانتهت الحقبة التي فيها اتّحد الشمال مع الجنوب، مملكة افرائيم (أو يوسف، أو إسرائيل، أو يعقوب) التي صارت عاصمتها في النهاية السامرة، ومملكة يهوذا بعاصمتها أورشليم. وستعيش المملكتان حياة متوازية، فتبحث كل واحدة لنفسها عن أحلاف خارج فلسطين، مع فينيقية أو موآب أو عمون أو مصر، أو الأشوريّين الذين لجأ إليهم أحاز ملك يهوذا فأجبر على الخضوع لهم.

وسارت مملكة إسرائيل في خطّها وهي الأقوى في فلسطين، بعد أن انعزلت مملكة يهوذا على جبلها القاحل وفي قلعة يصعب الاستيلاء عليها، أو لا

فائدة من الاستيلاء عليها. ولكن بما أن معبد أورشليم كان عملياً معبد جميع بني يعقوب وبني إسرائيل، حافظت أورشليم على تواصل حتى النهاية، أي حتى سقوطها بيد الأشوريّين سنة ٥٨٧ ق. م. ولكن مملكة الشمال بعاصمتها السامرة، كانت قد سقطت سنة ٧٢٢ - ٧٢١ على يد الأشوريّين وهُدمت على يد سرجون الثاني. انفتحت مملكة إسرائيل على سائر الشعوب القريبة أو البعيدة فذابت أو كادت تذوب. أما مملكة يهوذا فانغلقت على نفسها لتحمي نفسها من حضارة يونانيّة أو فارسيّة أو رافدينيّة. وخافت على نفسها من ديانات تأتي من الخارج فتشوّه دينها وعبادتها لله الواحد. فكانت النتيجة شرائع عديدة تمنع الاتصال بالآخرين على مستوى الطعام والشراب، بل على مستوى الحياة كلّها. ذاك ما سيكون تاريخ الشعب اليهوديّ حتى بعد المسيح. فإن هو انفتح على الآخرين ذاب فيهم وخسر هويّته الأساسيّة. وإن هو انغلق عاش في «غيتو»، في «مجبر» يُجبر اليهود أو هم يجبرون أنفسهم ليعيشوا فيه.



رابعاً

من دمار الهيكل الأول
إلى دمار الهيكل الثاني

بين سنة ٥٨٧ ق. م ودمار هيكل سليمان على يد نبوخذ نصر البابلي، وبين سنة ٧٠ دمار الهيكل الثاني الذي جمّله هيرودس وخلفاؤه. بين ذهاب الشعب العبراني إلى منفى بابل، وبين تشتّت اليهود مرّة أولى بعد سقوط أورشليم على يد تيطُس ووسباسيانس، ومرّة ثانية مع الامبراطور ادريانس، مرّت حقبة هامة من سبعة قرون جعلت الكهنة واللاويين والحكماء يعودون إلى تراثهم الديني، يدوّنونه وهم ينتظرون ذاك الداود الجديد الذي سيكون بحسب قلب الرب. وسيأتي يسوع. ولكن مسيرتهم البشريّة تتابع طريقها وهم ما زالوا ينتظرون.

جاءت الجيوش الأشوريّة من بلاد الرافدين إلى بلدان سورية ولبنان وفلسطين مع تغلت فلاسر الثالث، الذي اجتاح المنطقة ودمّر دمشق سنة ٧٣٢. وتبعه شلمنصر الخامس الذي حاصر السامرة واستولى عليها. ولكن سرجون الثاني الذي تسلّم الملك سنة ٧٢٢ - ٧٢١ هو الذي دمّرها وأجلى سكانها وجعل محلهم أناساً جاء بهم من بابل ومن حماة. وهكذا زالت مملكة إسرائيل من الوجود. أصبحت مقاطعة أشوريّة بانتظار أن تصبح مقاطعة بابليّة ثم فارسيّة ثم يونانيّة، لاجيّة، سلوقيّة، رومانيّة، بيزنطيّة.. وهرب من هرب من السكان إلى أورشليم حيث عوملوا كجيران (ج ر في العبريّة). والذين بقوا في السامرة وحولها، اندمجوا بالسكان الوثنيّين وأضاعوا إيمانهم فصاروا على التوالي أشوريّين مع الآشوريّين، بابليّين مع البابليّين، يونان مع اليونانيّين حتى سمّيت السامرة سبسطية باسم أوغسطس الامبراطور الروماني الأول. وظلّت فئة من

المؤمنين تحاول أن تنغلق على ذاتها حتى صارت اليوم حول نابلس أقليّة قليلة لا يصل أفرادها إلى الألف نسمة.

لم تسقط أورشليم بيد الأشوريّين مع أنهم حاصروها. وذلك لأن الوباء تفشّى في الجيش المهاجم. ولما عاد سنحاريب إلى بلاده، قتله ابناه ليستوليا على العرش. غير أن مملكة يهوذا صارت صغيرة جداً، فركّزت اهتمامها على الاصلاح الدينيّ الذي تمّ مع حزقيا (٧١٦ - ٦٨٧) ثم مع يوشيا الذي توفيّ في معركة مجدو سنة ٦٠٩، ساعة أراد أن يصدّ الجيش المصري بقيادة نكو الثاني الذاهب لمساندة الأشوريّين ضدّ البابليّين باسم سياسة توازن القوى. وفي سنة ٥٩٧، جاء نبوخذ نصّر فوضع يده على أورشليم. سلب ما سلب، أخذ الملك أسيراً، وأخذ معه عدداً كبيراً من الوجهاء والصنّاع ورجال الحرب. ولما ثارت أورشليم بدفع من مصر، كانت عاقبتها الدمار سنة ٥٨٧. لم يعد من ملك. أحرق الهيكل موضع حضور الله. دمّرت الأسوار فصارت مدينة الله مدينة مباحة. وسوف تنتظر مئة سنة ونيّف حتى يعاد بناؤها على يد نحميا والعائدين من السبيّ.

عاد أولاً العائدون من السبي سنة ٥٣٨ وأرادوا إعادة ملكيّة داود مع زربابل. ولكن يبدو أنه خسر دوره فحلّ محلّه يشوع عظيم الكهنة (زك ٣: ١) الذي قيل فيه ما قيل في داود: «هذا ما قال الرب القدير: إن سرتَ في طرقي وعملت بأوامري، فأنت تحكم بيتي وتسهر على دياري» (زك ١٣ : ٧). فمنذ دمار أورشليم، لم تعد من سلطة سياسيّة تحاور الحاكم الأجنبي في شأن الشعوب المقيمة في الشرق. فالدولة الحاكمة ترسل موظفاً من قبلها يراقب الامن ويؤمّن وصول الضرائب إلى عاصمة الامبراطوريّة. أما المتكلّم باسم الشعوب المغلوبة على أمرها التي ستصبح أقليّات حتى في زمن العثمانيّين، فهو رئيس السلطة الدينيّة. كان عظيم الكهنة في ما قبل المسيح، وسيصير أسقف المدينة مع المسيحيّة.

تسامح الفرس مع الشعب اليهوديّ، فسمحوا لهم بالعودة. فعاد الفقراء لا الأغنياء الذين صار بعضهم أصحاب مصارف ومتاجر مشهورة. عاد الكهنة

وعادت قلّة من اللاويّين بعد أن خسرت مكانتها في الاصلاح الجديد الذي بدأه يوشيّا سنة ٦٢٧. ولكن هؤلاء العائدين نفحوا في ما سمّي «شعب الأرض»، الشعب الذي ظلّ يعمل في ظلّ الحاكم الأجنبي، روحاً جديد، فبنوا هيكلاً جديداً لا يمكن أن يقابل إطلاقاً بهيكل سليمان. اعتبروه «كلا شيء» (حج ٢:٣). ولكن سيأتي هيرودس الكبير في نهاية القرن الأول ق. م ويعمل فيه قرابة أربعين سنة ليصبح قبلة الأنظار. غير أنه سيدمّر على يد الرومان سنة ٧٠. بل يُقتلع من مكانه فلا تبقى إلّا الأساسات التي صارت حائط المبكى اليوم، لأن الامبراطور ادريانس بنى مكانه هيكلاً لزوش إله الكابتول في رومة، وبدّل اسم أورشليم فصارت «أيليا كابيتولينا». بل أعطى البلاد كلّها اسماً جديداً استقاه من شعب الفلسطيّين، سماها فلسطين حوالي سنة ١٣٥ ب. م.

ومرّ بعد الفرس جيش الاسكندر الكبير. ويقول التقليد إن رئيس الكهنة استقبله فكان السلام لأورشليم. أما أهل السامرة الذين ثاروا على الحاكم اندروماكوس وأحرقوه حياً بالنار، فقد كانت لهم آخرة تعيسة وهرب الوجهاء، فاختبأوا في مغارة أشعلت النار على بابها فاختنق كل من فيها. وظلّت المغارة مقفلة حتى سنة ١٩٦٢ حيث وُجدت مدونات هامّة جداً.

تسامح اللاجيّون المصريون الذين حكموا فلسطين بعد الاسكندر. ولكن في بداية القرن الثاني ق م، انتقلت فلسطين ومعها البقاع اللبناني وامتداده إلى حكم السلوقيّين في أنطاكية. فقامت ثورة يهوديّة على أنطيوخس الرابع ابيفانيوس الذي أراد أن يكون جميع سكان ممكلته متساوين حتى على مستوى العبادة، فمنع اليهود من ممارساتهم الدينيّة ولاسيّما الختان. قام بهذه الثورة متتيا وأبناؤه الذي سيسمّون المكابيّين أو المختارين. وبعدهم جاء الحشمونيون، فنالت البلاد بعض الاستقلال. ولكن المكابيّين لم يكتفوا بالحرب من أجل الحريّة الدينيّة، بل أرادوا أن يصيروا ملوكاً. لهذا السبب تركهم «الحسيديم» أي جماعة الاتقياء. فصاروا الفريسّيين الذي انفصلوا عن الحرب ولكنهم ظلّوا يعيشون في قلب المجتمع يعلّمونه كيف يحافظ على نقاوته وسط عالم وثنيّ. كما صاروا جماعة

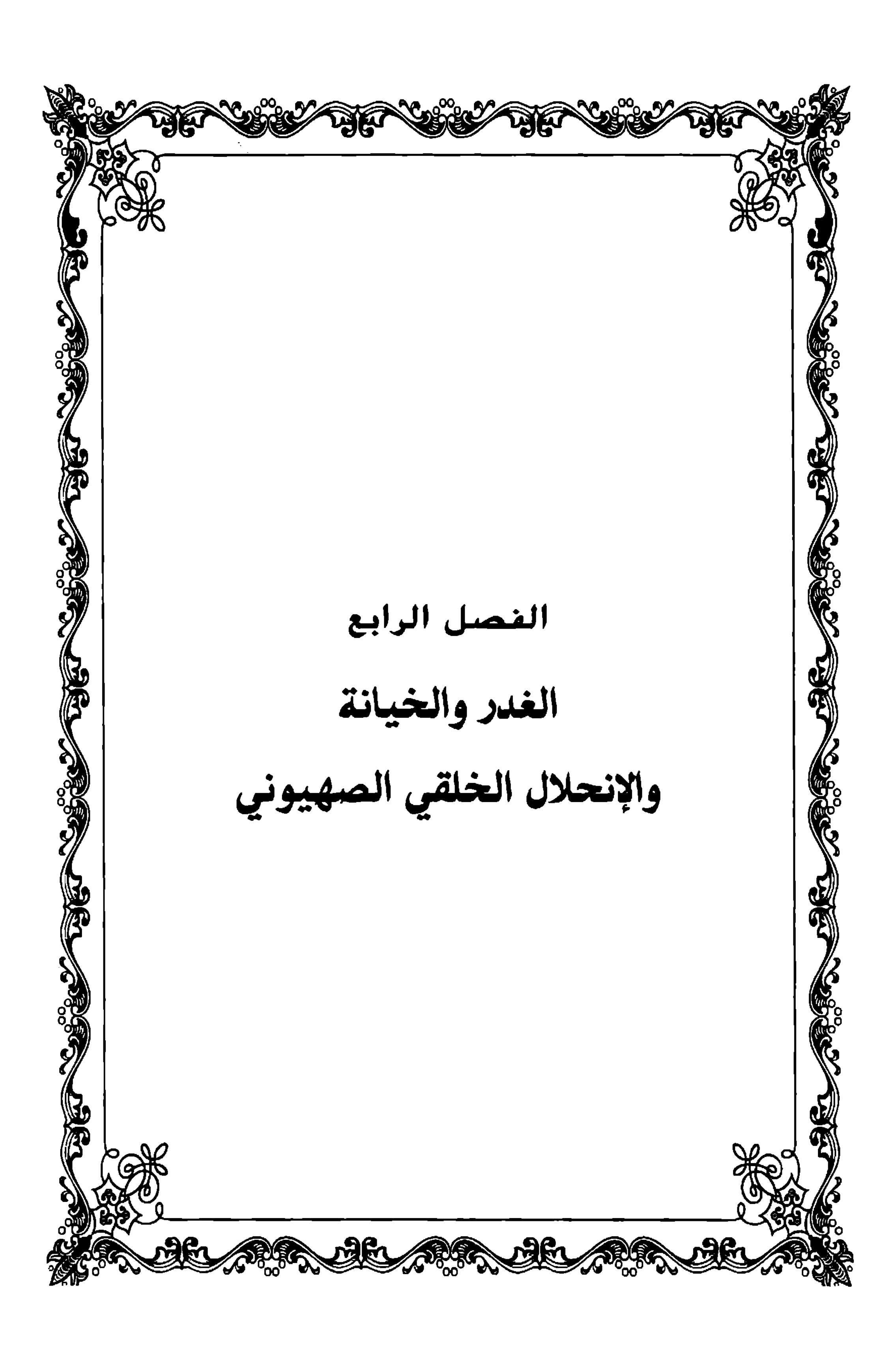
قمران أو الاسيانيّين الذين أقاموا عند البحر الميت وكانت نهايتهم سنة ٦٩ ب. م، ساعة مرور الجيوش الرومانيّة التي زحفت على أورشليم واحتلتها سنة ٧٠.

ولكن الخلافات كانت عديدة على مستوى السياسة كما على مستوى الدين. من يكون حاكم البلاد؟ أرسطوبولس أم أخوه هركانس الثاني؟ حسم بومبيوس القائد الروماني سنة ٦٣ ق م المسألة، فأزاح الاثنين وجعل من يهودا أو أرض اليهود (اليهوديّة) مقاطعة رومانيّة. وعلى مستوى عظيم الكهنة، كانت صراعات على هذا المركز بالوساطة والمال والقوة والقتل، بحيث صار عظيم الكهنة لعبة في يد الحاكم. بل إن الحاكم احتفظ له بثيابه الكهنوتيّة رهينة وما كان يعطيه إياها إلّا في زمن العيد، على أن تعود إلى «خزنة» الحاكم حالاً بعد العيد. وكان صراع بين الصادوقيّين والفريسيّين، بين أصدقاء العرش الذين كانوا السبب في قتل الآلاف من الفريسيّين. وبين أصدقاء الشعب وقد رافقوه في المجامع يوم السبت بل في حياته طوال الأسبوع على مستوى الوصايا التي وصلت إلى ٦١٣ وصيّة منها ٢٤٨ فريضة (إيجابية، ما يجب على الإنسان أن يعمل) و٣٦٥ أمراً محرماً (سلبية، ما لا يجب أن يعمل).

الفريسيون يقاومون الاحتلال الروماني بموقف رافض وإن دفعوا الضرائب في الوقت الحاضر. كما يقاومون بالوعظ والكتابات التي وصل إلينا منها الكثير. أما الصادوقيون فيتعاملون مع الحاكم سواء السلوقي أو الروماني. وقد أخذوا بعادات السلوقيّين من لغة وحضارة وألعاب على مثال الألعاب الاولمبيّة. أما المقاومون في الحرب فهم الغيورون الذين نبتوا بشكل خاص في الجليل. واشتهر منهم أصحاب الخناجر الصغيرة (سيكا) الذين قتلوا العديد من الأشخاص واختفوا عن الأنظار. هذا الاتجاه العنفيّ والحربيّ هو الذي يسيطر شيئاً فشيئاً فتعود البلاد كلها إلى حرب تؤخذ فيها أورشليم. ثم إلى حرب ثانية مع ابن الكوكب الذي اعتبروه المسيح المخلّص، الآتي ليحرّر شعبه من حكم الرومان. ولكن حركة العنف هذه قادت البلاد إلى الدمار، والشعب اليهودي إلى المنفى. كان قد بدأ تشتّته منذ زمن بعيد، ولكن في نهاية القرن الأول المسيحي

صار المشتّتون (أو المشتات) يشكلّون عشرة أضعاف سكان اليهوديّة والجليل. فتوزعوا في كل المدن ولا سيّما انطاكية والاسكندريّة ورومة، وكانت لهم مجامع في كل حوض البحر المتوسط، بل في العالم الشرقي، في بابل وغيرها من المدن.

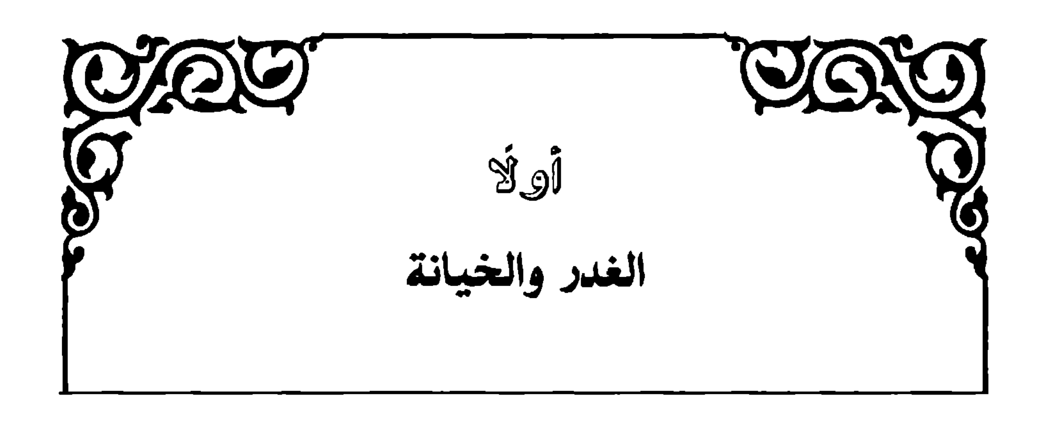




الفصل الرابع

الغدر والخيانة

والإنحلال الخلقي الصهيوني



أولاً
الغدر والخيانة

من المهم والمفيد أن نتعرّف على سلوكية اليهود من خلال سيرتهم كما وردت في النصوص التوراتية. فهم يعتبرون أنّهم الشعب المختار المقدّس الذي اختصه يَهْوه لنفسه ليكون شعبه الخّاص ويكون هو إلههم.

مثلُ هذه النظرة الضيّقة لا بدّ وأن يكون لها مرتكزات أساسية يستندون إليها في استعلائهم ونظرتهم الفوقية، تدفع بالأمم الأخرى أن تقتدي بسلوكيتهم وفكرهم الديني والمدني ويكونون قدوة الأمم. كالقيم الأخلاقية مثلاً والنظرة الإنسانية، والسعي للتفاعل والتآخي والانسجام. والانفتاح نحو آفاق الحقّ والتسامح والحرية والعدالة والمساواة.

القدوة ينبغي أن يتحلّى دائماً بمواصفات إيجابية متميزة تؤهله أن يترفّع ويستعلي، مع الإشارة إلى أن القدوة دائماً يملكُ ذهنية منفتحة وروحاً متسامحة ونفساً سامية تدعو إلى التعاون والتسامح والإخاء.

كيف يمكن أن نوافق على أنّ اليهود هم الزّرع المقدّس والشعب المختار الذي اختّصه ربّ الجنود ليكون شعبه الخاص معتبراً أنّه الشعب الوحيد الذي يحقّ له الترّفع والاستعلاء وعلى كافة الشعوب أن تعمل لخدمته وأن تستعبد له حتى لو استدعى ذلك إبادتها..

لقد تناولتُ في الفصل الأول والثاني ما يتعلّق بالنزعتين العدوانية والعنصرية التي تشدّد عليهما النصوص التوراتية على أنّها خلاصة الدين اليهودي وجوهره، وقد بينّت مستنداً إلى هذه النصوص مدى انغلاقهم وتعصّبهم

وعدوانيتهم وعنصريتهم، وفي هذا الفصل أعرض ومستنداً أيضاً إلى النصوص التوراتية ما تحمله هذه النصوص من إشارات وأحداث عن الغدر والخيانة والانحلال الخلقي لشعب الله المختار المقدّس. إنّها سلوكية أجداد اليهود اليوم الذين يمثّلون القدوة لهم والمرجعية الرئيسية في مجمل حياتهم الدّينية والمدنية..

إنّ حكام الكيان الصهيوني اليوم يستشهدون بسلوكية شمشون وجدعون وداود وأبناء يعقوب على اعتبار أنّهم يمثلّون الأسلاف، وما قاموا به من أفعال وأعمال يسمونه بطولات وأمجاد، ومن الضروري الاقتداء بسلوك هؤلاء الأسلاف.. إنّه استحضار للتاريخ رغم ما يحمله من مساوئ ونزعات يهودية سلبية تمثلّ الانحلال الخلقي، والغدر والخيانة والعدوان والعنصرية الفاضحة.

إنّ من يقرأ الأسفار التوراتية، يخلصُ إلى نتيجة مفادها أنّ الغدر والخيانة والانحلال الخلقي كانت من الثوابت التي سار عليها أسلاف اليهود اليوم، وهذه الثوابت جوهرية في الفكر الديني اليهودي. فقد بنيت اليهودية على مبدأ التوّجس من الأغيار والاستعلاء والعدوان والعنصرية. وهذه النزعات لا بدّ وأن تطبع الروح اليهودية بصفات الغدر والخيانة والانحلال الخلقي، فاليهودي يحقّ له أن يسرق.. لكن ليس يهودياً مثله، بل أي شخص من الأغيار، وكذلك الأمر بالنسبة للزنى والقتل والغدر والخيانة وغيرها..

من هذه الزاوية الضيّقة يتعامل اليهود مع الأغيار، إنّها ثوابت جوهرية من أصول الدين اليهودي المدّون في كتابي التوراة والتلمود والذي يُدّرسُ في مدارس الكيان اليوم وفي المدارس الخاصّة لليهود في أماكن إقاماتهم في دول العالم. وعليه يتربى الأطفال اليهود، لتنمو في عقولهم الباطنة أفكار اللامساواة والعدوان والغدر والتوّجس والاستعلاء والعنصرية. لهذا.. من الضروري أن نلقي الضوء على النصوص التوراتية (الأسفار) ولو بإيجاز، ونتحدّث عن السلوكية اليهودية التي سار عليها الأسلاف اليهود وغدتْ منهجاً رئيساً للأجيال. ونبدأ بفقرة «الغدر والخيانة».

نقرأ في سفر التكوين أنّ يعقوب (إسرائيل) وأبناءه سكنوا في منطقة شكيم عند عودتهم من فدان آرام. كان حاكم المنطقة يدعى حَمُور الذي كان يتصّف بالأخلاق الحميدة والروح الإنسانية المنفتحة. وقد أحبّ ابنه شكيم ابنة يعقوب (دنية). وطلبها له والده حَمُور قائلاً: «شكيم ابني قد تعلّقت نفسه بإبنتكم. أعطوه إيّاها زوجة وصاهرونا. تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها».

«ثم قال شكيم لأبيها وإخوتها. دعوني أجد نعمة في أعينكم. فالذي تقولون لي أعطي. كثروا عليّ جداً مهراً وعطية فأعطي كما تقولون لي وأعطوني الفتاة زوجة».

لقد اعتبر بنو إسرائيل مثل هذه المصاهرة تدنيسا لهم، فشريعتهم ترفض الاختلاط بالشعوب، والمصاهرة اختلاط لن يقبلوا به. ونظراً لأنّهم كانوا غرباء عن المنطقة وعددهم قليل وليس بمقدورهم مجابهة سكان شكيم إن حاولوا الإعتداء عليهم ليمنعوا مثل هذه المصاهرة. فكان لا بدّ من الغدر والخيانة حتى يتمكّنوا من التخلّص من هذه المصاهرة(الاختلاط). مستغلّين طيبة وشجاعة حَمُورَ حاكم المنطقة وابنه شكيم.

وضع أبناء يعقوب خطة (حيلة) مفادها الموافقة ظاهرياً على هذه المصاهرة شرط أن يقبل حمور وولد شكيم وكل سكان شكيم أن يختتنوا حيث نقرأ: «فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر. قالوا لهما لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجلٍ أغلف. إن صرتم مثلنا بختنكم كلّ ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم».

وافق حمور وولده على هذا الشرط ولم يكونا يعلمان بأنّ هذه عبارة عن خطة ومؤامرة للغدر بهما وبسكان شكيم جميعهم. فنقرأ: «فحسن كلامهم في عيني حَمُور وفي عيني شكيم بن حَمُور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر. لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. كان أكرم جميع بيت أبيه، فأتى حَمُور وشكيم ابنه إلى

باب مدينتهما وكلّما أهل مدينتهما قائلين. هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في الأرض ويتجرّوا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا، غير أنّه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا شعباً واحداً بختننا كلّ ذكر كما هم مختونون».

لقد التزم سكان شكيم بالأمر واختتن كل ذكر في المنطقة تأكيداً على حسن نواياهم واحترامهم لبني يعقوب. غير أنّ بني إسرائيل لم تكن نواياهم حسنة تجاه سكان شكيم ولم يكن هذا الشرط إلّا خدعة ليغدروا بسكان المنطقة جميعهم ويتخلّصوا من المصاهرة.. حيث نقرأ: «فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أنّ ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دنية أخذاً كلٌّ واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمنٍ وقتلا كلَّ ذكر وقتلا حَمُور وشكيم ابنه بحدِّ السيف».

«ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنّهم نجسّوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكلّ ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا كلّ ثروتهم وكلّ أطفالهم ونسائهم وكلّ ما في البيوت».

وكان يعقوب نفسه قد غدر بأخيه (عيسو) بعد أن تآمر مع والدته رفقة على ذلك حسب ما يرد في سفر التكوين. حيث خطّطتْ والدته ليأخذ بكورية وبركة أخيه بالحيلة والمكر، ونفّذ يعقوب المخطّط تنفيذاً جيداً ونجح في سلب بكورية وبركة أخيه عيسو مستغلاً وضع والده الصّحي حيث كان قد شاخ وكلّت عيناه عن النظر فلم يعد يرى فنقرأ: «وحدث لما شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنّه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا بني فقال له ها أنذا. فقال إنّني قد شختُ ولستُ أعرف يوم وفاتي، فالآن خذْ عدّتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرّية وتصّيد لي صيداً. واصنع لي أطعمة كما أحبُّ وآتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت. كانت رفقة سامعة إذ تكلّم إسحق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرّية كي يصطاد صيداً ليأتي به وأمّا رفقة فكلّمت يعقوب ابنها قائلة إنّي قد سمعت أباك يكلّم أخاك قائلاً أئتني بصيد واصنع لي الأطعمة لآكل وأباركك أمام الرّبّ قبل وفاتي فالآن يا بني اسمع قولي في ما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لي

من هناك جدْيين جيّدين من المعزى فأصنعها أطعمة لأبيك كما يحبُّ فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك الله قبل وفاته».

«فذهب وأخذ وأحضر لأمّه فصنعت أمّه أطعمة كما كان أبوه يحبّ وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبستْ يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملست عنقه جلود جديي المعزى وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها. فدخل إلى أبيه وقال يا أبي فقال ها أنذا. من أنت يا بني؟ فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكركَ. قد فعلت كما كلّمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال إسحق لابنه ما هذا الذي أسرعتَ لتجد يا بني؟ فقال إنّ الرّبّ إلهك قد يسّر لي. فقال إسحق ليعقوب تقدّم لأجُسّك يا بني أأنت هو ابني عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسّه وقال الصوت صوتُ يعقوب ولكنّ اليدين يداً عيسو. ولم يعرفه لأنّ يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه».

حضر عيسو من صيده وصنع أطعمة لأبيه كما أمره ولم يكن يعلم أنّ يعقوب قد غدر به واحتال على أبيه وسلبه بكوريته وبركته. . فتقدّم إلى أبيه قائلاً: «ليقم أبي ويأكل حتى تباركني نفسك. فقال له إسحق أبوه من أنت فقال أنا ابُنك بكرك عيسو. فارتعد إسحق إرتعاداً عظيماً جداً وقال فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليّ وأكلت من الكلّ قبل أن تجيء وباركتهُ؟ نعم. ويكون مباركاً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخةً عظيمة ومُرَّة جداً. وقال باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال ألا إنّ اسمه دُعي يعقوب. . فقد تعقّبني مرّتين. أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي».

لقد حقد عيسو على أخيه يعقوب لأنّه خدعه ومكر به، وقَرّر قتله فهرب يعقوب إلى حاران عند أخواله كما نصحته والدته رفقة. وأقام هناك وتزوج أربع نسوة أنجب منهن اثني عشر ولداً.

ويبدوا أنّ يعقوب اعتاد على الغدر والخداع، فنقرأ في سفر التكوين أنّه خدع حميه (لابان) وهرب من فدان آرام إلى كنعان بعد أن أخذ كلّ المواشي والمقتنيات. . وقد لاحقه لابان وتمكّن من إدراكه في جبل جلعاد كما يرد في سفر التكوين الإصحاح الواحد والثلاثون: «فأخبر لابان في الثالث بأنّ يعقوب قد هرب فأخذ أخوته معه وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد».

بدأ لابان بتأنيب يعقوب على فعلته. فقد خدعه ومكر به فاستنكر لابان هذا السلوك قائلاً: لماذا الهرب خفية وخدعتني ولم تخبرني.

كما احتال أولاد يعقوب على أبيهم ليغدروا بأخيهم الصغير يوسف فأخذوه معهم إلى البرّية وتآمروا عليه هناك وغدروا به ورموه في بئر ليموت فيها ويتخّلصوا منه لأنّه كان له حظوة عند أبيه. . فنقرأ: «فلمّا أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هو ذا هذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلُمّ نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحشٌ رديءٌ أكله».

ونقرأ في سفر التكوين أيضاً عن (تامار) كنّة يهوذا ابن يعقوب كيف خدعْت حميها واحتالت عليه. حيث ظهرت له في الطريق على أنّها زانية ليدخل عليها ويضجع معها لأنّه لم يزوّجها ابنه (شيله). علماً أنّها كانت زوجة لولديه تباعاً عيرا وأونان وكلاهما توفيا وبقيت تامار أرملة تنتظر أن يتزوجها الابن الثالث لحميها وكان يدعى (شيله): «قالت يهوذا لتامار كنَّته اقعدي أرملة في بيت أبيكِ حتى يكبرُ شيلة ابني لأنّه قال لعله يموتُ هو أيضاً كأخويه. فمضتْ تامار وقعدت في بيت أبيها».

عندما توفيتْ يهوذا، استغلّت كنَّته تامار ذلك وخطّطتْ لفعلتها السيئة حيث نقرأ: «فأخبرت تامارُ وقيل لها هوذا حموكِ صاعدٌ إلى تمنةَ ليجّز غنمه. فخلعتْ عنها ثياب ترمُّلها وتغطّتْ ببُرقع وتلفّفت وجلستْ في مدخل عينايم التي على طريق تمنة، لأنّها رأت أنّ شيلة قد كبُر وهي لمُ تعط له زوجةً فنظرها يهوذا وحسبها زانيةِ. لأنّها كانت قد غطّتْ وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاكي

أدخُل عليك. لأنّه لم يعلم أنّها كنَّته. فقالتْ ماذا تعطيني لكي تدخل عليَّ. فقال ما الرَّهن الذي أعطيك. فقالت خاتُمكَ وعصابتُك وعصاك التي في يدكَ. فأعطاها ودخل عليها فحبلتْ منه ثم قامت ومضتْ وخلعت عنها بُرقعها ولبستْ ثياب ترمُّلها».

وفي سفر الخروج نقرأ عن احتيال وخداع بني اسرائيل للمصريين وسلبهم فضتّهم وذهبهم وأمتعتهم بتوجيهات من موسى الناطق باسم يَهْوَهَ: «وفعل بنو إسرائيل حسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضةٍ وأمتعة ذهبٍ وثياباً. وأعطى الرّبّ نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين».

وأنا أطالب المصريين اليوم وغداً وبعد غد أن يستردّوا ممتلكاتهم التي سُلبتْ احتيالاً وغدراً وأن يطالبوا بمحاكمة السارقين وإنزال العقوبات عليهم، مثلما يطالب اليهود حكام الكيان الصهيوني باستعادة (أرض إسرائيل) المزعومة لأنّها أرض أسلافهم. وباعتبار حدود التوراة هي الحدود الرئيسة للمملكة المزعومة وعلى التوراة الميثولوجية يستندون في ترجمة سلوكيتهم المادية.

أمّا في سفر القضاة فنقرأ عدّةُ حوادث غدر واحتيال وقتل بشع قام بها اليهود منها حادثة الغدر والخيانة التي قام بها رجلٌ بناميّ يدعى إهود بن جيرا ويسمّيه كاتب السفر قاضياً. . أرسله يَهْوَهَ أو كلّفه أن يقضي لإسرائيل ويخلّصها من أعدائها الموآبيين الذين ضربوا إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل وشدّدوا عليهم حتى اضطروهم إلى عبادة ملك موآب (عجلون) ثماني عشرة سنة كما يروي كاتب السفر حتى صرخوا إلى الرّب يستغيثون فأرسل لهم مخلّصاً لينقذهم وكان هذا المخلّص (إهود بن جيرا) وهو رجل أعسر. فدّبر خطّة للغدر بملك موآب وقتله: «فعمل إهودَ لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراع وتقلّده تحت ثيابه على فخذه اليمنى وقدّم الهدّية لعجلون ملك موآب وكان عجلون رجلاً سميناً جداً. وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدّية وأمّا هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال. لي كلام سرٌ إليك أيّها الملك. فقال صه.

وخرج من عنده جميع الواقفين لديه. فدخل إليه إهودَ وهو جالسٌ في علّية بروِدٍ وكانت له وحده. وقال إهودَ عندي كلام اللّه إليك فقام عن الكرسيّ فمدَّ إهودَ يده اليسرى وأخذ السّيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه فدخل القائم أيضاً وراء النَّصل وطبق الشّحم وراء النّصل لأنّه لم يجذب السيّف من بطنه».

ثم نقرأ أيضاً عن حادثة مقتل (سيرا) رئيس جيش مملكة حاصور على يد إمرأة تدعى (ياعيل) وهي امرأة حابر القيني. . وبيت حابر القيني كانوا في صلح مع (يابين) ملك حاصور. وحابر القيني من (قاين) من بني حوباب حمي موسى. وعندما حدث صراع بين حاصور وبني إسرائيل، انتصر الإسرائيلّيون حسب ما يزعم كاتب السفر فهرب قائد جيش حاصور (سيسرا) والتجأ إلى بيت حابر القيني نظراً لوجود عهد وصلح بينهما: «وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. فخرجتْ ياعيل لاستقبال سيسرا وقالتْ له ملْ يا سيدي. ملْ إليّ لا تخفْ فمال إليها إلى الخيمة وغطّته باللحّاف. فقال لها اسقيني قليل ماءٍ لأنّي قد عطشتُ. ففتحتْ وطبَ اللبن وأسقته ثم غطّته. فقال لها قفي بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحدٌ وسألك أهنا رجلٌ أنّك تقولين لا. فأخذتْ ياعيل إمرأة حابر وتَدَ الخيمة وجعلتْ الميتدة في يدها وقارَتْ إليه وضربت الوتد في صُدغه فنفذ إلى الأرض وهو متثقّل في النّوم ومتعبٌ فمات».

في سفري صموئيل الأوّل والثاني نقرأ مزيداً من حوادث الغدر والخيانة والقتل نفذّها بنو إسرائيل فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين سكان كنعان من جهة أخرى.

كاتب السفر يروي هذه الأحداث بإسهاب، مرّجعاً إياها إلى رضى ورغبة ربّ الجنود يَهْوهَ، فنقرأ عن الصراع بين شاول ملك بني إسرائيل كما يسميه وداود، وكيف كان شاول يخطّط لاغتيال وتصفية داود لأنّه كان يغار منه ويحسده بينما صموئيل النبّي يخطّط لتصفية شاول والتخلّص منه وتسليم السلّطة لداود، ونظراً لأنّ شاول تجاوز صموئيل النبّي عدة مرات، وهذا أمرٌ لم يكن ليرضى به

صموئيل فهو المرجعية الرئيسة دينياً ودنيوياً ولا يقبل أن يتصرّف شاول أي شيء دون الرجوع إليه واستشارته وأخذ موافقته لأن يهوه يريد ذلك كما يزعم.

لقد أراد شاول أن يتخلص من داود بأية وسيلة وأخذ يخطّط لهذا الأمر فتارة يدفع به إلى محاربة الفلسطينيين ليُقتل في المعركة. وتارة يخطّط لاغتياله سراً وتارة عبر تزويجه ابنته وهكذا.. أمضى شاول أيامه يبحث في الوسيلة التي تخلّصه من داود. «وقال شاول لداود هوذا ابنتي الكبيرة مَيْرةُ أُعطيكَ إياها امرأة. إنما كنْ لي ذا بأسٍ وحارب حروب الرّب. فإنّ شاول قال لا تكن يدي عليه بل لتكنْ عليه يدُ الفلسطينيين». ماتَ شاول وثلاثة من أولاده في حرب مع الفلسطينيين كما يرد في سفر صموئيل الأول ولم يبق من أولاده إلّا (إيشبوشث). فجعله أَبنيرُ بنُ نيرَ) ملكاً على إسرائيل مكان أبيه. فقد كان أبنير رئيس جيش شاول. أما بيت يهوذا فقد اتبعوا داود. واشتدت الحرب بين الطرفين على السلطة.

كانت لشاول سرية اسمها «صفة» بنت أية. وكان ابنير قائد الجيش يدخل إليها ويضطجع معها كما يروي كاتب السفر: «وكان في وقوع الحرب بين بيت شاول وبيتُ داود أنّ أَبنير تشدّد لأجل بيت شاول. وكانت لشاول سرّية اسمها رصفةُ بنتُ أيّة. فقال إيشبوشث لأبنير لماذا دخلت إلى سرّية أبي. فاغتاظ أبنير جداً من كلام إيشبوشث وقال ألعّلي رأس كلبٍ ليهوذا اليوم أصنع معروفاً مع بيت شاول أبيك مع إخوته ومع أصحابه ولم أسلمّك ليد داود وتطالبني اليوم بإثم المرأة».

قرّر أبنير التخلي عن إيشبوشث بن شاول وينضّم إلى داود استنكاراً فراسلَ داود واتفق معه على المصالحة وتسليمه السلطة على جميع إسرائيل ويهوذا فوراً، وقد وافق داود لكنه اشترط على أبنير أن يأتي له بامرأته ميكال بنت شاول التي فرض عليها والدها التخّلي عن داود والزواج من رجل آخر يدعى (فلطئيل بن لايش). وقد تمّ له الأمر حيث نقرأ: «فأرسل داود رُسلاً إلى إيشبوشث بن شارل يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمائة غُلْفَةٍ من الفلسطينيين فأرسل

ايشبوشث وأخذها من عند رجلها من فلطئيل بن لايش وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى يحوريم. فقال له أبنير إذهب ارجعْ.. فرجعْ».

لقد غدر أَبنير بن نير بأيشبوشث وتخلّى عنه لصالح داود، لكنّه لم يهنأ بهذا الغدر.. وانقلبت خيانته عليه. حيث نقرأ: «فجاء أبنير إلى داود إلى حبرون ومعه عشرون رجلاً. فصنع داود لأبنير وللرّجال الذين معه وليمة وقال أبنير لداود أقوم وأذهب وأجمع إلى سيدي الملك جميع إسرائيل فيقطعون معك عهداً وتملكُ حسب كلّ ما تشتهي نفسكَ. فأرسل داود أبنير فذهب بسلام».

غير أنّ (يوآب) أحد قوّاد داود استنكر هذا الأمر ورأى ضرورة قتل أَبنير. لأنّه قتل أخاه (عسائيل). فترك الأمر سراً ولم يخبر داود وقرّر اغتيال أبنير بخدعةٍ وغدرٍ. حيث نقرأ: «ثم خرج يوآب من عند داود وأرسل رسلاً وراء أَبنير فردوه من بئر السيرة، وداود لا يعلمُ. ولمّا رجع أَبنير إلى حبرون مال به يوآب إلى وسط الباب ليكلّمه سراً وضربه هناك في بطنه فمات بدم عسائيل أخيه».

إنّ حادثة اغتيال أبنير غدراً وخيانة تركت صدى كبيراً وخاصة لدى ابن شاول (إيشبوشث) الذي تعرّض بعد وفاة أبنير لحادثة اغتيال أيضاً من قبل قائدين يعملان عنده.. فقد قتلوه غدراً حيث نقرأ: «ولمّا سمع ابن شاول أنّ أبنير قد مات في حبرون ارتخت يده وارتاح جميع إسرائيل. وكان لابن شاول رجلان رئيساً غزاةٍ اسم الواحد بعنة واسم الآخر ركاب ابناً رمّون البئيروتيّ من بني بنيامين».

«وسار ابناً رمون البئيروتي ركاب وبعنة ودخلا عند حرّ النهار إلى بيت ايشبوشث وهو نائمٌ نومة الظهيرة. فدخلاً إلى وسط البيت ليأخذا حنطة وضرباه في بطنه ثم أفلت ركاب وبعنة أخوه. فعند دخولهما البيت كان هو مضطجعاً على سريره في مخدع نومه فضرباه وقتلاهُ وقطعا رأسه».

ثم نقرأ عن حادثة اغتيال غدراً قام بها داود ضدّ قائده أوريا الحثّي ليأخذ زوجته: «وكان في وقت المساء أنّ داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت

الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود رسائل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام إمرأة أورّيا الحثي فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها ثمّ رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة. فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنّي حُبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل لي أورّيا الحثي فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أورّيا إليه. فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أورّيا من بيت الملن وخرجت وراءه حصّة من عند الملك ونام أورّيا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيدّه ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أورّيا إلى بيته. فقال داود لأورّيا أما جئت من السّفر فلماذا لم تنزلْ إلى بيتك. فقال أورّيا لداود إنّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع إمرأتي. وحياتك وحياة نفسك لاأفعل هذا الأمر».

إنّ هذا الموقف النبيل والشجاع من أورّيا الحثّي، يعبرّ تماماً عن التزام واحترام أبناء حثّ للعمل مهما كان نوعه. وعن وفائهم وإنسانيتهم وشجاعتهم. فأوريّا الحثّي لم يكن يهودياً، كان من بني حثّ.. ومع هذا فقد كان محارباً شجاعاً ووفيّاً لرفاقه اليهود، فلم يرّضَ أن ينعم مع امرأته ورفاقه يحاربون في الصحراء.. فكان مثال الإنسان الملتزم الخلوق الذي يتصّف بالإنفتاح والتسامح والوفاء. ولم يكن ليدري أنّ داود غدر به واضطجع مع امرأته ويخطّط لاغتياله والغدر به أيضاً. فقد كان حسن النّية وفضّل النوم على باب بيت الملك بدلاً من بيته، ولكنّ دواد لم يرق له الأمر فنقرأ: «وفي الصباح كتب داود إلى يوآب مكتوباً وأرسله بيد أوريّا. وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريّا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت».

حمل أوريّا الحثّي رسالة موته غدراً.. ونجح مخطّط داود في التخلّص من أوريّا الحثّي ليسلبه زوجته الجميلة. ومات أوريّا حيث نقرأ: «وكان في محاصرة

يوآب المدينة أنّه جعل أوريّا في الموضع الذي علم أنّ رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريّا الحثّي أيضاً».

«فلّما سمعت امرأة أوريّا أنّه قد مات رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمّها إلى بيته وصارتْ له امرأة وولدت له ابناً».

ويحدّثنا كاتب سفر صموئيل الثاني أيضاً عن حادثةٍ بشعة قام بها (أمنون) بن داود بدعم وتخطّيط من عمّه شقيق والده (يوناداب). فقد احتال أمنون على أخته (تامار) واستدرجها إلى مخدعه واضطجع معها حيث نقرأ: «وكان لأمنون صاحبٌ اسمه يوناداب بنُ شمعي أخي داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له أمنون إنّي أحبُّ تامار أُختَ أبشالوم أخي. فقال يونادابُ اضطجع على سريرك وتمارض. إذا جاء أبوك ليراك فقلْ له دع تامار أُختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها».

نجح مخطّط يوناداب، ووافق داود على إرسال ابنته تامار لتخدم أخيها أمنون فاستغل أمنون وجودها وتمكن منها واضطجع معها، ثم طردها. حيث نقرأ: «فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكنّ منها وقهرها واضطجع معها».

لكنّ أبشالوم ابن داود شقيق أمنون وتامار الذي استنكر فعلة أخيه أمنون، ضمر الشرّ له، وقرّر وضع خطة للغدر به واغتياله انتقاماً لأخته تامار. . فتامار كانت أخت أمنون من أبيه داود. بعد سنتين حسب ما يروي كاتب السفر قرّر أبشالوم الانتقام من أخيه أمنون. . فخطّط لإقامة وليمة يدعو إليها والده وإخوته ومنهم أمنون حيث نقرأ: «وكان بعد سنتين من الزمان أنّه كان لأبشالوم جزّازون في بعل حاصور التي عند أفرايم فدعا أبشالوم جميع بني الملك. وجاء أبشالوم إلى الملك وقال هوذا لعبدك جزّازون، فليذهب الملك وعبيده مع عبدك. فقال الملك لأبشالوم. لا يا بني لا نذهب كلّنا لئلّا نثقل عليك، فألحّ عليه فلم يشأ أن يذهب بلْ باركه. فقال أبشالوم إذاً دعْ أخي أمنون يذهب معنا. فقال الملك لماذا

يذهب معك؟ فألحّ عليه أبشالوم فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك. فأوصى أبشالوم غلمانهُ قائلاً انظروا متى طاب قلبُ أمنون بالخمر وقلتُ لكم اضربوا أمنون فاقتلوه. لا تخافوا أليس أنّي أنا أمرتكم؟ فتشدّدوا وكونوا ذوي بأس. ففعل غلمانُ أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم».

كما نقرأ في سفر صموئيل أيضاً عدة حالات غدرٍ واحتيال حدثتْ خلال الصراع بين أبشالوم وأبيه داود أهمّها الغدر بأبشالوم وقتله من قبل قائد جيش داود يوآب بن صرويه. كان داود قد أوصى قواده وجنوده بعدم التعرّض لابنه أبشالوم وطالبهم بالحفاظ على سلامته، غير أنّ يوآب بن صروية نكثَ بهذا الطلب وخان ملكه داود وغدر بأبشالوم وقتله كما يردُ في النصّ التوراتي حيث نقرأ: «وصادف أبشالومُ عبيد داود وكان أبشالومُ راكباً على بغلٍ فدخل البغلُ تحت أغصان البُطمة العظيمة الملتفة. فتعلّق رأسهُ بالبطمة وعُلّق بين السماء والأرض والبغل الذي تحته مرّ. فرآه رجلٌ وأخبر يوآب وقال إنّي قد رأيت أبشالوم معلّقاً بالبطمة. فقال يوآب للرّجل الذي أخبره إنّك قد رأيته فلماذا لم تضربه هناك إلى الأرض وعليّ أنْ أعطيك عشرة من الفضّة ومنطقةً؟ فقال الرّجل ليوآب فلو وُزنَ في يدي ألفٌ من الفضّة لما كنتُ أمدّ يدي إلى ابن الملك لأنّ الملك أوصاك في آذاننا أنتَ وأبيشاي وإتّاي قائلاً احترزوا أياً كان منكم على الفتى أبشالوم».

«فقال يوآب إنّي لا أصبرُ هكذا أمامك. فأخذ ثلاثة سهامٍ بيد ونشبّها في قلب أبشالوم وهو بعدُ حيٌّ في قلب البطمة. وأحاط بها عشرةُ غلمانٍ حاملو سلاح يوآب وضربوا أبشالوم وأماتوه».

وفي سفر الملوك الأول يروي كاتبه عدّة عمليات اغتيال وتصفية قام بها الملك سليمان بن داود ضدّ عدد من قواد أبيه ومعاونيه، ومن بينهم شقيقه الأكبر (أدّونيا بن حُجّيت). فنقرأ: «والآن حيّ هو الرّبّ الذي ثبّتني وأجلسني على كرسّي داود أبي والذي صنع لي بيتاً إنّه اليوم يقتلُ أدوينّا. فأرسل الملك سليمان بيد بنايا هو بن يهوياداع فبطش به فمات».

ونقرأ في الإصحاح الواحد والعشرين من نفس السفر عن جريمة قتل استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة بطريقة بشعة جداً خطّطت لها (إيزبيل) امرأة ملك إسرائيل (آخاب) ضد رجل آمن يدعى (نابوت اليزرعيلي): «وحدث بعد هذه الأمور أنّه كان لنابوت اليزرعيلي كرمٌ في يزرعيل بجانب قصر آخاب ملك السامرة. فكلم آخاب نابوت قائلاً أعطني كرمكَ فيكون لي بستان بقولٍ لأنه قريب بجانب بيتي فأعطيك عوضه كرماً أحسن منه وإذا حسن في عينيك أعطيتك ثمنه فضةً. فقال نابوتُ لآخاب حاشى لي من قبل الرّب أن أعطيك ميراث آبائي».

انزعج آخاب جداً من هذا الرّد.. واكتأب وجهه. فدخلت إليه امرأته مهدئة وواعدةً بحلّ القضية بسهولة قائلة لآخاب: «أأنت الآن تحكم على إسرائيل؟ قمْ كلْ خبزاً وليطبْ قلبك. أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي. ثم كتبتْ رسائل باسم آخاب وختمتها بخاتمه وأرسلتْ الرسائل إلى الشيّوخ والأشراف الذين في مدينته الساكنين مع نابوت. وكتبت في الرسائل تقول. نادوا بصوم وأجلسوا نابوت في رأس الشّعب. وأجلسوا رجلين من بني بلّيعال تجاههُ ليشهدوا قائلين قد جدّفتَ على الله وعلى الملك. ثم أخرجوه وارجموه فيموت».

نجح مخطّط إيزابيل بشكل جيد كما رسمته. فتمتْ تصفية نابوت اليزرعيلي غدراً وخيانة وغشاً واستولى آخاب على البستان الذي كان لنابوت حيث نقرأ: «ولمّا سمعت إيزابيل أنّ نابوت قد رُجمَ ومات قالتْ إيزابيل لآخاب قمْ رثْ كرمَ نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إيّاه بفضةٍ لأنّ نابوت ليس حيّاً بلْ هو ميتٌ. ولمّا سمع آخاب أنّ نابوت قد مات قام آخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثه».

إنّ مقتل نابوت اليزرعيلي كان سبباً في التخطّيط لعدّة عمليات قتل واغتيال استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة أيضاً. فبعد وفاة الملك آخاب تسلّم ابنه (يورام) السلطة. غير أنّ أليشع النبي أخذ يخطّط لإغتيال يورام والثأر لنابوت اليزرعيلي بالتعاون مع قائد الجيش (ياهو بن يهوشافاط) فاستغلّا الصراع الذي

كان قائماً فيما بين الآراميين وبني إسرائيل، حيث كان يورام ملك إسرائيل وأخزيا بن يهورام ملك يهوذا يقاتلان معاً الآراميين في منطقة (راموت جلعاد) وهناك جرح يورام في المعركة فرجع ليبرأ في يزرعيل من الجروح التي جرحه بها الآراميون في راموت. وكان ملك يهوذا قد نزل ليرى يورام بن آخاب في يزرعيل ويطمئن على وضعه. إلى يزرعيل وصل قائد الجيش المتآمر ياهو بن يهوشافاط وعدد من المسّلحين بغية اغتيال يورام فالتقيا في بستان نابوت اليزرعيلي حيث نقرأ: «فلمّا رأى يهورام ياهو قال أسلامٌ يا ياهو. فقال أيُّ سلامٍ ما دام زنا إيزابيل أُمّكَ وسحرها الكثيرُ. فردّ يهورام يديه وهربَ وقال لأخزيا خيانةٌ يا أخزيا. فقبض ياهو بيده القوس وضربَ يهورام بين ذراعيه فخرج السهم من قلبه فسقط في مركبته».

«فجاء ياهو إلى يزرعيل. ولمّا سمعتْ إيزابيلُ كحّلتْ بالأُثمد عينيها وزيّنتْ رأسها وتطلّعت من كوةٍ. وعند دخول ياهو الباب قالتْ أسلامٌ لزمري قاتلِ سيّده. فرفع وجهه نحو الكوّة وقال منْ معي. منْ فأشرف عليه اثنان أو ثلاثةٌ من الخصيان. فقال اطرحوها. فطرحوها فسال من دمها على الحائط وعلى الخيل فداسها ودخلَ وأكلَ وشربَ ثم قال افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لأنّها بنتُ ملك».

ولم يكتف ياهو بهذه الجرائم والاغتيالات.. فقد قرّر اغتيال جميع أبناء آخاب بن عمري بعد أنْ قتل ابنه يورام الملك. وكان عدد أبناء آخاب سبعين ولداً. ويعيشون في السّامرة تحت إشراف مُرّبين هناك. فأرسل ياهو إلى هؤلاء المُرّبين رسائل طالبهم فيها بقتل جميع أبناء آخاب الأولاد والشبّان وقطع رؤوسهم وإرسالهم إليه. حيث نقرأ: «فكتب إليهم رسالة ثانية قائلاً إنْ كنتم لي وسمعتم لقولي فخذوا رؤوس الرّجال بني سيدكم وتعالوا إليّ في نحو هذا الوقت غداً إلى يزرعيل. وبنو الملك سبعون رجلاً كانوا مع عظماء المدينة الذين ربّوهم. فلّما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك وقتلوا سبعين رجلاً ووضعوا رؤسهمُ في سلالٍ وأرسلوها إليه إلى يزرعيل».

ثم تابع ياهو جرائمه وغدره واغتيالاته كما يرد في السفر: «وقتل ياهو كلّ الذين بقوا لبيت آخاب في يزرعيل وكلّ عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبقِ له شارداً. ثم قام وجاء إلى السّامرة. وإذا كان عند بيت عقد الرّعاة في الطريق صادف ياهو إخوة أخزْيا ملك يهوذا. فقال من أنتم فقالوا نحن إخوةُ أخزيا ونحن نازلون لنُسّلم على بني الملك وبني الملكة. فقال امسكوهم أحياءً. فأمسكوهُم أحياءً وقتلوهم عند بئر بيت عُقدٍ اثنين وأربعين رجلاً لم يبق منهم أحد».

أيضاً لم يكتفِ ياهو بما اقترفه من جرائم باسم رب الجنود يَهْوه، فقد صبّ جام غضبه على سكان كنعان وكهنتهم بعد أن خطّط لهذا الأمر تخطّيطاً محكماً استخدم فيه الحيلة والخدعة ثم الغدر والقتل. لقد اتصّف الكنعانيون بالروح المتسامحة والانفتاح والمساواة بين جميع الشعوب والأديان، فلم يتعرضوا لمعتقدات الآخرين. ولا لكهنتهم، ولم يفرضوا ديانتهم على أحد وقد عاش اليهود بين ظهرانيهم ومارسوا شعائرهم الخاصّة بهم، ولا نقرأ أنّ كنعانياً اعتدى على كهنة يَهْوَهَ.. غير أنّ ياهوشافاط وبدافع من عنصريته وحقده وغدره لم يرع هذا الأمر.. وكان مثالاً لليهودي الحاقد الذي ينتظر الفرصة الملائمة للانقضاض على الأغيار الأبرياء وقتلهم بقسوة ووحشية. فلّما قتل جميع أبناء آخاب وأصحابه ومعارفه ومن يمُّت له بصلة. التفت إلى كهنة الكنعانيين مستخدماً حيلةً للغدر بهم وقتلهم كما يروي كاتب السفر حيث نقرأ: «ثم جمع ياهو كلّ الشعب وقال لهم. إنّ آخاب قد عبد البعل قليلاً وأما ياهو فإنّه يعبده كثيراً. والآن فادعوا إليّ جميع أنبياء البعل وكلّ عابديه وكلّ كهنته. لايُفقد أحدٌ لأنّ لي ذبيحة عظيمة للبعل. كلّ من فقد لا يعيش. وقد فعل ياهو بمكر لكي يفني عبدة البعل. وقال ياهو قدسوا اعتكافاً للبعل. فنادوا به وأرسل ياهو في كلّ إسرائيل فأتى جميع عبدة البعل ولم يبق أحدٌ إلّا أتى ودخلوا بيت البعل فامتلأ بيتُ البعل من جانب إلى جانبٍ. فقال للذي على الملابس أَخرج ملابس لكل عبدة البعل. فأخرج لهم ملابسَ. ودخل ياهو ويهوناداب بنُ ركاب بيت البعل. فقال لعبدة البعل فتشوا وانظروا لئلا يكون معكم هاهنا أحدٌ من عبيد الرّبّ ولكنّ عبدة البعل

وحدهم. ودخلوا ليقّربوا ذبائح ومحرقاتٍ. وأما ياهو فأقام خارجاً ثمانين رجلاً وقال. الرجل الذي ينجو من الرجال الذين أتيتُ بهم إلى أيديكم تكون أنفسكم بدلَ نفسه. ولمّا انتهوا من تقريب المُحرقة قال ياهو للسُّعاة والثّوالث أدخلوا اضربوهم. لا يخرج أحدٌ. فضربوهم بحدّ السيف وطرحهم السّعاة والثّوالث وساروا إلى مدينة بيت البعل».

ويروي كاتب سفر الملوك الثاني عن جريمة بشعةٍ جداً اقترفتها (عثليا) والدة ملك يهوذا (أخزيا) الذي قتله ياهو يهوشافاط بعد أنْ غدر بملك إسرائيل يورام بن آخاب وقتله. فنقرأ: «فلمّا رأت عَثليا أُمّ أخزيا أنّ ابنها قد مات قامت فأبادت جميع النسل الملكي».

طبعاً لم ينج من هذه المذبحة البشعة إلّا طفل رضيع يدعى (يوآش بن أخزيا) سرقته عمّته وخبأته عند (يهوياداع) في بيت الرّبّ وبقي فيه ست سنوات إلى أن أخرجه الكاهن (يهوياداع) وألبسه تاج الملك وأعطاه الشهادة وملكّه ومسحه ملكاً بدلاً من عثليا بالاتفاق مع عددٍ من قادة الجيش المتنفذين وكان يهوياداع الكاهن قد وضع خطة لاغتيال عثليا، وقد نجح في تنفيذ الإغتيال كما يرد في النص التوراتي.

ثم تعرّض يوآش هذا إلى مؤامرة استخدم فيها أسلوب الغدر والخيانة وتمّ فيها اغتياله وقتله كما يرد في سفر الملوك الثاني: «وقام عبيدهُ وفتنوا فتنةً وقتلوا يوآش في بيت القلعة حيث ينزل إلى سلّى. لأنّ يوزاكار بن شمعة ويهوزاباد بن شومير عبديه ضرباهُ فمات. فدفنوه مع آبائه في مدينة داود وملك أمصْيا ابنه عوضاً عنه».

وتستمرُّ عمليات الغدر والخيانة والاغتيالات في مملكتي يهوذا وإسرائيل علي السّواء. فنقرأ عن فتنة في إسرائيل ضدّ زكريا بن يربعام ملك إسرائيل قام بها (شلُّوم بن يابيش) بتكليف من ربِّ الجنود يهوهَ كما يرد في النّص التوراتي حيث نقرأ: «ففتنَ عليه شلُّوم بن يابيش وضربه أمام الشّعب فقتله وملك عوضاً عنه».

لكنّه لم يهنأ كثيراً. فقد أُحيكت مؤامرة ضّده وتم اغتياله من قبل رجلٍ يدعى (منحيم بن جادي) فنقرأ: «وصعد منحيم بن جادي من ترصة وجاء إلى السامرة وضرب شلّوم بن يابيش في السّامرة فقتله وملك عوضاً عنه».

وعندما توفيّ مناحيم تسلّم ابنه (فقحيًا) السلطة، لكنّه تعرض لخيانة واغتيال أيضاً: «ففتن عليه فقحُ بن رمليا ثالثه وضربه في السّامرة في قصر بيت الملك مع أرجوبَ ومع أرْبَةَ ومعه خمسون رجلاً من بني الجلعاديين. قتله وملك عوضاً عنه».

وكان مصير فقح بن رمليًا كمصير سلفه.. فقد تعرض هو الآخر لخيانة وغدر أودى بحياته فنقرأ: «وفَتن هو شعُ بنُ أَيْلةَ على فقح بن رمَليًا وضربه فقتله وملك عوضاً عنه».





ثانياً
الانحلال الخلقي

في الأسفار التوراتية نقرأ الكثير من التصرفات والأفعال التي تُعبرُ عن الانحلال الخلقي والرذيلة، فنجد من يقدّم امرأته لغيره خدمةً لمصالحه، ومن يضطجع مع امرأة أبيه أو أخته أو كنّته إلخ. . .

في سفر التكوين نجدُ أنّ إبراهيم تخلّى عن امرأته (سارة) لصالح فرعون مصر لكي يثرى ويكون له خيرٌ بسببها: «فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرّبَ هناك لأنّ الجوع في الأرض كان شديداً وحدث لمّا قرب أن يدخل مصر أنّه قال لساراي امرأته إنّي قد علمتُ أنك حسنة المنظر. فيكون إذ رآك المصريون أنّهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أُختي ليكون لي خيرٌ بسببك وتحيا نفسي من أجلكِ».

«فحدث لمّا دخل أبرام إلى مصر أنّ المصريين رأوا المرأة أنّها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنمٌ وبقرٌ وحميرٌ وعبيدٌ وإماء وأُتنٌ وجمالٌ».

فرعون لم يكن ليدري أنّ سارة امرأة لإبراهيم. فقد ادّعت أنّها أخته وإبراهيم أكدّ هذا الأمر لرؤساء فرعون. . لكنّ فرعون عندما علم بالأمر بعد فترة من الزمن استهجنه تماماً وانزعج من إبراهيم حتى الدرجة التي طرده فيها من مصر بعد أن أعاد له زوجته. فالمصريون لم يعتادوا على مثل هذا السلوك. فنقرأ: «فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعتَ بي لماذا لم تخبرنِي أنّها

امرأتك. لماذا قلتَ هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتك. خذها واذهبْ».

وكاتب سفر التكوين يروي ويسجلّ حادثة ابنتي لوط كيف احتالتا على أبيهما واضطجعتا معه وحبلتا منه: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكرُ للصغيرة. أبونا قد شاخَ وليس في الأرض رجلٌ ليدخل علينا كعادة كلّ الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكرُ واضطجعت مع أبيها ولم يعلمْ باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أنّ البكر قالتْ للصغيرة إنّي قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليّلة أيضاً فادْخلي اضطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلا. فسقيا أباهما خمراً في تلك اللّيلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما. فولدت البكرُ ابناً ودعتِ اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدتِ ابناً ودعت اسمه بنْ عمّي. وهو أبو بني عمّون إلى اليوم».

ويتابع كاتب السّفر سرد الحوادث الّلا أخلاقية، ويحدثنا عن إبراهيم وسارة مرّة ثانية بعد أن طرد من مصر واتجه إلى كنعان فيروي: «وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرّب في جرار وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة».

لقد كررّ إبراهيم حادثة مصر نفسها. فقال عن امرأته سارة إنّها أخته فطلبها ملك جرار لتكون زوجة له، وإبراهيم وافق على الطلب، ولولا تدخل الإله يَهْوه في آخر لحظة لاضطجع معها ملك جرار أبيمالك حسب ما يروي كاتب السفر فنقرأ: «فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنتَ ميتٌ من أجل المرأة التي أخذتها فإنّها متزوجة ببعل. ولكن أبيمالك لم يكن قد اقترب إليها فقال يا سيّد أأمَةً بارّة تقتلُ. ألم يقل هو لي إنّها أختي. وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي، بسلامة قلبي ونقاوة يديّ فعلتُ هذا».

وورث إسحق عن أبيه إبراهيم سلوكه، واتبع الأسلوب نفسه في تقديم امرأته للآخرين. حيث يحدّثنا كاتب سفر التكوين أنّ إسحق تغرّبَ في منطقة جرار وكان ملكها أبيمالك أيضاً. ففعل إسحق كما فعل أبوه قبلاً، قال عن امرأته (رفقة) إنّها أخته: «فأقام إسحق في جرار. وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي».

وحدث إذ طالت له الأيام هناك أنّ أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوّة ونظر وإذا إسحقُ يلاعبُ رفقة امرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال إنّما هي امرأتك فكيف قلتَ هي أُختي. فقال له إسحق لأنّي قلتُ لعلّي أموت بسببها. فقال أبيمالك ما هذا الذي صنعت بنا. لولا قليلٌ لاضطجع أحدُ الشّعب مع امرأتك فجلبْت علينا ذنباً».

مثل هذا السلوك لم يألفْه الكنعانيون. إنّه انحطاطٌ في القيم الأخلاقية. ويعتبره الكنعانيون ذنباً وعاراً فهم يخافون اللّه، ومن هذا المبدأ كان موقف أبيمالك من إبراهيم ومن ابنه إسحق. ومن هذا السلوك عموماً.

ونقرأ في سفر التكوين أيضاً أنّ روبين ابن يعقوب وهو بكره، استغلّ غياب والده ودخل على امرأته بلْهةَ وكان لها ولدان دان ونفتالي واضطجع معها: «وحدثَ إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أنّ رأوبين ذهب واضطجع مع بلْهَة سرّية أبيه».

كما يحدّثنا أنّ تامار (كنّة يهوذا) ابن يعقوب الرابع زنت مع حميها يهوذا وحبلت منه وولدت ولدين أسمت الأوّل (فارص) والثاني (زارح) فنقرأ: «وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها تامار. وكان عيرٌ بكرُ يهوذا شريراً في عينيّ الرّب فأماته الرّب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقمْ نسلاً لأخيكَ. فعلم أونان أنّ النّسل لن يكون له فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنّه أفسد على الأرض لكي لا يعطي نسلاً لأخيه فقُبحَ في عيني الرّبّ ما فعله فأماته أيضاً. فقال يهوذا لتامار كنّته أقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبُر شيلةُ ابني.

لأنّه قال لعلّه يموت هو أيضاً كأخويه. فمضت تامار وقعدت في بيت أبيها».

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. ثم تعزّى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلّامّي. فأخبرت تامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنه ليجّز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة لأنّها رأت أنّ شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجةً. فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنّها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاكي أدخل عليك. لأنّه لم يعلم أنّها كنتّه، فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ. فقال إني أُرسل جديي معزى من الغنم. فقالت هل تعطيني رهناً حتى ترسله. فقال ما الرّهن الذي أُعطيك. فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاها ودخل عليها. فحبلت منه ثم قامتْ ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترمُلّها».

«وفي وقت ولادتها إذ في بطنها توأمان. وكانت في ولادتها أنّ أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة هذا خرج أولاً ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج. فقالت لماذا اقتحمت. عليك اقتحام فدعي اسمه فارصَ. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القُرمز فدعي اسمه زارحَ».

ونقرأ في سفر القضاة حوادث بشعة تعبّر عن الانحلال الخلقي منها أنّ رجلاً لاوّياً متغرباً في عقاب جبل أفرايم. اتخذ له امرأة سرّية من بيت لحم يهوذا فزنت عليه هذه المرأة، وتركته ثم ذهبت إلى بيت أبيها، ومع هذا جاء زوجها وراءها ليطيب قلبها ويردها معه.

عادت المرأة معه، وجاء إلى مقابل يبوس (أورشليم) وكان معه حماران مشدودان، والغلام، أي غلامه. فانحدر النهار وبدأت الشمس تغيب فقال الغلام لسيّده: «تعال نميلُ إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيتُ فيها. فقال له سيّده لا نميل إلى مدينة غريبةٍ حيث ليس أحدٌ من بني إسرائيل هنا. نعبر إلى جبعةَ. وقال لغلامه تعال نتقدم إلى أحد الأماكن ونبيتُ في جبعةَ أو في الرّامة. فعبروا وذهبوا

وغابت لهُمُ الشمس عند جبعة التي لبنيامين. فمالوا إلى هناك لكي يدخلوا ويبيتوا في جبعة. فدخل وجلس في ساحة المدينة ولم يضمهم أحدٌ إلى بيته للمبيت. وإذا برجل شيخ جاء من شغله من الحقل عند المساء والرجل من جبل أفرايم وهو غريب في جبعة ورجال المكان بنيامينيون. فرفع عينيه ورأى الرجل المسافر في ساحة المدينة فقال الرّجل الشيخ إلى أين تذهب ومن أين أتيت؟ فقال له نحن عابرون من بيت لحم يهوذا إلى عقاب جبل أفرايم. أنا من هناك وقد ذهبت إلى بيت لحم يهوذا وأنا ذاهبٌ إلى بيت الرّب وليس أحدٌ يضمّني إلى البيت. وأيضاً عندنا تبنٌ وعلفٌ لحميرنا وأيضاً خبزٌ وخمرٌ لي ولأمتكَ وللغلام الذي مع عبيدك ليس احتياج إلى شيء. فقال الرّجل الشيخ السّلام لك إنّما كلّ احتياجك عليّ ولكن لا تبتْ في الساحة. وجاء به إلى بيته. وعَلَفَ حميرهم. فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا».

«وفيما هم يطيّبون قُلوبهمُ إذا برجال المدينة رجال بني بلّيعال أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلمّوا الرجلَ صاحب البيت الشّيخ قائلين أخرج الرجلَ الذي دخل بيتك فنعرفهُ. فخرج إليهم الرجلُ صاحب البيت وقال لهم لا يا إخوتي لا تفعلوا شراً. بعدما دخل هذا الرّجل بيتي. لا تفعلوا هذه القباحة. هو ذا ابنتي العذراء وسرّيته دعوني أُخرجهما فأذلُّوهما وافعلوا بهما ما يحسن في أَعينكم وأمّا هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح. فلمْ يرد الرّجال أن يسمعوا له. فأمسك الرجلُ سرّيته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها وتعلّلوا بها اللّيل كلّه إلى الصباح. وعند طلوع الفجر أطلقوها. فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء فقام سيدها في الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب في طريقه وإذا بالمرأة سرّيته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة. فقال لها قومي نذهب. فلم يكن مجيبٌ. فأخذها على الحمار وقام الرّجل وذهب إلى مكانه. ودخل بيتهُ وأخذ السّكين وأمسك سرّيته وقطعها مع عظامها إلى اثنتي عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل».

إنّه انحطاط كبيرٌ في القيم الأخلاقية، جريمة بشعة جداً، وسلوكٌ شائنٌ ومرعب جداً قام به اليهود ببساطة. . ويقرأ عنه أطفالهم اليوم بافتخارٍ ويقتدون به. ويستحضرونه في سلوكهم اليومي الديني والمدني.

في سفر صموئيل الأول حوادث تتعلق ببني إسرائيل تفوح منها رائحة الانحلال الخلقي والقباحة واللاإنسانية فنقرأ عن سلوك كلّ من شاول وداود أثناء الصراع بينهما على السلطة وكيف كان كلّ طرف يسعى لدفع الآخر عنه بطرق وأساليب غير مشروعة محورها عموماً المرأة والغدر.

إنّ شاول لكي يتخلص من داود قرّر أن يزوجه ابنته الكبرى مَيْرَب علماً أنّها كانت قد تزوجت من رجلٍ يدعى عدرئيل المحوليّ. لم يكن ليهتم بمسألة الأخلاق. ابنته متزوجة وهو يريد أن يطلقها من زوجها ليعطيها لرجل آخر نظراً لأنّ مصلحته تقتضي ذلك.

داود كان يميلُ إلى ميكال الفتاة الأصغر للملك شاول. . وهي كانت تميلُ إليه. وقد وافق شاول أن يزوجها لداود، ليس لأنّه يريد أن يكون داود صهره ويُسعدُ ابنته، بل من أجل أن تكون شركاً له ويقتله الفلسطينّيون حيث نقرأ: «وميكالُ ابنة شاول أَحبّتْ داود فأخبروا شاول فحسُن الأمر في عينيه. وقال شاول أُعطيه إيّاها فتكون له شركاً وتكون يدُ الفلسطينيين عليه».

لقد طلب شاول مهر ابنته ميكال مائة غُلفةٍ من الفلسطينيين كما يرد في سفر صموئيل الأولّ: «فقال شارل هكذا تقولون لداود. ليستْ مسّرة الملك بالمهر بلْ بمائة غُلفةٍ من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك وكان شاول يفكّرُ أن يوقعَ داود بيد الفلسطينيين».

ولمّا اشتدّ الصراع بين الطرفين وهرب داود من وجه شاول قام شاول باحتجاز ميكال ابنته ومنعها من الذهاب مع داود. وزوجها لرجل يُدعى فلطئيل بن لايش بقيت عنده حتى وفاة والدها شاول فاستردّها داود ثانية وبطريقة سلبية كما يردُ في السفر حيث نقرأ: «فأرسل أبنير من فوره رُسلاً إلى داود قائلاً لمنْ

هي الأرض. يقولون اقطعْ عهدك معي وهوذا يدي معكَ لردّ جميع إسرائيل إليك. فقال حسناً أنا أقطع معك عهداً إلّا أنّي أطلبُ منك أمراً واحداً وهو أن لا ترى وجهي ما لم تأتِ أولاً بميكال بنت شاولَ حين تأتي لترى وجهي. ،أرسل داود رسلاً إلى إيشبوشث بن شاول يقول أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمائة غُلفةٍ من الفلسطينيين فأرسل إيشبوشث وأخذها من عند رجُلها من فلطئيل بن لايش. وكان رجلها يسيرُ معها ويبكي وراءها إلى بحوريم. فقال له أبنيرُ اذهب. ارجعْ. فرجع».

ويحدثنا كاتب سفر صموئيل الثاني أنّ الملك شاول توفي، فقام قائده أبنير بن نير بمصاحبة امرأته رصفة بنت أَية وقد علم ابن شاول إيشبوشث بالأمر فاستنكر قائلاً لأبنير «لماذا دخلت إلى سرّية أبي. فاغتاظ أبنير جداً من كلام إيشبوشث وقال ألعلّي رأس كلب ليهوذا. اليوم أصنع معروفاً مع بيت شاول أبيك مع إخوته ومع أصحابه ولم أسلّمك ليد داود وتطالبني اليوم بإثم امرأةٍ».

ثم نقرأ في نفس السفر عن داود وقائده أوريّا الحثّي، وسلوكه اتجاه امرأة أوريّا الحثّي. وكيف دبّر اغتياله ليسلبه امرأته: «وكان في وقت المساء أنّ داود قام عنْ سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السّطح امرأةً تستّحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدٌ أليستْ هذه بتشبع بنت أليعامَ امرأة أوريّا الحثّي. فأرسل داود رسُلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرةٌ من طمثها ثمّ رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأةُ».

عندما علم داود بالأمر. أرسل وراء زوجها لكي ينام معها وتختفي القضّية، لكن أوريّا الحثّي بما كان يحمله من شعور بالمسؤولية والقيم الأخلاقية والالتزام قرّر أن ينام مع حرّاس داود بدلاً من أنْ يذهب إلى بيته لينام مع امرأته علماً أنّه تلّقى أمراً من داود بالذهاب إلى بيته. فنقرأ قوله لداود: «إنّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيدُ سيّدي نازلون على وجه

الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر».

إنّه موقفٌ نبيل من أوريّا الحثّي.. فهو لم يكن يهودياً. إنّه من بني حث ولهذا اتصف بالمروءة والشجاعة وعفّة النفس. والوفاء للقضية التي يعمل من أجلها.. ولم يكن ليدري أنّ داود خدعه وأساءَ إليه ولامرأته. ولكنَّ داود قابل هذا الموقف النبيل بالشرّ. من أجل نزوة عابرة، فأمر باغتيال أوريّا الحثّي القائد الشجاع وتصفيته. وتحقّق له الأمر وضمّ امرأته بتشبع بنت أليعام إلى بيته وصارتْ له امرأة».

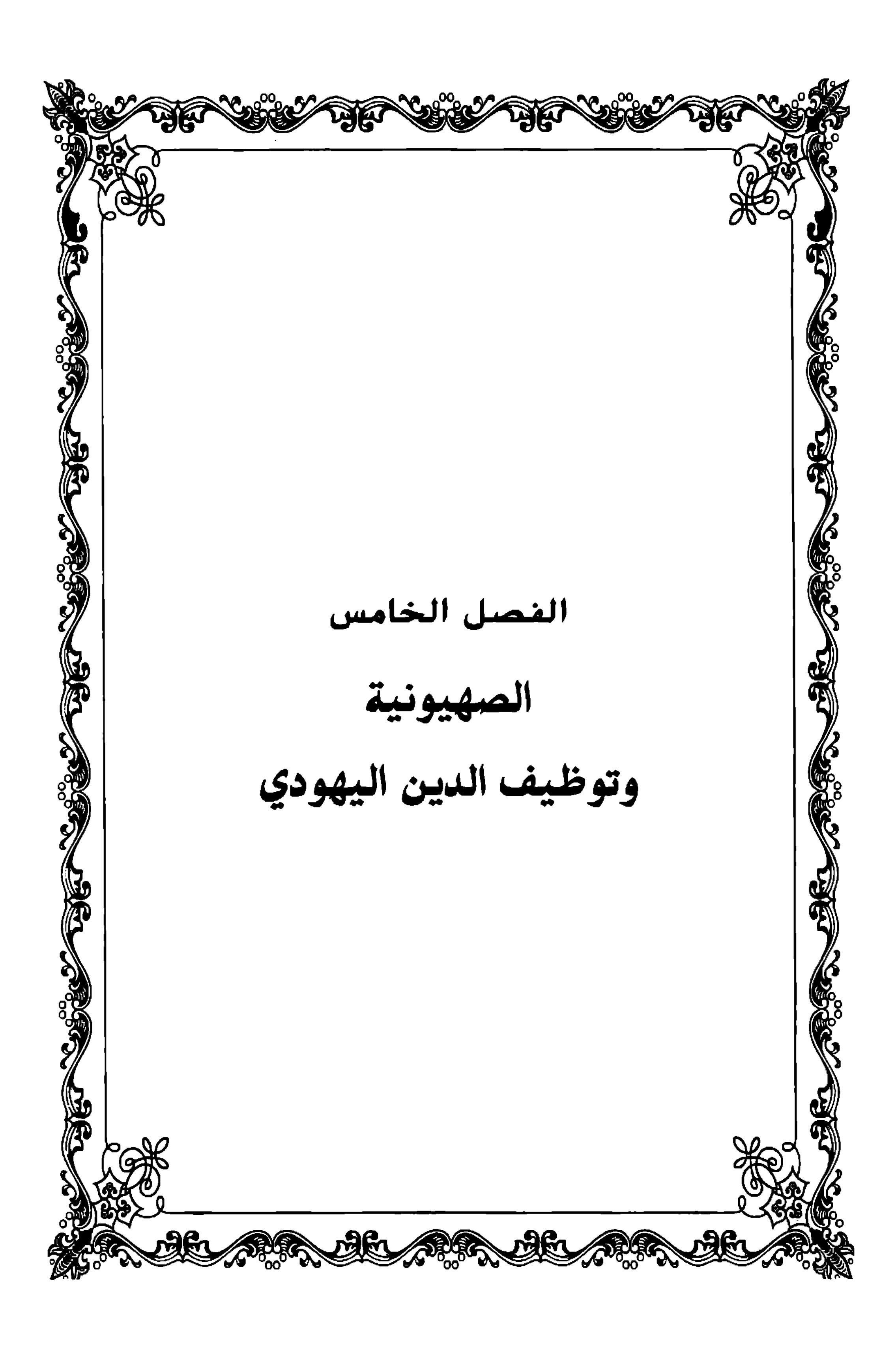
نبقى في سفر صموئيل الثاني وحوادث لا أخلاقية أخرى فنقرأ عن أمنون بن داود كيف احتال على أخته تامار وضاجعها وطردها بعد ذلك بقسوةٍ ووقاحة.. «كان لأبشالوم بن داود أُختٌ جميلة اسمها تامار فأحبها أمنونُ بن داود. وأُحصر أمنون للسّقْم من أجل تامار أُخته لأنّها كانت عذراء وعَسُر في عينّي أَمنُون أن يفعل لها شيئاً. وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بنُ شمعي أخي داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنتَ ضعيفٌ هكذا من صباح إلى صباح. أما تُخبرني. فقال له أمنُونُ إنّي أُحبُ تامار أُختَ أبشالومَ أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارضْ وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع تامار أُختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعملْ أمامي الطّعام لأرى فآكل من يدها. فاضطجع أمنُونُ وتمارض. فجاء الملك ليراه فقال أمنُونُ للملك دع تامار أُختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها. فأرسل داود تامار إلى البيت قائلاً اذهبي إلى بيت أمنون أَخيك واعملي له طعاماً. فذهبتْ تامارُ إلى بيت أمنُون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين وعجنت وعملتْ كعكاً أمامه وخبزتِ الكعك وأخذت المقلاة وسكبتْ أمامه فأبى أن يأكل. وقال أمنُون أخرجوا كلّ إنسان عنّي فخرج كلّ إنسان عنه. ثم قال أمنُون لتامار إيتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت تامار الكعك الذي عملتُه وأتت به أمنُونَ أخاها إلى المخدع. وقدمّت له ليأكل فأمسكها. وقال لها تعالي اضطجعي معي

يا أختي. فقالتْ له لا يا أخي لا تذُلّني. لأنّه لا يفعلُ هكذا في إسرائيل لا تعملْ هذه القباحة. أمّا أنا فأين أذهبُ بعاري وأمّا أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل. والآن كلّم الملك لأنّه لا يمنعني منكَ. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بلْ تمكّن منها وقهرها واضطجع معها. ثمّ أبغضها أمنُونُ بغضة شديدة جداً حتى إنّ البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبّة التي أحبّها إيّاها. وقال لها أمنُونُ قومي انطلقي».

لقد كان أمنون من السّفهاء حقّاً، والسفيه الأكبر كان عمّه يوناداب الرجل الحكيم الذي قال عنه كاتب السّفر أنّه رجلٌ حكيم جداً. هذا الرجل الحكيم الذي أشار على أمنون أن يفعل هذه القباحة ضارباً عرض الحائط كل القيم الأخلاقية الحميدة.

ونقرأ عن سفيه آخر لا يقلُّ سفاهةً عن أمنون ويوناداب، إنّه (أبشالوم) شقيق أمنون وتامار. فهو لم يكتفِ أن غدرَ بأخيه أمنون وقتله، وتمرّد على أبيه داود، بل وصلت السّفاهة عنده إلى مضاجعة نساء أبيه وكان عددهنَّ عشر نساء. وذلك خلال الصراع الذي نشب بينه وبين أبيه داود على السّلطة. واضّطر داود للهرب من وجه ابنه، فأشار على أبشالوم أحد الكهنة المناصرين له وكان يدعى (أخيثوفل): «ادخل إلى سراري أبيكَ اللواتي تركهنّ لحفظ البيت فيسمع كلّ إسرائيل أنّك قد صرتَ مكروهاً من أبيك فتتشدّد أيدي الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السّطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل».





الفصل الخامس

الصهيونية
وتوظيف الدين اليهودي

تمهيد

يرد في الكتب والتعاليم الدينية اليهودية إشارات متعدّدة عن «أرض الميعاد وجبل صهيون، والأرض المقدّسة، والمسيح المنتظر الذي سيأتي في آخر الزّمان ويقود شعبه إلى أرضه، ويقيم مملكته ويحكم العالم. إلخ».

إنّ كلمة (صهيون) لها وقعها الخاص وإيماءاتها الدينية، فهي تشير إلى جبل صهيون والقدس والأرض المقدّسة ككل، ويشير اليهود أنفسهم باعتبارهم بنت صهيون. كما تستخدم للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية. والعودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي، فالمسيح (المخلّص) سيأتي في آخر الزمان ليقود شعبه اليهود (حصراً) إلى صهيون. . ولكلمة صهيون أيضاً إيحاءات شعرية في الوجدان الديني اليهودي، وقد وردتْ إشارات كثيرة في التوراة إلى هذا الارتباط الذي يطلق عليه عادة (حبّ صهيون). وهو حبٌ يعبّر عن نفسه خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة[١].

كما ترد أفكار عن الزرع المقدّس والاختيار والتفوق والعزلة والعدوان والتوّجس من الأغيار وغيره مما ورد ذكره في فصل محتوى التعاليم الدينية اليهودية وكان اليهود في مناطقهم المعزولة (الغيتوات) يعيشون في جوّ مشبع بهذه التعاليم الضيّقة، وداخل الأحياء المعزولة هذه. يجدون كلّ أسباب التعّلق بهذه التعاليم كالمعابد والمدارس الخاصة الدينية، والمقابر والطقوس والأزياء الخاصّة والشعور المزروع في عقولهم الباطنة بأنّهم الزّرع المقدّس والشعب المختار وبأنّهم أحفاد إبراهيم وداود ويشوع وسليمان وغيرهم. وقد كان لحاخاماتهم الدور الأكبر في تكريس هذه المفاهيم الميتولوجية وتقوية الشعور بأنّ العزلة ركنٌ من أركان الديانة وبالتالي من أركان الإيمان.

لقد رأى زعماء الصهيونية ضرورة المزاوجة بين (الصهيونية - اليهودية)

لخلق حافز ديني روحي يقف خلف النشاطات التي تقوم بها الحركة، ويساهم في دفع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم شعرت بحاجتها إلى توظيف الدّين اليهودي لمواجهة تيار الاندماج الناشط في أوساط يهود أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية الذين كانت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية تختلف عن ظروف يهود أوروبا الشرقية الذين تعرّضوا لعمليات اضطهاد سياسي وعدم استقرار اجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولهذا كان لا بدّ من تكريس مقولة «وحدة ونقاء الشعب اليهودي وعدم قابليته للذوبان والاندماج في الشعوب التي يعيش ضمنها، ومقولة أبدّية العداء للسّاميّة» باستثمار المآسي التي تعرّض لها اليهود على يد القياصرة والحكام والعمل على إذكائها، بل وافتعالها لدفع اليهود للهجرة إلى فلسطين تنفيذاً للمخطط الاستعماري[٢].

كان واضحاً لقيادة الحركة الصهيونية أنّ استمالة رجال الدّين يسهل على الحركة استخدام العامل الديني كوسيلة للترويج لأسطورة «الأمّة اليهودية» وإزالة الفوارق بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كدين، وذلك لخلق رأي عام مؤيد لأهداف المشروع الصهيوني في أوساط الجاليات اليهودية في أوروبا وأمريكا تحت شعارات «العودة إلى صهيون وأرض الميعاد، والحقّ التاريخي والديني» في إنشاء «الدولة اليهودية في أرض (إسرائيل) التاريخية». لهذا عمدت القيادة الصهيونية إلى خلق حركة دينية صهيونية أسمتها حركة (مزراحي) سنة ١٩٠٢يقودها عدد من الحاخامين في روسيا. برئاسة الحاخام (يعقوب رينز) لغزو الحركات الدينية المعارضة للفكرة الصهيونية، والتسلّل إلى صفوفها وصَرْفهَا عن توجهاتها ثمّ إحداث انقلاب داخلي يطوّعها للحركة الصهيونية وأهدافها، وفي نفس الوقت تحت دعوى الخشية من سيطرة التعليم العلماني والمفاهيم القومية العلمانية على الجانب الديني والرّوحي الأمر الذي سيؤدي إلى القضاء على الديانة اليهودية فقد كانت هناك تيارات دينية معارضة للصهيوّنية ترى بأنّ العودة إلى صهيون هي عودة روحية تتمّ بإرادة إلهّية، وإنّ أي جهدٍ بشريّ يُبذلُ لهذه الغاية هو ضربٌ من الإلحاد والمخالفة للإرادة الإلهية.

لقد طرحت حركة مزراحي الدينية الصهيونية أفكاراً مثل البعث القومي لشعب (إسرائيل)، والالتزام بالتوراة والتعليم الديني والتراث اليهودي «وكان شعار الحركة الأساسي» أرض (إسرائيل) لشعب (إسرائيل) وفق شريعة (إسرائيل) وكانت المادة البشرية لها من يهود شرق أوروبا[٣].

كان من مهمات حركة مزراحي الدينية «الحثّ على الالتزام بالتوراة وتنفيذ الوصايا، والعودة إلى أرض الآباء، ونشر الكتابات الدينية القومية، وتربية الناشئة بهذه الرّوح، وزرع المقولة الصهيونية التي تؤكدّ إمكانية الدمج بين اليهودية كدين تؤمن به جاليات يهودية من قوميات مختلفة. وبين الصهيونية كعقيدة سياسية. وتفريغ الإنسان من كلّ ما يربطه بوطنه الأصلي وقوميته وتهيئته للهجرة إلى فلسطين بعد تطويقه بأسس العزلة والحصار»[٤].

استطاعت هذه الحركة أن تنشئ لها / ٢١٠/ فروع في روسيا وحدها. وفي عام ١٩٠٥ عقد المؤتمر الدّولي لحركة (مزراحي) في «بوزني» بهنغارية تمّ فيه وضع البرنامج الداخلي للمنظمة وكانت أهم بنود البرنامج الذي أقرّه المؤتمر:

- إنّ مزراحي منظمّة صهيونية تقوم على برنامج بازل وتعمل لإعادة بعث (شعب إسرائيل). وهي تعتبر أنّ وجود الشعب اليهودي يعتمد على اتباع تعاليم التوراة وعلى إنجاز الوصايا والعودة إلى أرض الآباء.

- ستبقى مزراحي ضمن المنظمة الصهيونية العالمية، وستعمل من خلالها لتحقيق وجهات نظرها ورؤياها الخاصّة، وهي تنشئ منظمتها من أجل إدارة نشاطاتها الثقافية والدينية.

- ستكون وسيلة مزراحي للوصول إلى أهدافها، شرح أفكارها في حلقاتها الدينية، وخلق ونشر أدب وطني ديني وتثقيف الشباب بروحيّته[٥].

أنشأت حركة مزراحي عدّة فروع لها في فلسطين وبنت مدرسة «تحكموني» الدينية في يافا والتي أصبحت أهم مؤسسة ثقافية لمزراحي في فلسطين، كما أقامتْ العديد من المؤسسات الدّينية بواسطة فروعها المنتشرة في أكثر دول

العالم، واعترفت الصهيونية بإشراف مزراحي على هذه المدارس ومسؤوليتها عن تنظيم المدارس الدينية واختيار المدّرسين الملائمين لها، وعن وضع مناهجها الخاصّة. وتمّ تأسيس دائرة مركزية للحركة في فلسطين من أجل تكثيف البرنامج العلمي لمزراحي، وخاصّة في مجال التعليم والثقافة وتنسيق ذلك العمل مع الجهود التي تبذلها الحركة في الخارج(٦).

وبعد الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور، عاودتْ مزراحي نشاطها وبكثافة في أوروبا حيث شرعتْ في تهجير اليهود إلى فلسطين، كما قامتْ بتأسيس فروع جديدة لها مع حركات شبابية في العديد من الأقطار، وأقامت شبكة من المدارس الدينية في بولندا وليتوانيا ولتفيا. وفي تلك الفترة بدأت مزراحي تلعب دوراً متزايداً في أوساط «اليشوف» اليهودي في فلسطين وفي هياكله التشريعية والتنفيذية(٧).

وتمّ سنة ١٩٢٢ تنظيم وإنشاء «عمّال مزراحي» في فلسطين، وهو تنظيم عمّال أنشئ بعد أن حملت موجة الهجرة الثالثة مجموعة من شباب مزراحي من بولندا، والذين أنشأوا ما يسمّى بجماعة «توراة هعفورا» أي التوراة والعمل. وقد تطورتْ هذه المجموعة إلى منظّمة «هبوعيل مزراحي» أي عمّال مزراحي حيث افتتحتْ فروعاً لها في يافا والقدس وبتاح تكفا وريشون لتسبون وكان برنامجها على النحو التالي:

- تسعى هبوعيل مزراحي إلى بناء البلد في انسجام مع تعاليم التوراة ومع التقاليد الدينية من خلال العمل.

- تستهدف هبوعيل مزراحي أن ينشأ أعضاؤها على أُسس مادّية وروحية ثابتة من أجل تطوير العاطفة الدينية عند العمال، وتمكينهم من العيش كعمّال متدّينين(٨).

هاتان المنظمتان «مزراحي وهبوعيل مزراحي» اتحدتا أخيراً ونتج عنهما «الحزب الوطني الديني» همفدال «عام ١٩٥٦. وقد سعى هذا الحزب ومنذ السنوات الأولى لقيام الكيان الصهيوني إلى فرض سيطرته على الحياة الاجتماعية

في الكيان. حيث مارس كل الضغوط من أجل الهيمنة الكاملة على الشؤون الدينية، وطالب باستمرار الإشراف على قضايا «السبت والأعياد الدينية، وربط قضايا الإرث والطلاق باستمرار والزواج والحلال والحرام بالقوانين الدينية». وأيضاً ربط مختلف جوانب الحياة اليهودية بهذه القوانين، وقد أعطت سيطرة هذا الحزب على المؤسسات التربوية الدينية ونشاطاته الاستيطانية والاقتصادية المتنوعة له قوة ونفوذاً سياسيين جعلاً الأحزاب الحاكمة في الكيان تحرص باستمرار على استرضائه وإشراكه في الحكم[٩].

وحزب المفدال هذا، يؤكد باستمرار على ضرورة استناد التشريع الصهيوني إلى قانون «التوراة» وإلى «التراث اليهودي» ويرى في الحاخام الرئيسي أعلى سلطة في الدولة. وهذا الحزب أفرز العديد من الكتل والحركات الفاشية مثل «غوش أمونيم وكاخ، وهتحيا» وغيرها. التي تمارس الأعمال العدائية ضدّ السكان العرب وتدافع عن سياسة القبضة الحديدية، وتدعو باستمرار إلى استخدام القوّة في التعامل مع الدول العربية وإلى التمسّك بالأراضي المحتّلة باعتبارها أجزاء مقدّسة من أرض الكيان الصهيوني[١٠].

في المؤتمر الثالث لحزب «المفدال» الذي انعقد عام ١٩٦٨ أي بعد عام واحد على احتلال الضّفة الغربية وقطّاع غزة وسيناء والجولان كانت أبرز المقرّرات السياسية هي: «إنّ الحزب الوطني الديني يُقّيم الإنجازات السياسية والأمنية التي حقّقها الجيل الحالي في أرض (إسرائيل) كبداية على طريق تحقيق الإرادة الإلهية ومن أجل التحرير الكامل للشعب اليهودي في أرض أجداده».

وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد في أيار ١٩٧٨ طالب هذا الحزب حكومة بيغن بتنفيذ مشروع استيطاني واسع الأبعاد في جميع أرجاء أرض الكيان بما في ذلك «الضفة الغربية، والجولان، وقطّاع غزّة» كما طالب بتحويل المستوطنات المؤقتة القائمة في الضّفة الغربية والجولان إلى مستوطنات دائمة[١١].

إلى جانب حركة مزراحي الدينية الصهيونية كانت هناك حركة دينية أُخرى أكثر تطّرفاً وتشدّداً تدعى «أغودات يسرائيل» التي تأسّست عام ١٩١٢ في «كاتوتيز» في سيليسيا العليا، وكان برنامجها «توحيد (شعب إسرائيل) حسب تعاليم التوراة بجميع مظاهر الحياة، الاقتصادية والسياسية والرّوحية». . ثمّ بدأتْ هذه الحركة تتوسع في نشاطها منذ مطلع العشرينات، حيث انبثق عنها سنة ١٩٢٢ حركة عمّالية في بولونيا دعيتْ «عمال أغودات يسرائيل» بهدف الحدّ من ميل العمال اليهود نحو الأفكار العلمية والاشتراكية. وفي عام ١٩٣٧ برز التحوّل الجذري في مواقف هذه الحركة باتجاه الانسجام مع أهداف ومبادئ المنظمّة الصهيونية العالمية، فتحولت كلّياً من حركة توراتية مناوئة للصهيونية إلى حركة دينية مؤيدة للصهيونية، ومنسجمة مع أهدافها، وغدتْ حركة عنصرية متزّمتة تلعب كغيرها من الحركات الدينية دوراً خطيراً في تربية الناشئة داخل الكيان الصهيوني على روح الكراهية والعنصرية ضد السكان العرب(١٢).

عند قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ تحوّلت حركة «أغودات يسرائيل» والفرع العمالي، إلى حزب سياسي صار يشارك في المجالس البلدية والمحلية ويسعى لفرض الشريعة التوراتية على الحياة العامّة في الكيان الصهيوني، وكانت معركته الأساسية في مجال التعليم، وقد استمرّ هذا الحزب يخوض الانتخابات ضمن الجبهة التوراتية حتى عام ١٩٦٠ حيث انفصل عنه الفرع العمالي الذي أخذ يشارك في الحكومة الصهيونية(١٣).

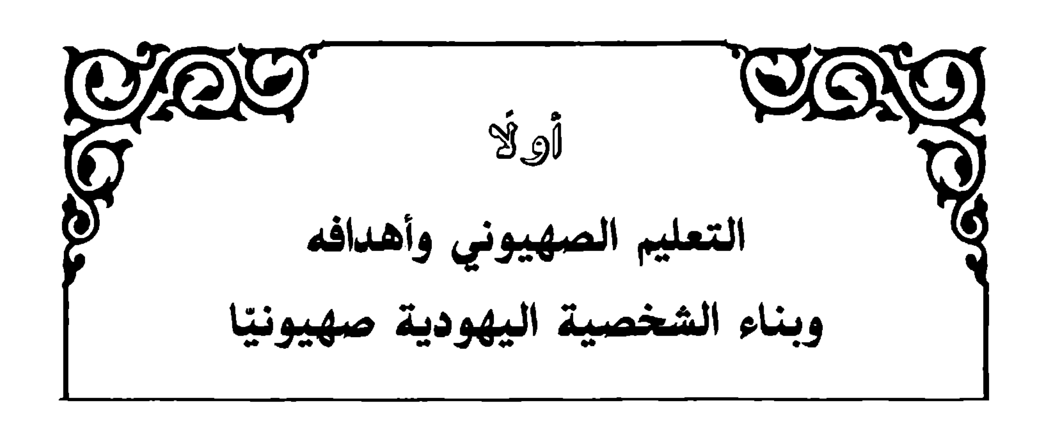
لقد ظهرت حركات دينية متطرفة كثيرة بعد قيام الكيان الصهيوني، انشقتْ عن الأحزاب الدينية، وهذه الحركات تلقى الدعم الكامل من الحركة الصهيونية نظراً لأنّها تتحرك ضمن إطار أهدافها ومشاريعها العدوانية والتوسعية. فعن حزب «المفدال» انشّقتْ عام ١٩٨١ حركة «تامي» أي «تقاليد (إسرائيل)» وقد حصلت هذه الحركة على امتيازات في حكومة بيغن، التي تشكّلتْ بأغلبية بسيطة وبدعم الأحزاب الدينية، وقد احتلّ زعيمها أهرون أبو حصيرة منصب وزير الأديان، كما احتلّ الرّجل الثاني فيها (أهرون أوزان) منصب نائب وزير الاستيعاب(١٤).

ثمّ ظهرت حركة جديدة عام ١٩٨٤ تدعى «شاس» وقف على رأسها حاخامون منشقّون عن حزب «أغودات يسرائيل» وقد حصلتْ هذه الحركة على أربعة مقاعد في الكنيست أثناء انتخابات . ١٩٨٤ وخلال فترة تشكيل الحكومة الصهيونية حصلت على حقيبة وزارة الداخلية بشخص الحاخام (يتسحاق بيرتش)[١٥] .

وخلال المعركة الانتخابية عام ١٩٨٤ ظهرت حركة «موراشاه» أي «حرّاس التوراة» من تجّمع حركات دينية منشّقة تجمعها صفة التّطرف والتشدّد الديني منها : «حركة متسادا» المنشّقة عن حزب المفدال، وحركة «أوروت» التي يقودها (حنان بن بورت)[١٦] .

لقد نجحتْ الصهيونية في توظيف الدين اليهودي لصالح أهدافها ومشاريعها التوسعية والتسلّطية، بعد أن لمستْ تأثير التربية الدينية على عقلية النشء اليهودي. فاستغّلتْ التعاليم التوراتية التي تشير إلى صهيون، والأرض المقدّسة، وهيكل الرّب وغيره. . وطرحتْ نفسها كحلّ بديل لما يسمّى بالمسألة اليهودية. فرفضت فكرة الاندماج بالشعوب رغم موافقتها على الخروج من قوقعة الغيتو، ورفعتْ فكرة الغيتو الدّولي الكبير في فلسطين العربية الذي يحقّق لها مصالحها الدائمة في استغلال خيرات الوطن العربي ومنع أيّة محاولة وحدوية إسلامية من شأنها الوقوف في وجه أطماعها التوسعية والاستعمارية. .





أولاً

التعليم الصهيوني وأهدافه وبناء الشخصية اليهودية صهيونيّا

خلف شعار «الثقافة الوطنية الدينية» ومن خلال شبكة واسعة من المدارس الدينية والمؤسسات التعليمية التي انتشرت في الأوساط اليهودية في مختلف البلدان وفي الكيان الصهيوني تسعى الصهيونية لخلق جيل يهودي متعصّب منغلق نفسياً ودينياً، مشارك للأوساط الصهيونية «العلمانية» الأخرى في تنفيذ المشروع الاستيطاني وترجمة الأفكار الغيبية المثيولوجية إلى واقع.

إنّها تنمّي الشخصية اليهودية على العدوان والتسلّط واحتقار الأغيار والعمل على التمسّك بالأرض باعتبارها أرض الأجداد التي ورّثهم إيّاها الإله شخصياً، وذلك من خلال المناهج التعليمية الدينية والمدنية في المدارس والمعاهد والمؤسسات الدينية المنتشرة في كلّ مكان. وتلعب الحركات الدينية الصهيونية دوراً بارزاً وهاماً في عملية التربية والتعليم الديني. وفي الحياة السياسية والاجتماعية الداخلية في الكيان الآن.

الدراسة الدينية تحتلّ مكاناً بارزاً في مناهج التعليم عموماً. وكثير من الموضوعات التي تعالج تحت أسماء مختلفة «كالوطن والتاريخ والجغرافية واللغة العبرية» تدرس من الزّاوية الدينية، وتؤكّد هذه المناهج على تنمية الوعي والحسّ اليهودي لدى الأطفال بقصد زيادة التركيز على صلة الطالب اليهودي بتراثه القديم من خلال دراسته الدينية.

ويتمّ التركيز في هذه المناهج على زرع الأفكار الدينية في عقول الناشئة لتبرير وجود رابطة دينية بينهم وبين أرض فلسطين ممّا يعطيهم الحقّ في بناء دولة

لهم فيها، ويروجوّن أنّ إقامة دولة يهودية في فلسطين هو تحقيق لما جاء في التوراة فالرّب قد اختار الشعب اليهودي واختار الأرض. وما دام هذا الاختيار إلهّياً فإنّه يعطي امتيازاً للأرض وللشعب الموعود بها أيضاً. وبذلك تكون (أرض إسرائيل) مخصّصة لبني إسرائيل وحدهم دونَ غيرهم.

كما يتمّ التركيز أيضاً على أنّ الحياة اليهودية في فلسطين لم تنقطع منذ أيام الرّومان إلى العصور الحديثة. وأنّ دولة الكيان هذه أُنشئت في بلادٍ قطنها المحتلّون والغزاة العرب طوال / ١٣٠٠/ سنة. وأنّ عودة المهّجرين اليهود من كافة أنحاء العالم وتوطينهم في فلسطين تحت ستار العودة إلى أرض الوطن التاريخي ليس باعتبارهم غرباء عن هذه الأرض بل باعتبارهم سكّانها الأصليين الذين ظلّوا بعيدين عنها طوال العهود السابقة.

وفي كتاب «التعليم في (إسرائيل)» للدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف. نجد تفصيلات عن هذه المناهج والمواد التي تدّرس في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والدراسات العليا في المنهجين المدني والديني والسّاعات المقرّرة لكل موضوع، ونأخذ مثالاً على ذلك منهاج المدرسة الابتدائية الدينية والمدنية:

الصف الأوّل بنوعيه الديني والمدني

الموضوع	الساعات المقرّرة
اللغة: وتشمل قصص التوراة، معرفة البلاد، الصحّة، الصلاة والشرائع الدينية	١٠ - ١٢
الفن والحرف	٦ - ٨
الحساب	٤
الرياضة والألعاب	٢

الصّف الثاني

التعليم المدني		التعليم الديني	
الموضوع	الساعات المقرّرة	الموضوع	الساعات المقرّرة
التوراة	٥	التوراة والصلوات	١١
اللغة، معرفة البلاد الطبيعية	٦	اللغة - معرفة البلاد الطبيعية	٤
الفن والحرف	٥	الفن	٣
الحساب	٤	الحساب	٤
الرياضة والألعاب	٢	الألعاب	٢
النشاطات الاجتماعية	٢		

الصّف الثالث

التعليم المدني		التعليم الديني	
الموضوع	السّاعات المقرّرة	الموضوع	السّاعات المقرّرة
التوراة والهاغادا	٤	التوراة والأحاديث الدينية	٧
اللغة العبرية	٥	اللغة العبرية	٣
الطبيعة ومعرفة البلاد	٢	الطبيعة ومعرفة البلاد	٢
الحساب	٤	الحساب	٣
الرياضة والألعاب	٢	الرياضة والألعاب	٢
الحرف	٢	الفنون والحرب: للبنات	٣
الزراعة	٢	للصبيان	٢
الفنون	١	الصلوات والشرائع: للبنات	٤
الموسيقى	١	للصبيان	٥
النشاطات الاجتماعية	١	الزراعة	٢

الصّف الرابع

التعليم المدني		التعليم الديني	
الموضوع	الساعات المقرّرة	الموضوع	الساعات المقرّرة
التوراة والهاغادا	٥	الصلوات والشريعة اللغوية	٦
اللغة العبرية	٥	اللغة العبرية	٣
الطبيعة ومعرفة البلاد	٣	الطبيعة ومعرفة البلاد	٢
الحساب	٤	الحساب	٣
الرياضة والألعاب	٢	الرياضة والألعاب	١
الحرف	٢	الحرف	١
الفن والموسيقى	٢	الموسيقا	١
النشاطات الاجتماعية	١	الفن	١
		التوراة	٦
		الزراعة	٢

وينطبق هدف التعليم الرسمي في الكيان الذي حدّده قانون التعليم الرّسمي على التعليم العربي أيضاً ليبتعد المواطن العربي عن ثقافته وتنمحي هويته وشخصيته. فمنهاج التاريخ الذي يبدأ منذ الصّف الخامس يشتمل على الموضوعات التالية:

- تطوير الحياة في الشرقين الأدنى والأوسط.. خمس حصص
- العبرانيون.. عشر حصص
- الإمبراطورية الفارسية.. ثلاث حصص
- الجزيرة العربية.. خمس حصص
- اليونان.. سبع حصص

كما تدرسّ بقية موضوعات المنهاج من زاوية علاقتها باليهود في فلسطين

فمثلاً، في دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم، يركّز المنهاج على انتشار المستوطنات المزدهرة اليهودية في الجزيرة ولا سيّما في الجنوب كاليمن وحضرموت والحجاز وبنو قريظة وبنو قينقاع وخيبر ووادي القرى ويثرب أو المدينة المنوّرة، ثمّ يهود الحميريين ويوسف ذو نواس. أمّا في دراسة الإمبراطورية الفارسية فيجري التركيز على «كورش» وتصريحه لليهود بالعودة إلى (إسرائيل) ثم بناء الهيكل الثاني. وفي دراسة اليونان يركز المنهاج على مقاومة اليهود في (إسرائيل) لانتشار الديانة اليونانية بينهم، ثورتهم على اليونان، المكابيون. يهودا المكابي وانتصاراته إلخ. أي أنّ تاريخ الصف الخامس يدور حول العبرانيين، ويهدف إلى ترسيخ الاعتقاد أنّ فلسطين بلد يهوديّ منذ القديم.

وفي منهاج التاريخ للصف السادس يكّون التاريخ الإسلامي ٥٦٪ من مقرّر التاريخ، لكن يتمّ التركيز في هذا المنهاج على الخلافات في التاريخ الإسلامي بين علي ومعاوية والخلافات بين الفرق الدينية والصراع بين الأمويين والعباسيين كما يفرد المنهاج فصلاً لما يسّميه بالجهود اليهودية في الحضارة الإسلامية مثل التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية ولا سيّما في الأندلس وفي مصر الفاطمية، والأمويين، و(موسى بن ميمون وشلومو بن جبيرول). وفي التطرق إلى الرومان والبيزنطيين يركّز على الشخصية اليهودية في فلسطين متجاهلاً الشعوب الأخرى هناك. فتجسّم ثورات اليهود ضد الرومان والبيزنطيين بشكل بارز لإعطائهم صفة الشعب الحيّ المقاوم للغزو الحضاري.

أمّا في كتب الاجتماعيات المقرّرة للطلاب العرب في المرحلة الإلزامية فتبرز سياسة التهويد تماماً. هذه السياسة تقوم على إيهام الطالب العربي بأنّ فلسطين أرض يهودية منذ القدم، والعمل على طمس معالم عروبتها، وتظهر هذه الناحية في جميع مواد المنهاج وتعبّر عنها كتب الاجتماعيات بعدّة طرق منها:

- استبدال جميع أسماء الأماكن والأنهار بأسماء عبرية مثل «صفات» بدلاً من صفد، و «بيت شأن» بدلاً من بيسان و «وادي هبور» بدلاً من وادي غزّة و «جبال يهوذا» بدلاً من جبال القدس والخليل.

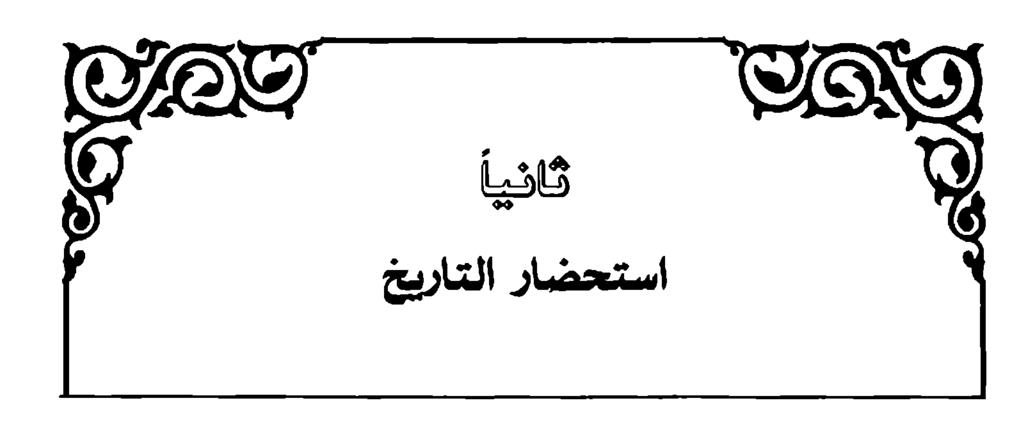
- محاولة إظهار علاقة تاريخية بين الأماكن الجغرافية في فلسطين وبين العبرانيين.

- توجيه الطلاب لما يوهم بأنّ فلسطين يهودية منذ القدم والشعوب الرومانية والبيزنطية والفرس والعرب هم غزاة.

وتقوم أيضاً هذه السياسة على تهيئة نفسية الطلاب العرب لنوايا الكيان التوسعية وإيهامهم بأنّ هذا التوّسع أمرّ طبيعي، كما تسعى للحطّ من شأن العرب اجتماعياً واقتصادياً وإظهار تأخرهم، وإضعاف ثقة الطالب العربي بنفسه وبقومه. وتصوير التاريخ العربي وكأنّه عمليات غزو وقرصنة للبلدان التي احتلوها والتأكيد على الخلافات بين الخلفاء والأمراء والشعوب والطوائف المختلفة.

إنّ فلسفة التعليم الصهيوني قد بنيتْ أصلاً على تلقين التراث الديني اليهودي وإفهام الطلاب بأنّ الحضارة البشرية هي نتاج مشترك بجهود الشعب اليهودي. وقد عبرّ الكاتب اليهودي (موشيه مينوحين) الذي تخرّج من المدرسة الثانوية اليهودية الأولى «الجمنازيوم» عن الرّوح التي تبثّها المدارس اليهودية قائلاً: «منذ أول سنوات دراستنا في الجمنازيوم. كنا نتلّقى يومياً خطباً لا تنتهي عن واجباتنا المقدّسة نحو أمتنا وبلادنا وأرض آبائنا وكان يقرع قلوبنا الفتّية أنّ أرض آبائنا يجب أن تخلص لنا نظيفة من الكفّار العرب وأنّه يجب أن تسخّر حياتنا لخدمة أرض آبائنا وللقتال من أجلها».





ثانياً

استحضار التاريخ

إنّ قادة الكيان الصهيوني يوجّهون المفهوم التاريخي بما يتفق وأهدافهم التي منها «وحدة الشعب اليهودي، وحفظ ذاتية الشعب اليهودي، والسيطرة الدائمة على الأرض العربية»، ولهذا فهم يتسترون وراء التعاليم الدينية لتبرير سلوكهم ووجودهم. هذه التعاليم التي تحثهم على الاستعلاء والتوّجس من الأغيار. والانكماش، وتنّمي فيهم روح العدوان والتسّلط والتأكيد على الإرث الإلهي والأرض الموعودة والحق التاريخي والزرع المقدّس إلخ.

لهذا فهم يستحضرون التاريخ دوماً ويستشهدون بتراثهم الغيبي الميتولوجي في كل المناسبات. ويؤكدون على ضرورة تنفيذ كل ما جاء في التوراة، حتى إنّهم يعتبرون أي انتصار لهم هو تأكيد لما ورد في التوراة.

في حديقة الحيوانات الواقعة في القسم الصهيوني من القدس تتواجد الحيوانات التي استّحقت شرف ذكرها في التوراة، فعلى كلّ لوحة عُلّقت على القفص كتب اسم الحيوان وإلى جانبه اقتباس مناسب من التوراة «تذكّر، تنّزه تعلّم» وفي كل مكان في الكيان يبرز الاقتباس التالي من التوراة: «ها هي أرضكم يا أبناء (إسرائيل)».

وقد اعتاد القادة الصهاينة في خطبهم وكلماتهم أن يستشهدوا بالتوراة، ففي خطاب على الطلبة والشبيبة ألقاه بن غوريون يقول فيه: «إنّ خريطة (إسرائيل) ليست بخريطة بلادنا. لدينا خريطة أخرى وعليكم أنتم طلبة وشبيبة المدارس اليهودية أن تجسّدوها في الحياة وعلى الأمّة اليهودية أن توّسع رقعتها من الفرات

إلى النيل». وأكدّ بن غوريون مرات كثيرة قائلاً: «ليفهم الجميع بأنّ (إسرائيل) قامتْ عن طريق الحرب. وسوف لن ترضى بتلك الحدود التي وصلت إليها، وسوف تمتدّ (الإمبراطورية الإسرائيلية) من الفرات إلى النيل».

وفي رسالة موّجهة إلى الجيش الصهيوني في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ بعد انتهاء العدوان الثلاثي على مصر. قال بن غوريون: «لقد أنجزتم أشياء ربّما كانت أهم من أي مسألة في السياسة أو الدفاع. لقد أعدتمونا إلى أعظم لحظات حياتنا الحاسمة في تاريخنا. لقد أرجعتمونا إلى المكان الذي أُعطِينا فيه القانون. وفيه كلّفنا الرّبّ بأن نكون شعباً مختاراً. لقد رأينا أمام أعيننا الآيات التي لا تموت تحيا من جديد، الآيات التي تنبئنا عن رحيل أجدادنا من مصر وعن وصولهم إلى صحراء سيناء».

إنّ سفر يشوع يستخدم للإعداد النفسي للجنود في الجيش، وهو من النصّوص المقرّرة في مدارس الكيان ولهذا يقول بن غوريون: «إنّي أعتبر يشوع بطل التوراة». وعن سفر يشوع أجرى العالم الأمريكي «تامارين» استفتاءً أعدّه في الكيان الصهيوني في عدد من المدارس، استخدم فيه ١٠٦٦ استمارة ذات محتوى واحد أجاب عليها كتابة (٥٦٣) فتىً و(٥٠٣) فتيات من مختلف الصفوف والمدارس، وقد تطرقتْ الاستمارة لسفر يشوع بن نون الذي يدرّس في المدارس الصهيونية من الصّف الرابع وحتى الثامن. وقد ورد في الاستمارة الأسئلة التالية:

- إنّك تعرف جيداً المقتطفات التالية من سفر يشوع: «فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع الشعب صوت البوق أنّ الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السوّر في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كلّ رجلٍ مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة من طفلٍ وشيخٍ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السّيف». . «وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحدّ السّيف وحرّم ملكها هو وكلّ نفس بها لم يبقِ شارداً وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكلّ إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنَة

فدفعها الرّبّ هي أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحدّ السّيف وكلّ نفسٍ بها لم يبق شارداً وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا». .

أجب من فضلك على السؤالين:

١ - هل تعتقد أنّ يشوع بن نون والإسرائيليين قد تصرفوا تصرفاً صحيحاً أو غير صحيح؟ اشرح لماذا لديك مثل هذا الرأي بالذات.

٢ - لنفرض أنّ الجيش (الإسرائيلي) قد احتلّ خلال الحرب قرية عربية. فهل هو جيد أو سيئ أن يتصرّف على هذا النحو مع سكان هذه القرية كما تصرّف يشوع بن نون مع شعب أريحا. . واشرح لماذا؟

وزعتْ هذه الاستمارة في مدارس تل أبيب وقرية بالقرب من الرّملة وفي مدينة شارون ومستعمرة معو تشد، وهذه بعض الأجوبة:

كتب تلميذ من مدرسة في مدينة شارون: «كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل (الإسرائيليين)، ولذلك فقد تصرف (الإسرائيليون) تصرّفاً حسناً باحتلالهم المدن وقتلهم سكانها. وليس من المرغوب فيه أن يكون في (إسرائيل) عنصر غريب. إنّ النّاس من مختلف الأديان يمكن أن يؤثروا تأثيراً لا حاجة إليه على (الإسرائيليين)».

وكتبت فتاة من مستعمرة معو تشد: «لقد تصرّف يشوع بن نون تصرّفاً حسناً بقتله جميع النّاس في أريحا ذلك لأنّه كان من الضروري احتلال البلاد كلّها ولم يكن لديه وقت لإضاعته على الأسرى». .

كانت الأجوبة من هذا النوع تشكّل ما بين ٦٦ - ٩٥٪ حسب المدرسة والمستعمرة أو المدينة.

وعلى سؤال هل يمكن في عصرنا تصفية جميع سكان قرية عربية محتلّة أجاب ٣٠٪ من التلاميذ بشكل قطعي «نعم» وفيما يلي بعض ما كتبه الأولاد:

- أعتقد أنّ كل شيء قد جرى بشكل صحيح إذ أنّنا نريد قهر أعدائنا

وتوسيع حدودنا. ولكنّنا نحن أيضاً قتلنا العرب كما فعل يشوع بن نون و(الإسرائيليون). الصف السابع.

وكتب تلميذ من الصّف الثامن: «في رأيي ينبغي على جيشنا في القرية العربية أن يتصرف مثل يشوع بن نون لأنّ العرب هم أعداؤنا ولذلك فهم حتى في الأسر، سيفتشون عن إمكانية ليبطشوا بحراسهم».

هذه فقط بعض الثمار المحسوسة للتعليم الصهيوني كما قال (يوري إيفانون) والتي لم تنضج تلقائياً وإنّما نمتْ على الشجرة الحقيقية للأيديولوجية الصهيونية. ولا يكتفي القادة الصهاينة بترديد العبارات التوراتية بل يتنبأون من خلالها للمستقبل فنقرأ في مذكرات بن غوريون ١٩٤٨ قوله: «إن لبنان هو عقب أخيل، أي نقطة الضعف في الحلقة العربية، إنّ التفوق العددي للمسلمين في هذا البلد تفوّق مصطنع ويمكن أن تنعكس الآية. وهكذا يجب أن تقام دولة مسيحية في لبنان تكون حدودها عند نهر الليطاني، وسنوّقع معاهدة تحالفية مع هذه الدولة، وحينما نقضي على قوة الدول العربية وندمّر عمّان سننظف الضفة الغربية وبعد ذلك ستسقط سورية. وإذا تجرأت مصر على إعلان الحرب فسوف نقصف بور سعيد والإسكندرية والقاهرة. وهكذا سننهي الحرب ونثأر لأجدادنا من مصر وآشور وكلده».

ثم يقول بن غوريون في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين ١٩٦١: «منذ أن قامتْ دولة (إسرائيل) وفتحتْ أبوابها لكل اليهود الراغبين في القدوم إليها، فكل يهودي متدّين، يعصي كلّ يوم ببقائه بعيداً في الشتات تعاليم يهوديته وتوراة (إسرائيل).. إنّ اليهود خارج (إسرائيل) لا ربّ لهم».

ونقرأ تصريح إيغال آلون الذي يتخذّ من التوراة مثله الأعلى: «إذا نحن رجعنا إلى التوراة وجدنا أنّ الجولان ليس أقلّ (إسرائيلية) من حبرون (الخليل) أو سيشيم (نابلس) يجب أن يؤلف نهر الأردن الحدود الغربية ل(إسرائيل)».

ثم نقرأ قول غولدا مائير: «لقد قام هذا الوطن إنجازاً لوعد قطعه لنا الله نفسه، ومن المضحك حقاً أن يطلب أحد تبريراً شرعياً لوجود هذا الوطن».

ويقول موشي دايان: «إذا كنّا نملك التوراة، ونعدّ أنفسنا شعب التوراة، فلا بد إذن أن نملك الأراضي التوراتية، أي أرض القضاة والآباء الروّحيين وأورشليم وحبرون وأريحا وغيرها».

وبعد حرب ١٩٦٧ يصّرح موشي دايان قائلاً: «لقد تحقّق حلم آبائنا في الوصول إلى الحدود التي منحنا إيّاها قرار التقسيم. أمّا جيلنا فقد وصل إلى حدود عام ١٩٤٩. وأمّا جيل حرب الأيام الستة فقد وصل إلى حدود قناة السويس والأردن ومرتفعات الجولان. ولكن الشّوط لم ينته ها هنا فنحن سنتخطّى الحدود التي رسمها القرار وقف إطلاق النّار لنصل إلى الأردّن وقد نصل إلى لبنان ووسط سورية».

وحين سُئلتْ غولدا مائير عام ١٩٧٢ في مقابلة صحفية «ما الحدود التي ترين أنّها ضرورية لأمن (إسرائيل)؟ أجابت بقولها: إذا كنت تريد بسؤالك أنّ هناك حدوداً رسمناها لدولتنا فهذا ما لم نفعله بعد، وسنفعله عندما يحين الأوان. ولكن من الثوابت في السياسة (الإسرائيلية) أنّنا لن نرجع إلى حدود عام ١٩٦٧ في حالة عقد اتفاق للسلام. فلا بدّ من تعديل في الحدود. نريد تغييراً للحدود، بل لكل الحدود بغية الحفاظ على أمننا».

ونقرأ قول بيغن: «لقد وُعدنا بهذه الأرض فلنا فيها ملءُ الحق». وحينما وقع الاجتياح الصهيوني للبنان، أَعلنتْ هيئة التبشير الدينية العسكرية (الحرب المقدّسة). وكان الموضوع الرئيسي الذي طرحه الحاخام العسكري برتبه النقيب: «يجب أن لا ننسى الأصول التوراتية التي تبرّر هذه الحرب ووجودنا هنا بسببها. إنّنا نؤدي واجبنا الدّيني كيهود. إنّ الواجب الديني كما في تقاليدنا المقدّسة هو احتلال الأرض من العدو». كما أصدرت الحكومة الصهيونية عام ١٩٨٣ بعد مذابح لبنان سلسلة من ثلاثة طوابع بريدية لإحياء ذكرى يشوع، الطابع الأول مخصّص لعبوره الأردن. والطابع الثاني مخصّص لاحتلال أريحا، أمّا الثالث فيمثّل يشوع وهو يّوقف الشمس ليتمكن من إنجاز المعركة والقضاء على خمسة ملوك كنعانيين.

وفي خطاب لإسحق شامير أمام الكنيست الصهيوني بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٦ أكدّ فيه أنّ حكومته ستعمل على تكثيف المستوطنات اليهودية على كامل (أرض إسرائيل الكبرى)، وأنه لا يوجد أي فرق بين المناطق الصهيونية إذ لا يوجد في فلسطين إلّا شعب واحد هو شعب «إسرائيل» ولا أرض إلّا أرض واحدة هي (أرض إسرائيل).

إنّ برامج الأحزاب الصهيونية هي برامج مستمّدة من التعاليم الدينية اليهودية التوراة - التلمود. وجميعها تستحضر التاريخ وتسعى لتطبيق برامجها على أساس هذه التعاليم الغيبية. ومن مبادئ هذه الأحزاب «التمسّك بوحدة (أرض إسرائيل) في حدودها التاريخية، وضرورة عودة الشعب اليهودي إلى وطنه الأم، واعتبار هذه العودة حقيقة واقعية، بل ضرورة من ضرورات حياة اليهود أينما وجدوا والتأكيد على إرساء مجتمع جديد يكون التوراة دستوراً له».



ثالثاً

تزييف الآثار العربية في فلسطين

إنّ الحركة الصهيونية ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، بدعم من المؤسسات والحكومات الغربية، نشطت لتوجيه المفهوم التاريخي في فلسطين لينسجم مع الفكر الصهيوني ومنطلقاته، وسلب الشعب العربي الفلسطيني أرضيته العربية وهويته الحضارية بتحريف تاريخه وتراثه وإنجازاته الحضارية.

لقد تأسّست كثير من الجمعيات الاستكشافية في أوروبا غايتها التنقيب والبحث في فلسطين لإثبات صحة ما جاء في التوراة خدمة للأفكار الصهيونية كالحقّ التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين. وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس كثير من الجمعيات الأثرية التوراتية التي أخذت من التوراة منطلقاً لدراساتها وأعمالها الميدانية منها:

- «صندوق استكشاف فلسطين» التي تأسّستْ عام ١٨٦٥، وفي العدد الأول من مجلة هذه الجمعية ١٨٦٩ كتب على الغلاف «جمعية من أجل البحث الدقيق والمنّظم في الآثار والطبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافية الطبيعية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد الأرض المقدّسة لغاية التوضيح التوراتي».

- «الجمعية الأمريكية للأبحاث الفلسطينية» التي تأسّستْ عام ١٨٧٠، وتضمّن برنامجها نداء «إلى الضمير الديني مسيحياً كان أم يهوّدياً من أجل البرهنة على صحّة الكتاب المقدّس».

- «جمعية الآثار التوراتية» ١٨٧٠ وهي جمعية بريطانية من أهدافها «البحث في الآثار والتسلسل الزمني والتاريخ القديم والحديث لبلاد آشور والجزيرة العربية ومصر وفلسطين وغيرها من المناطق التوراتية».
- «المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية». وقد أسّسها الدومينيكان عام ١٨٩٠.
- «الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية» ١٨٩٧.
- «الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية» ١٨٧٧.
- «المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية» وقد أُنشئت في القدس ١٩٠٠.
- «المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية» ومركزها القدس ١٨٩٢.
- «المعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدّسة» في مدينة القدس ١٩٠٢.
- «الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية» وقد تأسّستْ برعاية القيصر الألماني وفي الفترة الواقعة ما بين ١٩٠١ - ١٩٠٤، أُوكلتْ هذه الجمعية مهّمة التنقيب في عدد من المواقع الأثرية إلى الباحث التوراتي (أرنست سيلين) في تل تعنك وتل المتسّلم.

كانت فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى حافلة بالنشاط الأثري في فلسطين. وكان السعي متواصلاً للربط بين المواقع الأثرية وتلك التي ورد ذكرها في التوراة، استجابة لممارسات الحركة الصهيونية. ورغم الأعمال التنقيبية الكثيرة في هذه الفترة فقد كان أعضاء هذه الجمعيات يرون أنّ هذا النشاط الأثري لا يزال محدوداً أو فقيراً، نظراً لأنّ الإمبراطورية العثمانية كانت تضع قيوداً وعوائق في وجه هذه البعثات الأثرية. وتحديداً في منطقة الحرم الشريف في مدينة القدس. لكن بعد وقوع فلسطين تحت السيطرة البريطانية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تكثّف النشاط الأثري فيها وزادت البعثات الأثرية وصارت أكثر حرّية وعنفاً في الكشف والتنقيب، وقد أنشأ المندوب السّامي

البريطاني هربرت صموئيل عام ١٩٢٠ دائرة للآثار الفلسطينية بإدارة «جو غارستانغ» من جامعة ليفربول.

استغلّ الصهاينة احتلال الإنكليز لفلسطين ونشطوا في مضمار التنقيب والآثار، فقدم إلى فلسطين بُعيد الاحتلال «جوزيف كلاورتز» و «أليعازر بن يهوذا» وأوّل حفريات يهودية أجراها «ناحوم شلوش» في موقع إلى الجنوب من طبرية اعتقد أنّه يحتوي على كنيس يهودي. كما أرسلت الحركة الصهيونية «أليعازر ليباسركنيك» لدراسة الآثار الكلاسيكية في برلين فجاء إلى فلسطين عام ١٩٢٢ وبدأ عمله الميداني بحفر عدد من المدافن قرب القدس، والتحق ببعض الدورات والمساقات الأثرية في المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية. ومن ثمّ أصبح محاضراً في الجامعة العبرية فأستاذاً إلى أن أصبح رئيساً لدائرة الآثار اليهودية في الجامعة نفسها. وقد دفع سوكنيك ابنه الذي غيرّ اسمه إلى «ييغائيل يادين» لدراسة الآثار وكان هذا «ييغائيل يادين» أول رئيس لهيئة أركان الجيش الصهيوني. إلى أن أصبح أستاذاً للآثار في الجامعة العبرية وأشرف على عدد كبيرمن التنقيبات الأثرية وشغل منصب نائب لرئيس الوزراء الصهيوني.

ومن الصهاينة البارزين من الجنسية الأمريكية «نلسون غلوك» الذي التحق عام ١٩٢٨ بحفريات «وليم أولبرايت» الذي كان يرأس المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس من عام ١٩١٩حتى عام .١٩٣٦ وذلك في تل مرسيم. وبدأ نلسون غلوك مسوحات واسعة النطاق منذ عام ١٩٣٢ في شرقي الأردن وأصبح يتجوّل في المناطق المختلفة حاملاً التوراة في يده، محاولاً تفسير وتأريخ المواقع التي يتعرف عليها من خلال العهد القديم (التوراة).

كانت القدس الميدان الرئيسي للمنقبين بحثاً عن الأسوار التوراتية وقد كثفت بريطانية من حفرياتها التي أشرف على أكثرها «غارستانغ رفتيتان آدمز» ١٩٢٠ - ١٩٢١ وهذه كشفت عن مخلفات هامة من الألف الثاني قبل الميلاد وحتى العصور العربية الإسلامية. وكانت تلك أولى أعمال التنقيب البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى، واتجهتْ بعثة بريطانية أخرى لمواصلة أعمال التنقيب

١٩٢٩ - ١٩٣٦ في أريحا «تل السلطان» بإشراف غارستانغ أيضاً. وأجرت بعثة بريطانية أخرى حفريات فيما بين ١٩٣٢ - ١٩٣٨ في موقع «تل الدوير» في منتصف الطريق بين غزّة والقدس بإشراف (ستاركي)، كما قامتْ بعثة بريطانية أمريكية شاركتْ فيها الجامعة العبرّية في موقع «سبسطية» إلى الشمال الغربي من نابلس لتواصل العمل الذي بدأته جامعة «هارفرد» ١٩٠٨ - ١٩١٠وقد استمّر عمل البعثة المشتركة بين ١٩٣١ - ١٩٣٣ و١٩٣٥ بإشراف (كروفوت) بمساعدة (كاتلين كينون) و(سوكنيك) كممثّل عن الجامعة العبرية. وفي عام ١٩٦٨ واصل (بازل هنسي) العمل في الموقع نيابة عن المدرسة البريطانية للآثار في القدس.

واهتمت الجامعات والمؤسسات الأمريكية بالتنقيب والبحث عن الآثار في فلسطين، خاصّة بعد الحرب العالمية الأولى، وبدأت بعثاتها تتوافد إلى فلسطين وتقوم بالحفريات والتنقيب والبحث وقد تعدّدت وتنوّعتْ هذه البعثات. وتوزّعتْ في مناطق متعدّدة، وكلّها كانت تهدف إلى الرّبط بين الحوادث التوراتية والمعطيات التوراتية وبين هذه المواقع التي تكشف عنها.

ففي بيسان قامتْ جامعة «بنسلفانيا» بحفريات أشرف عليها عدد من الأثريين منذ العام ١٩٢١ وكانت جامعة «شيكاغو» قد بدأت بحفرياتها في «تل المتّسلم» - مجدو - وقد إستمّر عمل البعثة منذ عام ١٩٢٥ وحتى عام .١٩٣٩ وقامت المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في «تل بيت مرسيم» بحفريات واسعة إلى الجنوب الغربي من الخليل، وقد أشرف عليها (وليم أولبرايت) حوالي أربعة مواسم ١٩٢٦ - ١٩٣٢. وكان أولبرايت يحاول تفسير الطبقات من خلال المعلومات والحوادث التوراتية وهذه المدرسة أيضاً أجرت حفريات في «تل النصبة» شمالي القدس واستمرت من عام ١٩٢٦ وحتى عام ١٩٣٥ بإشراف (ماكون) الذي اتبع أساليب أولبرايت التوراتية في التنقيب. وتابعت هذه المدرسة أبحاثها في القدس في عدد من المواقع الأثرية، وقد سيطر على هذه الأعمال الميدانية أيضاً أسلوب التوراتيين ومنهجهم.

بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين ١٩٤٨ وانسحاب قوات الانتداب البريطاني عن المنطقة. أُنشئت «دائرة الآثار» الصهيونية التي أخذت على عاتقها القيام بالنشاط الأثري والتاريخي بشكل أوسع ضمن الإطار الثقافي للنظام الاستيطاني العنصري الجديد. فجميع المواقع الأثرية في فلسطين أخذت تحمل أسماء عبرّية لإبعاد الصبغة العربية عنها لتُربط بالتاريخ الصهيوني، وذلك لتقوية الرّوح العنصرية وجلب المزيد من المهاجرين وكسب عطف الرأي العام الغربي. وقد دخلت هذه الآثار في منهاج التربية الوطنية لتبرير سياسة التوسع الصهيوني.

والصهيونية لا تزال تولي الآثار أهمية كبيرة وتسعى جاهدة للبحث والتنقيب من أجل الكشف عن التراث المزعوم. وأسلوب البحث الأثري الصهيوني يتضّمن بوضوح النّيات العدوانية للكيان الصهيوني ومحاولاته محو الشخصية العربية الفلسطينية، والحضارة الإسلامية الفلسطينية، وإبراز الحضارة الصهيونية المزعومة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه قد ظهر بين أصحاب المدرسة التوراتية تيار ناقد حذّر من الرّبط بين الآثار والتوراة من أمثال العلماء الألمان «البرشت آلت ومارتن نوث» والفرنسي الأب «رولاند ديغو» والهولندي «هانك فرانكلن» الذي جاء من خلفية دينية توراتية لكنّه غدا من كبار نقّاد الأثريين التوراتيين وأعلن أنّه لا يجوز المزج بين الآثار وأعمال التنقيب من جهة، والتفسير التوراتي من جهة ثانية. وأيضاً البريطاني «غوردن تشايلد» الذي أكدّ على أهمية البحث عن الآثار على أساس المادّة التاريخية كمنطلق للتطور الحضاري، وضرورة تكريس جميع الوسائل العلمية للكشف عن الآثار ومعالجتها من خلال وظيفتها وإطارها العام المرتبط بطبيعة المجتمع الذي وجدتْ فيه. وقد أثرّ على عدد من تلاميذه مثل «كاتلين كينون» التي حذّرتْ من الرّبط بين الحفريات الأثرية والحوادث التوراتية.

إنّ هؤلاء لم يستطيعوا أن يعبثوا بضمائرهم لتشويه الحقائق فنقلوا الحقائق كاملة دون تشويه، وسعوا إلى تقديم المعلومات كما هي دون تزييفها كما فعل

ويفعل غيرهم من الأثريين الصهاينة الذين يتعمدون إخفاء الحقائق ومحو الحضارة العربية الفلسطينية، خاصّة بعد أن غدا حقل الآثار الفلسطينية مفتوحاً على مصراعيه أمام المنظمات الصهيونية، وأخذت تخطّط بشكل منّظم لخلق صورة تاريخية تتفق وأهدافها العنصرية العدوانية.



هوامش الفصل الخامس

(١) «التعليم في (إسرائيل)» - الدكتور منير بشور وخالد منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف - مركز الأبحاث. منظمة التحرير الفلسطينية. الهاغادا: هي التراث الشعبي العبراني المستمد من التلمود.

(٢) «التعليم في (إسرائيل)» الدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف. مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية - ص١٠١ - ١٠٤.

(٣) نفس المصدر ص٢٠٦.

(٤) نفس المصدر ص٢٠٨.

(٥) «التعليم في (إسرائيل) الدكتور منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف. ص٢٠٨.

(٦) نفس المصدر ٢٠٨ - ٢١١.

(٧) «الفكر السياسي الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨» الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثالث الأستاذ إلياس سحاب. الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠ص٦١٤.

(٨) «المذهب العسكري (الإسرائيلي)» هيثم الكيلاني - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٩ - ص٢٥.

(٩) (٢٦) «احذروا الصهيونية» - يوري إيفانون - منشورات وكالة أنباء نوفوستي ١٩٦٩ ص٣٩ - ٤١.

(١٠) روجيه غارودي «فلسطين أرض الرسالات السماوية» - ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم - الطبعة الأولى - ص٣٠٣.

(١١) «الموسوعة الفلسطينية - مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية» محمد الفرا - المجلد الخامس القسم الثاني - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠ - ص٢٦٧.

(١٢) بيير ديميرون «ضد (إسرائيل)» ترجمة حسيب كيالي - ص٢٤.

(١٣) «فلسطين أرض الرسالات السماوية» - روجيه غارودي - ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم - ص١٥٤.

(١٤) نفس المصدر ص١٥٤.

(١٥) نفس المصدر ص٣٠٠.

(١٦) نفس المصدر ص٣٠٠.



الخاتمة

التلمود الصهيوني تأثراً وتأثيراً

الخاتمة

من الواضح أنّ ما تمّ عرضه عبر الصفحات الماضية يؤكّد لنا تماماً أنّ الروح العدوانية والعنصرية في الشخصية اليهودية الصهيونية، مصدرها الرئيسي تلك التعاليم الدينية الغيبية التوراة - التلمود التي كانت ولا تزال المحور الرئيسي الذي تدور حوله الحياة اليهودية. ونظراً لأنّ الصهيونية العالمية تطمح دوماً للسيطرة على مقدرات العالم وتسخير كافة الأمم «الأغيار» لخدمتها، فقد وجدتْ في هذه التعاليم الدينية ضالّتها، وبدأت في استحضارها وإعادة تشكيلها بما يتفق والواقع الرّاهن.

تلك هي الآداب المقدّسة لدى الشعب اليهوديّ عرضناها بسرعة في ثلاثة فصول. فهناك الكتاب المقدّس بعهده القديم (أو «التوراة»، بالمعنى الواسع) وفي اللائحة الفلسطينية التي اكتفت بكتب نقرأها في أصولها العبرية والآرامية. وهناك التلمود الذي سبقته المشناة والتوسفتا أي التعاليم والاضافات. تلمود هو في الواقع تلمودان. واحد دوّن في أرض فلسطين ولكنه سمّي خطأ تلمود أورشليم. تلمود موجز جدّاً وقد أراد كاتبوه أن يسرعوا في الانتهاء منه بسبب سوء الأحوال في فلسطين. والثاني تلمود بابل الذي جاء موسّعاً جداً وفرض نفسه كالتلمود الرسميّ في كل العالم اليهوديّ. وهناك الترجوم والمدراش، وكتابات قمران، والكتابات التي ارتبطت باسماء مشهورة في العالم اليهوديّ مثل أخنوخ وأشعيا وابراهيم.. فسمّيت الاسفار المنحولة أو المكتومة. وأنهينا هذه اللمحة السريعة بوجهين كبيرين، واحد في عالم التفسير اللاهوتيّ هو فيلون الاسكندراني. وآخر في عالم التاريخ هو فلافيوس يوسيفوس.

كل هذه الآداب ترجمت إلى اللغات الحديثة، وقد درسها اليهود، كما درسها المسيحيون، واستقى منها الشرق بشكل خاصّ في كتب التفاسير واللاهوت. وها هي تنشر اليوم في الغرب، فتساعد العلماء على فهم المحيط

الحياتي الذي عاش فيه يسوع، وكتبَ الرسلُ الأناجيلَ وسائر أسفار العهد الجديد.

وقد استغلّت واقع التعليم اليهودي المتحجرّ، والمؤسسات الدينية الغارقة بالتلمود والرؤى الصوفية الغيبية والنزعات العنصرية الانعزالية الفوقية، والرؤية الخاصّة عن الأرض الموعودة وصهيون والأرض المقدسة وغيرها، وبدأت بتحويل النظرية الغيبية إلى واقع عبر إسقاط التاريخ المزعوم على الحاضر والاستيلاء على فلسطين العربية.

فبدلاً من أن تبقى فكرة العودة إلى صهيون مجرّد فكرة نظرية مرهونة بظهور المسيح، فقد حولّتها الصهيونية إلى واقع، فالخلاص لا يحتاج إلى مجيء المسيح بل إلى جهود اليهود أنفسهم. . ودخول القدس السماوية لا يتمّ إلّا عبر دخول القدس الأرضية أولاً.

لقد نجحت الحركة الصهيونية في استقطاب اليهود. حتى غدا من المتعذّر التفريق بين الصهيونية واليهودية. وفي مؤتمر أورشليم لوحدة الشعب اليهودي الذي انعقد في ١٣/ ٢/ ١٩٧٥ في الكنيست الصهيوني والذي شارك فيه (١٧٠) من زعماء اليهود في العالم، ألقى رئيس الكيان الصهيوني (أفرايم كاتسير) كلمة قال فيها: «إنّ هذا المؤتمر يشكل رمزاً لوحدة (إسرائيل) واليهود والصهيونية».

«إنّ الصهيوني هو اليهودي الذي يُحسّ ويعترف بأنه يعيش في منفى إذا كان من مواطني أي بلد غير (إسرائيل). ولذلك يقرّر العودة إلى جبل صهيون» هذا ما يقوله بن غوريون. . بينما غولدا مائير تقول: «بعد قيام دولة صهيون، لا يمكن أن يُعّد صهيونياً إلّا الذي يحمل حقائبه ويأتي إلى صهيون».

الصهيونية تهدف إلى تطبيق التعاليم الدينية اليهودية، وتلتزم بالطابع الديني للدولة اليهودية، وتؤمن بأنّ الدّين هو الدافع الأوّل لخلق الدولة اليهودية. ولأنّ ما يرد في الكتب الدينية اليهودية يشير إلى (أرض إسرائيل) وصهيون وغير ذلك. فإنّه من الضروري أن يلقّن النشء اليهودي هذه المقولات تلقيناً خاصاً لتحويل

الغيب إلى واقع، لهذا ساهموا في تربية النشء اليهودي على أنّ الأرض الموعودة هي روحية ومادّية في نفس الوقت. فلا يمكن لليهودي أنّ يدخل الأرض الموعودة الروحية ما لم يدخل الأرض الموعودة المادية التي هي (إسرائيل). . ومن هنا فقد كرسّوا أفكار التمسك بالأرض والحبّ العميق لها وبعث اللغة العبرية وترويج الادّعاء القائل أنّ فلسطين هي وطن اليهود التاريخي، وأنّ يهود اليوم هم أحفاد داود وسليمان، وأنّ الشعب اليهودي لم يفارق أرضه بل أخذها معه في منفاه.

كما اهتمت الصهيونية بالتاريخ اليهودي القديم كأساس لبناء الشخصية الصهيونية، فوضعت سلسلة من الكتب تبث في سطورها الفكرة الصهيونية المستمدة من التوراة باعتبارها المصدر الأساسي للتاريخ اليهودي وركزّتْ فيها على الموضوعات التي تكرّس التفوق اليهودي.

وتعتبر فكرة الحقّ التاريخي أو الرابطة التاريخية من أهم الذرائع التي تقوم عليها الحركة الصهيونية وحقها المزعوم في إنشاء الدولة اليهودية في (أرض إسرائيل) التاريخية لهذا فإن تصلب ورفض الصهاينة المستّمر لفكرة الانسحاب من أجزاء عربية محتلّة يعتقدون أنّها توراتية، كان نتيجة مباشرة لتلك التعاليم الدينية التي تقول بالأزلية التاريخية والعودة، والزّرع المقدّس والاختيار والتفّوق. فالصهاينة لا يقبلون السلام الحقيقي مع العرب. وإنما الاستسلام، استسلام العرب ليكونوا عبيداً لهم للتسخير كما يرد في التوراة سفر التثنية: «حين تقربُ من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحتْ لك فكلّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك»(١٧).

هكذا يريدون أن يكون الصلح. . وهم وإن لم يتمكنوا من السيطرة على المنطقة عسكرياً. فإنّهم يحاولون السيطرة عليها اقتصادياً وثقافياً السيطرة على العقل العربي، والماء العربي، والنفط العربي. . وبهذا يكون قد تحقّق حلمهم التوراتي من الفرات إلى النيل. إنّها السيطرة التي يسعى الصهاينة لتحقيقها تنفيذاً

لما ورد في التوراة حيث نقرأ: «بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك»(١٨).

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك تنفتح أبوابك دائماً ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم»(١٩).

ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكرآميكم، أمّا أنتم فتدعون كهنة الرّب تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون»(٢٠).

إنّ ما قدّمته من معلومات تتعلّق بالنزعات العدوانية والعنصرية واللّاأخلاقية التي تحملها التعاليم الدينية اليهودية يعطينا دلالة واضحة على أن الشخصية اليهودية الصهيونية لا يمكن أن تقبل بالسلام والتعايش السلمي مع الشعوب والأمم إلّا في حالة واحدة هي أن تكون هذه الشعوب والأمم مجرد عبيد يقدمون الطاعة والولاء لليهود.

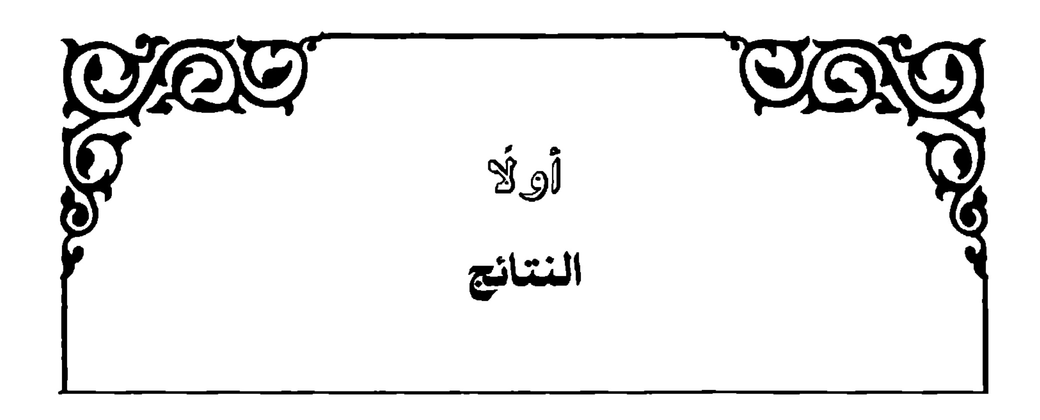
ومن المفيد أن أشير في الختام إلى أنّ النّصوص التوراتية المتداولة حالياً، لا تمتّ بأيّة صلة للنصوص التي أنزلها اللّه على عبده موسى عليه السلام، لقد حرّفوا أسس الديانة اليهودية، وفي هذا قال اللّه عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

مبادئ ثلاثة قدّمناها، وهي تتيح لنا أن نتعرّف ولو بطريقة سريعة إلى الديانة اليهوديّة في الماضي كما في الحاضر. في الماضي منذ أيام الآباء وموسى مروراً بالأنبياء، إلى زمن ما بعد الجلاء. بل إلى بدايات المسيحيّة. وفي الحاضر الذي يبدأ منذ القرن الثاني ب م، بعد أن ضاع الهيكل والكهنوت والذبائح. بعد أن زالت ممارسات عديدة من الحياة اليوميّة، بعد أن تشتّت شعب إسرائيل وسط سائر الشعوب فكاد يذوب فيها، بعد أن صارت التوراة (أي العهد القديم) الصلة الوحيدة بين الله والبشر. هذا الواقع نجده اليوم في جماعات عديدة تخاف من

الانفتاح لئلا تذوب كما كادت أن تفعل في أوروبا في عصر الانوار في القرن الثامن عشر. فتنغلق على ذاتها في إسرائيل أو في أحياء تعود باليهود إلى زمن المجبر أو الغيتو.

قد تعيش هذه الجماعات حياتها الاجتماعية الخارجيّة مع سائر الديانات. ولكنها تحاول أن تجعل من الختان بداية انتماء إلى شعب يتميّز عن سائر الشعوب. وتحافظ على السبت في كل دقائقه. وتعيّد أعيادها بما فيها من أمور قديمة وجديدة، بما فيها من عناصر دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة وفولكلوريّة. وتحافظ على «طهارتها» ولاسيّما على مستوى الطعام والشراب والعلاقات بالناس. هذه المبادئ تحافظ على تماسك الاقليّة اليهوديّة في العالم، التي لا تتعدّى الخمسة عشر مليوناً. ولكنها قد تسير بها إلى الإنحلال إن هي رفضت الامتزاج بالآخرين على ما حصل للسامريين الذين صاروا اليوم قلّة قليلة حول جبل جرزيم في فلسطين.





أولاً

النتائج

شر خلق الله على الإطلاق هم اليهود الصهاينة، وهم أشد الناس عداوة ليس للذين آمنوا فحسب، بل لكل الإنسانية، ولأنفسهم كذلك.

● والحق يقال: إن مفاهيم اليهود باطلة، وأنانيتهم طاغية، وطباعهم لئيمة، وأخلاقهم فاسدة، وتعاليمهم شريرة، وعصبيتهم ذميمة، وقلوبهم قاسية، واستباحتهم لقتل غيرهم شريعة مقررة، وإهدار كرامته مكرمة مسطرة، وإفناء غيرهم أمور لازمة، وحكمهم للعالم ولو على جماجم البشر وأنقاض العالم، تلك هي الغاية المحترمة.

● اليهود بسبب هذه الأخلاق المرذولة سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، ومن يمزقهم كل ممزق، كما أن الله سلطهم على غيرهم ممن خالفوا شرعه، وتركوا دينه ومنهجه، فجعل لهم الكرة عليهم، فأذاقوا - أيضاً - غيرهم صنوف العذاب، وألوان النكال، وبالغ الاضطهاد، بدءا بالمسيح والمسيحية، وختاما بالمسلمين، وخاصة في فلسطين.

● يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس: «لاتوجد أمة في الأرض في كل أجيال التاريخ منذ بدء الخليقة إلى الآن تحملت ما تحمل بنو إسرائيل من الكوارث والآلام، على أن هذه الكوارث والآلام لم تكن إلا من صنع بني إسرائيل أنفسهم».

● لقد اجتهد اليهود في القضاء على كل دين في الأرض، خاصة المسيحية والإسلام، وكما قال البروتوكول الرابع عشر: حيث نمكن لأنفسنا فنكون سادة

الأرض لن نسمح بقيام دين غير ديننا، ولهذا السبب يجب أن نحطم كل عقائد الإيمان، وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار الملحدين.

سيفضح فلا سفتنا كل مساوئ الديانات الأممية، ولكن لن يحكم أحد على ديانتنا من وجهة نظرهم الحقة، إذ لا يستطيع أحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا، الذي لن يخاطر بكشف أسرارها.

● لقد كان اليهود، منذ ظهور موسى حتى ظهور المسيح يتذبذبون بين التوحيد والوثنية، فما كانوا يستمعون لأحد الأنبياء فترة، حتى يعودوا إلى صور من الوثنية، بل ربما غرقوا في بحر وثني.

ولأن اليهود يأكلون التراث أكلا لما، ويحبون المال حباً جماً، وحاربهم القرآن وحاربهم الإنجيل حرباً لا هوادة فيها.

ولهذا اتخذوا من الجريمة والرذيلة والاستغلال حرفاً احترفوها على مدى التاريخ.

● إن عدو المسيحية اللدود هو الصهيونية، وإن أعداء المسيحية يزخرون بالحيوية، وقد تجمعوا في منظمات رهيبة نشطة، تعمل حسب خطة محكمة هدفها إذلال المسيحية وإخضاعها، واسترقاق البشرية لكي تعبد وتخدم يهوه.

ويهوه - إله اليهود - إله متعطش لشرب الدماء، ليس الدماء الحيوانية فحسب، بل والبشرية أيضاً ولهذا أمر شعبه المختار بإبادة كل حيوانات وسكان البلاد التي يحتلونها حرباً.

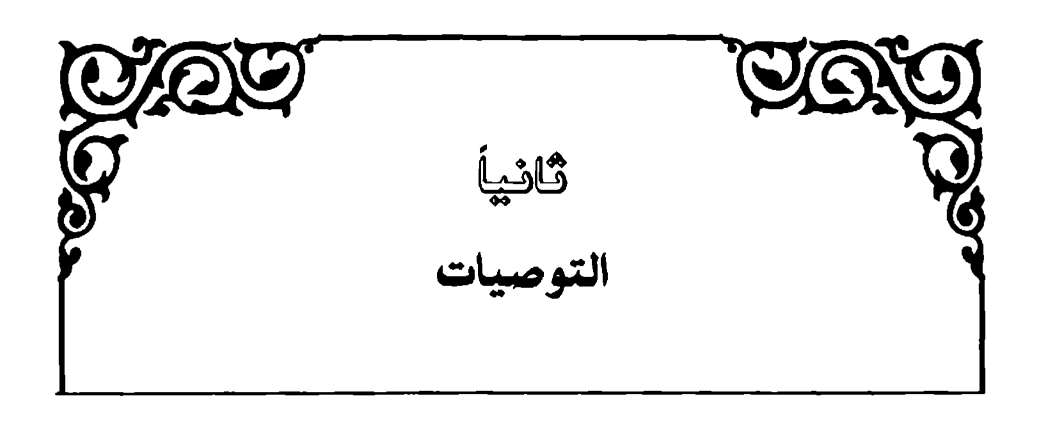
● إن شر كتاب في الوجود هو التلمود، وقد أضفيت عليه صفة القداسة، وكذا البروتوكولات، وماله من أهمية في حياة اليهود، لما له من خطورة في حياة الأمم

● اليهود وإن لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، لكن لا تبرأ ساحتهم من اتهامهم بقتله عمداً مع سبق الإصرار، وإن أخطأوا شخصه، بمعجزة إلهية جعلت الشبيه يقوم مقامه، ولا جميل لهم في ذلك!!

● ما أعجب أمر النصارى إذ زعموا الصلب وعظموه، واخترعوا له الأساطير وأضفوا عليه التقديس بعجائب لا تتفق مع نقل ولا عقل!!

● حرص اليهود من خلال تنظيماتهم على إفساد العالم للسيطرة عليه، وذلك بأمور كثيرة أهمها: القضاء على الإيمان بالله تعالى، وإفساد الرأي العام، واستنزاف جميع الثروات، وإثارة الصراع بين الأمم، وفصل الدين عن الدولة ثم القضاء عليهما، والدعوة إلى إشاعة الإباحة الجنسية، وهدم الأخلاق، وإدخال الشبهات والقول بالتطور.. الخ.





ثانياً
التوصيات

١ - العودة الصادقة إلى دين الله الحق، والنهوض بالأمة الإسلامية من جديد، لمواجهة تلك التيارات العاتية، والمنظمات الشرسة. وذلك من خلال تربية الأفراد والأسر والشعوب المسلمة على هذا الدين، وإقامة المجتمع المسلم بكل مقوماته وخصائصه وصولاً إلى الخلافة الإسلامية، وإعادة الكيان للأمة الإسلامية، وذلك يستلزم معرفة العدو وأساليبه ووسائله وأهدافه وغاياته.

مع إيجاد منهج إسلامي يواجه هذا الخطر الداهم من كل ناحية.

٢ - إن الهدف الذي يرمي إليه اليهود، واضح مكشوف، وهو القضاء على الدين بصفة عامة، والإسلام والمسيحية بصفة خاصة، وقد أوجد في المسيحية عوامل هدمها، بما لا يمكن دفعه أو منعه الآن، أو إصلاحه مستقبلاً، ولكن الإسلام دين الله تعالى الذي تكفل الله بحفظه وبقائه، والمستقبل له يقيناً، فينبغي أن نتمسك بالقرآن والسنة بمنهج السلف الصالح، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

٣ - الدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف تحت راية إسلامية.

٤ - أضعف الإيمان أن نحذر أساليب اليهود، وأن نقاطعهم اقتصاديا، وأن نعاديهم سياسياً، ونبدي أسفنا عمليا على ما يحدث للمسلمين في كل الدنيا على يد اليهود ومن والاهم.

٥ - إننا نريد أن نقف صفاً واحداً، لتحديد قضايا الأمة المصيرية،

ولمعرفة هموم الدعوة الكبرى، ولتحقيق الأهداف العظمى، ولمواجهة العدو المشترك، وللوقوف أمام قوى الشر المعادية لنا، والمتربصة بنا.

إننا نريد تطبيق شريعتنا، وتحرير أرضنا، واسترجاع مقدساتنا ونشر إسلامنا، وعودة عزنا ومجدنا، ولن نستطيع أن نفعل من ذلك شيئاً نقدمه لديننا ونحن أمة مبعثرة القوى، مشتتة الجنود، موزعة الجهود، بأسها بينها شديد، لا تبدئ ولا تعيد، مجدها مفقود، وكلامها مردود ورأيها غير سديد،

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

وعلى الأمة أن تتوكل على الله وحده، وأن تجعل الولاء فيه، وتعلم البراءة من أعدائه، وهو سبحانه الذي وعد بالنصر - مرتبطاً بأسبابه - والله إذا وعد وفى.

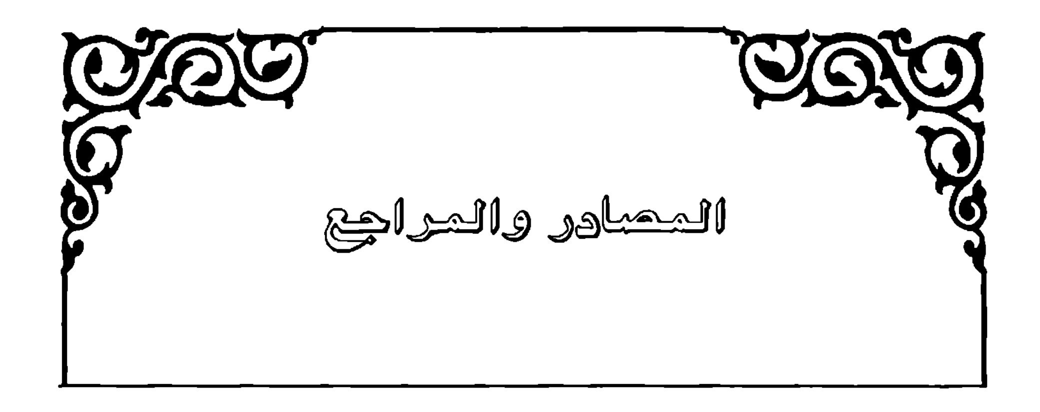
﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]؟ لا أحد، وبالله التوفيق.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].



هوامش الخاتمة

(١) «فلسطين أرض الرسالات السماوية» - روجيه غارودي - ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم الطبعة الأولى - ص١٥٤.
(٢) نفس المصدر ص١٥٥.
(٣) نفس المصدر ص١٥٦.
(٤) «مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية» - الدكتور محمد الفرا - الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني - ا لمجلد الخامس. الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠.
(٥) «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» الدكتور معاوية إبراهيم - الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠ - ص٧ - ٩ -.
(٦) نفس المصدر ص١٠.
(٧) «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» - الدكتور معاوية إبراهيم - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ - ص١٠.
(٨) نفس المصدر ص١١.
(٩) «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» - الدكتور معاوية إبراهيم - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠ ص١٢.
(١٠) «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» - الدكتور إبراهيم الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ - ص١٣.
(١١) سفر التثنية الإصحاح الواحد والعشرون.
(١٢) سفر إشعيّاء الإصحاح التاسع والأربعون.
(١٣) سفر إشعياء الإصحاح السّتون.
(١٤) سفر إشعياء الإصحاح الواحد والستون.
(١٥) التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - ص٢٤٤ وما يتبعها.
(١٦) نفس المصدر ص٢٤٤ - ٢٤٥.
(١٧) نفس المصدر ص٢٤٨.
(١٨) التلمود والصهيونية - الدكتور أسعد رزوق - ص٢٤٩.
(١٩) نفس المصدر ص٢٥٣.
(٢٠) نفس المصدر ص٢٥٦.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة الشريفة.
- الكتاب المقدس.
- الأبحاث في الفكر اليهودي.

١ - أحمد سوسة «العرب واليهود في التاريخ» - العربي للإعلان والنشر الطباعة - الطبعة الثانية.

٢ - الدكتور أسعد رزّوق «التلمود والصهيونية» - منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٧٠.

٣ - إلياس سحاب «الفكر السياسي الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨» الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثالث الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠.

٤ - الدكتور جورجي كنعان «العنصرية اليهودية» - توزيع دار النهار للنشر الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٥ - حبيب قهوجي «الأحزاب (الإسرائيلية) والحركات السياسية في الكيان الصهيوني» - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٨٦ - الطبعة الأولى.

٦ - حسيب كيالي «ضدّ (إسرائيل)» - مترجم - تأليف بيير ديمورن.

٧ - خالد عايد «التوسعية الصهيونية و(إسرائيل الكبرى)» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠

٨ - خالد القشطيني «الصهيونية واللّاصهيونية» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٠.

٩ - شاكر مصطفى «فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠

١٠ - ربحي كمال «دروس في اللغة العبرية» - دمشق ١٩٨٢.

١١ - روجيه غارودي «فلسطين أرض الرسالات السماوية» - ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم - الطبعة الأولى ١٩٨٨ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٢ - هيثم الكيلاني «المذهب العسكري (الإسرائيلي)» - مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٩.

١٣ - كامل العسلي «التربية والتعليم في فلسطين» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثالث - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠.

١٤ - عبد الوهاب محمد المسيري «الصهيونية» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠

١٥ - عبد العزيز محمد عوض «الأطماع الصهيونية في القدس» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠.

١٦ - عجاج نويهض (بروتوكولات حكماء صهيون) - الجزء الأول طبعة نيسان ١٩٨٤ - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٧ - العماد مصطفى طلاس «فطير صهيون» - الطبعة الثانية - ١٩٨٦ - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٨ - محمد الفرا «مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠.

١٩ - محمد عزيز شكري «البعد الدولي للقضية الفلسطينية» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد السادس. الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٠.

٢٠ - منير بشور «التعليم في (إسرائيل)» - منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث.

٢١ - معاوية إبراهيم «فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد» - الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت١٩٩٠.

٢٢ - فراس سوّاح «مغامرة العقل الأولى» - دراسة في الأسطورة - سورية وبلاد الرافدين - العربي للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٧.

٢٣ - يوري إيفانوف «احذروا الصهيونية» - دراسة حول أيديولوجية وتنظيم وممارسة الصهيونية - منشورات وكالة أنباء نوفوستي ١٩٦٩ ملحق.

٢٤ - حسن الحلبي «قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي» - معهد البحوث والدراسات العربية.

٢٥ - «التوراة» صادر عن دار الكتاب المقدّس - جمعية الكتاب المقدس سابقاً - القاهرة.

٢٦ - الدكتور رشاد عبد الله الشّامي. «مجلة عالم المعرفة» العدد ١٠٣ - حزيران ١٩٨٦ «الشخصية اليهودية (الإسرائيلية) والرّوح العدوانية».

٢٧ - أنظر شوحات، «السينما» الإسرائيلية «: الشرق/الغرب وسياسية التمثيل»، وكجزء لا يتجزأ من تكوين الشرق الأوسط ولغته وثقافته وتاريخه. وهدد السفرديم أيضاً صورة الذات لدى الصهاينة الأوروبيين التي ترى نفسها كامتداد لأوروبا «في» وليس «من» الشرق الأوسط.

٢٨ - د/ حسن ظاظا، ط دار القلم ودار العلوم، (الأولى) سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٩ - د/ معز سيد عبد الله الاتجاهات التعصبية.

٣٠ - أحجار على رقعة الشطرنج وليم جاى كار.

٣١ - د/ إبراهيم خليل أحمد إسرائيل والتلمود، دارسة تحليلية، ، ط مكتبة الوعي العربي، عام ١٩٦٧م.

٣٢ - د/ اسماعيل راجي الفاروقي أصول الصهيونية في الدين اليهودي مكتبة وهبة(الثانية) ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٣ - الشيخ رحمت الله الهندي إظهار الحق ط دار التراث العربي.

٣٤ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية.

٣٥ - الأستاذ/ عبد الله التل الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ط المكتب الإسلامي (الثانية)١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٣٦ - الأستاذ محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام.

٣٧ - البداية والنهاية لابن كثير، ط دار الفكر.

٣٨ - عجاج نويهض بروتوكولات حكماء صهيون -، ط طلاس دمشق.

٣٩ - أ. د/ محمد سيد طنطاوى بنو إسرائيل في القرآن والسنة ط الزهراء للإعلام العربي (الأولى) ١٤١٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٠ - بين الإسلام والمسيحية، كتاب أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق وتعليق د/ محمد شامة.

٤١ - د/ جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام، ط المجمع العلمى العراقى، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
٤٢ - محمد عزة دروزة تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - ط شركة الإعلانات الشرقية، بدون تاريخ الطبعة.
٤٣ - د/ صابر طعيمة التاريخ اليهودي العام ط دار الجيل - بدون ذكر التاريخ والطبعة.
٤٤ - الأستاذ محمد قطب التطور والثبات.
٤٥ - عمر عبد العزيز - التعصب الصليبي.
٤٦ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٤٧ - التفسير الحديث للكتاب المقدس ط دار الثقافة.
٤٨ - التلمود شريعة إسرائيل.
٤٩ - الجدل اليهودي في مواجهة العقيدة الإسلامية (رسالة ماجستير) د/ عثمان علام، أصول الدين، الزقازيق - مصر.
٥٠ - الأستاذ/ داؤد عبد العفو جذور الفكر اليهودي سنقرط، ط دار الفرقان (الثانية) سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م
٥١ - الأستاذ/ محمد عبد الله عنان الجمعيات السرية والحركات الهامة.
٥٢ - جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع للأستاذ / محمد ندا، ط دار اللواء (الأولى) ١٩٨٤م السعودية/ الرياض.
٥٣ - د/ محمد محمد حسين حصوننا مهددة من داخلها ط مؤسسة الرسالة (الثانية) سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٣م.
٥٤ - حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامى د/ أحمد محمد زايد (رسالة ماجستير) كلية أصول الدين/ جامعة الأزهر ط دار المعاني - عمان/ الأردن (الأولى) ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٥ - شريب سبريد وفيتش حكومة العالم الخفية، ترجمة/ مأمون سعيد ط دار النفائس (السادسة) ١٩٨٥م.
٥٦ - الجنرال جواد رفعت اتيلخان الخطر المحيط بالإسلام، ترجمة وهبى عز الدين ط بغداد سنة ١٩٦٥م.
٥٧ - الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسى ط دار التراث ١٩٧٧م.

٥٨ - الأستاذ/ عبد الله التل خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ط المكتب الإسلامى (الثالثة) ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٥٩ - د/ أحمد غلوش دراسات في الأديان: اليهودية.
٦٠ - الروتاري في قفص الاتهام لأبي إسلام أحمد عبد الله، ط دار الاعتصام (الأولى).
٦١ - السيرة النبوية لابن هشام.
٦٢ - د/ حسن ظاظا الشخصية الإسرائيلية، ط دار القلم / دمشق (الأولى) سنة ١٤٠٥هـ/ ٠٨٥ م.
٦٣ - صحيح مسلم - شرح النووي ط مكتبة الغزالى - مؤسسة مناهل العرفان.
٦٤ - الأستاذ عباس العقاد الصهيونية العالمية «المجموعة الكاملة» ط دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان - بدون تاريخ.
٦٥ - أ/ أحمد رياض الصهيونية العالمية، نشأتها وطبيعتها،، ط الدار العلمية - بيروت ١٩٧٣م.
٦٦ - الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ العربي، ترجمة أحمد عبد العزيز - عالم المعرفة ١٩٨٥م العدد ٩٦.
٦٧ - أ/ عبد الوهاب المسيرى العربي الفلسطينى في الفكر الصهيونى، كتاب العربى ١٩.
٦٨ - د/ أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ.
٦٩ - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق محب الخطيب ط دار الكتب السلفية.
٧٠ - زهدي الفاتح فضح التلمود. . تعاليم الحاخامين السرية - ط دار النفائس.
٧١ - د/ حسن ظاظا الفكر الديني اليهودي، ط بيروت (الثانية) سنة١٩٨٧م.
٧٢ - د/ سعد المرصفى الفكر اليهودي، ط مكتبة المنار الإسلامية (الأولى) ١٤١٣هـ.
٧٣ - قاموس الكتاب المقدس.
٧٤ - كارين أرمسترونج القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث.
٧٥ - الشيخ محمد الغزالى قذائف الحق.
٧٦ - ول ديورانت قصة الحضارة.

٧٧ - قصص الأنبياء لابن كثير.
٧٨ - الدكتور/ عبد الوهاب النجار - قصص الأنبياء.
٧٩ - للأستاذ / داؤد عبد العفو سنقرط القوى الخفية لليهودية العالمية «الماسونية»، ط دار الفرقان (الثانية) ١٤٠٨هـ.
٨٠ - إبن الأثير الكامل ط دار الكتاب العربي (الخامسة).
٨١ - د/ وليم أدي الأمريكي - الكنز الجليل في تفسير الأناجيل ط بيروت (الأولى) عام ١٨٨٨م.
٨٢ - د/ حسن ظاظا الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، ط دار القلم، دمشق، (الأولى).
٨٣ - لسان العرب لابن منظور، ط دار المعارف.
٨٤ - د/ عبد الله سمك الماسونية - رسالة ماجستير.
٨٥ - د/ صابر طعيمة الماسونية ذلك العالم المجهول.
٨٦ - د/ صابر عبد الرحمن طعيمة الماسونية والصهيونية والشيوعية.
٨٧ - مجلة «لواء الإسلام» [دوريات] عدد شعبان ١٣٨٧هـ.
٨٨ - مجلة «المسلمون» [دوريات] عدد ٧ سنة ١٩٥٥م.
٨٩ - د/ سعد المرصفى محاكمة اليهود - ط مكتبة المنار الإسلامية (الأولى) سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٩٠ - الشيخ أبي زهرة محاضرات في النصرانية ط دار الفكر العربي (الثالثة) سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٦م.
٩١ - محمد الرسول في التوراة والإنجيل.
٩٢ - الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي - مختار القاموس، ط عيسى البابي الحلبي (الأولى) سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٦٤م.
٩٣ - أ/ أحمد محمد دياب المخططات الماسونية العالمية ط دار المنار (الأولى) عام ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
٩٤ - الأستاذ/ أنور الجندي المخططات التلمودية الصهيونية ط دار الاعتصام، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
٩٥ - م/ أحمد عبد الوهاب - المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط مكتبة النهضة المصرية (الأولى) سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٦ - د/ أحمد شلبي المسيحية، ط مكتبة النهضة المصرية (العاشرة) سنة ١٩٩٣م.
٩٧ - د/ سعد المرصفى معالم النصر على اليهود، ط مكتبة المنار الإسلامية (الأولى) عام ١٤١٣هـ/ ١٩٧٨م.
٩٨ - أ. د/ عبد الستار فتح الله سعيد معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ط دار الطباعة للنشر (الثالثة) ١٤٠٥هـ.
٩٩ - أ. د/ أحمد شلبي مقارنة الأديان: اليهودية ط مكتبة النهضة المصرية (الخامسة) سنة ١٩٧٨م.
١٠٠ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني مكايد يهودية عبر التاريخ / ، دار القلم - دمشق (الخامسة) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٠١ - د/ اسماعيل راجي الفاروقي الملل المعاصرة في الدين اليهودي ط مكتبة وهبة (الثانية) ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
١٠٢ - منظومة الإمام الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود شرح الشيخ محمد بن سعيد بن حماد الأيوصيري، تحقيق الدكتور / أحمد حجازي السقا، ط دار البيان (الأولى) سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
١٠٣ - موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية د/ عبد المنعم الحفني ط مكتبة مديولي، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
١٠٤ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د/ عبد المنعم الحفني ط دار المسيرة يروت (الأولى) ١٩٨٠م.
١٠٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع بن حماد الجهني، ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع (الثانية) الرياض ١٤١٨هـ.
١٠٦ - اميل الخوري مؤامرة اليهود على المسيحية.
١٠٧ - الأب جيوفاني روس موجز الكمال المسيحية، المعهد الفرنسيسكاني الشرقي بالجيزة القاهرة عام ١٩٦٨م.
١٠٨ - بولس حنا مسعد همجية التعاليم الصهيونية، ط بيروت ١٦.
١٠٩ - الأب بولس إلياس يسوع - المسيح -.
١١٠ - جون و. درين يسوع والأناجيل -.
١١١ - أ. د/ محمد إبراهيم الجيوشي اليهودية بدون ذكر الطبعة والتاريخ.

١١٢ - الأستاذ / عادل هاشم موسى اليهودية بين القرآن والتلمود، ط المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية العدد ١٢٤
١١٣ - د/ كامل سعفان اليهودية تاريخ وعقيدة ط دار الاعتصام، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.
١١٤ - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - غوستاف لوبون.
١١٥ - الشيخ صلاح أبو إسماعيل اليهود في القرآن الكريم ط جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية، الكويت(الثانية) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١١٦ - د/ فؤاد حسنين على اليهودية واليهودية المسيحية ط معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٦٨م.



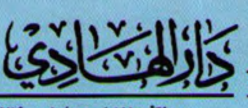
التلمود

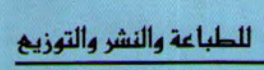
وجذور الإرهاب الصهيوني



Designed by R. Sedik







هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: http://www.daralhadi.com